




KÖPRÜLÜ K
310



قطعة ثالثة من النصف الثاني



علي قومه وذهابه مغارقا لهم ولم يصبر منتظرا لامر الله فلن نقدر عليه
بمعني لن نواخذه بغضبه وذهابه فاطلق السبب فليس فيه ظن لعدم
قدرة الله عليه وليس هذا راجعا الي معني التضييق عليه لان المواخذة بالقضا
والحكم السابق كما قبل هو كما تقدم عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم وقد تقدمت ترجمته وما في بعض النسخ ابو زيد وفي بعضها ابن دريد
من تحريف الناسخ والصحيح الاول كما في المقتفي للبرهان الحلبي
ان لن نقدر عليه بتقدير حرف الاستفهام وقد ورد حذفه كثيرا كقوله
قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب *
اي اتحبها وهو مفصل في كتب النحو والاستفهام انكاري اي افظن عدم
قدرتنا عليه اي لم يظنه ولم يخطر بباله كما اشار اليه بقوله ولا يليق اي لا يناسب
عقلا ولا شرعا ان يظن بالنبي نبي من الانبيا ان يجهل صفة من صفات ربه
وهي هنا قدرته تعالي وتعلقها بكل شي وفي نسخة انه جهل وكذلك اي مثل
ماتقدم في انه مصروف عن ظاهره قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح في معناه انه اراد
مغاضبا لقومه لكفرهم اي اقامتهم علي كفرهم فراغمهم بفراقهم رغما لهم لظنه انه
سائغ شرعا حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله
وان ينتظر الاذن من الله كما قاله الزمخشري وهو اي التفسير المذكور قول ابن
عباس والضحاك وغيرهما من السلف لا مغاضبا لربه اذ لا يليق ذلك بمقام النبوة
اذ مغاضبة الله تعالي معناه معاداة الله وهو تفسير باللازم لان العداوة تقتضي
عدم الرضا ومعاداة الله تعالي كفر لا يليق بالمومنين فكيف يليق بالانبيا عليهم الصلاة
والسلام وكيف استفهام تجوز به عن الاستبعاد لما بعده كما تقدم والمغاضبة مفاعلة
اريد بها اصل الفعل او هي علي ظاهرها لانها بمعني العداوة وهي من الجانبين
لانه عاداهم لله وعادوه لجهلهم وكفرهم فلا حاجة لصرفه عن ظاهره وقيل ذهابه
في صورة الغضب لانه كان مستحييا اسم فاعل بيائين اي حييا من قومه ان يسموه
بدل من قومه اشتمال اي يصفوه بالكذب لانه اوعدهم بعذاب يحل بهم
لما خالفوه وعين لهم مدة كما تقدم وهي من السمة بمعني العلامة كالكي وغيره
فاستعير للصفة لانها تميز كالعلامة اي كراهة ان يصفوه به اذ كان
اجلهم اربعين ليلة فقالوا ان راينا مخايله امنا فلما راوا ذلك امنوا فكشف
عنهم العذاب كما قصه الله بقوله الا قوم يونس لما امنوا الاية وقوله او يقتلوه
اي وخوفا من ان يقتلوه فهو كقوله متقلدا سيفا ورمحا كما روي في الخبر المذكور
في قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد تقدم بعض منه وليس هذا
راجعا الي القول بانه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه لا وجه
له وفي مراة الزمان ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فراي راعيا
في فلاة فسقاه لبنا وهو مستند الي صخرة فاعلمه انه يونس وامره ان

يقرا على قومه السلام فقال يا نبي الله لا استطيع لان من كذب منا قتل
قال فان كذبوك فالشاة التي سقيتني من لبنها وعصاك والصخرة يشهدن
لك فاتاهم الراعي واخبرهم فانكروا فنطقت الشاة والصخرة والعصا وشهدن
له فقالوا والله انت خيرنا اذ رايت نبينا وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل انه
ذهب مغاضبا لبعض الملوك في عهده فيما امر به اي بسبب امره به من التوجه بيان
لما اي امر امره الله تعالى به على لسان نبي اخر اي بواسطته يبلغه
له وضمير امره للملك فقال له اي قال يونس عليه الصلاة والسلام للملك
غيري اقوى عليه مني اعتذارا له لخشيته من التقصير فيه فعزم عليه اي صمم او
اقسم عليه انه يفعل ما امر به ولم يقبل عذره فخرج لذلك اي لما صنع الملك
معه مغاضبا له اي للملك لا لربه كما توهم وهذا اشارة لما في بعض التفاسير
كما حكاه الاخفش من ان يونس عليه الصلاة والسلام خرج مغاضبا لملك
كان لقومه والنبي المذكور كما روي عن ابن عباس شعيب والملك اسمه حزقيل
فاوحى الله الى شعيب ان قل لحزقيل ان يبعث نبيا من انبيا بني اسرايل
الى اهل نينوى يامرهم بتخلية بني اسرايل فاني ملق على قلوب جبابرتهم وملوكهم
فقال ليونس اخرج اليهم فقال يونس هل امرك الله باخراجي لهم وسماني فقال لا
فقال ها هنا اقويا فالح عليه فخرج مغاضبا الى اخر ما قصه الله وقد روي عن
ابن عباس ان ارسال يونس عليه الصلاة والسلام ونبوته اي بعثته نبيا مرسلا الى
اهل نينوى من ارض الموصل انما كان بعد ان نبذه الحوت ونبذه بلفظ الماضي
المعلوم وفي نسخة بعد نبذه باضافة المصدر لمفعوله اي قذفه من بطنه
والمراد مطلق الالقا وقال الراغب النبذ القا الشي وطرحه لقلة الاعتداد
به ولذا يقال نبذته نبذ النعل الخلق وقال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم
انتهى وفيه نظر لانه لا يناسب قوله فنبذناه بالعرا فتامل واستدل
لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما بقوله فنبذناه بالعرا وهو سقيم العرا بالفتح
والمد المكان المتسع الخالي من البنا والشجر فهو كانه عار وكان الحوت
يسير مع السفينة رافعا لراسه ليتنفس واختلف في مدة لبثه في
بطنه كما مر وقوله وهو سقيم اي ضعيف كالطفل حين يولد من حرارة
بطن الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين يفعيل من قطن اذا اقام وهي شجرة تين وقيل
هي القرع وعلى هذين فاطلاق الشجرة عليه مجاز لانهما لا ساق له والمشهور انه
لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويقول هي شجرة اخي يونس ثم
فانبتت عليه لتظله ويا كل منها وقيل لانها لا يقع عليها الذباب وارسلناه
الاية ووجه الاستدلال انه ذكر الارسال بعد اخراجه من بطن الحوت
والواو وان لم تفد الترتيب على الصحيح لكن الترتيب الذكري تقتضيه
لان غيره مخالف للظاهر وهو معنى ما نقل عن الشافعي اذ لا وجه

العدول

للعدول عن الظاهر من غير قرينة وقوله او يزيدون او بمعنى الواو والمراد
وصفهم بالكثرة او تردد من راهم وقد اجيب عما استدل به ابن عباس
رضي الله عنهما بانه ارسال لغوي اي ارجعه الى من ارسل اليه اولا او هو
ارسال لغيرهم الى غير ذلك مما ذكره المفسرون ويستدل ايضا اي لقول ابن عباس
كما استدل بما قبله بقوله تعالى لنبيه ولا تكن كصاحب الحوت الخطاب له صلى الله عليه وسلم
اذ ضجر ولم يصبر فاصبر فان الله ناصرك وذكر القصة يعني قوله اذ نادى وهو
مكظوم الخ ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وهذا بنا على ان معنى
اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته وهذا ليس بمتعين فقوله فتكون هذه
القصة قبل نبوته وارساله لقومه غير مسلم لما تقدم وانما قال هذا ابن عباس
لانه قبل النبوة يجوز صدور ما ذكر عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه
ثم اورد سوالا على الاصل الذي قرره من براة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحوه فقال فان قيل فما معنى قوله صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن الاغر المزني انه اي الامر والشان
ليغان على قلبي الغين بالغين المعجمة ويا ونون الستر والتغطية وهو قريب
من الغيم ويكون بمعناه اي ترد على قلبي امور تشغله ويقال غين على قلبه
اذا عرض له وسوسة ونحوها ولما توهم من ظاهر الحديث انه قد يعرض له
صلى الله عليه وسلم شك في بعض شؤونه ورد سوال بانه مخالف لما قرر
لان قوله واني لاستغفر الله في كل يوم وفي نسخة في اليوم مائة مرة وفي طريق اي في
رواية له في اليوم اكثر من سبعين مرة يقتضي انه خواطر غير مرضية محتاجة
المعفو عنها دفعه وقال اذا سمعت هذا او عرفت ما يوهمه فاحذر ان يقع ببالك
اي يخطر على قلبك وفكرك وذكر البال فيه لطف صاد فكرم ان هذا الغين
الوارد في هذا الحديث وسوسة او ريبا اي شكا في شي من امور المتعلقة
بالوحي وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم في شي من امور الدين ثم وضحه بعد بيان
معناه وما وضع له لغة في هذا الكلام بقوله ما يغشي القلب ويغطيه عطف تفسير
وهو استعارة لما يشغله قاله الامام ابو عبيدة وفي نسخة ابو عبيد القاسم ابن
سلام كما تقدم واصله اي ما وضع له اولا ماخوذ من غين السما وهو اطباق الغيم
عليها اي على السما واطباقه تغطية جميع نواحيها وقريب منه ما قيل انه الغيم
المطبق فيحتمل ان النون مبدلة من الميم وقال غيره اي غير ابي عبيدة
الغين شي يغشي بفتح اليا والشين المخففة او بضمها وكسر الشين المشددة
القلب والاول اظهر ولا يغطيه كل التغطية اي لا يغطيه اي يعرض له او يستره
كله كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوا اي في الجو فلا يمنع ضوء الشمس لرقته وكذلك اي
مثل ما ذكر من انه لا يفهم منه انه وسوسة لا يفهم من الحديث انه يغان على
قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه ثم بينه بقوله

الذي ذكرناه اي لا يدل عليه دلالة متعينة وهو اكثر الروايات اشارة الي ان
فيه روايات اخر واما العدد المذكور في الحديث على الاستغفار لا للغين فانه واقع
بعد الاستغفار المرتب على الغين بالفا وان احتمل ان يكون كل استغفار للغين
فيكون المراد العدد واما الروايتان فلا تنافي بينهما لا ... اما اعتبار الاحوال
او الا ... من سبعين هو المباينة نفسها فيكون المراد بهذا الغين اشارة غفلات
قلبه وفترات اي فتورها وكسلها وسهوها اي زوال صورتها عن الذكر وبين
ما غفل عنه في فترتها بقوله عن مداومة الذكر اي ذكره صلى الله عليه وسلم الله
بلسانه وقلبه ومشاهدة الحق ان اريد به الله تعالى فالمراد مشاهدته
في مزايا مصنوعاته حتى كانه يراه بعين عيانه وان اريد به ما هو حق ثابت
متيقن من العلوم الحقة والامور اليقينية اللدنية فالامر واضح ولما كان
هذا يوهم امر الايناسب مقام صلى الله عليه وسلم حتى قيل انه لا ينبغي
ذكره فانه يقتضي تفضيل الملايكة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانهم
لا يفترون عن العبادة والتسبيح طرفة عين اشار الي دفعه بما لم يتنبه
له المعترض فقال بما كان اي بسبب ما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه
بالدال المهملة المضمومة مبني للمجهول اي فوض اليه واعطيه قال الراغب
الدفع اذا عدي بالي معناه الانالة لقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم
فان عدي بعن فمعناه الحماية نحو ان الله يدفع عن الذين امنوا من مقاساة البشر
المقاساة والمكابدة مباشرة ما فيه مشقة من امور عزم وسياسة الامة السياسة
هي الحكم والتدبير لامر غيره من ساسه يسوسه اذا قام عليه لاصلاح اموره وهو
لفظ عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص بما يكون بطريق القهر والضبط
ومعاناة الاهل اي الاعتنا بامرهم والتقيد بما فيه معاشهم ومقاومة الولي اي
القيام بالامر الذي يتعلق بالولي وهو من يواليه ويتبعه والعدو وهو
من يظهر عداوته ومقاومته مقابلته بالغلبة والقهر كما كان يفعله صلى
الله عليه وسلم في غزواته وتدبير جيوشه ومصلحة النفس اي مصلحة
نفسه في امور معاشه وكلفه بالبنا للمجهول معطوف على دفع اليه من اعبا
ادا الرسالة جمع عب بهمزة في اخره وهو كالحمل لفظا ومعنى بكسر اوله
وهو ما يكون له في تبليغها ودعوة الخلق وحمل بفتح اوله الامانة اي ما استودعه
الله من اسراره واعطا كل ذي حق حقه وليس المراد بها طاعة الله التي
اوجبها عليه كما قيل وهو صلى الله عليه وسلم في كل هذا اي ما دفع اليه وكلفه
مما ذكر من المقاساة وما بعدها في طاعة ربه وعبادة خالقه دفع لما يتوهم من انه كان
اللايق به صلى الله عليه وسلم انه لا يشغله شي عن ذكر ربه ومشاهدته
بانه لم يشتغل به لحظوظ نفسانية ولا لامور رياسية وانما الله شغله
بذلك مما انقطع عنه الا لخدمته التي امره الله عز وجل بها كما قيل

اريد

اريد صلاحه ويريد هجري ۞ فاترك ما اريد لما يريد
ولما ورد عليه ان هذا اذا كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار
انما يكون من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان صلى
الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة اي له رتبة عند الله ومنزلة
عالية على كل مخلوق والمكانة بالتا تختص بالمحل المعنوي كالمنزلة واعلاهم درجة
الدرجة ما كان في جانب العلو ضد الدرك ومكانة ودرجة تمييز واتمهم اي
اكملهم به اي بالله معرفة فهو اعرف بالله مما سواه واخر هذا لانه مرتب
على ما قبله في المعقول والمحسوس وكانت حالة الحالة من نيات امره وشانه عند
خلوص قلبه لله بحيث لا يمر به سواه وخلوهمه اي جعل امره منفردا بالتوجه
لجنابه الاعلى فيكون قلبه معه وحده في خلوته فان ذاكر الله جليس الرحمن
كما ورد عنه واقباله بكليته اي بذاته كلها قلبا وقالبا ومقامه هنالك اي
اقامته مع الله في حظيرة قدس قربه واشار بالبعد لعلو مقامه ثمة ارفع
اي اعلى حاليه اي حال اشتغاله بالظاهر وحالة كونه عالم السراير وكل منهما
رفيعة ولكن هذه ارفع راي صلى الله عليه وسلم اي علم او شاهد حال
فترته عنها اي عن ارفع حاليه وشغله بسواها اي اشتغاله بغيرها غضا عن علي
حاله وهو مفعول ثان لراي او حال وغض الطرف ارخاؤه واطراقه ويكون
بمعنى النقصان كما يقال غض صوته قاله الراغب وهو المراد هنا وكني به
عن التنزل عما ذكر وخفضا اي حطا وتنزيلا عن رفيع مقامه وهذا بالنسبة
الحالة الاخرى وان لم يكن كذلك في نفسه فاستغفر الله تعالى اي طلب مغفرته
وعفوه ومسامحته له من ذلك لعده بالنسبة لمقامه الاخر كالذنب كما قال البحتري
اذا محاسني اللاتي ادل بها ۞ كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر
ولذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من مجلسه قال استغفر الله الذي لا اله
الا هو الحي القيوم واتوب اليه وروي انه كان يقول رب اغفر لي وتب
علي انك انت التواب الرحيم ماية مرة وهذا التفسير اولى وجوه الحديث التي
ذكرت في توجيهه واشهرها والي معنا ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله
اي دار باطرافه وقرب منه كقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى
واصله رفرفة الطاير على الما اذا اراد النزول عليه وقارب اي حاول القرب
والوصول ولم يرد اي لم يصل اليه استعارة من ورد الما اتاه ليستقي منه وفيه
اشارة الي ان ذلك فيه شفا الغليل وثلج الصدور وروا النفس لهاظما اليه
وفيه من البلاغة ما لا يخفى وقد قربنا غامض معناه اي ادنيناه لمن قاربه
ففيه لطف لا يخفى اي خفيه الذي لم يتضح واصله المكان المنخفض فكني
به عما ذكر ثم صار حقيقة فيه وكشفنا للمستفيد اي طالب الفايدة العلمية
من تجارته الرابحة محياه بالضم والفتح والتشديد بمعنى الوجه وفيه

استعارة مكنية وتخييلية بتشبيهه بحسان مخدرة والكشف للحديث هنا
لرفع عينه واظهار محياه لعينه ورهو اي هذا التفسير مبني اي متفرع
على جواز الفترات والغفلات والسهو على سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام في
غير طريق البلاغ فلا يجوز فيه ذلك لمنا فاته له على ما سياتي في هذا الكتاب وفي
كلامه نظر لا يخفى فانه جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله
بامر امته واهله فلا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه على غير
اساسه وهو عندي كالغفلة فيما قاله فتامله فانه غريب ومن
هنا علمت سر دعا الملايكة لبني ادم بالمغفرة وتفسير صلاتهم بها ومعنى
قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما وسر
تذييل هذه الاية بما ذكر فذهب طايفة اي اختاروا مذهبا ورايا كقوله
وللناس فيما يعشقون مذاهب من ارباب القلوب اي اوليا الله
الذين لا خوف عليهم الذين نور الله قلوبهم وطهرها حتى صاروا من ارباب الكشف
لتقشفهم ولبسهم الصوف او لصفا قلوبهم او لمضاهاتهم لاهل الصفة كما بيناه
في كتاب شفا الغليل ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اي ما ذكر
من الغفلة وما بعده جملة اي كله ومجموعه واجله اي عظمه صلى الله عليه وسلم
بتنزيهه عن مثله عن ان يجوز بالبنا للمجهول بضم اوله وتشديد واوه المفتوحة
اي يراه جايزا الطلاقه عليه في حال من احواله سهوا وفترة السهو الذهول
عن شي يتنبه له سريعا وقيل انه في الشي تركه عن غير وعن الشي تركه
مع علم ومنه الذين هم عن صلاتهم ساهون والفترة السكون بكسل ونحوه
كما تقدم الى معنى هذا الحديث والى متعلقة بذهبت ما يهم بضم اوله وكسر هايه
من اهمه اذا اقلقه واحزنه وخاطره بالنصب مفعوله اي قلبه وفكره وجعل
فكره ذا هم مجاز كقوله ويغم فكره اي يجعله ذا غم والغم والهم الحزن وقد
يفرق بينهما من امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم
وصوه ورحمته لهم فيستغفر لهم اي يدعو لهم بالمغفرة لما صدر منهم او لما سيصدر
فالغين خواطره فيما يتعلق بهم واستغفاره صلى الله عليه وسلم انما هو لهم
فلا اشكال في الحديث اصلا قالوا اي المشايخ المنزهون له صلى الله عليه وسلم
عما ذكر وقد يكون الغين ها هنا اي في هذا الحديث هو السكينة اي الوقار
والتاني والطمانينة في الامور التي تغشاه اي تعرض له لقوله تعالى فانزل الله
سكينته عليه اي طمانينته وحلمه ووقاره وفي الضمير في عليه قولان احدهما
على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني على ابي بكر قال ابن العربي قال
علماونا وهو الاقوى لانه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله سكينته
عليه بنا مين النبي صلى الله عليه وسلم وسكن فسكن جاشه وذهب روعه
وحصل الامن والسكينة لها معان منها الوقار والسكون والرحمة وقيل

انها

انها وردت بمعنى ذات لطيفة هوايية لها وجه كوجه الانسان او على صورة
هرة مع بني اسرايل اذا ظهرت انهزم عدوهم ووردت بمعنى السحابة كذا في
الشرح الجديد وقال الراغب في قوله وانزل السكينة في قلوب المومنين قيل
هي ملك يسكن قلب المومن ويومنه ومنه ان السكينة تنطق على لسان عمر وقيل
هي العقل ويقال له سكينة اذا سكن عن الميل والشهوة والسكينة زوال
الرعب وعليه قوله تعالى ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وما ذكر من انها
شي له راس كراس الهرة لم يصح ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها على هذا
اظهارا للعبودية والافتقار الى ربه عز وجل وهو ليس بذنب بل خضوع وخشوع
وقال ابن عطا تقدمت ترجمته استغفاره وفعله هذا اي الواقع في هذا الحديث
تعريف للامة اي تعليم لهم يحملهم على الاستغفار اي طلب مغفرة ربهم وقال
غيره اي غير ابن عطا ويستشعرون اي يدركون ويعرفون من تعريف رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واصله طلب الشعور فعبر به عما ذكر الحذر اي الاحتراز
من المعاصي والخوف منه كما قال تعالى ويحذركم الله نفسه وفي نسخة الحصر
اي حبس انفسهم على طاعة الله والامتناع من الذنوب ولا يركنوا اي لا يميلون
مبلا تاما الى الامن من الوقوع في المعاصي والذنوب منها قال من حام حول الحمى
يوشك ان يقع فيه ويحتمل الحديث ان تكون هذه الاغابة في قوله صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبي حالة خشية واعظام اي يخطر بباله عظمة
الله والخشية منه تغشى قلبه اي تعرض له حاله من تصور ذلك فيستغفر
حينيذ اي حين ما غشيته هذه الحالة شكرا لله تعالى على نعمة جليلة اذ
عرفه عظمته وخشيته وهو اعظم المعلومات فهو نعمة لا يساويها غيرها
وملازمة لعبوديته اي مداومة عليها اذ مقتضاها عده نفسه مقصرة لا تفي
باداء خدمته فلذلك يستغفره كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمته
العبادة اي كما ورد في حديث انه صلى الله عليه وسلم اكثر من قيام الليل
حتى تورمت قدماه فقال له الصحابة اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا عطفه بالفا
على كلامهم بتقدير اذا انعم الله علي بمغفرة ما تقدم وما تاخر ففي مقابلة
هذه النعمة اللايق مني الشكر واعظمه الاعتقاد بالجنان والعمل بالاركان
ولا عمل له افضل من الصلاة وقد كمل شكره بلسانه لما قال هذا افلا اقال
عبدا شكورا فاعترف بعبوديته وهي من اعظم النعم عليه واتى بصيغة
المبالغة وفا السببية وهو معطوف على كلامهم ويسمى عطف تلقين
كما صرح به سيبويه وذكره في الكشاف كما مر وهذا الحديث رواه البخاري
وغيره وفي رواية له افلا احب ان اكون عبدا شكورا فان الشكر يديم
النعم او هو معطوف على مقدر اي اترك التهجد فلا اكون الخ وفيه حث

لغيره ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالابدان كما قال اعملوا آل داود شكرا لكن غيره اذا اخشي الملال لا ياتي الا بما يستطيعه كما ورد في الحديث فلا منافاة بينه وبين قوله عليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وعلى هذه الوجوه الاخيرة قالوا هي قوله وقد يكون الغين الى هنا وقيل من قوله وذهبت طايفة من ارباب القلوب الخ مجمل اي يفسره ما ورد في بعض طرق هذا الحديث من رواية البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فيفسر الغين بما مر ويجعل الاستغفار له لما مر او لامته تعليما لهم والعدد للاستغفار لا للغين لبعده لفظا ومعنى وقال الخيضري في خصايصه قال السهروردي لا تعتقد انه نقص بل هو كمال متمم لكمال ومثله بجفن العين يسبل لدفع القذا عن العين فيتمنع من الرؤية فهو نقص بحسب الظاهر وكمال في الحقيقة وهكذا بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم للاغيرة الثايرة من انفاس الاغيار الى بسر حدقة بصيرته صيانة ووقاية لها وقول ابن الجوزي هفوات الطباع البشرية لا يخلو احد منها والانبيا عليهم الصلاة والسلام وان عصموا من الكباير لم يعصموا من الصغاير مبني على خلاف المختار وقال ابن بطال الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشد الناس اجتهادا في العبادة فهم دايبون في شكره معترفون بالتقصير عما يجب له تعالى ويحتمل انه عد اشتغاله بالمباحات ذنبا كالاكل والشرب والجماع وغيره من امور الدنيا والنظر في امر العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله ومراقبته فعده ذنبا بالنسبة لعالي مقامه بمنعه من اتصاله بحضرة القدس وكونه تعليما لامته مخالف للسياق وكذا ما قيل انه لاطلاعه على ما يحدث من امته بعده وفي الاحيا كان صلى الله عليه وسلم دايما يترقى في المقامات فاذا انتقل من مقام الى اعلى منه راه نقصا فتاب منه واستغفر وحسنات الابرار سيئات المقربين كما قاله الجنيد وتعقب هذا بانه يدل على وقوع الاستغفار معرفا بحسب الاحوال وظاهر الحديث يخالفه كما قال ابن حجر وفيه نظر لانه ليس في الحديث ما يدل على افتراق واجتماع انتهى وسيل العراقي عن هذا الحديث فاجاب بما مر ثم قال والظاهر ان الجملة الثانية مترتبة على الاولى وان سبب الاستغفار الغين بدليل ما روي حتى استغفر الله وفاستغفر الله ويحتمل ان الجمع بينهما من الراوي فاخبر بحصول ذلك الغين مع كثرة الاستغفار فما ظنك بمن لم يكن كذلك والجملة حال مقدرة وقال بعض المشايخ من الصوفية الغين في اصطلاح ارباب السلوك شهود الحق بشهود الاغيار التي هي حجاب عن شهود الحق وهو منزه عنه فالمراد به اختلاف التجليات كالتجلي الصفاتي والذاتي وقال الشاذلي اشكل علي هذا الحديث فرايته

صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الاغيار وفي لطايف المنن لابن عطا الله وحل الرموز القدسي من ظنه غين غفلة وحجاب فقد اخطا وانما كان صلى الله عليه وسلم يستغرق في انوار التجليات فيغيب في ذلك الحضور فيسال المغفرة اي ستر هذه الحالة لانه من الغفر بمعنى الستر لان الخواص لو دام لهم تجلي ما يكاشفون به تلاشوا عن ظهور سلطان الحقيقة وهذا الستر لهم رحمة وللعوام عقوبة لانه حجاب يستترعين بصايرهم فانهم مستورون عنه بغيره والخواص مستورون به عن ما سواه وهو ستر عن دنو الذات المحرق للسوا كما قال ابن الفارض

ولولا احتجابي بالصفات لاحرقت ، مظاهر ذاتي من سنا سبحتي

هذا محصل ما قاله اهل الباطن والظاهر وزبدة ما في الحديث من الظواهر والسراير فاختر لنفسك ما يحلو ثم انتقل لشبهة اخرى ترد على الاصل الذي قرره فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شا الله لجمعهم اي جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين على الهدى بهدايته لهم للعقايد الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل احدهم عن الطريق المستقيم فلا تكونن من الجاهلين اول الاية فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما فتاتيهم باية وهو شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لما راى من حرصه على ايمان الناس فنهيه عن الجهل بقدرة الله لما شا ايدهم انه لم يحط بذلك وهو منزه عنه ودفعه بما سياتي وكذلك قوله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام فلا تسالني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حين ناداه وقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق يعني ما وعده به من نجاة اهله لما قال له تعالى احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك وابنه من اهله فسيله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه سواله ونسبه لما لا يليق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام والى دفع وجه السوال والشبهة اشار بقوله فاعلم امر لكل من يمكن توجيه الخطاب اليه وسد مسد مفعوليه قوله انه لا يلتفت بالبنا للمجهول اي لا يتوجه التفات احد ونظره في ذلك اي في خطابه تعالى لهما بما ذكر الى قول من قال من المفسرين في اية نبينا اي في الاية الاولى التي نزلت في حقه صلى الله عليه وسلم وقوله فيها فلا تكونن من الجاهلين وان معناها لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شا لجمعهم على الهدى باسناد الجهل بمشية الله اليه ولا تلتفت ايضا لقول من قال في اية نوح عليه الصلاة والسلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله ان فانك لا تخلف الميعاد وعلل عدم الالتفات لهذا القول بقوله اذ فيه اي في هذا القول وتفسير الايتين بما ذكر اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وهي قدرته وعلمه وذلك لا يجوز على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم لمعرفتهم بالله تعالى وصفاته والمقصود اي المعنى

المراد من هاتين الايتين وعظهم اي ارشادهم وتنبيههم علي ان لا يتشبهوا
في امورهم حين الدعوة للخلق سمات الجاهلين اي لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر
والحرص علي سرعة المراد مما هو شان الجاهلية كما قال اني اعظك فهو دليل
علي انه ارشاد له صلي الله عليه وسلم ان لا يتسم بما ليس من شانه ولا يتخلق
بما يضاهي اخلاق الجهلة لا انه جاهل بذلك وليس في اية منهما اي من الايات
المذكورة دليل علي انهم علي تلك الصفة اي صفة الجهل بصفة
من صفات الله فانهم اعلم الناس بها التي نهاهم عن الكون عليها اي الاتصاف
بذلك والنهي عن الكون ابلغ من النهي عن الاتصاف بها كما قرره ابن جني
في كتاب المحتسب فكيف يكونون وهم اعلم الخلق علي صفة نهوا عن الكون
عليها والاستفهام لاستبعاد ذلك واية نوح عليه الصلاة والسلام المذكور
فيها قصته وهي قوله اني اعظك الي اخرها قبلها فلا تسئلني ما ليس لك به علم
فهي موذنة بان المراد نهيه عن التشبيه بالجهلة لنهيه عن السوال
عما لا يحتاج اليه فحمل ما بعدها علي ما قبلها اولي من الجري علي ظاهرها ونسبة
ما لا يليق بهم اليهم لان مثل هذا السوال عما ليس له به علم من حال ابنه قد يحتاج
الي اذن من الله فلا يتقدم عليه بدونه وقد تجوز اباحة السوال فيه ابتدا منه
من غير اذن فيختلف باختلاف الاحوال والمقامات فنهاه الله ان يسئله عما طوي عنه
اي اخفي عنه علمه به فتشبه الامر الخفي عنه بثوب مطوي ملفوف لا يظهر
باطنه وما في داخله واكنه اي ستره كقوله قلوبنا في اكنة اي حجاب يمنع الادراك
من غيبه اي من الامر المغيب عنه وفي نسخة في غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه باغراقه
وعدم ادخاله في سفينته بيان لما طوي عنه واكنه لانه لم يكن علي دينه
لانه كان يبطن الكفر ونوح عليه الصلاة والسلام لم يعلمه ثم اكمل الله نعمه عليه
جمع نعمة وفي نسخة نعمته بالافراد باعلامه بذلك اي ما سال عنه وانما
جعله من كمال النعمة لانه علم ما لم يعلم وتبين له ما نهي عن السوال عنه بقوله
عز وجل له انه اي ابنه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بكفره وخروجه عن
دينه انه عمل غير صالح تعليل لنفي كونه منهم ومعدودا من اهله حكاه
اي هذا التفسير حكاه عن السلف مكي تقدمت ترجمته كذلك اي مثل
قصة نوح عليه الصلاة والسلام في انها مخالفة للظاهر محتاجة للتاويل
بانها تشبيه بمن امتطي مطية الجهل امر فعل مبني للمفعول نبينا صلي الله
عليه وسلم في الاية الاخري السابقة وهي ولو شاء الله الي اخرها بالتزام الصبر متعلق
بامر والمراد بالامر ما يلزم النهي وامره صلي الله عليه وسلم بالصبر مذكور
صريحا في ايات اخر كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل علي اعراض قومه
عن دينه وعنه ولا يحرج من الحرج وهو ضيق الصدر والقلق عنده ذلك اي عند
اعراضهم عنه فيقارب حاله حال الجاهل بشدة التحسر اي التاسف والندم

علي عدم الطاعة قومه له حكاه اي ما ذكر من التفسير ابو بكر بن فورك تقدمت ترجمته
والكلام علي اسمه في منع الصرف وعدمه وقيل معني الخطاب في قوله فلا تكونن من
الجاهلين لامة محمد لا له صلي الله عليه وسلم فهو تعريض كما تقدم تحقيقه اي فلا تكونوا من
الجاهلين اي ممن اتصف بصفاتهم وانخرط في سلكهم حكاه مكي ايضا وقال مكي مثله في
القران كثير فيخاطب النبي صلي الله عليه وسلم والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم
النسا فمهذا الفصل الذي قرره في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام من تاويل ما يوهم
نسبتهم لما لا يليق بعلي مقامهم وجب وفي نسخة اوجب القول بعصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام منه لشرفهم وكمال علمهم ورجحان عقولهم وتبرية الله لهم عن النقايص
بعد النبوة قطعا لقيام الادلة عليه والحاصل ان معني الاية الاولي انه تعالي لما راي
اشتداد حرصه صلي الله عليه وسلم علي ايمانهم وشق عليه حتي كاد يهلك نفسه
لم يرض بها لكنه فقال له ان كان عظم ذلك عليك فان امكنك ان تغوص في الارض
لتطلع منها اية لهم او تنصب سلما تصعد به الي السما لتاتيهم باية منها حتي
يومنوا اي انك لا تستطيع هذا فما فايدة هذا الحرص ولو اراد الله هدي جميع
الخلق فلا تحرص علي ما لم يرده وقيل كانوا يقترحون عليه ايات يودّ لو اجيبوا لها
حرصا علي ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا لتاتيهم بما اقترحوه فافعل
ليومنوا وقيل ابتغا النفق والسلم هو الاية فهذه ثلاثة اوجه الاول بيان لشدة
حرصه عليه الصلاة والسلام وانه لو قدر علي المحال فعله والثاني بيان لحرصه علي تثبيت
مطلوبهم ومقترحهم والثالث حرصه علي جعل الصعود والهبوط اية لهم حتي
يومنوا به وترك الفاء في الاخيرين لان عادة الله ان من اجيب لما اقترح عجل هلاكه
وهو مناف لحرصه علي ايمانهم ولان المتبادر من الاية ان النفق والسلم غير الاية
مع ما فيه من النزعة الاعتزالية وقصة نوح ابنه كنعان بعدما سال الله نجاته
فقيل له انه سبق القول بهلاكه لكفره والكلام فيه مفصل في التفاسير فلا نطيل
بذكره ثم اورد سوالا اخر علي ما قرره من الشك في شي مما يتعلق بالعقايد والدين
فقال فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا اي حفظ الله لهم عما ذكر وانه لا يجوز
عليهم شي من ذلك ولا يصح اعتقاده فيهم فما معني اذن وقعت في جواب سوال مقدر
فاصلة بين المضاف والمضاف اليه ملغاة لعدم شروط عملها وعيد الله تعالي لنبيه
صلي الله عليه وسلم اي تخويفه بتقدير صدور شي من ذلك منه وتهديده علي
ذلك ان فعله ونحوه مما يقتضي جواز مثله عليه وتحذيره منه كقوله تعالي لئن اشركت
ليحبطن عملك الاية حبوط العمل بطلانه بالكلية بحيث لا يثاب عليه ولا يبقي له عمل من حبطت
الدابة اذا وجدت مرعي طيبا فاكلت منه اكلا كثيرا حتي انتفخت بطنها فماتت
فالاتيان بالشرط واسناد الشرك له صلي الله عليه وسلم بحسب الظاهر يدل علي جواز
مثله عليه وعلي غيره من الانبيا مع انهم منزهون عنه واطلاق الاحباط في هذه الاية لانه
مخصوص لان ذنب العظيم عظيم او هو مقيد بموته علي ذلك كما يعلم من قوله من يرتدد منكم

عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم والجواب علم مما تقدم واللام الاولي
موطية لقسم مقدر والثانية في جوابه وقوله بالجزاي وما معني قوله تعالي ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك اي فان فعلت فانك اذا من الظالمين ونهيه عن ان يدعو غير ربه
اي يعبده لان الدعا هنا بمعني العبادة يقتضي صدوره منه صلي الله عليه وسلم
وتاويله مما مر اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية اي وضعف الممات اي يضاعف
له عذاب الدنيا والاخرة قوله تعالي ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي لو افتري علينا
لاخذنا منه باليمين جواب لو وعطف عليه قوله ثم لقطعنا منه الوتين والكلام في الايتين
وسبب نزولهما في التفاسير والذي يهمنا هنا ما قصد المص بايرادها هنا وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمراد بهم الكفرة والجهلة واطاعتهم بموافقته ماهم
عليه ومثله لا يجوز عليه صلي الله عليه وسلم فكيف اسند اليه فيها وقد مر جوابه
وقوله تعالي فان يشا الله يختم علي قلبك وهذا بنا علي الظاهر من ان المراد يمنعه من قبول الحق
كما في قوله ختم الله علي قلوبهم لا علي تفسير مجاهد بانه ان يشا يربط علي قلبك بالصبر
علي اذاهم حتي لا تلقي مشقة وقوله تعالي وان لم تفعل ما امرت به فما بلغت
رسالته اي فكانك لم تبلغ شيا منها لتقصيرك فهذا يقتضي جواز تقصيره ظاهرا
في تبليغ جميع ما اوحي اليه فامره بان يبلغه جميعا ولا يخشي مكروها من احد
فان الله عصمه وصانه وجعله في حصن حمايته وكان عمر رضي الله عنه اول من
اظهر ذلك وقال لا يعبد الله سرا وقوله تعالي يا ايها النبي اتق الله ولا تخف من احد
ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يودي الي تفريط في شي من امر الدين روي انه صلي الله
عليه وسلم لما هاجر الي المدينة كان يحب اسلام اليهود وقد تبعه ناس علي نفاق
منهم فكان يلين جانبه لهم ويتجاوز عن قبايحهم فنزلت هذه الاية فيهم
وقيل في سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدي وغيره ثم شرع في الجواب
عما ذكر في ذلك فقال فاعلم وفقنا الله واياك للوقوف علي معاني كلامه
فانه لا يكون الا بتوفيق منه تعالي انه عليه الصلاة والسلام لا يصح عقلا ولا
شرعا ولا يجوز عليه صلي الله عليه وسلم ان لا يبلغ شيا مما امره الله بتبليغه كما يوهمه
ظاهر قوله فما بلغت رسالته ولا ان يخالف امر ربه كما يوهمه قوله فان لم تفعل ولا ان
يشرك به ولا يتقول علي الله اي يكذب عليه ويفتري كما مر في قوله ولو تقول
علينا الاية ما لا يجب بالحا المهملة اي ما لم يرده ولم ياذن له فيه او يفتري عليه اي يكذب
عليه وهو بمعني يتقول واعاده لانه صريح في المراد وقد يفرق بينهما بان يراد بالتقول
تكلفه فيما يقوله بزيادة او مبالغة فيه وهو المناسب لعطفه باو او يضل عن الهوا
والطريق المستقيم باطاعة غير الله فهو اشارة الي قوله تعالي وان تطع اكثر من في
الارض يضلوك الخ او يختم علي قلبه ويطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق او يطيع
الكافرين والمنافقين في امر تهواه انفسهم وهو اشارة الي قوله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فان الامة اجمعوا علي عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة

وبعدها

وبعدها عن الكفر غير الخوارج حيث جوزوا عليهم بعض الذنوب وهي كفر عندهم
وبعض الشيعة القايلين بجواز اظهار الكفر تقية ولا يعتد باقوالهم الواهية
فلذا كان المراد بقوله لين اشركت تهييج الرسل واقناط الكفرة علي طريق الفرض
اي اذا كان هو لا يحبط عملهم به فكيف حال غيرهم وكذا قيل في نفي الافترا والتقول
عنهم وقس عليه ما بعده لكن بيسر الله امره اي حاله صلي الله عليه وسلم وشانه
او ما امر به بالمكاشفة يتعلق بيسر او بامر او بهما علي التنازع والبيان عطف
تفسير لان المراد بالمكاشفة كشفه له وتبيينه او المراد بالاول ما يكشفه بالعام
وبالثاني ما يوحي به اليه في البلاغ متعلق بامر وقيل بالمكاشفة للمخالفين
متعلق بالبلاغ اي من خالفه فيما بلغه لهم عن ربه ويجوز في قوله بالمكاشفة
والبيان ان يراد به المبارزة والاظهار للبلاغ من غير مبالاة باحد فهو متعلق
بامر فاذا لم يبارزهم به فكانه لم يفعل وان ابلاغه بفتح همزة ان وهو معمول
لمقدر اي واعلمه ان تبليغه لما امر به اذا لم يكن بهذه السبيل اي علي هذه الحالة
والطريقة من تبليغ جميعه واظهاره والصدع به فكانه ما بلغ اصلا لانه
كالعدم كمن ترك ركنا من اركان الصلاة لم يعتد بصلاته وانث اسم الاشارة
لان السبيل تذكر وتونث وطيب نفسه طيب النفس جعلها مسرورة غير مكدرة ولا
خايفة من شي وقوي قلبه اي كان قويا متحققا لانه لا يصيبه مكروه ويقابله
ضعفه وهو خوفه مما يتوهمه بقوله والله يعصمك من الناس اي يحميك ويصونك عنهم
حتي لا يقدر احد علي شي يضرك وهذه الاية ان كانت نزلت بعد احد فهي
علي عمومها وكان قبل نزولها له صلي الله عليه وسلم حراس يحرسونه فلما نزلت
ترك ذلك وان كانت نزلت قبلها فالمراد عصمته من القتل فلا ينافي ما اصابه
باحد من جراحته وكسر ثنيته لحكمة تطييبا لقلوب المومنين وتكثيرا
للثواب فمن ظن من تلاقي الحروب ان لا يصاب فقد ظن عجزا كما قال الله
عز وجل لموسي وهارون عليهما الصلاة والسلام حين ارسلهما فرعون
وقومه للجبابرة لا تخافا انني معكما اي حافظا وناصرا لكما علي هولا مع
عتوهم وتجبرهم فبلغا اوامري واصدعا بالحق لتشتد اي لتتقوي وتزيد شدة
بصايرهم اي موسي وهارون ومحمد صلي الله عليه وسلم فيكونوا علي بصيرة ويقين
في امورهم في الابلاغ اي تبليغ ما ارسلوا به لهم واظهار دين الله من غير خوف
ويذهب عنهم بالبنا للمجهول والنصب معطوفا علي تشتد خوف العدو لوعده تعالي
بحفظهم ونصرهم عليهم المضعف للنفس صفة خوف اسم فاعل بتخفيف العين
وتشديدها اي المودي لضعف نفس من خاف فهو بنون وفا وسين مهملة
وروي للبقيتي بيا بين تحتيتين وقاف بينهما ونون والاول اولي رواية
ودراية لان يقين الانبيا عليهم الصلاة والسلام بربهم قوي ابدا وان جاز
ضعف انفسهم بمقتضي البشرية ويويده بل يعينه قوله تعالي فاوجس

في نفسه خيفة موسى والخوف من المضرات امر طبع عليه البشر مع انهم على يقين من ان الله هو الضار النافع وهو لا ينافي التسليم والتوكل الا تراهم خندقوا في الاحزاب وهاجروا عن عدوهم ودخلوا الغار وهو بحسب المقامات فلا يرد عليه ان بعض الاولياء لا يفر من الاسد واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل تقدم انه ليس فيه شين له صلى الله عليه وسلم وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة معناه ان هذا جزاء من فعل هذا التقول والافتراء على الله العذاب المضاف في الدنيا والاخرة فاذا هدد به من لا يصدر عنه فما بالك بغيره وكذلك جزاء كل لو كنت ممن يفعله اي ما ذكر في الايتين قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله الخطاب له صلى الله عليه وسلم ظاهرا والمراد غيره بطريق التعريض قرعا للعصا ايقاظا لهم وتحريكا لغفلتهم لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم عن ارتكاب مثله كما صرح تعالى بالمراد اذ قال مخاطبا لهم صريحا ان تطيعوا الذين كفروا الاية يعني قوله يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين فان الخطاب للمنافقين اذ قالوا للمؤمنين باحد لما ارجف بقتله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى اخوانهم وادخلوا في دينهم فلو كان محمد نبيا ما قتل وكذلك قوله فان يشأ الله يختم على قلبك خوطب والمراد غيره وكذلك قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك كما تقدم بيانه وما اشبهه مما خوطب به فالمراد به غيره تعريضا وايقاظا وان هذه الحال المذكورة من الاحباط ونحوه حال من اشرك بالله لا حال له صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا فلا بد من تاويله كما مر واما قوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين في رأيهم بما تقدم فليس فيه انه اطاعهم وانما نزلت لما تابعه بعض اليهود على نفاق منهم فكان صلى الله عليه وسلم يداريهم رجاء ان يحسن اسلامهم وليس في الاية انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نهي عنه ولما استشعر سؤالا وهو ان يقال حيث كان الامر كما ذكر فلم نهي عنه اجاب عنه بقوله والله سبحانه يعامل نبيه صلى الله عليه وسلم بما لا يجوز ان يعامل به غيره ولا يسئل عما يفعل فله ان ينهاه عما يشاء وان تصور صدوره منه ويامره بما يشاء وان لم يتصور مخالفته له كقوله اتق الله وكما قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي يعبدونه وقوله الاية اشارة لقوله بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم عن مجلسه ولا كان من الظالمين اي ممن ظلمهم بطردهم وهم احقاء بتقريبه لهم واكرامهم وانت لا يطيع فيهم من يبغي ارضاءه لو كان المشركون قالوا لا نرضى مجالسة مثل هؤلاء يعنون سلمان وصهيبا وبلالا وخبابا فاطردهم عنك وطلبوا ان يكتب لهم بذلك فقاموا وجلسوا ناحية فنزلت الاية فنهاهم عما قالوه كاني مسلم وانما هم بذلك رجاء لاسلامهم مع ان ذلك لا يضر اصحابه لعلمه صلى الله عليه وسلم باحوالهم ورضاهم بما يرضاه كما فسره المفسرون

فصل واما عصمتهم اي حفظ الله لانبيائه عليهم الصلاة والسلام من هذا الفن اي اعتقاد ما لا يليق في التوحيد والعلم بالله وصفاته وبما اوحي اليه من امور الدين كما تقدم قبل النبوة اي قبل ان ينبئهم الله ويأتيهم الوحي من الله والنبوة والرسالة والفرق بينهما مشهور وليس هذا محل تفصيله فللناس من علماء الاصول والسلف خلاف جرى بينهم مذكور في كتبهم والصواب اي القول الموافق للواقع والادلة التي على خلافه خطأ من قائله انهم معصومون اي محفوظون مصونون قبل النبوة من الجهل بمعرفة ذات الله تعالى بوجه ما او بصفاته وصفاته فلا يجهلون شيئا منها ومعصومون ايضا من التشكيك في شيء من ذلك وفي نسخة او التشكيك بالعطف باو الفاصلة اي لا يقع في نفسهم شك في ذات الله ولا في صفة من صفاته لان فطرتهم جبلت على التوحيد والايمان واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالمراد به الايمان بما لا يعرف الا بالوحي كوجوب الصلاة ونحوه من فروع الشريعة وقوله من الجهل بيان لما قصد من العصمة فلا وجه لما قيل انه اطلق فيما منه العصمة وكان عليه ان يبينه وهو اظهر من الشمس لا يخفى على ذي بصيرة وقد تقرر ان العصمة عند المتكلمين ان لا يخلق الله في النبي ذنبا وعند الحكماء ملكة تمنع من الفجور حاصلة من العلم بالقبائح والمحاسن فانه الزاجر عن المعاصي والداعي للطاعة ويتاكد في الانبياء بالوحي الالهي وقيل العصمة خاصة في النفس والبدن بسببها يمتنع عن صدور الذنب ويأباه انه لو كان كذلك ما استحق المدح والثواب لانها ليست داخلة تحت الاختيار وهم مكلفون بالاتفاق وفي التحرير لابن الهمام العصمة عدم القدرة على المعصية او خلق مانع منها غير ملجئ وهو مناسب لقول الماتريدي العصمة لا تزيل المحنة اي الابتلاء المقتضي لبقاء الاختيار ومعناه كما في الهداية انها لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية بل هي لطف من الله يحمله على فعله ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء واعلم ان العلامة القرافي قال في التنقيد شرح الاربعين الرازية العصمة لغة الامتناع ومنه العصم لبعض الوحش لبعده عن مظان الاذى وامتناعه واستعصم الرجل امتنع ومنه عصمة الزوجية وحملة الشرع يطلقون العصمة على معنيين احدهما عدم المعصية في الجملة ومنه قولهم في الدعاء نسألك من العصمة تمامها والثاني عصمة الانبياء والملائكة عن الكفر دون سائر البشر مع الله اثنى على الخلق بدوام الايمان فلا بد من تفسير عصمة الانبياء بغير عدم الكفر ومنع الله منه حتى يصح قولنا ليس احد منا معصوما وان كنا غير كافرين مساوين للانبياء في ذلك فتمييزهم انما هو باعلام الله لنا انه صانهم في قضائه وقدره عن الكفر وقدر لهم السعادة الابدية حتما مقضيا فهذا الاعلام الرباني هو عصمة الانبياء والملائكة ومجموع الامة دون كل واحد منهم انتهى وقد تعاضدت اي تقوت

وهو ماخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الي الكتف ولكون عمل الانسان واعتماده
بذلك قيل عضدته بمعني قويته كما اشار اليه الامام الراغب الاخبار والاثار هما بمعني
وقد يفرق بينهما كما تقدم اي قوي كل منهما الاخر حتي حصلت القوة التامة والمراد بهما ما
اشتهر من احوالهم وصفاتهم المأثورة المعروفة عند كل احد عن الانبيا كلهم والمرسلين
باسرهم وليس المراد انه نقل عنهم بل عرف منهم وفي حقهم نحو قد رهنا وعن غيرهم
لم يصب تنزيههم اي تبريتهم عن هذه النقيصة بصاد مهملة اي الصفة المنقصة
لمن اتصف بها منذ ولدوا اي من ابتدا زمن ولادتهم الي اخر عمرهم والكلام علي مذ ومنذ
معروف في كتب النحو ونشاتهم بالجر معطوف علي تنزيههم والنشاة ابتدا خلقتهم
لا زمن شبابهم كما توهم علي التوحيد وهو عدم الشرك بالله والايمان بالله وبكل ما يجب
الايمان به بل للانتقال علي سبيل الترقي علي اشراق انوار المعارف جمع معرفة
والمراد معرفة الله تعالي وصفاته وكل ما يتعلق به واشراقها سطوع انوارها منهم
وشدة ظهورها في احوالهم واقوالهم ونفحات الطاف السعادة والنفحة الرايحة
الطيبة التي تفوح اي كونهم سعدا الدارين فشبه ما يلوح منهم من اماراتها برايحة
طيبة تعبق منهم فتعطر الكون وفي الحديث ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا
لها كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا فمن اراده فلينظره
ثمة ولم ينقل احد من اهل الاخبار عن احد غيره ان احدا نبي بالبنا للمجهول وهو اخره
اي صيره الله نبيا واصطفي اي اصطفاه الله واختاره لذلك وهو مجهول
ايضا ممن عرف بكفر واشراك وهو من عطف الخاص علي العام قبل ذلك اي قبل
نبوته واصطفايه ومستندا اسم مفعول اي ما يستند اليه ويعلم به هذا الباب اي
باب معرفة احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام النقل عن اهل الاخبار والاثار
ويؤيده العقل الدال علي انه تعالي لا يختار من خلقه لنبوته الا من كان كذلك
فليس المراد الحصر ولذا عقبه بما يدل علي ان العقل موافق للنقل فقال وقد
استدل بعضهم عليه بدليل عقلي وهو ان القلوب والعقول السليمة تنفر اي تكره
فكانها تفر عمن كانت هذه اي صفة الكفر والشرك سبيله اي طريقه والمراد عادته
ودابه قيل ان فيه اشارة الي ان منهم من خالف في ذلك فجوز عدم عصمتهم عن
الكفر قبل النبوة الا انه ليس بصواب وقد نقل الباقلاني انه جوزه عقلا
وان لم يقع ان الله بعث كافرا ولا فاسقا وفي المواقف اجمعت الامة علي عصمتهم
عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم وانا اقول نافلا لما يويد ذلك ان قريشا
قد رمت نبينا صلي الله عليه وسلم واصل الرمي في الاعيان كرمي السهم والحجر واستعير للشتم
والقذف كالرجم والمراد انها ذمته ونسبته لكل نقيصة مثل قولهم انه ساحر او
مجنون او شاعر الي لم تترك شيا من مفترياتها التي وسعتها قوتهم حتي افترته عليه
وعيرت بفتح العين المهملة وتشديد اليا المثناة التحتية وراء مهملة كفار الامم انبياها
وفي نسخة انبيايهم اي نسبوهم للعار وهو الامر الذي يستقبح وينفر منه وقال

الراغب

الراغب عيّرته ذممته من العار وقولهم تعاير بنو فلان قيل معناه تذاكروا العار
وقيل تعاطوا العيارة اي فعل العير في الانفلات والتخلية ومنه عارت الدابة
انتهي فالمعني عيّروهم بكل ما امكنهم وفي نسخة امكنهم اي تيسر لهم وجاز صدوره
منهم واختلقته وكذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم واصل اختلاق الشي اختراعه من
غير سبق لمثله فيهم كل كذب بما قص الله عليه اي ذكره في كتابه الكريم وفي غيره من
الكتب الالهية من تكذيبهم ورميهم بانواع البهتان ونقلته الرواة الينا نقلا
مستفيضا بحيث لا يمكن انكاره ولم نجد في شي من ذلك اي من الكتب الالهية
والاخبار المروية او المراد ما نقلته الرواة لقوله تعييرا لواحد منهم اي من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي نسبتهم لعار بذمهم ووصفهم برفضه اي
تركه بعد اتباعه الهته ان كان هذا الضمير راجعا لمن عيّر المعلوم من السياق
فالامر واضح او لواحد لانه من الانبيا وليس لهم الهة اللهم الا ان يكون علي طريق
الفرض فحينئذ يصح تفسير ذلك بالكتب الالهية والاخبار فاعرفه وتقريعه اي
توبيخه وتعييره بذمه اي ذم احد من الانبيا بترك ما كان النبي صلي الله عليه وسلم
قد جامعهم اي وافقهم واجتمع معهم عليه اي علي عبادته كما فعلوا اذ لو كان هذا لكانوا
اي كفار الامم بذلك اي تعييره وتوبيخه برجوعه عن عبادة الهتهم التي كان موافقا
لهم علي عبادتها مبادرين بدال وراء مهملتين اي مسارعين لذكره متقدمين
له علي جميع ما افتروه ويتلونه بالبا الجارة ومثناة فوقية ولام مفتوحتين
وواو مكسورة مشددة ونون وضمير مضاف اليه مصدر تلون تلونا اذا تغير
وتنقل من حال الي حال اخر تفعل من اللون كالبياض والصفرة تجوز به عن الاحوال
كما عبر به عن الاجناس والانواع قال الراغب يقال فلان اتي بالوان من الاحاديث
وتناول الوانا من الطعام في معبوده اي ما يعبده متعلق بتلونه المتعلق بقوله
تحجيز اي متحيرين الحجة والدليل فيقولون انت لا تستقر علي دين تارة تعبد
هذا وتارة تعبد ذاك فما صرفك عن معبودك الاول ومعبود قومك ولكان
توبيخهم له اي توبيخ كفار كل امة لنبيهم بنهيهم مصدر مضاف للمفعول اي نهي
النبي لامته عما كان يعبد قبل اي قبل نبوته افظع بفا وظا معجمة اي اشد فظاعة
وهي الشناعة والقباحة واقطع بقاف وطا مهملة اي اقوي واشد قطعا في
الحجة اي الدليل الذي استدلوا به من توبيخه هو المفضل عليه فيهما علي التنازع
او التجاذب بنهيهم عن تركهم الهتهم ان قيل الظاهر عن الهتهم وترك تركهم
او عن تركه قيل ضمير نهيهم للكفار وضمير تركهم للانبيا عليهم الصلاة والسلام
وما كان يعبد اباوهم من قبل اي قبل انبيايهم في اطباقهم اي اتفاق كفار الامم واجماعهم
يقال اطبق القوم علي كذا اذا اتفقوا علي الاعراض عنه اي عن التوبيخ بما ذكر وهو
اقوي واظهر في احتجاجهم علي رسلهم دليل علي انهم لم يجدوا سبيلا وطريقا موصلا
اليه في نص او خبر او اثر اذ لو كان لهم سبيل اليه لنقل بالبنا للمجهول اي نقل الرواة

لهم ونقل لنا من بعدهم احتجاجهم به ولم ينقله احد ولو نقل لهم ذلك ماسكتوا
عنه بل بادروا اليه قبل كل شي كالم يسكتوا اي الكفار عن وفي نسخة عند تحويل
القبلة عن بيت المقدس الي الكعبة فانهم وبخوا به وشنعوا حين سفههم الله فقال
سيقول السفها الاية وقالوا ماولاهم اي صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها في اول
امرهم كما حكاه عنهم في القران والكلام عليه مفصل مشهور في كتب التفسير والحديث
وقد استدل له القاضي القشيري هذا هو الامام عبد الرحيم بن الامام عبد الكريم ابن
هوازن الاستاذ ابو نصر بن الاستاذ ابي القاسم القشيري صاحب الرسالة
المجمع علي جلالته وعلمه وزهده وامامته تخرج علي امام الحرمين توفي سنة
اربع عشرة وخمسماية بنيسابور وله عدة اولاد كما فصله البرهان الحلبي
وقال انه لم يل هو ولا احد من اولاده القضا فقول المصنف القاضي لا اصل
له وما تبعه انه شخص اخر غير معلوم موهم لغير مراده علي تنزيههم عن هذا اي عن
الكفر والاشراك قبل النبوة لا عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك في شي
لعدم مناسبته لما بعده وان كان منزها عن ذلك ايضا بقوله تعالي واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية تقدم ان الميثاق العهد وهو
ماخوذ من الوثاق وهو حبل يشد به الاسير استعير للعهد كما استعير له الحبل
كما ورد في الحديث بيننا وبينهم حبال وتمام الاية ومن نوح وابراهيم وموسي
وعيسي بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وخص هولا بالذكر لشرفهم
وقدم نبينا صلي الله عليه وسلم لشرفه وفضله علي جميع الانبيا والميثاق
الذي اخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الي دين الاسلام وان
يصدق بعضهم بعضا ويبشر به وكان هذا حين كتب وقدر كل ماهو كاين لما
وقال مجاهد انه كان في عالم الذر ووجه الاستدلال علي احد الوجهين
انه اذا عهد اليهم قبل ظهورهم بتبليغ دينه وتوحيده فكيف يصدر عنهم
مايخالفه قبل النبوة وبعدها وهو معني قوله صلي الله عليه وسلم كل مولود يولد
علي الفطرة الحديث وبقوله تعالي واذ اخذ الله ميثاق النبيين الي قوله لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه فعهد اليهم اولي
اولادهم فهو علي تقدير مضاف او اكتفي بذكر انبيايهم او سماهم انبيا تهكما لقولهم
نحن احق بالنبوة من محمد صلي الله عليه وسلم وقد قدمنا الكلام علي هذه الاية
وان للسبكي فيها تاليفا مستقلا لخصناه فيما مر قال القشيري فطهره الله
اي براه ونزهه عما لا يليق بعلي قدره في الميثاق اي حين اخذ الميثاق عليهم
في عالم الازل وبعيد غاية البعد عند العقول السليمة ان ياخذ الله منه صلي
الله عليه وسلم الميثاق والعهد الوثيق المحكم بالايمان وامور الدين كله وكذا
اخوانه من الانبيا والمرسلين قبل خلقه وظهوره في عالم الارواح والذر وادم بين
الما والطين ثم ياخذ ميثاق النبيين بما عهده اليهم بالايمان به اي بمحمد صلي الله

عليه وسلم ونصره علي اعدايه ان ادرك زمانه فيتبعه ويكون من امته قبل
مولده اي زمان ولادته صلي الله عليه وسلم بدهور جمع دهر وهو الزمان الطويل
كما قيل

ان دهرا يلم شملي بسعدي … لزمان يهم بالاحسان

ويجوز بتشديد الواو ويجوز تخفيفها ايضا من الجواز والتجويز وهو منصوب
معطوف علي ياخذ اي وان يجوز الخ ويجوز رفعه بتقدير وهو يجوز عليه الشرك
او غيره من الذنوب والضماير عايدة عليه صلي الله عليه وسلم فلا يجوز عليه ولا علي غيره
من الانبيا الشرك ولا غيره من الذنوب بعد اخذ الميثاق عليهم قبل خلقهم بالايمان
واقامة شرعه القويم هذا اي تجويز الشرك والذنوب عليهم بعد اصطفايهم واخذ
الميثاق عليهم ما اي الامر والشي لا يجوزه عليه وعليهم الا شخص ملحد فاسد العقيدة
عادل عن طريق الحق ونهج الصواب يقال لحد اذا احفر حفرة مايلة عن الوسط كاللحد
القبر ثم عم لكل ميل يقال لحد والحد وشاع في الميل عن الحق وصار حقيقة فيه
هذا المذكور معني كلامه اي كلام القشيري واستدلاله علي ماذكر قال وكيف يكون
ذلك وفي نسخة وكيف ذلك وفي اخري فكيف وهو اسم استفهام عن الكيفية
والهيية التي وقع عليها الامر تجوز به عن التعجب الانكاري فهو انكار
لتجويز ماذكر عليهم بانكار حالته التي يكون عليها لان كل امر لا ينفك عن
حالة وصفة يكون عليها فاذا انكرت حالته لزم انكار وجوده كناية علي
وجه برهاني اقوي من انكاره ابتدا كما قرروه في قوله كيف تكفرون بالله
وذلك اشارة لتجويز ماذكر وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام كما
تقدم عن انس في رواية مسلم وشق قلبه صغيرا اي في حال صغره وهو عند
مرضعته حليمة كما تقدم تفصيله واستخرج منه علقة اي قطعة صغيرة
من دم متجمد تشبه العلقة المعروفة وقال جبريل عليه الصلاة والسلام هذا
المستخرج حظ الشيطان منك اي نصيبه في وسوسته لبني ادم الذي يسري من
غيرك لقبوله مايلقيه له فباخراجه لم يبق له عليه سبيل كغيره من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام لقوله تعالي ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين وجعلها نفس الحظ مبالغة وتقدم فيه كلام نفيس ثم غسله بما
زمزم او الكوثر كما تقدم اي قلبه الشريف وملاه حكمة وايمانا تمثيل الاستقرارهما
فيه او انه تعالي جسم ذلك بقدرته وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في قصة
الاسرا كما تظاهرت اي اشتهرت وقويت من قولهم ظاهره اذا اعانه به
اي بشق صدره الشريف صلي الله عليه وسلم وقد وقع مرارا كما تقدم اخبار المبدا
اي الاحاديث الصحيحة الواردة في ابتدا امره وبنوته فهو مصدر ميمي
او اسم زمان او مكان والاول اظهر ولا يشبه عليك بضم اوله وفتح ثانيه المعجمة
وفتح الموحدة المشددة مبني للمجهول اي لا يشبه عليك ويوقعك في شبهة

وليس كقوله تعالى ولكن شبه لهم وهذه شبهة شرع في دفعها لايهامها
في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما قدمه في تنزيههم عن الشك في معرفة الله
وصفاته بقول ابراهيم اي بسبب قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما جن
عليه الليل في الكوكب اذ راه طالعا والقمر اذ راه غاربا والشمس هذا ربي هذا اكبر
الاية اي لا تقع في شبهة مما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام في اطلاقه على
هذه الكواكب ربا وهو من كبار اولي العزم وذلك اشارة الى ما روي وهو انه
عليه الصلاة والسلام لما كان في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن
ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت فقالت لابيه الغلام الذي
تحدثوا بانه يغير دين اهل الارض هو ابنك واخبرته بما قال ثم اتاه ابوه فقال
له مثل ذلك فلطمه ثم قال لابويه اخرجاني من السرب فاخرجاه فنظر ابلا
وغيرها سارحة فقال لا بد لهذه من خالق يطعمها ويسقيها وتفكر في خلق
السموات والارض فقال ان الذي خلقني ورزقني هو ربي لا اله سواه ثم نظر الى
كوكب طلع وهو المشتري او الزهرة طالعة فقال هذا ربي الى اخر ما قصه الله
عنه وهذا ما ذكره اهل الاخبار والى جواب هذه الشبهة اشار المصنف بقوله
فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية هو مصدر طفل اذا كان طفلا اي ولدا صغيرا كما
تقدم لكن الذي ذكره الراغب وغيره ممن يعتمد عليه من اهل اللغة طفل طفولة
وطفالة فاذا كانت الطفالة مصدرا لا يحتاج لبا النسبة التي تصير بها
الجوامد مصادر فان مثله سماعي كالخصوصية كما فصله المرزوقي وغيره
من ايمة اللغة الا ان المص ثقة فلعله وقف عليه وابتدا النظر والاستدلال
على وحدانية الله تعالى ووجوده لقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم
على قومه وقبل لزوم التكليف في ابتدا تمييزه من غير ثبات على ما قاله بل اراد
الاستدلال على وجود صانع قديم لا يجري عليه تغير الا انه جواب ضعيف
لاقتضايه صدور شك منه في صغره ومثله لا يليق بمثله صلى الله عليه وسلم
وكونه تنبيها لابويه وقومه على خطايهم في عبادة غير الله جواب اخر فادخاله
في الكلام هنا غير مناسب لما فاته لقوله وابتدا النظر الخ وذهب معظم الحذاق
جمع حاذق وهو من له ذكا وفهم ومعظم بمعنى اكثر من العلما والمفسرين اشارة
الى ضعف ما قبله وان قايله لا يعتد به الى انه عليه الصلاة والسلام انما قال
ذلك اي هذا ربي الخ تبكيتا وفي نسخة مبكتا وبيانا بها المعطوف الاتي لقومه
لانهم كانوا يعبدون الكواكب والتبكيت بالمثناة الفوقية والموحدة وكاف
ومثناة تحتية ساكنة واخره مثناة فوقية وهو اللوم والتقريع يقال بكته
اذا عنفه واستقبله بمكروه او غلبه بحجة وكله صحيح هنا وفي الكشاف انه قول
من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل وهو جواب اخر قريب مما ذكر ومستدلا
عليهم بالزام الحجة لان الظهور والاحتجاب تغير يوذن بالحدوث مناف

للالوهية

للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر بارخا العنان حتى ينقادوا للحق من غير عناد
وقيل معناه اي معنى قوله هذا ربي هذا اكبر الاستفهام الانكاري بتقدير الهمزة كما
بينه بقوله الوارد مورد الانكار الذي صدر منه الانكار لا على طريق الشك
ولا الاعتقاد ولا بعد فيه وان كان الاصل عدم التقدير والمراد افهذا ربي
اي لا يليق بمثله ان يكون ربا معبودا وقال الزجاجي قوله هذا ربي اي على قولكم
وفي نسخة قولهم اي حكاية لقول الخصم حتى يكر عليه بالابطال كما تقدم في
كلام الكشاف كما قال الله تعالى في اية اخرى اين شركاي فاضافهم الى نفسه
لما سيلهم تهكما منه اين عندكم اي كونهم شركا على زعمهم وادعايهم كما في هذه
الاية فسماهم الله شركا باعتبار اعتقادهم الفاسد وقومه ان كانوا يعبدون
الكواكب فهو ظاهر وان كانوا يعبدون الاصنام فابطال الوهية الاجرام العلوية
النيرة يقتضي ابطال غيره بالطريق الاولى وفي شرح المواقف هذا الكلام صدر
عن الخليل عليه الصلاة والسلام قبل تمام النظر في معرفة الله وكم بينه وبين
نبوته اذ لا نتصور نبوة الا بعد تمام ذلك النظر فلا اشكال او يختار انه
لم يعتقده فيكون كذبا صادرا قبل البعثة او هو على سبيل الفرض ارشادا
لقومه كما في برهان الخلف اي الكواكب لو كانت اربابا كما يزعمون لزم ان يكون
الرب متغيرا وذلك باطل وفيه ما فيه ويدل على انه اي الخليل عليه الصلاة
والسلام لم يعبد شيا من ذلك اي من جنس الكواكب والاوثان ولا اشرك
قط لاستغراق الازمنة بالله عز وجل طرفة عين اي في اقل الازمنة وطرفة
العين مقدار تحريك جفنها من على الى اسفل ويكنى به عن غاية القلة وطرفة
مصدر منصوب على الظرفية الزمانية ومثله كثير قول الله فيما حكاه عنه
اذ قال لابيه ازر وقومه ما تعبدون سايلا لهم مضيفا العبادة لهم قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين الاية ثم قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم
افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين
يريد انهم اعدا العابديهم لتضررهم بعبادتهم فوق ضرر اعدايهم
وهو الشيطان فصور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح
من التعريض واشعارا بانها نصيحة بدا فيها بنفسه ليكون ادعى الى القبول
كما قاله البيضاوي وقوله الا رب العالمين استثنا منقطع والقول بان
هذا الايتم لاحتمال انه بعد النبوة لا وجه له وفي المقام كلام يضيق عنه
البيان هنا فحسبك ما فيه شفا الصدور وقال اذ جا ربه بقلب سليم اي من الشرك
فسلامته منه دليل على انه لم يعرض له اصلا وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
اي باعد بينهم وبين عبادتها فهذا يدل على انه هو وذريته لم يصدر منهم شي
من ذلك فان قلت فما قوله اي قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد افول القمر
لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فانه ربما يتوهم منه انه في

شبهة قيل في الجواب انه اراد به الاستيقان بربه وقد استعجز نفسه وعلم انه انما يهتدي بتوفيق الله له فقال لقومه ان لم يهدني ربي اي يقويني بمعونته الى مثلكم ايها القوم في ضلالتكم وعبادتكم لغير الله وانما قال هذا وهو مهتد بلا شك على معنى الاشفاق على قومه ترحما لهم والحذر اي الخوف من الله والاحتراز عما هم فيه والا اي وان لم يحمل ما ذكر على هذا لم يكن لذكره هنا فايدة فهو معصوم في الازل قديما في قضا الله له بالسعادة وتطهير فطرته من الضلال وهذا السوال وارد على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الريب والشبهة وبعض الشراح هنا حاطب ليل تركنا ما كثر به سواده فان قلت فما معنى قوله في سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فالعود يقتضي انهم كانوا على دينهم وكفرهم وهم معصومون من ذلك قبل البعثة وبعدها كما تقدم فالاية يشكل ظاهرها عليهم ثم قال الله عز وجل بعد بالبنا على الضم اي بعد قول الذين كفروا ما ذكر وقيل بعد قوله لنخرجنكم من ارضنا الاية وسياتي ما فيه عن الرسل اي حاكيا عنهم وما تقدم كان محكيا عن قومهم لا عنهم والثاني اظهر في الاشكال لان قومهم قد يظنون انهم قبل البعثة كانوا على دينهم واما الرسل فعلى يقين من خلافه فكيف يصح منهم ان يفتروا وعلى التقدير الثاني قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ليس بعد هذه الاية فان الاولى في سورة الاعراف وهذه في سورة ابراهيم وكونها بعدها في النزول يحتاج الى نقل وقيل انها بعدها في الجملة لان القصة واحدة وهي قصة شعيب وليس المراد بالرسل جميعهم بل الجنس الصادق على الواحد وقد وقع جوابا للكفرة فهو اقوى في الشبهة فانهم لا يقولون على انفسهم ما لم يتصفوا به لانهم منزهون عن الكذب ومعنى قد افترينا على الله التعجب اي ما كذبنا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها فضلا عن الدخول فيها وجواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله وهو ماض لفظا مستقبل معنى لدخول حرف الشرط عليه تقديرا وقد مقربة للحال اذا عرفت هذا فلا يشكل عليك لفظة العود بمعنى الرجوع الى الكفر المقتضية لاتصافهم به اولا وهم معصومون منه قبل البعثة وبعدها كما قرره اولا فيشكل وانما تقتضي اي تستلزم بحسب الدلالة انهم اي الرسل انما يعودون اي يرجعون الى ما كانوا فيه اي داخلين فيه ومتصفين به من ملتهم يعني الكفر لان الملة تطلق عليه كالدين فان هذه اللفظة اي لفظة العود وردت كثيرا في كلام العرب الفصحا لغير ما ليس له اي لما لم يثبت له ابتدا اي قبل حاله التي هو عليها مما بنا فيها بمعنى الصيرورة وهي وجود الشي بعد ان لم يكن تقول صار لفلان كذا وصار غنيا بعد فقره وفي المحصول ان ما صار اليه شرع نسخ وقيل الضمير لذلك امهم قد دخلوا فيهم بطريق التغليب او هو باعتبار ظنهم وزعمهم او على حد قولهم ضيق فم الركية بجعل المتوهم كالمتحقق

وفيه

وفيه كلام في شرح المفتاح وحواشيه كما جا في حديث الجهنميين اي الحديث الذي في حق اهل جهنم المروي في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عادوا حمما بضم اوله وفتح ثانيه بزنة صرد اي سودا كالفحم جمع حممة واوله اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله من كان في قلبه حبة خردل من ايمان فاخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وعاد هنا بمعنى صار ولم يكونوا اي الجهنميون قبل ذلك كذلك اي حمما ومثله اي مثل الحديث في ان عاد بمعنى صار وحدث وان لم يكن موجودا قبل قول الشاعر هو امية بن ابي الصلت من قصيدة مدح بها سيف بن ذي يزن ملك اليمن لما ظفر بالحبشة وقد غلبوا على ملكهم فغزاهم ونفاهم عن بلاده وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وفيهم قريش وعبد المطلب فانشده امية بن ابي الصلت قوله

لا يطلب الثار الا كابن ذي يزن ... يمم البحر للاعدا احوالا
اتى هرقلا وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببني الاحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الارض اجبالا

الى ان قال فيها

فاشرب هنيا عليك التاج مرتفقا ... في راس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم ... واسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وعارضها بعضهم بقصيدة منها في مدح الصوفية فقال

لله تحت قباب العز طايفة ... اخفاهم في ثياب الفقر اجلالا
هم السلاطين في اثواب مسكنة ... استعبدوا من ملوك الارض اقيالا
غبر ملابسهم شم معاطسهم ... جروا على فلك العليا اذيالا
هذي المناقب لا ثوبان من عدن ... خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا
هذي المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه وفي كثير من كتب الادب والتاريخ والسير باسانيد صحيحة ولحافظة مشهورة وفيها البشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم كما فصله وليس الشعر المذكور منها كما توهمه من لا خبرة له بالادب واساليب كلام العرب وليس كما قيل لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة ولا لعمر بن عبد العزيز وانما تمثل رضي الله عنه بهذا البيت فتوهم الحافظ الحلبي انه له وهذا مثل في الفخر بمعالي الامور وعدم التنزل لسفاسفها وشيبا بمعنى خلطا ومزجا والقعب انا معروف يقول انك في معال وقصور رفيعة متلذذا

بالخورام الشرور تجود بالاموال لست كمعهب البادية الذين جودهم سقى
ضيفا ثم لبنا بما مزج به يعود في يومه بولا مراقا وجودك بمكارم واموال
تبقى عند من انعمت عليه فشتان بينك وبين غيرك فعاد هنا بمعنى صار
لانه لا يتصور انها كانت بولا قبل ذلك واليه اشار بقوله وما كان ماذكر قبل
ذلك كذلك اي بولا وهو ظاهر وانما اطلنا فيه لما في الشرح هنا من الخلط
ثم اورد سؤالا اخر على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال
فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى الخطاب له صلى الله عليه
وسلم واصله فهداك فحذف المفعول رعاية للفاصلة فانه يقتضي نسبته
صلى الله عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال شرعا اما بالكفر او بارتكاب
المعاصي وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنهما وجوابه قوله فليس هو من الضلال الذي
هو الكفر فانه صلى الله عليه وسلم معصوم من المعاصي قبل النبوة وبعدها
فضلا عن الكفر واذا كان كذلك فقيل معناه هنا ووجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها
لان الضلال معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية فكل
عدول ضلال سوا كان عمدا ام لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة
كقوله فعلتها اذن وانا من الضالين كما ياتي قاله اي التفسير المذكور محمد
ابن جرير الطبري وقد قدمنا ترجمته وقيل معناه وتاويله ووجدك بين اهل الضلال
فعصمك عن ان تنتظم في سلكهم وتعد منهم فصانك من ذلك اي من الضلال
وموافقة اهله فيه وهداك للايمان به ومعرفته اذ جعله فطرة لك
ثم اودع فيك ما يرشدك له بعقلك السليم اي ارشدك له بالوحي والى
ارشادهم اي ارشاد من لم يكن مهتديا للحق افعال من الرشد ضد الغي وهو
قريب من الهداية كما قاله الراغب وله معان اخر اليه اي الى الايمان وسلوك
الطريق المستقيم بتبليغ ما اوحي ونحوه اي قريب منه ومشابه له ونحوه نقل
عن السدي رحمه الله وقد تقدمت ترجمته ونقل ذلك ايضا عن غير واحد اي
عن ناس كثير من اهل التفسير فعلى هذا الضلال بمعناه المشهور وليس
متصفا به ولكونه بين اهله اطلق عليه مجازا بعلاقة المجاورة وليس من
قبيل قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما لا يخفى ولم يبين وجهه الشراح هنا
وقيل معناه المراد ضالا عن شريعتك التي اوحاها الله سبحانه وتعالى اليك
اي لا تعرفها قبل ان اوحي اليك فالضلال بمعنى الغفلة وقد ورد بهذا المعنى كقوله
ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى كما قيل له صلى الله عليه وسلم بعد
ما اوحي اليه فلا تكن من الغافلين وياتي ايضا انه بمعنى النسيان واستدل
له بهذه الاية ومثله قبل البلاغ ليس بنقص كذا قيل فهداك وذلك الى
ما لا تعرفه وانت طالب له فعلمك ما لم تكن تعلم وقوله والضلال ههنا اي في
هذه الاية على هذا القول التحير اي الوقوع في الحيرة حتى لا يدري اين يذهب وما

بنعل

بنعل • حيرة تمت فأي فتى • رام عرفا فلم يحر •
لا يناسبه فانه ليس للغافل والناسي حيرة فالظاهر تفسيره بعدم المعرفة كما
صرح به ومن لم يعرف شيا وطلبه تحير فتدبر ولهذا كان صلى الله عليه وسلم قبل
نزول الوحي عليه يخلو اي يختلي ويعتزل الناس بغار حرا بالصرف وعدمه اسم
جبل بمكة كما تقدم في طلب ما يتوجه به الى ربه اي بسبب تصفية باطنه واعمال
فكرة وسيلة توصله الى الله ويتشرع به اي يتخذه شريعة وعبادة تقربه لربه
وفي نسخة يسرع بلا تا بضم اوله وبكسر ثالثه وشينه معجمة وقيل انه بسين
مهملة من الاسراع في اصل المص وقيل الرواية الصحيحة الاول وهو الاظهر
ولم يزل صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك حتى هداه الله ودله دلالة موصلة
الى الاسلام والدين الحق بلجاه عن الحق كما تبين في بدء الوحي قال اي حكي في نسخة
معناه الامام القشيري التي تقدمت ترجمته يعني انه صلى الله عليه وسلم
كان يوحد الله في اول امره طالبا لاتمام النعمة عليه بهدايته لما يرضيه ويكمله
فمن عليه بذلك وقيل معنى ضالا لا يعرف الحق اي الدين الحق لانه لا يعرف
الا بالوحي فهداك اليه بما اوحاه له وهذا في المعنى مثل قوله عز وجل وعلمك ما لم
تكن تعلم من الشرع واحكامه ومن خفيات واسرار الله التي لم تقف عليها
ومعنى ما لم تكن تعلم ما لم يكن في قوتك وقدرتك علمه ولذا عدل عما لم تعلم
وهو اخصر واظهر واما كونه لغوا لان كل احد انما يعلم ما لم يعلم اذ تعليم
ما يعلم تحصيل للحاصل ولذا قال السبكي في عروس الافراح وغيره ان قوله
علم الانسان ما لم يعلم بتقدير ما لم يكن يعلم فليس بشي لانه للامتنان او يتاول
ما لم يكن من مقامك علمه والوقوف عليه ومر لهذا تتمة عن بعض حواشي المطول
قاله علي بن عيسى الامام في العربية والكلام شارح الكتاب المعروف بالرماني وقد
تقدمت ترجمته قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الاية لم يكن له اي
من شانه وصفته ضلالة معصية اي ليس الضلال هنا بمعنى مرتكب المعاصي
لعصمة الله له فالضلال مؤول ومفسر بما مر وقيل معنى هدى هنا اي بين امرك
الناس بالبراهين والادلة القاطعة لعرق الشبه فيك وفيما جيت به حتى
صرت لا تخفى على احد والبرهان الدليل اليقيني ومن تفسيره الهداية به
علم معنى ضالا وانه وجدك خفيا وكنزا مخفيا لم يعرفه الناس ولم يطلعوا
على شانه وعلو قدره فاظهره الله حتى ذاع وشاع وملا الافكار والاسماع
فتقدير مفعوله على هذا اهدى الناس كلهم وهدي المعقول وقيل معناه ووجدك
ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة بان جعلها دار هجرتك ومثواك فالمراد انه
بعد البعثة ودعوة الناس لدينه مع ما كان عليه قومه في القيام عليه صلى
الله عليه وسلم واذيته وهجرة بعض المسلمين للحبشة كان في حيرة مترددا
في الاقامة بمكة والهجرة للمدينة يرجوا ان يوذن له في الهجرة اليها حتى اذن الله

في ذلك كما فصل في السير وقيل المعنى وجدك قايما باعبا الرسالة وبتبليغها
وهو عالم بذلك قبل وقوعه ولكن هو تمثيل وتنويه بامره ومحبة الله له فكانه
امر مطلوب لعظيم عثر عليه كما يقال العلم ضالة المومن فهدى بك ضالا بارشادك
له فضالا مفعول لهدى قدم عليه لرعاية الفاصلة وليس صفة حتى يتوجه السوال
وهو وجه متكلف عهدته على قايله لا ناقله وعن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق
الذي تقدم ومحمد هو الباقر بن زين العابدين فقال جعفر معناه ووجدك ضالا
عن محبتي لك اي لم يظهر لك اني اتخذتك حبيبا لي مقربا عندي في الازل اي في
القدم قبل خلقك اي لا تعرفها هو معنى ضالا فمننت عليك بمعرفتي اي انعمت
وتفضلت لاني احبك وهو تفسير لقوله فهدى فعلى هذا لا يتوهم فيه نقص
لان معناه ليس احد اكرم علي منك قال في المجمل الازل القدم واصله انهم قالوا
للقديم لم يزل ثم نسبوا له باختصار فقالوا يزلي ثم ابدلوا اليا همزة فهو من النحت
عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق لضيق القلوب عن تقديره وهي كلمة
محدثة وقرا الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ووجدك ضال بالرفع فالضلالة
صفة لغيره على هذه القراة الشاذة فلا يرد السوال فهدى فهو على هذا الازم اي اهتدى
بك لسعادة الدارين او المعنى فهدى الله بك ويجوز ايضا على القراة المشهورة
ان يكون فاعل وجد ضمير الواجد المفهوم منه وضالا حال من هذا الضمير وهو بعيد
وقال ابن عطا في تفسير الاية ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي فهداك بانوار هدايته
وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور في اللغة بينه بقوله والضال ورد
بمعنى المحب كما قال الله تعالى انك لفي ضلالك القديم هو من كلام اخوة يوسف
عليهم الصلاة والسلام لابيهم حكاه الله عنهم اي فارادوا انك على محبتك
القديمة ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان وقيل ارادوا ابضلالا
خطاه وقيل جنونه من حب يوسف عليه الصلاة والسلام كما قاله الحسن ولم
يريدوا اي لم يقصد اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام ههنا اي فيما حكي عنهم
في هذه الاية ضلالة في الدين بان يعتقد واخطاه في دينه باعتقاد ما يخالفه
او اصراره على ما ينافيه اذ قالوا ذلك معتقدين مثله في نبي الله الذي عصمه الله عن
الخطا في دينه علما وعملا لكفروا في اختراعهم على نبي الله وتضليله لما لا يليق به وتحقيرهم
ومثله كفر في الشرع فلذا فسر الضلال بالمحبة ومثله اي مثل كون الضلال بمعنى المحبة
في هذه الاية انا لنراها في ضلال مبين هو في حق زليخا وقد شغفها حب يوسف
عليه الصلاة والسلام فان المناسب للمقام انه بمعنى محبة بينة اي ظاهرة مكشوفة
لافتضاحها عند هذا اي ابن عطا الذي فسر الضلال فوضع اسم الاشارة موضع
الضمير لتميزه اكمل تمييز وفي بعض النسخ ومثله عند هذا الخ وقال الجنيد
رحمه الله في تاويل هذه الاية وهو ابو القاسم بن محمد الزاهد العابد شيخ
وقته ونسيج وحده واصله من نهاوند ونشا بالعراق وتفقه باخذه عن

ابي ثور احد اصحاب الشافعي واخذ الطريقة عن السري السقطي والمحاسبي وتوفي
سنة سبع وتسعين ومايتين وهو من فقها الشافعية كما في طبقات السبكي
ودفن بالشونيزية عند خاله السري ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك من القران
تفسير لقوله ضالا فهداك لبيانه باظهاره وبيان ما خفي من معانيه في حال تبليغه
لامتك كقوله وانزلنا اليك الذكر الاية المراد بالذكر القران لما ذكر من التذكير
والموعظة لتبين للناس ما نزل اليهم مما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه
في ابتدا امره ومثله لا ضير فيه وقيل معناه ووجدك ضالا بمعنى انك في خفا حالك بين
الناس كمن ضل فتاه وفارق قومه حتى خفي امره عليهم فهو استعارة وعبارة عن
انك لم يعرفك احد من الناس ولم يعرف اتصافك بالنبوة حتى اظهرك الله فهدى بك السعدا
اي من اسعده الله بمعرفتك واتباعك والايمان بك وفي الاية وجوه كثيرة منها
انه بمعناه الحقيقي لانه صلى الله عليه وسلم وهو طفل ضل في شعاب مكة فراه
ابو جهل لعنه الله ورده لجده عبد المطلب كما رواه ابن عباس رضي الله عنهما وعن
ابن جبير انه صلى الله عليه وسلم خرج مع ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته
وعدل به عن الطريق في ليلة مظلمة فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس
نفخة رماه بها للهند ورده صلى الله عليه وسلم لمن الله عليه بذلك وعن كعب
ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد المطلب جلست لتصلح ثيابها فلم
تره وسمعت هدة شديدة فقالت اين الصبي قالوا لم نره فصاحت وامحمداه فراك
ابليس لعنه الله على هيئة شيخ منك على عصا وقال اذهبي لهبل يرده عليك فجا
وقبل راس الصنم وقالت ذاك ابن السعدية عليها فتساقطت الاصنام وقالت
له اليك عنا فارتعد وقال لها لابنك رب يحميه فاطلبيه فطلبته في
جماعة من قريش فيهم عبد المطلب فتضرع الى الله تعالى قايلا في ذلك

يا رب رد ولدي محمدا ۝ فاردده لي تتخذ عندي يدا
فتشمل قومي كلهم تبددا

فسمعوا منادا يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه وها هو بتهامة عند
شجرة فوجدوه عندها يلعب باوراقها وقيل المعنى وجدك ضالا عن
طريق المعراج فهداك له ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها اي في تفسير
اية ووجدك ضالا فهدى ان معناها ضالا عن الايمان لانه صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكفر وكل ما ينفر عنهم
القلوب وفي الكشاف من قال انه صلى الله عليه وسلم كان على امر قومه اربعين
سنة ان اراد خلوه عن الامور السمعية فنعم وان اراد انه على كفرهم ودينهم
فمعاذ الله فانه صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا معصومون قبل النبوة
وبعدها عن الكباير والصغاير الشانية فما بالك بالكفر والجهل بالصانع
ما كان لنا ان نشرك بالله من شي وكفى نقيصة عند الكفار ان يسبق منه انتهى

وما نقل عن الكلبي والسدي من ان الاية علي ظاهرها ومعناها وجدك
كافرا في قوم كفار مخالف للاجماع وبعيد عن الادراك ان ينسب صلي
الله عليه وسلم الي اشراك ولهذه الرواية الشاذة بل الفاسدة رد الزمخشري
فيما قاله والعجب ممن نقل هذه المقالة وقال لا وجه لترديده مع حملها
علي الشي الثاني وكذلك اي مثل اية ووجدك ضالا فهدي ونا ويلها قوله
تعالي في قصة موسي صلي الله عليه وسلم في قوله تعالي قال فعلتها اذا وانا من الضالين
وقرا ابن مسعود من الجاهلين اي ومعناه من المخطيين الفاعلين شيا بغير قصد
وتعمد لقتل النفس التي قتلها او الذاهبين الي ما يفضي اليه الوكز قصدا
من التاديب وهذا معني جايز قبل النبوة فلا يتوهم من هذه الاية ان
فيها تنقيصة لموسي عليه الصلاة والسلام لان الضلال بمعني الخطا وضمير
فعلتها للفعلة التي فعلها وهي قتله قبطيا من اتباع فرعون بمصر قبل نبوته
وبخه فرعون عليها لما دعاه وعدد نعمه عليه بقوله الم نربك فينا وليدا
الي قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها
اذا وانا من الضالين فوصف نفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب
بان الضلال بمعني الخطا وعدم القصد لقتله وانما اراد دفعه فوكزه بما
من وكزه ومثله لا ضير فيه لانه خطا معفو عنه وياتي الكلام علي ذلك
ايضا قاله اي قال هذا التفسير لهذه الاية ابن عرفة وهو الحسن العبدي
المودب المحدث الثقة الذي روي عنه الترمذي وهو معمر عاش ماية
وسبع او عشر وتوفي سنة سبع وخمسين ومايتين وهو المراد هنا عند
الحافظ الحلبي وعزم لا ابن عرفة النحوي هو ابو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة
المعروف بنفطويه وقال التلمساني انه المراد هنا وفيه نظر وقال الازهري
ابو منصور محمد بن احمد امام اهل اللغة صاحب التهذيب توفي سنة سبعين
وثلثماية معناه اي معني من الضالين في الاية من الناسين وعروض
النسيان للانبيا عليهم الصلاة والسلام جايز وهو تكذيب لفرعون لعنه
الله في قوله وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين والمراد به
عدم القصد اذ القتل لا يكون نسيانا اللهم الا ان يريد نسيان انه من
القبط وجند فرعون وهو الظاهر لقوله وقد قيل ذلك اي ان الضلال
بمعني النسيان في قوله عز وجل في حق نبينا صلي الله عليه وسلم كما تقدم
ووجدك ضالا اي ناسيا فهدي اي فهداك وذكرك كما قال ان تضل
احداهما اي تنسي احدي المراتين ما شهدت به فتذكرها الاخري ما نسيته
ثم اورد اية اخري تخالف ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
عن الشرك وكل ما ينفر كالجهل فقال فان قلت فما معني قوله عز وجل لنبينا
صلي الله عليه وسلم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب

ولا

ولا الايمان ووجه السوال انه نفي عنه صلي الله عليه وسلم معرفته بالقران
المنزل عليه وبالايمان والاول صحيح لان عدم معرفته بالقران قبل الوحي
امر محقق والمشكل انما هو الثاني لانه يقتضي انه صلي الله عليه وسلم لم يكن
مومنا قبله وهو معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم وكذا قيل
ان المراد به الايمان بما يجب الايمان به من احكام الشريعة لا بمجرد التوحيد
والتصديق والكل ينتفي بانتفا جزيه ولا حاجة لما تكلفه بعضهم من ان
الايمان المراد به ما ذهب اليه المحدثون وهو التصديق بالقلب والاقرار
باللسان والعمل بالجوارح ومجموعه لم يكن معلوما له صلي الله عليه وسلم
قبل الوحي فالجواب عما ذكر في هذه الاية ان السمرقندي هو الامام ابو الليث
رحمه الله وقد تقدمت ترجمته قال معناه اي ما ذكر في هذه الاية ما كنت
تدري قبل الوحي ان تقرا القران اي لا تعرف قراته ولا دراسته ولا كيف تدعو الخلق الي الايمان
وقيل انه بعيد غاية البعد فان قدر مثله في النظم فلا قرينة تدل عليه
وقد يقال تعريف الايمان عهدي والمراد به امته اي لا تدري كيف يومن
قومك وباي طريق يدخلون في الايمان والاسلام وهو بدعوته له وسيتسع
بيانه قريبا وقال بكر القاضي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما قاله
السمرقندي مما هو قريب منه قال اي بكر لا السمرقندي كما قيل ومقوله
هو قوله ولا الايمان مصدر بمعني المفعول اي ما يجب الايمان به
الذي هو الفرايض والاحكام الشرعية التي كلف بها علما وعملا مما لا بد منه قال
اي بكر فكان صلي الله عليه وسلم قبل اي قبل نزول الوحي ومجي الملك له
مومنا اي مصدقا بتوحيده وانه لا اله الا هو ثم نزلت الفرايض التي لم
يكن يدريها قبل اي قبل نزولها وقبل بعثته فزاد بالتكليف اي بسبب
ما كلفه الله من الفرايض ايمانا وهو اي ما قاله السمرقندي وبكر
احسن وجوهه اي احسن ما وجهت به هذه الاية واحسن تفاسيرها
لانه تعالي لم يرد انه صلي الله عليه وسلم لا يدري وانه لا يعرف الايمان
لانه لو كان الامر كذلك قال ما كنت تدري الكتاب ولا الايمان فلما
اتي بما الاستفهامية كان معناه انه لم يدر حال الكتاب وحال الايمان
وحال الكتاب تلاوته وحفظه وهو امي لا يعرفه وحال الايمان لم يرد
به ايمان النبي بالله وهو مجبول عليه متيقن له من ابتدا خلقه الخ فالمراد
به ايمان غيره من امته وهو انما يعرف ايمانهم المضمر في قلوبهم الا اذا
دعاهم فاجابوه وطابق لسانهم جنانهم فهذا تفسير له بلازمه البين
وهو وجه دقيق كما اشار اليه المطرز رحمه الله ومن لم يقف علي مراده
قال علي هذا الايمان في هذه الاية معناه التصديق والاقرار والعمل
والتصديق بما جابه محمد صلي الله عليه وسلم هو معناه الحقيقي شرعا

وما عداه غير داخل فيه الاعلي قول واما تفسيره بدعوة الخلق ومعرفتها
فلم يقله احد فكيف يكون ما ذكر وجها ولا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه
والمراد ما قدمناه وقيل معناه ما كنت تعرف الكتاب قبل نزوله عليك
ولا الايمان بالفرايض والاعمال التفصيلية قبل مجي الكتاب الذي هو
تبيان لكل شي وهذا اوجه اخر غير ما ذكره المص رحمه الله ومنهم من نزل
عليه كلام المص فخلط وخبط فان قلت اذا كان النبي صلي الله عليه وسلم
عالما بالله وصفاته فما معني قوله تعالي له وان كنت من قبله لمن الغافلين
فوصفه بالغفلة ان كانت غفلة عن ايات الله قبل الوحي نافاما قرره
اولا ورده بقوله فاعلم انه اي ما ذكر من وصفه بالغفلة ليس بمعني الغفلة
التي في قوله تعالي والذين هم عن اياتنا غافلون فان الغفلة في هذه الاية غفلة
عن العلم بالله وصفاته واول الاية ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا
بالحياة الدنيا واطانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اوليك ماواهم
النار بما كانوا يكسبون وهو صلي الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة بل
معني الغفلة المذكورة ما حكي ابو عبيد الهروي امام اهل اللغة ان معناه
لمن الغافلين عن قصة يوسف مع ابيه واخوته عليهم الصلاة والسلام فانه صرح
قوله نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت
من قبله لمن الغافلين اذ لم يعلمها الا بوحينا قبل ما قصه الله عليه والغفلة
عن مثله مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وهذا اظهر من ان يذكر فالفرق
بين الغفلتين ظاهر وفي التعبير بالغفلة اشارة الي شدة استعداده
للعلم بما لم يعلم كانه عالم ونسيه وكذلك اي ما ذكر مما يوهم ما لا يليق
بعصمته قبل النبوة الحديث الذي يرويه ابو يعلي الموصلي في مسنده وعثمان ابن
ابي شيبة وهو من المحدثين الا انه ضعيف علي ما ياتي لانه نسب اليه اوهام في
مسنده عن جابر رضي الله عنه كما قال ابو يعلي حدثنا بن ابي شيبة قال حدثنا
جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم قد كان يشهد
اي يحضر مع المشركين بمكة في صغره مشاهدهم اي محل اجتماعهم عند اصنامهم
وهذا هو محل الانكار من هذا الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه الا في رواية
ذكرها السهيلي وقال انها مرة واحدة تعلي ما فيها وكان ذلك بالحاح عليه من
عمه ابي طالب ثم لم يعد لها فسمع ملكين خلفه كانا موكلين به يحفظانه احدهما
اي احد الملكين يقول لصاحبه اذهب حتي تقوم خلفه والاقرب منه وعهده مبتدا
خبره محذوف اي قريب والعهد بمعني الزمان كقولهم في عهد خلافة فلان
باستلام الاصنام وفي الزاهر لابن الانباري الاستلام افتعال من السلمة وهي الحجر
ومعناه مس الحجر او هو استفعال من اللامة وهي السلاح اي حصن نفسه وحفظ

وعن الفرا استلمت الحجر واستلامته بالهمز انتهي ولم يقف الدماميني في حاشية
البخاري علي هذا فذكره بطريق البحث من عنده وفي كشف الكشاف انه ماخوذ
من عين لا من مصدر وفيه صبر وريته تقديرية وهو افتعال للاتخاذ والاختصاص
اي اتخذ سلمة وحجرا لنفسه يعظمه بالاشارة اليه بيده ومسه ثم عم لكل تقبيل
فلم يشهدهم اي لم يشهد المشركين في مشاهدهم بعد اي بعد ما سمع من الملكين
ما قالاه وهذا الحديث مشكل لما تقرر من انه لم يكن علي شي مما كان عليه المشركون
من ولادته الي وفاته صلي الله عليه وسلم ورده المص رحمه الله تعالي بقوله
فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا اي انكارا شديدا ولم يقل بصحته واصل
الجد ضد الهزل استعير لما ذكر وقال هو موضوع وكذب لم يثبت والثابت
خلافه او شبيه بالموضوع علي زنة فعيل بمعني انه يشبه الموضوع بشدة ضعفه
وليس من القضايا التي تغتفر روايته وحرف بعضهم شبيه بتشبه تفعل
منه وروي يشبه مضارع مجهول مشدد الباء وقال الدارقطني ان عثمان وهم
بوزن غلط ومعناه ويقال وهم واوهم بمعني غلط ايضا في اسناده والحديث بالجملة
اي اجمالا منكر غير متفق علي اسناده اي روايته فلا يلتفت اليه اي لا يعتبر بل
ينبغي تركه وعدم روايته اصلا لثبوت خلافه كما سيبينه المص وقال انه مما
انكر عليه احاديث اخر وادها مع ان الشيخين رويا عنه بعض الاحاديث
وعثمان هذا هو عثمان بن محمد بن ابي شيبة ابو الحسن العبسي الكوفي الحافظ
توفي سنة تسع وثلاثين ومايتين وضعفوه الا ان ابن معين قال انه
ثقة مامون والسعيد من عدت هفواته ثم اشار الي رد ما رد سنده وبين
الوهم فيه ما قال والمعروف عن النبي صلي الله عليه وسلم خلافه
اي ما يخالفه معني عند اهل العلم بالحديث وباحواله صلي الله عليه وسلم من قوله
صلي الله عليه وسلم بغضت بالتشديد والبنا للمجهول الي الاصنام اي جعلني
الله مجبولا علي عدم حبها وهو يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها
ولم يوافق قومه في امرها ومن قوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حاضنته
صلي الله عليه وسلم وهي ام اسامة واسمها بركة وهي صحابية وترجمتها مشهورة
وحديثها هذا رواه بن سعد عن ابن عباس عنها حين كلمه عمه ابو طالب
واله في حضور بعض اعيادهم وكان قال له صلي الله عليه وسلم يا بني لم لا تشهد مع
قومك مشاهدهم عند اصنامهم يريد بذلك ان يؤلف بينه وبينهم باظهاره
لهم افقته لما هم عليه لما راي اجتنابه لهم ولاصنامهم وعزموا عليه اي الحوا
عليه واقسموا عليه فيه اي في شان الحضور معهم يقال عزم عليه اذا اقسم
وهو قسم استعطاف وطلب وضمير عزموا لاهل بيته لاخبارهم ابا طالب بانه
لا يريد ذلك واليه اشار بقوله بعد ظهور كراهته لذلك اي لحضور مشاهدهم فخرج
صلي الله عليه وسلم معهم اي مع اهل بيته وقومه الي اعيادهم ومجامعهم

ورجع من عندهم مرعوبا اي ظاهرا عليه اثار الرعب والخوف وفي نسخة منقولة
من الام فقال الفا فصيحة اي فساله عمه عن سبب رعبه فقال كلما دنوت اي قربت
منها لامسها بيدي من صنم بدل من قوله منها مفسر له تمثل اي ظهر لي شخص وهو
ملك موكل بحفظه صلي الله عليه وسلم ظهر له علي مثال رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك
بالنصب علي انه ظرف جعل اسم فعل اي ارجع لا تمسه اي لا تمس صنما منها
بيدك كما يفعلون وهذا سبب رعبه صلي الله عليه وسلم لانه كان قبل بعثته
وانسه بالملايكة الكرام عليهم الصلاة والسلام فلم يشهد اي لم يحضر صلي الله
عليه وسلم بعد مبني علي الضم اي بعد ما راي ذلك الملك الموكل بحفظه عيدا لهم
يجتمعون فيه عند اصنامهم وهذا مناف لقوله انه كان يشهد مشاهدهم
المقتضي لوقوع ذلك منه باختياره مرارا فان كان يقتضي تكرر ما بعدها
كقولهم كان حاتم يكرم الضيف وهذا الحديث تقدمت الاشارة اليه في الاسرا
حين نفر البراق وهو ضعيف ايضا وقوله في قصة بحيرا الراهب بفتح البا والمد
والقصر وقصته معروفة حين صلي الله عليه وسلم الي الشام مع عمه ابي طالب
ومر بصومعة بحيرا وراي السحاب تظله والشجرة التي نزل صلي الله عليه
وسلم تحتها تميل اليه لتظله وقصته مشهورة حتي استحلف النبي صلي الله
عليه وسلم اي اقسم عليه او طلب منه ان يحلف باللات والعزي اسم صنمين
معروفين اذ لقيه بالشام اي قريبا منها او بارضها واقليمها في سفرته مع عمه ابي طالب
لما استصحبه معه صغيرا لانه كان لا يفارقه سفرا ولا حضرا وهو صبي صغير
وراي بحيرا عند قدومه عليه فيه صلي الله عليه وسلم علامات النبوة كتظليل
الغمامة له وميل الشجرة لجانبه ونزوله صلي الله عليه وسلم في منزل كان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه كما فصل في قصته وارهاصاته قبل النبوة
فاخبره بذلك وفي نسخة فاخبره اي اخبر بحيرا ابا طالب بذلك اي بعلامات النبوة
التي شاهدها فيه فقال له اي لبحيرا النبي صلي الله عليه وسلم لا تسلني اصله
كما في نسخة لا تسالني خفف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها اي لا تقسم علي بهما لما
فيه الشرك وتعظيم الاصنام فوالله اقسم صلي الله عليه وسلم بالله ارشادا له وبيانا
لما حقه ان يقسم به وتاكيدا لقوله ما ابغضت شيا وكرهته قط بغضهما اي كبغضي
لهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له
صلي الله عليه وسلم وشرف وكرم سل عما بدا لك اي عن كل شي خطر ببالك وقد
تقدم الكلام علي هذا التركيب واعلم ان قصته صلي الله عليه وسلم مع عمه ابي
طالب رواها ابن سعد في طبقاته وابن سيد الناس في سيرته وحاصلها
بيانا لما مر ان قريشا كانوا يجتمعون في كل محل مرار ينبع يسمي بوانة
بضم البا وفتحها ثم واو مخففة وبعد الالف نون ثم تا تانيث اسم هضبة فيها اصنام
لهم عيد فيه في كل سنة فقال ابو طالب انا نراك تخالفنا في امر الهتنا ونحن

تخاف عليك من ذلك والحوا عليه حتي غضب ابو طالب فلم يزالوا به صلي
الله عليه وسلم حتي ذهب معهم وبينما هو معهم ثمت غاب عنهم ما شا الله
ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما دهاك فقال اخشي ان يكون بي لمم فقالوا
له ما كان الله ليبتليك بالشيطان مع ما فيك من خصال الخير فما رايت فقال
اني كلما دنوت من صنم منها يميل الي رجل ابيض طويل ينادي وراءك يا محمد
لا تمسه ثم ما عاد صلي الله عليه وسلم الي عيد لهم حتي نبي واما قصة بحيرا
فمذكورة ايضا في السير وقد عرفت محصلها وكذلك اي مثل ما ذكر في الدلالة
علي خلاف ما رواه ابن ابي شيبة او مثل ما تقدم من نزاهته صلي الله عليه
وسلم عما كان عليه اهل الجاهلية المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام واحواله
المروية عنه في السير وتوفيق الله له بعد ايته وخلوص طويته من ابتدا
خلقته الي وفاته والمعروف مبتدا اخبر فقوله انه كان قبل نبوته بفتح همزة
انه وقوله كذلك مبتدا اخبر الجملة التي بعده او انه مبتدا موخر وكذلك
خبر مقدم والمعروف بدل من اسم الاشارة يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج
فكان صلي الله عليه وسلم اذا حج يقف بعرفة اسم مكان معروف يقف به الحاج ويسمي
عرفات ايضا ويقال المعرف والتعريف قال ابن دريد في مقصورته ثم
الي التعريف يفري مخبتا واصله الوقوف بعرفة وعرفة علم منقول من
جمع عارف سمي به لتعارف ادم وحوي فيه وقيل ان عرفة اسم مولد
ويرده حديث الحج عرفة وقيل عرفات اسم المكان وعرفة اسم يوم الاجتماع
وفيه كلام ليس هذا محله لانه اي عرفة كان موقف ابراهيم الخليل
صلي الله عليه وسلم فهداه الله لاتباع شريعته ومخالفة الجاهلية فيما
كانوا عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة لانها من الحرم وساير العرب تقف
بعرفات وهي خارجة عن الحرم فخالفهم صلي الله عليه وسلم في ذلك كما في
صحيح البخاري وفي هذا انزل ثم افيضوا من حيث افاض الناس الاية

فصل قال القاضي ابو الفضل هو كنية المولف عياض رحمه الله
تعالي قد بان اي ظهر واتضح بما قدمناه في هذا الباب عقود الانبيا عليهم الصلاة
والسلام جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعار من العقد وهو جمع الاطراف
في التوحيد اي اعتقاد وحدانيته تعالي وعدم الشرك والايمان اي التصديق
بكل ما يجب الايمان به والوحي النازل عليه من الله وعصمتهم في ذلك اي حفظهم
عن اعتقاد خلاف ذلك المذكور كله علي ما بيناه في الفصل الذي قبل هذا فاما ما عدا
هذا الباب اي غير ما ذكر من التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم فيه من
عقود قلوبهم اي جزمها وهو بيان لما عدا فجماعها بكسر الجيم بمعني جميع
ومجتمع والمراد جملتها وما يجمعها اي جملة عقود قلوبهم في غير هذا
انها اي قلوبهم كلها مملوة علما ويقينا نصب علي التمييز والمراد بما عداها

ما لابد من علمه كاحوال الاخرة والبرزخ والملايكة **على الجملة** اي هذا احالها اجمالا لا تفصيلا لانه لا يحصي لكثرته **وانها قد احتوت** اي اشتملت وجمعت وقوله **من المعرفة والعلم** بيان لما تقدم عليه بنا على جواز تقدم من البيانية على تبيينها كما ذهب اليه بعض النحاة ومن منعه يقدر له مبينا يبينه على ما ياتي والفرق بين المعرفة والعلم ان الاولى تتعلق بالجزييات والعلم بغيرها او بما يسبقه جهل ولذا قيل انه لا يطلق على الله معرفة الا ان ابن جماعة اعترض عليه وقال انه ورد في الحديث ما يخالفه وقد بيناه في غير هذا المحل **بامور الدين والدنيا** جزيياتها وكلياتها **بما لا شي فوقه** اي يزيد عليه ويفضله وفوق ضد تحت ويكون في المكان والزمان والجسم والعدد ونحوه فاستعيرت لما ذكر كما قاله الراغب **ومن طالع الاخبار** اي اطلع ما في كتبها والمطالعة تختص عرفا بالنظر في الكتب **واعتنى** اي اهتم واشتغل **بالحديث** النبوي رواية ودراية **وتامل** اي فكر ودقق النظر واصله تفعل من الامل استعير لما ذكر **ما قلناه** فيما تقدم **وجده** محققا كما قلناه **وقد قدمنا منه** اي من الامور المتعلقة بعقد قلوب الانبيا في كل ما ذكر **في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع** في ما اظهر الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات في القسم الاول **اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما ورا** اي مع ما ذكر بعده في هذا الكتاب فعلى بمعنى مع او محتويا ذلك عليه **الا ان احوالهم في هذه المعارف تختلف** استثنا منقطع كالاستدراك على ما قبله اي لكن احوالهم مختلفة فبعضهم له مرتبة فيها اعلا مما عداه كنبينا صلى الله عليه وسلم فالتفاوت لا ضرر فيه وقال الباقلاني يجوز عقلا عدم معرفة النبي ببعض شرايع من قبله وعدم معرفته ببعض الفروع الفقهية التي فرعها الفقها لكنه اذا سيل عنها لا بد ان يعرفها وكذا علمه باللغات بشرط ان لا يخل بالتوحيد كما قيل وفيه نظر لا يخفى **فاما ما تعلق منها** اي من العلوم المفهومة من السياق لا بالعقود **بامور الدنيا** كامر المعاش واحوال الناس **فلا يشترط** بالياء التحتية مبني للمفعول ونايب فاعله العصمة في قوله **في حق الانبيا العصمة من عدم معرفتهم ببعضها** ويجوز ان يكون مبنيا للفاعل ونصب العصمة على المفعولية والضمير فيه للعلما واجاد في قوله ببعضها لان عدم معرفتها بالكلية ينافي شدة فطنتهم وسلامة عقولهم والمراد ما تعلق له بالدين اصلا فيجوز عدم معرفتهم بذلك **او اعتقادها على خلاف ما هي عليه** كقصة تابير النخل وسنانى ورجوعه صلى الله عليه وسلم لراي الحباب ابن المنذر في بدر والمراد ما يشمل الظن لا الجازم منه **ولا وصم** بفتح الواو وسكون الصاد المهملة اي لا تقصير ولا نقص ولا عيب **عليهم** اي عايد على الانبيا عليهم الصلاة والسلام **فيه** اي في عدم معرفته وبين علته بقوله **اذ هممهم** جمع همة وهي العزيمة من هم بالامر اذا عزم عليه **متعلقة** اي مشغولة **بامور الاخرة**

وانبايها

وانبايها جمع نبا وهو الخبر وعبر به لانها انما تعلم بالوحي واخبار الله لهم بها **وامر الشريعة وقوانينها** وهو لفظ رومي معرب **وامور الدنيا تضادها** اي تخالفها فالاشتغال بها لا يليق بعلو هممهم **بخلاف غيرهم من اهل الدنيا** اي غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الناس **الذين يعلمون** بدل من اهل الدنيا تلويحا لان علمهم لا يعتد به لانهم انما يعلمون **ظاهرا من الحياة الدنيا** ففيه اشارة لبلادتهم وانهم انما يعلمون ظاهر زخارفها الذي يتمتعون به دون باطنها الذي يستعدون به للاخرة ويتزودون به لدار القرار من صالح الاعمال وتنكير ظاهرا اشارة الى انه متاع قليل **وهم عن الاخرة هم غافلون** عنها لا يخطر ببالهم تدارك ما يلزمهم منها فهم كالانعام وهم الثانية تكرير للاول وغافلون خبرها او مبتدا خبره غافلون والجملة خبر الاولى وعلى كل حال فيه تاكيد لغفلتهم وهو اقتباس واشارة بالمضادة الى ان المراد بالدنيا ما تمحض لها كرياستها وجاهها ولذايذها بخلاف شي من امور المعاملات فانها امور شرعية يلزمهم بيانها فلا حاجة لذكره هنا لانه سياتي واليه اشار بقوله **كما سنبين هذا الباب الثاني ولكنه** ضمير شان وهو استدراك على ما قبله **لا يصح** **ان يقال انهم لا يعلمون شيا من امر الدنيا** اصلا **فان ذلك** اي عدم علمهم بشي منه **يودي الى** نسبتهم الى ما لا يليق بهم من **الغفلة والبله** اي شدة البلادة وعدم الادراك **وهم المنزهون عنه** اي عما ذكر من الغفلة والبله لكمال عقولهم وتمام خلقتهم فالله نزههم وابعد خلقهم عن مثله واشار بتعريف الطرفين لكمالهم فيه حتى كانه مخصوص بهم والحاصل ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالعقايد والشرايع والوحي يقينا من غير شك وشبهة واما امور الدنيا المتخصية فلا يلزمهم العلم بها لكنهم عليهم الصلاة والسلام لكونهم اكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم علمهم بها وانما يكون ذلك في النادر وليس في كلامه هنا ما يقتضي ان كل نبي اكمل اهل زمانه واعلمهم كما قيل وهو غير مسلم لقول ابن الهمام انه اكمل اهل زمانه ممن ليس بنبي وقيده في الكشاف بمن ارسل اليه وهو الحق فلا يلزم ان يكون موسى عليه الصلاة والسلام اعلم من الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل اليه ولا يحتاج الى ان يقال انه موسى بن ميشا لا موسى بن عمران **بل ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا** بالبنا للمجهول اي ولوا وحكموا ومنه تقليد القضا وهو في الاصل من قلادة العنق **سياستهم** اي ضبط امورهم امرا ونهيا بالقهر واصلها القيام على الشي بما يصلحه **وهدايتهم** اي ارشادهم لكل خير في الدارين **والنظر في مصالح دينهم ودنياهم** ببيان ما ينتظم به صلاح المعاش والمعاد **وهذا** اي النظر والسياسة **لا يكون ويوجد مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية** بان لا يعلم شيا منها اصلا لانه مانع للنظر في احوالهم لكن العلم بها ليس مقصودا لهم بالذات **واحوال الانبيا** صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

وسيرهم جمع سيرة وقد تقدمت في هذا الباب اي في هذا النوع من العلم وهو العلم بامور
الدنيا معلومة بما اشتهر من اخبارهم ومعرفتهم بذلك المذكور مشهورة لا تخفي علي اهل
العلم واما ان كان هذا العقد اي عقد قلوبهم بالاعتقاد الجازم فيما يتعلق بالدين
وان كان له تعلق بالدنيا كالعبادات فلا يصح من النبي صلي الله عليه وسلم الا العلم
به يقينا وجزما من غير شك وشبهة فيه ولا يجوز عليه جهله جملة اي لا يجهل
شيا منه ولا يخفي عليه شي من جملته ويجوز ان يراد بالجملة الاجمال اي يعلم علما اجماليا
اي انه يجب اعتقادنا انه صلي الله عليه وسلم لا يجهل شيا مما له تعلق بالدين وقيل
انه قيد للنفي اي انتفي جهله به انتفا كليا فيعلم جميع ذلك لانه اي علمه بذلك
لا يخلو علمه من ان يكون حصل عنده ذلك العلم صادرا عن وحي من الله بارسال ملك ونحوه
فهو ما اي امر لا يصح الشك منه صلي الله عليه وسلم فيه اي في الوحي وما يتعلق
به بنا علي ما قدمناه كما علمته قبل هذا واذا لم يحصل منه ادني شك في شي من ذلك
فكيف الجهل اي فكيف يصح منه وهو انكار لجهله بانكار كيفيته وحاله علي طريق
برهاني لانه اذا وقع لا بد ان يقع علي كيفية مخصوصة بل حصل له العلم اليقيني
اي المتيقن واستدركه لانه لا يلزم من عدم العلم تيقن ضده او يكون فعل ذلك
الامر المتعلق بالدين ببيان احكامه حلا وحرمة ونحوه باجتهاده وهو افتعال
من الجهد وهو الطاقة والوسع وبذله في تحصيل المطلوب وهو تحصيل
الحكم بما اعلمه الله واستخراجه من قواعد الدين بالتفاته اليه فيما لم ينزل
عليه فيه شي من الوحي في بيان حكمه فيعلم حكمه بذلك وهو في غيره تحصيل
ظن بحكم شرعي استخرجه من نص ونحوه علي القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه
صلي الله عليه وسلم في ذلك اي فيما لم ينزل عليه وحي فيه علي قول المحققين
الذاهبين لجواز اجتهاده وهو القول الصحيح ثم علي هذا اهل يجوز وقوع الخطا
منه فيما اجتهد فيه فمنعه بعضهم وجوزه بعض مع الاتفاق علي عدم اقراره
صلي الله عليه وسلم علي الخطا وهذا ارجحه كثير من الاصوليين وذهب كثير
منهم الي ترجيح عدم الخطا في اجتهاده اصلا واليه مال المص رحمه الله تعالي
وادلتهم مبسوطة في كتب الاصول فمن ارادها فلياخذ الماء من مجاريه وعلي
مقتضي بصيغة المفعول اي علي ما يقتضيه ويدل عليه لزوما حديث ام المومنين
هند بنت ابي امية المشهورة بام سلمة رضي الله عنها بفتحات فيما روته عنه
صلي الله عليه وسلم انه قال اني انما اقضي بينكم برايي واجتهادي فيما لم ينزل علي فيه
اي فيما لم ينزل الله فيه شي من وحيه وهو صريح في وقوع الاجتهاد منه صلي
الله عليه وسلم خرجه الثقات اي رواه مسندا من يوثق به كابي داود
وغيره فهو حديث صحيح دال علي صحة اجتهاده صلي الله عليه وسلم وسبب
هذا الحديث انه صلي الله عليه وسلم اتاه رجلان يختصمان في مواريث واشيا
قد درست فقال اني الخ وهو كما علمت دليل علي اجتهاده ووقوعه منه

خلافا

لم يجوزه

خلافا لمن جوزه او جوزه وقال لم يقع لقوله تعالي وما ينطق عن الهوي
ان هو الا وحي يوحي او خصه بالحروب لان اجتهاده في حكم الوحي لاستنباطه
منه بالقياس فليس و قوله صلي الله عليه وسلم لا ادري في بعض الاحيان
لا ينافيه لعدم ظهور القياس له والقياس مستند الي الوحي لقوله تعالي
فاعتبروا يا اولي الابصار وكقصة اسري بدر جمع اسير كاساري
وهما بمعني وقيل الاسري من لم يوثق والاساري الموثقون وهم سبعون
رجلا والقصة كما في صحيح مسلم انه صلي الله عليه وسلم قال لابي بكر والصحابة
رضي الله عنهم ما ترون في هولا فقال ابو بكر رضي الله عنه بنو العم والعشيرة
اري ان تاخذ منهم فدية يكون لنا بها قوة علي الكفار فعسي الله ان يهديهم
للاسلام فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما تقول يا عمر فقال اري ان
تضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر وصناديده فنزل ما كان لنبي ان تكون
له اسري حتي يثخن في الارض بعدم الفدية فجلس صلي الله عليه وسلم
هو وابو بكر يبكيان فقال لهما عمر لم تبكيان اخبراني فان وجدت بكا
بكيت والا تباكيت فقال صلي الله عليه وسلم ابكي لما عرض من الفدا لقد عرض
عذابهم ادني من هذه الشجرة لشجرة عنده وتقدم ذلك مع ما فيه فهذا
دليل علي وقوع الاجتهاد منه صلي الله عليه وسلم كما علمته وكقصة
الاذن للمتخلفين عنه صلي الله عليه وسلم في غزوة تبوك فانه اذن لجماعة استاذنوه
في القعود عنها فاذن لهم باجتهاده منه ولم ينتظر الوحي فعاتبه الله علي
ذلك مع لطفه في تقديم العفو عنه بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتي
يتبين لك الذين صدقوا الاية لانه كان منع من استاذنه واعتذر
باعتذار بعض المنافقين لم يعرف نفاقهم حتي نزلت اية التوبة عليه
علي راي بعضهم راجع للقصتين او للثانية فقط فانه قيل ان ذلك كان باجتهاد
منهم عنده صلي الله عليه وسلم بنا علي ان العتاب لهم وخطابه لقبوله لهم
واقرارهم مع انه خلاف الاولي او ان الله خيره في ذلك قبل واذن لهم ولا
اجتهاد فيه وانما كان عليه ان ينتظر الوحي حتي يتبين الاولي به وفيه
مباحث وانظار دقيقة فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاد اي يترتب
عليه ويكون ثمرة له ومن بيانية او تبعيضية او تجريدية الا حقا موافقا
للواقع وصحيحا في نفسه بقطع النظر عن الواقع ومطابقته وهذا بنا علي انه
صلي الله عليه وسلم لا يخطي في اجتهاده اصلا كما ارتضاه الغزالي
وبني عليه انه يجوز القياس علي ما اجتهد فيه وهو اللايق بمقام النبوة
ومثله في هذا كله ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وذهب ابن الحاجب
وغيره الي انه يقع منه الخطا نادرا الا انه لا يقر عليه وليس ما استدلوا
به خطا بل خلاف الاولي فان ارادوه ارتفع الخلاف فتدبر هذا القول

من ان اجتهاده صلي الله عليه وسلم لا يكون الا حقا صحيحا هو الحق الذي
لا يلتفت ولا يعتد الي الخلاف من خالف فيه بان قال لا يجتهد اصلا او يقع في
اجتهاده الخطا او اجتهاده مخصوص بالحروب ممن اجاز عليه الخطا الاجتهاد
ونحوه وهذا او قع في بعض النسخ وسقط من بعضها ان لو قام عليه دليل لا علي
القولين تصويب المجتهدين بصيغة التثنية وبصيغة الجمع اي موافقة حكم كل منهما او
منهم للصواب وقوله الذي هو الحق والصواب مفعول تصويب في محل نصب اي
ما اعتقده كل موافق للحق والصواب فكل مجتهد مصيب كما قيل
رمي فاصاب قلبي باجتهاد • صدقتم كل مجتهد مصيب •
او الذي مبتدا اخره قوله عندنا وهو احد قولين ورجحه المص والاشعرية
فالضمير للاشعرية ولا علي القول الاخر الذي ذهب اليه الجمهور
القايلون بان الحق في طرف واحد غير معين فالاخر خطا الا انه لا اثم عليه
فيه وهذا في غير النبي صلي الله عليه وسلم لانه لا يخطي ولا يقر علي الخطا
لعصمة النبي صلي الله عليه وسلم اي لعصمة الله له من الخطا في الاجتهاد في
الشرعيات قيده به لانه محل الخلاف بخلاف العقايد وامور الوحي كما تقدم
وما لا تعلق له بالدين فان الاول لا يجوز فيه الخطا بالاتفاق كما تقدم
تفصيله ومحل الخلاف في اجتهاد غير الانبيا ولان القول في تخطية المجتهدين اي كلام
الاصوليين فيما يتعلق به انما هو بعد استقرار الشرع فلا يتصور لانه يكون بناما
علي حكم شرع قبله ونظر النبي صلي الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل
عليه شي من الوحي ولم يشرع له قبل اي قبل اجتهاده فيه ونظره ليظهر له الصواب
في محل الاجتهاد فلا يتصور خطاوه لان خطا المجتهد انما يظهر بمخالفة نص
او اجماع او قياس جلي وقد تقرر انه لم يسبق به شرع وهذا دليل علي انه
لا يقع الخطا في اجتهاده صلي الله عليه وسلم وفيه بحث لان الاجتهاد بالنظر
في نظايره فان اراد انه لم ينزل شي في عينه فمسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد
وان اراد شي من نوعه واشباهه فممنوع فهذه امور الظنة ونحوه هذا
المذكور فيما اوحي اليه او عمل فيه برايه واجتهاده فيما لم ينزل فيه شي فما اعتقد
صلي الله عليه وسلم اي علمه علما جازما او عزم عليه قلبه واعمل فيه فكره من
امور الدين التي لا بد منها سوا كان من العقايد وامور الوحي مما لا بد من علمه
من غير شك فيه او من الشرع المعلوم بالوحي او الاجتهاد كما فصله وليس هذا
مخصوصا بالاعتقاديات كما قيل واما ما لم يعتقد النبي صلي الله عليه وسلم عليه
قلبه ولم يعلمه علما جازما من النوازل جمع نازلة وهي القضية التي تحدث له
ويحتاج لبيان الحكم فيها وقوله الشرعية اي المتعلق بها حكم شرعي من حل وحرمة
ونحوه فقد كان صلي الله عليه وسلم لا يعلم شيا منها اولا اي في ابتدا بعثته وقبل
الوحي والاذن له في التشريع الا ما اعلمه الله بالوحي اليه شيا فشيا اي شيا بعد شي

علي سبيل التدريج بحسب الوقايع واسبابها المقتضية لبيانها له وهذا
منصوب علي الحال كعلمته النحو بابا بابا لانه ماول بمفصل ونحوه وليس الثاني
تاكيد او تفصيله في كتب العربية حتي استقر علم جملتها اي علم جميعها عنده
اي في علمه وحفظه لما نزل عليه منها اما بوحي من الله او اذن له في ان يشرع ذلك
بفتح اوله وثالثه المخفف او بضم اوله وكسر ثالثه المشدد اي ياخذ في بيانه
او يبين ما حكم الشرع فيه برايه واجتهاده ويحكم في القضايا بما اراه الله اي
عرفه وعلمه بوحي او الهام ونظر فيما انزل عليه كما قال تعالي انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله والاية دالة علي اجتهاده فيه وانه
مصيب فيه وقد كان صلي الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها اي من النوازل
الواقعة ليبين الله له الحكم فيها ويجتهد في قليل منها احيانا ولكنه لم يمت حتي
استفرغ علم جميعها عنده اي تحقق صلي الله عليه وسلم وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام
الشرعية اللازمة ولذا قال تعالي اليوم اكملت لكم دينكم وفي نسخة استفرغ
بفا وغين معجمة اي استوفي واستكمل وهو استعارة من استفراغ الما وصبه
كانه افاض ماءه علي العطاش وتقررت وتحققت معارفها اي العلوم بالاحكام الشرعية
وجزيياتها لديه اي عنده وعند امته علي التحقيق اي متيقنة محققة بلا تردد
ورفع الشك والريب اي الاشتباه في شي منها وانتفا الجهل عنه امته وبالجملة اي اجمالا وقد
يراد بهذه الكلمة علي كل حال وبكل وجه فلا يصح ولا يجوز عقلا وشرعا منه صلي
الله عليه وسلم ومن كل نبي الجهل بشي من تفاصيل الشرع اي شرعه صلي الله عليه وسلم
الذي امر بالبنا للمفعول اي امره الله بالدعوة اي دعوة امته اليه اي الي اتباعه
والعمل به لانه جهله لما في امره بدعوته ولا تصح دعوته الي ما لا يعلمه لانه طلب
للمجهول وهو ممتنع عقلا وعبث غير مفيد فكان صلي الله عليه وسلم اعلم
الناس باحكام ربه وله الولاية العامة علي جميع خلقه والامامة العظمي
فكان يحكم بالقضا والسياسة والافتا ويحكم بالظاهر والباطن كالخضر
عليه الصلاة والسلام كما قاله السيوطي والفرق بين احكامه بما ذكر
فصله السبكي والقرافي في قواعده وللعلامة ابي شامه فيه تاليف مستقل
لا يستطيع هذا المقام تفصيله وان تكلم بعضهم هنا كلاما غير مهذب
فان اردت تحقيقه فانظر كلام القوم فيه واما ما تعلق بعقده اي بجزم
قلبه فيما بصره الله به عليه الصلاة والسلام من ملكوت السموات والارض
الملكوت مبالغة في الملك كالرهبوت والجبروت وقد يخص بعالم المشاهدة
كعالم الامر كما مر والمراد علمه صلي الله عليه وسلم بحقيقة الاجرام العلوية
وانها حادثة مستغني عنها وما فيها من الملايكة الموكلين بها والكواكب
التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات لحكم الهية وكذلك الارض
التي جعلها الله مقر العباده وعلمه فيها علما اطلع به علي حقيقتها وما اودعه

فيها وليست كما تزعم الفلاسفة وأهل الطبيعة من امور مخرومة القواعد كثيرة
المفاسد وخلق الله اي مخلوقاته التي بثها فيهما وابدعها واودعها حكما تحار فيها العقلا
وفي كل شي له اية تدل على انه الواحد
وتعيين اسمائه الحسنى الدالة على ذاته وبديع صفاته وفي قوله تعيين اشارة الى انها
توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به اذن شرعي والكلام عليها مفرد بالتاليف
واجل ما صنف فيها كتاب الامام القرطبي وقيل يصح ان يطلق عليه كل اسم ثبت
اتصافه به مما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف والكلام عليه
مفصل في كتب الاصول وآياته الكبرى اي عجايب مخلوقاته الدالة على عظمته والكبرى
بمعنى العظيمة مما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم مما شاهده في نفس الاسرا كما تقدم وامور
الاخرة كالحشر والنشر واهوال الموقف والصراط والميزان والنفخ في الصور واشراط
الساعة اي علاماتها الدالة جمع شرط بفتحتين وفي الاساس يقال لاوايل كل
شي اشراطه ومنه اشرط اليه رسولا اذا اقدمه واشراط الساعة مشهورة والساعة
مقدار من الزمان ثم خص بالقيامة وقيل الاشراط تختص بعلاماتها الصغار
كما نقله الخطابي عن ابي عبيدة والمشهور شمولها للصغار والكبار كخروج المهدي
والدجال واحوال السعدا والاشقيا في البرزخ والدنيا والاخرة وما لهم من نعيم
وعقاب وعلم ما كان من احوال الامم السالفة وما كان في ابتدا خلق العالم وما يكون بعده
من الفتن وغيرها كما في حديث حذيفة المشهور مما لا يعلمه الا بوحي اعلمه الله به
من المغيبات فعلى ما تقدم اي وقع على اسلوب ما تقدم والفا في جواب اما من
انه بيان لما تقدم معصوم فيه عن الخطا والشك في شي منه لا ياخذه اي لا يعرض
له ولا يطرا عليه فيما اعلم بالبنا للمجهول اي اعلمه الله بوحيه وجوز فيه
البنا للفاعل اي اعلم به امته منه اي مما ذكر شك ولا ريب وتردد في علمه به
بل هو فيه اي فيما اعلم به على غاية اليقين والجزم به بلا تردد فقلبه صلى الله عليه وسلم
مطمين بعلمه لا يقلق ويضطرب لان اصل معنى الريب الاضطراب كما حققه
اهل اللغة لكنه استدراك من كونه على غاية من اليقين لانه ربما يتوهم احاطة
علمه بتفاصيلها فلذا قال لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك لانه مما يعجز
عنه البشر وان كان عنده صلى الله عليه وسلم من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر
سواه لما خصه الله به من اطلاعه على ما لم يطلع عليه احد غيره لقوله صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي اني لا اعلم الا ما علمني ربي اي لا يعلم
شيا مما يخفى على الناس الا بتعليمه تعالى وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث روي
في الصحيحين ولا خطر على قلب بشر اي احد من الناس وهو حديث قدسي
اوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر بله ما اطلعتم عليه اقروا ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
الاية جزا بما كانوا يعملون ففيه دليل على ان من احوال السعدا ما لم يطلع عليه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وبله اسم فعل بمعنى دع والاية ايضا تدل على ان الله
تعالى اخفى ذلك عن انبيايه من احوال السعدا الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
وقرة العين سرورها اما لان دمعة السرور باردة او لانها تقر وتسكن لعدم
التفاتها لغير ما هي فيه ومما يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام قد يخفى
عليهم بعض العلوم قول موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام وهو من كبار الانبيا
عليهم الصلاة والسلام للخضر في قصته التي قصها الله في القران هل اتبعك على ان
تعلمني مما علمت رشدا وموسى هو ابن عمران وما روي عن نوف البكالي من انه
موسى بن ميشا وهو نبي اخر من بني اسرايل الذين من اولي العزم هو قول اهل
الكتاب يرون ان موسى الكليم مقامه اجل من ان يتعلم من غيره وقد نقل ما قاله
نوف لابن عباس رضي الله عنهما فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل
هذا بان نوفا تابعي صالح ثقة فكيف يقال انه عدو الله فقيل انه قصد زجره في
حال شدة غضبه ونفوره لما سمع ما يخالف ما صح عنده عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم واما كونه استعارة كقاتله الله فليس بشي والخضر هو صاحب
موسى عليهما الصلاة والسلام وهو بليا بن ملكان والكلام فيه هل هو ولي او نبي
او ملك وهل هو حي الان مشهور وللعلامة الخيضري فيه كتاب سماه الروض
النضر في احوال الخضر لم يدع فيه مقالا لغيره يحتاج اليه وخضر كحذر اللقب
سمي به لانه كان اذا جلس على ارض اخضرت له وقصته معلومة وتفسير
هذه الاية قد كفينا مؤنته ووجه استشهاد المص بهذه الاية والقصة
غني عن البيان ومما يدل على ان النبي لا يجب ان يعلم تفاصيل كل شي قوله صلى
الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الديلمي عن انس رضي الله عنه في بعض
الادعية الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم اسيلك يا الله باسمايك الحسنى تانيث
احسن واسماوه عز وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعاني الجليلة والحسن
في العرف العام يقال لما يدرك بالبصر واكثر ما جا في القران لما تستحسنه
البصيرة كقوله تعالى الذين يستمعون القران فيتبعون احسنه كما
قاله الراغب في مفرداته ما علمت منها وما لم اعلم بدل من اسمايك وهذا
الحديث يدل على ان لله اسما لم يعلمها صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه الا الله ولا
خبر في مثله ومثله قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد في مسنده
فيه اسيلك بكل اسم هو لك اي مخصوص بك مما سميت به نفسك اي ذاتك
وفيه دليل على صحة اطلاق النفس على ذاته من غير مشاكلة خلافا لمن
منعه وفيه لبعض المحققين تفصيل حسن وهو انه ان كان بمعنى الذات
صح اطلاقه مطلقا نحو كتب على نفسه الرحمة وان كان بمعنى الروح ونحوه
كقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لم يطلق الا مشاكلة فتدبر او
استاثرت به اي انفردت بعلمه دون غيرك في علم الغيب عندك اي في جملة

معلوماتك المغيبة عن غيرك والشاهد فيه كالحديث كالذي قبله وقد قال الله تعالى بما يدل على انه لا يحيط بجميع العلوم غيره وفوق كل ذي علم عليم هو اعلم واعلى رتبة في العلم فهذا دليل على ان علم البشر متناه محصور وقال القاضي في تفسيره المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله عز وجل الذي له العلم البالغ ولا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلما عليم وهو مخصوص انتهى وهو اشارة الى دفع شبهة تقريرها ان الله ذو علم فهو داخل في هذه الكلية فيقتضي ان فوق الله عليم يعلم ما لم يعلمه بانها قضية مخصوصة بالمخلوقين فالعليم الذي فوق كل ذي علم هو الله لا غير فهو عام مخصوص وقال زيد بن اسلم وغيره في تفسير هذه الاية اشارة الى ما قلناه المراد ان رتبة العلما لا تزال تترقى في العلم حتى ينتهي العلم الى الله تعالى فهو الذي فوق كل ذي علم فوقية بالغة الى مرتبة ليس فوقها شي اصلا فهو العليم المحيط علمه بكل شي علما بسائر الجزئيات علما تفصيليا خلافا للفلاسفة القايلين بانه يعلم الكليات دون الجزئيات وبطلان قولهم مذكور في كتب الكلام الا ان النصير الطوسي قال في مقالة له في هذا المبحث ان المخطيين لم يقفوا على مرادهم وانهم لم ينكروا ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به نطاق البيان هنا وقد ذهب الى ما قاله النصير ابن عربي في فتوحاته وارتضاه بعض مشايخ عصرنا وللكل وجهة وفوق كل ذي علم عليم وهذا اي انتها العلم اليه تعالى مما لا خفا به عند من له عقل سليم اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها اي لا يقفون على جميعها ولا يحيطون بشي من علمه وهو احاط بكل شي علما وهو في الاصل استعارة من احاطة بما داخله ولا منتهى لها عطف تفسير لعدم الاحاطة هذا اي ما ذكر من عصمة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بعقد قلبه فيما ذكر في هذا الفصل كما اشار اليه بقوله حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي اعتقاده الجازم فيما ذكر في هذا الفصل من التوحيد المراد به ما يتعلق بالعقايد والشرع ونحوه مما اوحي اليه والمعارف والامور الدينية من عطف بعض افراد العام عليه لمزيته والكلام على العلم وحقيقته علم الله الحضوري وما له وعليه مما تكفلت به الكتب الكلامية وللكل مقام مقال

فصل واعلم ان الامة اي امة الاجابة مجمعة على عصمة النبي اي حفظه صلى الله عليه وسلم من الشيطان فالتعريف في النبي للجنس او للاستغراق ويجوز ان يكون للعهد ويعلم غيره بطريق الدلالة فانه تعالى قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاذا لم يكن له سلطان على خلص عباده علم انه ليس له تسلط على انبيايه عليهم الصلاة والسلام بالطريق الاولى وكفايته منه اي حمايته لا في جسمه بانواع الاذى اي اذى الشيطان مما يكون من اصابته او اصابة جنده من الجن كالصرع والطاعون وذات الجنب فانها من الشيطان

ولذا

ولذا لم يرض صلى الله عليه وسلم بلدوده في مرض موته لظنهم ان به ذات الجنب فقال انها من الشيطان وقد عصمني منه كما ياتي ومنه علم ان الطاعون لا يصيب الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا بتسلط الشيطان على خاطره اي فكره وقلبه صلى الله عليه وسلم بالوساوس جمع وسوسة وهو ما يلقيه الشيطان في نفسه قيل ومن الوسوسة ما هو غير اختياري لا يقدر الانسان على دفعه ولا يواخذ به ما لم يعمل او يتكلم وهذا مما لم يعصم عنه احد لانه من الاعراض البشرية الا انه صلى الله عليه وسلم معصوم عن ان تقر فيه اذا عرض له نادرا وليس من هذا القبيل السحر فتامله وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل ابن خيرون العدل تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره بكسر البا الموحدة وسكون الرا المهملة وقاف والف ونون نسبة لبرقانة قرية من نواحي خوارزم وهو الامام الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي امام بغداد كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين علي بن عمر الدارقطني نسبة لدار قطن محلة ببغداد كما تقدم قال حدثنا اسماعيل الصفار بن محمد ابو اسماعيل الامام العابد الثقة النحوي المشهور الصفار نسبة لعمل الصفر وهو النحاس توفي سنة احدى واربعين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين باربع سنين قال حدثنا عباس بمهملتين بينهما موحدة الترقفي بفتح المثناة الفوقية وسكون الرا وضم القاف وفا مكسورة ويا نسبة وهو امام ثقة روى عنه ابن ماجة وغيره وهو يروي عن الفريابي وترقف قيل اسم امراة وقيل اسم بلدة قال حدثنا محمد بن يوسف هو الفريابي وقد تقدم عن سفيان الاشجعي الكوفي وقد تقدم ايضا عن مسروق بن الاجدع الهمداني العابد الزاهد التابعي توفي سنة ثلاث وستين واخرج له الستة عن عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور في حديث رواه مسلم عن سالم بن ابي الجعد عن ابيه عن ابن مسعود ورواه من طريق اخر لعلو سنده فيه وعظم رجاله قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم اي معاشر الناس من احد من زايده واحد مبتدا خبره مقدم عليه وهو منكم وزيادة من لتاكيد العموم الا وقد وكل مشدد مبني للمجهول اي عين لملازمته كالحفيظ الملازم لحفظه كما قال تعالى وما انت عليهم بوكيل فاستعمل المقيد في المطلق مجازا به قرينه اي الذي يكون مقارنا له من الجن وقرينه من الملايكة اما قرينه من الجن فانه موكل بوسوسته واغوايه واما قرينه من الملايكة فهو من الحفظة لا من الكتبة كما قيل لعدم مناسبته لما هنا قالوا اي قال الصحابة الحاضرون عنده صلى الله عليه وسلم واياك يا رسول الله ايا ضمير نصب معمول لمقدر واصله او كل بك قرين من الجن كغيرك فحذف الفعل وحرف الجر فانتصب الضمير وانفصل وانما عدل

عن الظاهر تهاد با واشارة الي استبعاد ان يكون كغيره في ذلك لان معني
توكيله به تسليطه عليه بوسوسته واغوايه وهو صلي الله عليه وسلم
معصوم من مثله او الضمير مستعار من ضمير الرفع واصله وانت كما ورد
في رواية صححها البرهان عن ابن عباس رضي الله عنهما وسياتي قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم واياي اي وكل بي قرين من الجن كغيري ثم استدرك
ببيان تميزه صلي الله عليه وسلم بقوله ولكن بالتشديد والتخفيف الله بالرفع
والنصب علي وجهي لكن اعانني عليه اي علي قريني من الجن فحفظني منه ومنعه
من التسلط علي لهدايته للاسلام فاسلم بصيغة الماضي من الاسلام
اي هدي الله قريني للاسلام ببركة مقارنته له صلي الله عليه وسلم اي سلمني
الله منه وقال النصير الطوسي في شرح الاشارات في الحديث ما من مولود
ولد من بني ادم الا ولد معه قرين من الشياطين فقيل وانت يا رسول الله
كذلك قال وانا كذلك الا ان الله اعانني عليه فاسلم اي فاسلم الشيطان
ومنهم من انكر هذه الرواية وقال الرواية الصحيحة فاسلم ومعناها ان الله
اعانني عليه حتي اسلم من شره فان الشيطان لا يسلم قط انتهي ومنهم من اوله
فقال المراد بالشيطان القوة الغضبية واسلامها انقيادها للعقل
والنفس القدسية واليه ذهب الامام الغزالي في الاحيا ويجوز كون الروايتين
بمعني علي ان اسلم مضارع في جواب النفي وقد يخرج عليه البيت زاد غيره
اي غير سفيان راوي هذا الحديث فيه عن منصور بن المعتمر الذي تقدم
في جملة رواة هذا الحديث فلا يامرني هذا القرين الا بخير فصار قرينه صلي
الله عليه وسلم قرين خير وروي عن عايشة رضي الله عنها بمعناه وروي
اي عن عايشة رضي الله عنها فهو بيان لما قبله فاسلم بضم الميم وهمزة
المتكلم مضارع مرفوع اي فانا اسلم منه وفي نسخة اي فاسلم انا منه ومن
وسوسته وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها علي الرواية الاولي ولم يخرجه المحدثون
وقد تقدم في كلام الطوسي وهو ليس من فرسان هذا الميدان وروي بالبنا
للمجهول والرواية في صحيح البخاري فاسلم بصيغة الماضي يعني القرين تفسير
لضمير الفاعل المستتر فيه ومعني اسلم انه انتقل عن حال كفره بناء علي ان الشياطين
منهم من يسلم وقوله الي الاسلام متعلق بانتقل اي تحول من حال لاخري
فصار لا يامر الا بخير كالملك القرين الموكل به وهو اي هذا المعني وهو انتقاله
من الكفر الي الاسلام ظاهر الحديث المفهوم من سياقه بدليل قوله ورواه بعضهم
فاستسلم اي انقاد وكف عن الوسوسة قال ابن الاثير رواية اسلم بفتح
الميم يشهد لها ما روي كان شيطان ادم كافرا وشيطاني مسلما ورواية
حتي اسلم ورواية مسلم بضم الميم وقد علمت ان المص رحمه الله مرجح لرواية
الفتح وان في الحديث ثلاث روايات وان اسلم جا بمعني استسلم وانقاد ايضا

وقيل

ابن اقبرس

قيل انه تقدم ان الشيطان ممنوع من التسلط بالاذي علي المومنين
وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخطف كتميم رضي الله فلعله لتقدم
سبب يمنع من حفظه انتهي ولا يخفي انه في حق الانبيا محقق وفي غيرهم
اغلبي والنادر لا حكم له ومر ان القرين الملازم ولذا سميت الزوجة قرينة
وقدم قرين الجن لمناسبة المقام له وحديث عايشة هذا في مسلم قالت خرج رسول
الله صلي الله عليه وسلم من عندها ذات ليلة قالت فغرت فلما جا قال ما لك
يا عايشة اغرت فقالت كيف لا يغار مثلي علي مثلك فقال اهذا من شيطانك قلت
او معي شيطان يا رسول الله قال نعم ومع كل انسان قلت ومعك يا رسول الله
قال نعم ولكن الله اعانني عليه حتي اسلم قال الخطابي رحمه الله الصحيح المختار
عندهم اي ورجحه القاضي عياض الفتح كما مر وهو المختار لقوله ولا يامر الا بخير
واختلفوا في الفتح فقيل اسلم بمعني استسلم كما رواه مسلم وقيل معناه صار
مسلما وهو الظاهر انتهي وايد هذا بما اخرجه البيهقي وابن الجوزي في الوفا
عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلي الله عليه وسلم قال فضلت علي ادم بخصلتين
كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه اسلم وكن ازواجي عونا لي وكان شيطان ادم
كافرا وكانت زوجته عونا علي خطيئته وقد اشار الي ذلك الصرصري رحمه
الله في نونيته بقوله

وهما لاهل الحق واضحتان	في خصلتين يفوق ادم فيهما
وصلت هدايته الي الشيطان	شيطان ادم كافر يغوي وقد
بنسايه قد كان خير معان	ولزوجه عون عليه وانه

ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع ما اسلم من الشياطين الا شيطان
شيطان نبينا صلي الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه الصلاة والسلام وقال
بعضهم بل ساير الانبيا علي هذا المنوال فتدبر قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف
هذا الكتاب رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه صلي الله عليه وسلم في
احتياجه الي اعانة الله له عليه حتي يسلم منه وحكم قرينه من الجن الذي وكل به
وهو عطف تفسير لما قبله ووصفه بقوله المسلط علي كل احد من بني ادم وفي
نسخة المسلط علي بني ادم والمراد المسلط نوعه وجنسه لان قرينه مختص به
فكيف الظن بمن بعد منه ولم يقارنه من الشياطين اي توهم احد انه لا يسلم
منه فعدم تسلطه معلوم بالطريق الاولي لا يقدر علي الدنو منه وهو لم يلزم
صحبته لان الله لم يجعله قرينا له اذ القرين معناه الملازم للصحبة كما تقدم ولا
اقدر بضم الهمزة والبنا للمفعول اي لم يجعله الله قادرا علي الدنو والقرب منه صلي
الله عليه وسلم لعصمة الله له عن تسلطه عليه وعلي ساير الانبيا وخلص عباده
وقد جات الاثار والاحاديث المروية عنه صلي الله عليه وسلم بتصدي اي تعرض
الشياطين له صلي الله عليه وسلم في غير موطن اي في مواضع كثيرة كالصلاة وغيرها

رغبة مفعول له او حال في اطفا نوره ويابي الله الا ان يتم نوره وامانة نفسا اي اهلاكه
اوصده عما هو مشغول به من العبادة وادخال الشغل عليه اي بالوسوسة المانعة
له عن الفكر فيما فيه صلاحه وصلاح امته فعلوا ذلك اذ يبسوا من اغوايه واضلاله
عن طريق الحق فانقلبوا اي رجعوا عما قصد واله خاسرين خايبين لعدم قدرتهم
عليه صلى الله عليه وسلم وعلى القرب منه كتعرضه اي تعرض الشيطان له صلى
الله عليه وسلم وهو مستغرق بالتوجه الى الله في صلاته فاسره اي اخذه
وقهره بالاستيلاء عليه قهرا وبينه بقوله في الصحاح اي الاحاديث الصحيحة
المروية في البخاري ومسلم وغيرهما قال ابو هريرة رضي الله عنه في حديث
رواه عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان تعرض لي وفي نسخة عرض لي اي اتاني
ووقف عندي قال عبد الرزاق بن همام الامام الحافظ كما تقدم في ترجمته وهذا
في زيادته على الصحيحين في صورة هر وهو السنور الذي يقال له قط
والشياطين تتمثل باي صورة ارادت من الحيوان وغيره فشد علي اي حمل
ووثب وثبة علي يقال شد يشد بكسر الشين المعجمة وضمها اذا حمل العدو
ونحوه ليقطع علي الصلاة اي يبطل صلاتي باخراجي منها واصله ليقطع علي الخ او
اراد ان يقطع صلاتي ويفسدها فامكنني الله منه اي اقدرني عليه
ومكنني من اخذه وقهره فذعته بفاء ودال مهملة ومعجمة وعين مهملة ومعجمة
ويقال دأته بدال مهملة ومعجمة وهمزة اي خنقته ودفعته حتى صرعته
وروي فاخذت بحلقه واصل الدعت بمهملة ومعجمة الدفع بعنف والمعك
في التراب كما في النهاية وفي غيرها انه الغط في الما والخنق الشديد وانكر الخطابي
المهملة وصححه غيره ولقد هممت ان اوثقه اي اربطه والوثاق ما يشد به قال
تعالى فشدوا الوثاق وهممت بمعنى عزمت ونويت الى سارية اي بسارية
من سواري المسجد والسارية العمود المنصوب ليوضع عليه سقف ونحوه
وكان ذلك ليلا في تهجده ولذا قال حتى تصبحوا اي تدخلون في وقت
الصباح تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان عليه الصلاة والسلام والاخوة
هنا المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة والمشاركة في امر ما
رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب
لان الملك الذي اعطاه الله له ملك الانس والجن والدنيا كلها وليس
طلب سليمان لذلك محبة للدنيا وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلا كلمة
الله وتنفيذ امره وقدم الدعا بالمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة
وللاشارة الى ان القيام باعبا الملك والنبوة شاغل عن العبودية فهو
عنده صلى الله عليه وسلم كالذنب فرده الله اي رد ذلك الشيطان خاسيا
اي خايبا حقيرا لعدم ظفره بما اراد ومنه قولهم للكلب اخسا لانها تدل على
الطرد مع التحقير قال الخطابي هذا يدل على ان سليمان واصحابه كانوا

يرون

يرون الجن على خلقتهم الاصلية فيجوز وقوعه لغيرهم فان قلت كيف
ياتي الشيطان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لو سلك عمر فجا لم
يسلكه الشيطان فكيف يخاف عمر ولا يخافه صلى الله عليه وسلم حتى يتغلب عليه
قلت عمر رضي الله عنه لما لم يكن معصوما محفوظا من الجن حفظه الله بالقاء
الرعب منه في قلوبهم لحدته وشدته والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من
الجن والانس فلو سلكوا فجه اخذوا واوثقوا ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم
لا تليق بغيره كما قيل وفي شرح مسلم للنووي ان سليمان عليه الصلاة
والسلام اختص بهذا عن غيره فامتناعه صلى الله عليه وسلم عن امساكه اما
لانه لم يقدر عليه لذلك او قدر وتركه تواضعا وتادبا معه وكونه لم يقدر
يرده قوله امكنني الله منه وفي حديث ابي الدردا عنه صلى الله عليه وسلم
الذي رواه البيهقي عن عبد الرحمن بن جبير وابو الدردا هو عويمر واختلف
في اسم ابيه على اقوال فقيل عامر وقيل مالك وقيل قيس وقيل ثعلبة وهو انصاري
خزرجي اسلم عقب بدر وتوفي سنة اثنين وثلاثين واخرج له احمد والستة
وله مناقب مشهورة ان عدو الله ابليس لعنه الله جاني بشهاب اي شعلة من نار ليجعله
في وجهي اي يلقيه علي ليقطع صلاته والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة
جملة حالية او معترضة في كلام ابي الدردا وذكر ابو الدردا انعوذه صلى الله
عليه وسلم بالله منه اي قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله منك ولعنه له وقوله
ثم اردت اخذه مصدر مفعول لاردت وفي نسخة اخذه مضارع بتقدير ان كما في
بعض النسخ وذكر نحوه اي نحو قول ابي الدردا كهممت ان اوثقه وفاعل ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم ولذا قال وفيه تقدير اي لو اوثقته لاصبح موثقا مربوطا
يتلاعب به ولدان اهل المدينة ولدان بكسر الواو جمع وليد وهو الصبي الصغير وهذا
الحديث في مسلم وفيه مسايل فقهية منها ان الدعا على غيره بالخطاب لا يبطل
الصلاة لقوله فيه لعنك الله ان لم نقل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم
او قبل تحريم الكلام وان الجن ترى بخلقتها الاصلية وقوله تعالى انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم اغلبي وقد قيل انه مخصوص بالانبيا كرؤية الملك
قال الشافعي ومن زعم انه يراهم ردت شهادته لمخالفته القران وكان النووي اخذ
منه قوله من منع التفضيل بين الانبيا عن المخالفة القران وحمل بعضهم
كلام الشافعي على زعم رؤية صورهم التي خلقوا عليها واستشكل ما ذكر شيخنا
ابن قاسم بان غايته ما في الاية اثبات حالة لا نراهم فيها وليس فيها عموم ولا
حصر وذلك لا ينافي ان لنا حالة اخرى نراهم فيها خصوصا وقد وردت
الادلة برؤيتهم وكذلك اي مثل حديث ابي الدردا ما روي في حديثه صلى
الله عليه وسلم الوارد في الاسرا وطلب عفريت له صلى الله عليه وسلم وطلبه
هنا بمعنى توجهه نحوه ليرميه بشعلة من نار فعلمه جبريل عليهما الصلاة

والسلام ما يتعوذ به منه بان قال له قل اعوذ بالله منك فانه حرز له وذكره
اي امر الشيطان معه في الاسرا او تعليم جبريل له الامام مالك في الموطا
وهذا كان قبل صعوده صلى الله عليه وسلم للسما وكونه قصد تعليم جبريل
له لا يعتبر له والعفريت الشديد الخبث المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم
مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط في كتب اللغة وما علمه له جبريل
هو قوله اعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرا في الارض وشر
ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وطوارق الليل الا طارقا يطرق بخير
وقال له اذا قلتهن اطفات ناره ولما لم يقدر الشيطان على اذاه اذ لم يصل اليه
ولم يسلط عليه لعصمة الله له بمباشرته اي بالقرب منه جدا لانها في الاصل ملامسة
البشرة وهي ظاهر البدن تسبب بالتوسط الى عداه بكسر العين وضمها اسم جمع عدو
اي لما لم يصل اليه ابتدا او كان متمكنا من الوصول لاعدايه وهم الكفرة جعلهم
واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوايهم وتحريضهم على اذيته واغرايهم
كقصته اي الشيطان مع قريش بعد موت ابي طالب لما جد صلى الله عليه
وسلم في دعوتهم وانذارهم في الايتمار هو افتعال من الامر ومعناه المشاورة
في المهم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو رايهم الذي استقروا عليه وتصوره اي
ظهور ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي نسبة لنجد وهي ارض فوق تهامة
وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم وكانت
صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة قالوا لا تدخلن عليكم معكم
في الشورى احدا من اهل تهامة لان هواهم مع محمد ولما ورد في الحديث انها محل
الفتن ومنها نجم قرن الشيطان وكان وقف بباب دار الندوة وهي دار
قصي التي كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كامر فقالوا له من انت قال شيخ من نجد
رايت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
اري ان تحبسوه في دار تسد وابوابها غير كوة تعطوه منها طعامه
وشرابه فقال الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم ويخرجه منها فقال
الاسود بن ربيعة اري ان تخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ
بيس الراي اذا اخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
اري ان تاخذوا من كل بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوي بنو هاشم على حرب قريش كلهم فيقبلوا اي
يرضوا منا بالدية فقال الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه واخبره جبريل
عليهما الصلاة والسلام بذلك ونزل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او
يقتلوك او يخرجوك الاية وامر بالهجرة فكان ما فصل في السير وتصور الشيطان
مرة اخرى في غزوة يوم بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله

السيوطي رحمه الله ولم يورد الحديث في صورة سراقة بن مالك الذي قدمنا
ترجمته وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه البيهقي
رحمه الله في دلايله ان الشيطان تمثل لكفار قريش ببدر في صورة سراقة
ابن مالك بن جعشم الكناني وكانت قريش تخاف من بني بكر ان ياتوهم
من خلفهم لانهم كانوا قتلوا رجلا منهم فقال لهم ما اخبر الله به من قول الشيطان
لهم انهم لا ينهزمون وهم يقاتلون عن دين ابايهم وكان تمثل مع جنده لهم
بصورة قوم من بني مدلج فيهم سراقة اتوا لامدادهم فقال الشيطان لهم
لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فامدهم الله بجنود من الملايكة فلما
راهم ابليس ولى عنهم فقالوا انك جار لنا فقال اني اري ما لا ترون اني اخاف
الله اي اهلاكه لي ولجندي وهو احد الوجوه في الاية واليه اشار الملهم
رحمه الله وقيل المراد وسوسته لهم بما ذكر وتصور الشيطان ايضا مرة
اخرى ينذر قريشا ويخوفهم بشانه اي بامره صلى الله عليه وسلم عند بيعة العقبة
وهي مني السفلى التي بايعه الانصار عندها قبل الهجرة ثلاث مرات كما فصل في
السير والمراد البيعة الثالثة وكان الانصار بايعوه صلى الله عليه وسلم بها
بمحل فيه الان مسجد يسمي مسجد البيعة فلما راي ذلك الشيطان صرخ
باعلي صوته هذا محمد ومعه الصباة قد اجمعوا على حربكم فقال صلى الله
عليه وسلم لما سمعه هذا ازب العقبة اي شيطانها واصل الازب بهمزة
وزاي معجمة مفتوحتين الكثير الشعر سمي به الشيطان وتفصيله في السير
ايضا وكل هذا المذكور من امر الشيطان الذي تعرض فيه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما ذكر فقد كفاه الله امره الفا زايدة في الخبر او هو بتقدير
اما او توهمها وعلى ما في بعض النسخ وقد بالواو والخبر مقدر اي وقع حفظه
منه وعصمه ضره بفتح الضاد اي ضرره وضمها غير مناسب هنا والضمير لكل
او للشيطان وشره كما كفي ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام اذ عصمهم منه
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان عيسى نبي الله عليه الصلاة والسلام كفي بالبنا للمجهول اي كفاه الله وحفظه
من لمسه اي من ان يلمسه او يمسه كما اي بيانه والضمير للشيطان للعلم به من السياق
في الشيطان لعيسى عليه الصلاة والسلام حين ولادته ليطعن اي لينخسه
ويمسه بيده في خاصرته بخا معجمة وصاد مهملة هي جانبه مما فوق اضلاعه
وهي الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب اي في شي حجبه عن الوصول للمس جسده
قيل هو المشيمة وقيل ما لف فيه وقيل انه امر حجبه الله به عنه او حجبته امه
مريم عنه والفا سببية اي بسبب كفاية الله له وقع طعنه في الحجاب والحديث
كل بني ادم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم
عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب وفي رواية ما من مولود

ابن فارس

السيوطي

والسلام ما يتعوذ به منه بان قال له قل اعوذ بالله منك فانه حرز له وذكره
اي امر الشيطان معه في الاسرا او تعليم جبريل له الامام مالك في الموطا
وهذا كان قبل صعوده صلى الله عليه وسلم للسما وكونه قصد تعليم جبريل
له لا معتزله والعفريت الشديد الخبث المتمرد من الجن واطلاقه على غيرهم
مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط في كتب اللغة وما علمه له جبريل
هو قوله اعوذ بالله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ في الارض وشر
ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وطوارق الليل الا طارقا يطرق بخير
وقال له اذا قلتهن اطفات ناره ولما لم يقدر الشيطان على اذاه اذ لم يصل اليه
ولم يسلط عليه لعصمة الله له بمباشرته اي بالقرب منه جدا لانها في الاصل ملامسة
البشرة وهي ظاهر البدن تسبب بالتوسط الى عداه بكسر العين وضمها اسم جمع عدو
اي لما لم يصل اليه ابتدا او كان متمكنا من الوصول لاعدايه وهم الكفرة جعلهم
واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوايهم وتحريضهم على اذيته واغرايهم
كقصته اي الشيطان مع قريش بعد موت ابي طالب لما جد صلى الله عليه
وسلم في دعوتهم وانذارهم في الايتمار هو افتعال من الامر ومعناه المشاورة
في المهم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو رايهم الذي استقر واعليه وتصوره اي
ظهور ابليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي نسبة لنجد وهي ارض فوق تهامة
وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه من تجربة الشيوخ وحسن رايهم وكانت
صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا بدار الندوة قالوا لا تدخلن عليكم معكم
في الشورى احد من اهل تهامة لان هواهم مع محمد ولما ورد في الحديث انها محل
الفتن ومنها نجم قرن الشيطان وكان وقف بباب دار الندوة وهي دار
قصي التي كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كامر فقالوا له من انت قال شيخ من نجد
رايت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
اري ان تحبسوه في دار تسد وامنافذها غير كوة تعطوه منها طعامه
وشرابه فقال الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم ويخرجه منها فقال
الاسود بن ربيعة اري ان تخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال الشيخ
بيس الراي اذا اخرجتموه يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
اري ان تاخذوا من كل بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبايل فلا يقوي بنو هاشم على حرب قريش كلهم فنعقله اي
فيرضوا منا بالدية فقال الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه واخبره جبريل
عليهما الصلاة والسلام بذلك ونزل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او
يقتلوك او يخرجوك الاية وامر بالهجرة فكان ما فصل في السير وتصور الشيطان
مرة اخرى في غزوة يوم بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله

تعلم جبريل

ابن قريش

السيوطي

السيوطي رحمه الله ولم يورد الحديث في صورة سراقة بن مالك الذي قدمنا
ترجمته وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه البيهقي
[illegible] ان الشيطان [illegible] قريش ببدر في صورة سراقة

بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد
بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر
غاسق اذا وقب ومن شر النفثت في العقد ومن
شر حاسد اذا حسد
بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس
من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس
في صدور الناس من الجنة والناس
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

كل نبي
عليه الص[illegible]

يولد الا والشيطان يمسه حين يولد ويستهل صارخا من مس الشيطان
الا مريم وابنها وهو المذكور في اية اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم وليس هذا مخصوصًا بعيسي كما قد يتوهم من ظاهره وفي شرح مسلم
عموم عدم طعن ابليس ونخسه لم يتم عليه دليل غير عصمة الانبيا ولا يلزم
منها ان لا يمس انما يلزمها عدم الاغوا والاذية لهم ولا يلزم من اختصاص
عيسي بهذه المنقبة تفضيله علي نبينا صلي الله عليه وسلم وذكر امته معه مما
يدل عليه دلالة ظاهرة فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن لافضل
منه نعم حديث مولده صلي الله عليه وسلم الدال علي انه لم يستهل دال
علي انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسي وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن
الشيطان من القرب منه لا لمن امتلات الارض بالملايكة الحافين به فتدبر
ولما ساق مسلم حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا
من نخسه قال القرطبي في شرحه اي في اول وقت الولادة يسلط عليه
بنخسه الا مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام لدعوة امها بعني قولها
اني اعيذها بك الاية وامها امراة عمران وهي حنة بنت فاقود وهو
عام شامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا ومع ذلك عصمهم
الله منه لقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين
وقد خص الله نبينا صلي الله عليه وسلم بان قرينه اسلم فلا يامر الا بخير وهذه
لم يوتها غيره انتهي وقد تقدم ما في ذلك ثم قال وقوله مسلم صياح المولود
نزغة من الشيطان روي بنون وزاي وغين معجمتين وروي فزعة بفا وعين
مهملة وللزمخشري في تاويل الحديث تخيل يا باه الحق الصريح فان اردته
فانظر الكشاف وشروحه **وقال صلي الله عليه وسلم حين لد** بالبنا للمجهول من
اللدود بفتح اللام ودالين مهملتين بينهما واو دوا او مايع من ما واجزا حارة
يوضع في احد شقي الفم يتغرغر به ثم يشربه واسما الادوية بهذه الزنة
كالسعوط ولما لدوه صلي الله عليه وسلم قال لا يبقي احد في البيت الا لد
عقوبة لهم لما نالهم **في مرضه** الذي مات فيه فالاضافة فيه للعهد **وقيل له**
صلي الله عليه وسلم **خشينا** اي خفنا عليك **ان يكون بك** اي وقع بك واصابك
ذات الجنب وهو اسم لمرض يكون في باطن الجنب كالدمل ولذا انث وهو مخوف
قل من يسلم فهو مونث باعتبار انه سمي ذبيلة لا لانه لا يصدر الا مرة واحدة
كما قيل الا انه امر تبع فيه الشراح بعضهم بعضا وهو مخالف لما قرره الاطبا
فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطبا انه قد يكون في المعدة وذات
الجنب في الخاصرة واسمها معرب عن معناها **فقال** صلي الله عليه وسلم **انها**
اي ذات الجنب **من الشيطان** اي هي وخز يصيب الناس من الشياطين كالطاعون
لا انه بسبب وسوسة كما قيل وليست ايضا من طعنه المولود حين يولد

ولم

ولم يكن الله ليعصمنه له **ليسلطه عليه** تعظيمًا له صلي الله عليه وسلم ومن اللطايف
ما قلته مماجنا لبعض الاخوان وقد تزوج بعجوزة

يا خليلي قد اصطفيت عجوزا ... هي دا من الممات اشد
قال ذات الجنب ابتليت بها ... مالي لدود لها وخصمي الد

وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات الجنب تسمي الخاصرة وهي
من تسمي الاستقام الذي استعاذ منه صلي الله عليه وسلم وكانت تصيبه صلي الله
عليه وسلم فيظنها عرق الكلية وهو مرض اخر ومن هنا علم خطا من قال انها
لا تصيبه الا مرة كما تقدم ولما ارادوا ان يلدوه صلي الله عليه وسلم اشار اليهم
بالمنع منه فظنوه لكراهة المريض الدوا فلما افاق قال لا يبقي احد في البيت
الا لد كما مر وكونها من الشيطان ومن طعنه ورد في احاديث اخر واليه يومي
قوله **فان قيل فما معني قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية** فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم فان اصل معني النزغ لغة ادخال شي مفسد كالطعن
كما ذكره الراغب فاتصال السوال بما قبله وبما عقد له الفصل في غاية
الظهور وان اطال فيه بعضهم بغير طايل يفيده وحاصله ان الله عصمه
صلي الله عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه باذيته او وسوسته وفي الاية
ما يوهم خلافه وان كانت ان الشرطية لا تقتضي الوقوع ولو سلم فالمراد منه
لجعل ما يصيبهم كانه يصيبه واسند النزغ للمصدر مجازا كقوله جد جده
واصل النزغ الطعن ثم شاع في كل مفسد كما علم **فقد قال بعض المفسرين** في تفسير
هذه الاية **انها** اي هذه الاية **راجعة الي قوله** تعالي قبل **واعرض عن الجاهلين ثم قال**
الله **واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك غضب** اي لا يكاف السفها
الذين خفت احلامهم اذا اغضبوك بمثل افعالهم واعرض عنهم ولذا قيل ان هذه
الاية جامعة لمكارم الاخلاق ولذا قال له جبريل لما ساله صلي الله عليه وسلم
عنها ان الله امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
يحملك علي ترك الاعراض عنهم لجزايه لهم بمثل فعلهم **فاستعذ بالله** اي قل اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ولا تطعه وتفعل بنزغه وهذا من مكارم الاخلاق لا من
امر يشينه فان الغضب علي السفيه وجزاوه بمثل فعله تاديبا له لا يعد من
الامور الشيطانية والاستعاذة عند الغضب مشروعة وعلي هذا
ليست الاية منسوخة باية القتال كما قيل **وقيل النزغ هنا** اي في هذه الاية
الفساد مستعار من النزغ بمعني الطعن والنخس **كما قال تعالي** حكاية عن يوسف
عليه الصلاة والسلام **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** اي افسد
ما بيني وبينهم بما حملهم عليه في قصته معهم فالمراد هنا فساده بوسوسته له
في حال غضبه وحمله علي ما لا يليق به فاذا خطر بباله يستعيذ بالله طلبا
للنجاة من كيده **وقيل** معني ينزغنك من الاغرا **يغرينك** بغين معجمة وراء مهملة

وهو الحث والتحريض على امر ما ويحركنك بازعاجك للانتقام ممن اغضبك والنزغ ادنى
الوسوسة اي اقلها الحديث النفس والتفكر واصل معنى الوسوسة الصوت الخفي ومنه
قيل لصوت الحلي وسوسة كما قيل

قالوا كلامك وسواس فقلت لهم وقد يقال لصوت الحلي وسواس

وهذا تقوله العامة وشوشه بالاعجام فامره الله في هذه الاية انه متى حركك اي طرا
عليه وعرض له غضب على عدو لسوء ما يصدر منه ادرام الشيطان من اغوايه به وايقاع
به كحته على فتكه فهو بغين معجمة وراء مهملة وفي نسخة اعوانه بعين مهملة ونون
وما في بعض النسخ من اغزانه بغين وزاي معجمتين فهو تحريف من النساخ والصواب
الاول وخواطر ادنى بمعنى اقل وساوسه جمع وسواس ما لم يجعل له سبيل اليه اي حماه من
التلبس بمثله لعصمته منه ان يستفيد منه بقبول امره لان مجرد الوسوسة والخطور
بالبال لا يضر في عصمته صلى الله عليه وسلم وان كان امرا ممنوعا وهذه الاية
في سورة الاعراف وهي المذكورة هنا ووقعت في سورة فصلت مسبوقة
بقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وهما متماثلان معنى وسياقا فيكفي بالبناء للمجهول اي يكفي الله رسوله
صلى الله عليه وسلم اذا استعاذ به والتجأ اليه امره اي امر الشيطان بوسوسته
لصرفها عنه ويكون ذلك سبب تمام عصمته لعصمته صلى الله عليه وسلم من مجرد
الخواطر وهو نهاية الحفظ والعصمة اذ لم يسلط الشيطان عليه بالتعرض
التعرض له فضلا عن التمكن منه وايصال الاذية له ولم يجعل له قدرة عليه
فيرجع خايبا خاسيا وقد قيل في هذه الاية غير هذا من التفاسير التي اقتصر
منها على ما يناسب غرضه فيما عقد له هذا الفصل وكذلك اي مثل ما ذكر
من حفظ الله له عن تسلط الشيطان عليه لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك
بان يتمثل بمثاله ويقول له انا ملك ارسلني الله اليك لحفظ الله له عنه ومنعه
من ان ياتيه في هذه الصورة وهذه شبهة اوردها منكر والنبوة بانه
من اين يعلم ان الاتي له ملك يبلغه الوحي عن الله لم لا يجوز ان يكون جنيا
ويلبس عليه امره فيلتبس الوحي بغيره لا يقع ذلك في اول الرسالة اي في اول امره
بدعوة الخلق الى الله ولا بعدها الظاهر بعده اي بعد الاول في اثنايه والاعتماد
اي اعتماده صلى الله عليه وسلم في حقيقة ما اتاه وعدم احتماله لغيره في ذلك
اي في عدم تلبيس الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك دليل المعجزة اي قوة
يقينه دليل على انه معجزة له او هو يعتمد في انه امر الهي على ما ظهر له من المعجزة
كتسليم الحجر عليه واظلال الغمام له ثم معنى قوله لا يصح اي لا يجوز عقلا ذلك
والقول بانه لا مدخل للعقل فيه وانه امر علم من الشرع ومعنى لا يصح انه ممنوع
من جانب الشرع كلام باطل بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه عن الله
الملك هذا هو الخبر او خبر بعد خبر ورسوله الذي ارسله الله من رسل الملايكة

حقيقة

حقيقة لا تمويها وتلبيسا عليه من غير شك فيه اما بعلم ضروري يخلقه الله له
بديهي غير محتاج لدليل لعدم تردده فيه او برهان ودليل قطعي يظهره
لديه مما يشاهده من معجزاته كنطق الحجر وتسليم الشجر وكذلك لتتم كلمة ربك
فتبلغ الغاية احكامه واخباره ومواعيده صدقا في خبره له ووعيده وعدلا
ما حكم به من احكامه التي بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل وحالان لا مبدل
لكلماته اي لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل الزيادة عليها
ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم اخر الشرايع وهذا تعليل لما ذكره
من حفظه صلى الله عليه وسلم من ان يتصور له الشيطان بصورة ملك فيكون
ما يلقيه امرا مختلطا قابلا للتغيير والتغيير ولذا عقبه بقوله فان قيل فما معنى
قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية
فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم التمني هنا بمعنى
التلاوة والامنية الكلام المتلو لان التمني ما يتصوره الانسان في نفسه والمتلو
كذلك فما حاصل السوال المذكور انك قلت ان الشيطان لا يتسلط على الانبيا عليهم
وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام بوسوسته وهذه الاية تدل على ان الشيطان
لعنه الله يخلط عليهم فيما اوحي اليهم عند تلاوته وهذه الاية تدل على ان بين
النبي والرسول فرقا وقد اختلفوا في الفرق بينهما بعد الاتفاق على انهما من ينزل
عليه الملك بالوحي والمشهور ان الرسول اخص من النبي وهو من يكون مامورا
بالتبليغ وله شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب ويستعمل كل منهما
بمعنى الاخر فقد من جميع ذلك فاجاب بقوله فاعلم ان للناس اي للعلما
لانهم هم الناس اقاويل جمع قول فهو جمع الجمع منها اي من جملة هذه الاقاويل
السهل والوعث اي ما هو ظاهر سهل فهمه ومنها ما هو خفي يعسر فهمه وهو مستعار
من المكان السهل وهو المنبسط الذي يسهل المشي فيه والوعث المكان الكثير الرمل
الذي يشق المشي فيه ومنه ارض وعثا ثم استعمل مجازا او استعارة لمعنى المشاق
ومنه ما ورد في الحديث اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر اي مشقته فلهذه
الكلمة هنا موقع ليس للمشقة فالمعنى منها ما هو ظاهر تسلكه الافهام بسهولة
ومنها ما هو صعب يشق على اقدام الافهام وهو بفتح الواو وسكون العين
المهملة والمثلثة والسمين مستعار من السمن وهو الممتلي باللحم والشحم والغث
بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة ضده وهو الناقة المهزولة ولذا استعير لما فيه
من فوايد جليلة ولما خلا عنها يعني ما جمع بين حسن العبارة وجزالة المعنى
واولى ما يقال فيها اي ما يقال في تفسيرها واولى بمعنى احق بالقبول او بمعنى
اقرب كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الميراث فلاولى رجل ذكر اي اقرب
من الميت وهو اعصبه ما عليه الجمهور اي ما استقر عليه راي الجمهور اي الاكثر
من المفسرين ان التمني هنا اي في هذه الاية التلاوة معناه لانه تفعل من مني بمعنى قدر

كما قال الشاعر

لا تامنن وان امسيت في حرم ... حتى تلاقي ما يمني لك الماني

اي ما قدره لك المقدر والتمني امر يقدره المرء في نفسه وهو بمعنى تلا قال

تمنى كتاب الله اول ليلة ... تمني داود الزبور على رسل

والقا الشيطان في قوله القى الشيطان في امنيته اي في متلوه شغله مصدر ربوز ضرب مضاف لفاعله اي شغل الشيطان للتالي بخواطر اي امور دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه واذكار جمع ذكر اي حديث نفس يذكره فيلهيه من امور الدنيا بيان لهما للتالي صفة لخواطر واذكار اي كاينة وعارضة له حتى علة لشغله يدخل مضارع ادخل وفاعله ضمير الشيطان ومفعوله الوهم في قوله عليه اي على التالي الوهم اي الغلط او مضارع دخل فالوهم فاعله والنسيان فيما تلاه او يدخل عليه غير ذلك اي غير الوهم والنسيان على افهام السامعين وبين ما يدخل على افهام السامعين بقوله من التحريف لما تلاه عليهم وسوء التاويل الناشي عن تحريف ما سمعوه ما يزيله الله مفعول الفا وينسخه اي يحوله من الباطل الى الحق ويكشف لبسه اي يزيله ويبينه ويظهره ويحكم اياته اي يحققها ويبينها وسياتي الكلام على هذه الاية مفصلا باشبع من هذا اي باكثر منه تفصيلا وهو استعارة من الشبع ضد الجوع لان العلم غذا الارواح وهذا التفسير هو المنقول عن السلف وهو احسن ما قيل فيها كما قاله النحاس وهو المنقول عن ابن عباس كما سياتي وتفسير التمني بالتلاوة مشهور في اللغة والتفسير كما علم وذكر الكسائي والفراء انه يقال تمنى اذا حدث نفسه قال القرطبي وهو المعروف في اللغة ومن قال انه والذي فيها اعم منه فقد قصر فانه قد صرح به الراغب في مفرداته فليت شعري ما هذه الكتب التي راها وفتشها وليس هذا منافيا لما ذكره اولا من عصمة الانبيا عن الوساوس لان الذي عصم منه الانبيا الخواطر القارة واما مجرد الخواطر فلا تضرهم ولا يقروا عليها وبه صرح الثعلبي في تفسيره وقد حكى الامام ابو الليث الحنفي السمرقندي وقد تقدمت ترجمته في تفسيره انكار قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وهو حين اخذ خاتمه الذي يتصرف في ملكه به بامر الله فهرب سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان رد الله عليه الخاتم وان ذلك الشيطان كان يسمى صخرا الى ما ذكره القصاص من الخرافات في قصته وقد رده ايضا بان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبسوطة بعد هذا لذا ذكرنا قول من قال في هذه القصة ان الجسد الذي ذكره الله في قوله والقينا على كرسيه جسدا هو الولد الذي ولد له حين قال صلى الله عليه وسلم لاطوفن على نسائي هذه الليلة وتحمل كل واحدة منهن بذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شا الله وكان له تسعون امراة فلم تحمل منهن غير واحدة بشق رجل واهل القصص ذكروا فيه غير ذلك كما سياتي ان شا الله

تعالى

تعالى وما ذكره السمرقندي هو المعتمد عند المفسرين وقد حكى ابو محمد مكي وقد مرت ترجمته في قصة ايوب نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو كما قال ابن اسحاق ايوب بن اموص بن تارح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وقيل غير ذلك وكان في زمن يعقوب وتحته ابنته وابوه امن بابراهيم وامه بنت لوط وقد فصل احواله صاحب مراة الزمان وذكرنا منها طرفا في غير هذا المحل وقيل انه بعد سليمان وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب اي الم ومشقة عظيمة ونصب بمعنى تعب يعني ما اصابه في بدنه وقرئ بضم وسكون وفيه قراات اخر انه بالكسر مقول القول لا يكون لاحد ان يتاول اي يفسر ما ذكر في هذه الاية برايه فيقول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر بالضم وهو المرض في بدنه لان الله تعالى عصم الانبيا عليهم الصلاة والسلام من اذيته وتسلطه عليهم ولا يكون اي لا يقع ولا يصح ذلك اي كون الشيطان امرضه الا استثنا منقطع اي لكن كل ما يصيبهم بفعل الله وامره اي تقديره ليبتليهم اي يوقع بهم بلا من مرض وغيره ويثيبهم اي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما ابتلاهم وفي نسخة ويثبتهم من الثبات بمثلثة وموحدة ومثناة اي يصبرهم حتى يكون منهم ثبات على شكره والرضا بقضايه وهذا اشارة لما ذكر في القصص وبيان لرده وان ذكره بعض المفسرين لما في ظاهر الاية من اسناد ما مسه للشيطان وهو اسناد مجازي تادبا مع ربه في عدم اضافة الشر له لان كل ما صدر عنه خير من حيث صدوره عنه والذي قالوه ان الشيطان لعنه الله حسده لما راه من نعم الله عليه وكثرة تصدقه وكان ابليس اذ ذاك لا يحجب عن السما فقال يا رب لو سلطتني عليه لكفرك فقال اذهب فقد سلطتك على ماله واهله وجسده وكانت زوجته رحمة بنت لوط عليه الصلاة والسلام وقيل بنت افرايم بن يوسف فاصابه قروح عمت بدنه واهلك ماله وولده ودود وكان ينفخ في بدنه فتقرح كله وقعد الملعون في الطريق يتطبب فقالت له زوجة ايوب ان هنا عبدا مبتليا فهل لك ان تداويه فقال نعم ان قال لي انت شفيتني فاخبرته زوجته بذلك وبلك هو الشيطان ان عافاني الله لاجلدنك مائة جلدة فكان ما كان من امر الضغث ثم اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وركض برجله فنبعت عين ما اغتسل منه فرد الله عليه صحته وجماله وكان مدة بلايه سبع سنين وزيادة وقد ذكر ابن الجوزي هذه القصة وبين ما لم يثبت فيها قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله اراد باهله زوجته رحمة ويصح ان يراد به ظاهره فهو على هذا لم يصب بشي في نفسه وانما اضاف ما اصاب اهله اليه مجازا وقد قدمنا ما وسوس به لاهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع نبي الله

عليه الصلاة والسلام وهو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف بن يعقوب
كان في زمن موسي عليه الصلاة والسلام وهو الذي اقام لبني اسرايل احكام
التوراة بعده وقسم الشام بين بني اسرايل وقاتل الجبابرة وردت له الشمس
كما مر وتفصيل احواله معلوم من التواريخ وهو فتي موسي المذكور في القران **وما**
انسانيه الا الشيطان ووجه السوال انه نبي وقد سلط عليه الشيطان حتي
انساه ذكره وسياتي جوابه وان اذكره بدل من مفعول انسانيه **ومثله قوله**
تعالي عن يوسف عليه الصلاة والسلام **فانساه الشيطان ذكر ربه وكذا قول نبينا صلي الله**
عليه وسلم حين نام عن الصلاة اي صلاة الصبح فنام حتي فاته وقتها فقضاها
بعد طلوع الشمس **بوادي** اي فيه متعلق بنام او بالصلاة وهو واد بقرب
مكة وكان صلي الله عليه وسلم لما نزل به امر بلالا ان ينبهه اذا طلع الفجر فغفل
عنه فنام صلي الله عليه وسلم حتي ادركه حر الشمس كما في الموطا وفي البخاري
عن عمران بن حصين كنا في سفر مع رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي كنا في اخر
الليل وقد رقدنا رقدة لا ارقد احلا منها عند المسافر فما ايقظنا الا حر الشمس
فكبر عمر رضي الله عنه فاستيقظ رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانوا قالوا
له لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال
بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فنام
حتي طلعت الشمس وقال ما القيت علي نومة مثلها قط فامرهم رسول الله
صلي الله عليه وسلم بالارتحال عن الوادي ثم نزل فتوضي واصلي بهم
وفي مصنف عبد الرزاق عن عطا بن يسار انه كان ببطن تبوك ونحوه
في دلايل البيهقي وقيل انه كان بغزوة موتة فقال صلي الله عليه وسلم لما انتبه
ان هذا واد به شيطان وفي هذا الحديث انه صلي الله عليه وسلم قال ليأخذ
كل رجل براس راحلته فان هذا منزل حضرنا فيه شيطان واخر الصلاة
حتي خرجوا من ذلك الوادي كما مر اذ لم يكن تركها قصدا وانما تحول عن الوادي
كراهة ما اصابه من الغفلة والا انه يخشي فيه من اعدا المسلمين لا لان الوقت
كراهة فان قلت كيف هذا مع قوله صلي الله عليه وسلم تنام عيناي ولا
ينام قلبي قلت اجاب عنه المص فيما ياتي وتبعه النووي بان القلب
لا يدرك ما تدركه الحواس الظاهرة كالعين والاذن وانه صلي الله عليه وسلم
كان له حالان في احدهما وهو الاكثر ان قلبه لا ينام وفي بعض الاحيان تنام
عينه وقلبه لعارض كتعب سفر ونحوه وفيه تشريع للقضا وتاخيره
ولو كان قلبه الشريف يقظان لم يتاخر صلي الله عليه وسلم في تاخير الصلاة
والجواب الثاني هو الاولي وهذا الحديث له اصل ايضا في مسلم عن ابي
هريرة وله طرق اخري وقال القرطبي اخذ بعض العلما بظاهره فقال
من انتبه من نومه عن صلاة فاتته في سفر فليتحول عن موضعه وقيل انما

يستحب

يستحب في ذلك الوادي بعينه كما في قصة ابار ثمود وقيل انه مخصوص
به صلي الله عليه وسلم لان مثل ذلك لا يطلع عليه غيره ولا باس بالقول باستحبابه
مطلقا وهو مناف لحديث البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها
لا كفارة لها الا ذلك وسياتي ما فيه عند ذكر الجواب عنه **وما معني قول**
موسي نبي الله **صلي الله عليه وسلم في وكزه** وفي نسخة وكزته ومعناهما واحد
والوكز الدفع والضرب بجمع الكف ووكزه المراد به وكز القبطي المذكور في القران
هذا الوكز من عمل الشيطان وهو مقول القول وهو معصوم فكيف وقع منه ما وقع من
قتل من لم يومر بقتله فلذا اسماه ظلما واستغفر منه ووجه السوال ظاهر
وكان موسي صلي الله عليه وسلم قبل النبوة يركب مع فرعون في مواكبه الا انه لم
يكن علي دينه فلحقه مرة في وقت القايلة او بين العشاين فدخل مدينة منف
في وقت غفلة فوجد رجلين يقتتلان احدهما قبطي والاخر من بني اسرايل
من قوم موسي فاراد القبطي ان يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسي لينصره
عليه ونصرة المظلوم واجبة في ساير الملل فوكزه موسي بيده او بعصا ليدفعه
فقتله ولم يكن هذا ظلما منه صلي الله عليه وسلم وانما جعله من عمل الشيطان
استعظاما لتركه الاولي ولم يضفه الي الله تادبا منه **فاعلم** جواب الشرط
في قوله فان قلت **ان هذا الكلام** المذكور عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام في
السوال **قد يرد** في القران والحديث ما هو اعم منه او بمعناه **في جميع هذا المحكي**
عنهم **علي مورد مستمر** بالاضافة لكلام اي طريق معروف في استعمال **كلام العرب** او هو
فاعل يرد اي دابهم في كلامهم ومعتادهم فيه والاول هو الظاهر وفاعل
يرد ضمير الكلام **في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل** بيان لكل قبيح كقبح
الشخص في منظره والافعال القبيحة الصادرة من الناس فيقولون
للقبيح هو شيطان ويضيفون الافعال القبيحة له وقوله **بالشيطان** متعلق
بوصفهم **او فعله** مجرور معطوف علي الشيطان فاذا راوا شخصا قبيحا قالوا هذا
فعل الشيطان **كما قال تعالي** في شجرة الزقوم التي في جهنم **طلعها كانه رووس الشياطين**
ما فيها مما يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها تشبيها تخييليا بذلك
لما استمر عندهم من تشبيه كل قبيح بها وان لم يروها وهذا كقول امري القيس
ومسنونة زرق كانياب اغوال كما بين في كتب المعاني وقيل الشياطين
حيات كبيرة هايلة **وقال صلي الله عليه وسلم** في حديث رواه الشيخان في المار
بين يدي المصلي **فليقاتله فانما هو شيطان** والحديث رواه مسلم عن ابي سعيد
الخدري رضي الله تعالي عنه وفيه اذا صلي احدكم الي شي يستره فاراد احد
ان يجتاز بين يديه فليدفعه في نحره فان ابي فليقاتله فانما هو شيطان
والامر للندب لا للوجوب وانما يندب اذا كان بين يديه سترة وانما يفعل
ذلك اذا لم يرتد باسهل الوجوه وذكر المقاتلة مبالغة في شدة الدفع والا

فالمقاتلة افعال كثيرة لا تجوز في غير صلاة شدة الخوف وقوله هو شيطان
استعارة تصريحية شبهه بالشيطان في صدور الافعال القبيحة منه
وقيل انه مجاز مرسل لان الشيطان سبب لما فعله واما كونه حقيقة لقوله
شياطين الانس والجن فليس بشي لانه مجاز ايضا وانما كره ذلك لانه شغله عن خدمة
ربه وتوجهه اليه وايضا من اض اذا رجع اي نرجع الى الجواب عما مر في السوال
فان قول يوشع عليه الصلاة والسلام وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره الذي
حكاه الله عنه لا يلزمنا الجواب عنه لعدم وروده على ما قررناه من عصمة
الانبيا عن تسلط الشيطان عليهم اذ لم يثبت له في ذلك الوقت اي وقت
صدور هذا القول عنه وهو في خدمة موسى عليهما الصلاة والسلام نبوة
اي انه كان نبيا حال كونه مع موسى مصاحبا له في سفره وهو خادمه ويدل
على ذلك قوله تعالى وفي نسخة قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه الخ والفتى
في الاصل معناه الشاب فاستعمل بمعنى العبد والخادم لان الغالب استخدام
الشباب وتوقير الكبار وهو من الاداب الشرعية ففي الحديث انه صلى الله
عليه وسلم قال لا يقل احدكم عبدي وامتي ولكن يقول فتاي وفتاتي وانما
سمي يوشع فتى موسى لانه كان يلازمه فيقوم مقام العبد ويقال انه ابن
اخته وهو يوشع بن نون كما في صحيح البخاري والمروي عن العلما
الثقات انه انما نبي اي جعله الله نبيا واوحى اليه بعد موت موسى وقيل
انه نبي قبل موته اي موت موسى عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ قبيل
بالتصغير اشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسياتي فيه كلام ايضا وقد
قيل انه نبي في حياته فكان اذا سأله عما اوحي اليه يقول حسبتك كذا وكذا
ولم اسالك عما اوحي اليك فلما راى ذلك كره الحياة وسأل ربه ان يقبضه اليه
وقيل الاصح انما نبي بعد موسى وقول موسى عليه الصلاة والسلام في وكز القبطي
انه من عمل الشيطان كان قبل نبوته فلا يرد السوال به لان الكلام في عصمة
الانبيا عن تسلط الشيطان عليهم بدليل القران فاندفع فيه القصة على انه
انما نبي بعد ذلك كما يعرفه من عرف الاية وتفسيرها في سورة القصص فانها
قبل خروجه لمدين واستيجار شعيب له ومكثه عنده فانه صرح في الاية بانه بعد
ذلك وقوله في الشرح الجديد ان المراد بقول موسى ما قاله ليوشع وان
ما في القران ذكره بانه فتاه دون ان يقول نبي الله منع مخالفته للشروح واوجه
له وقصة يوسف وما فيها مما عقد له الفصل الجواب عنها انه قد ذكر بالبنا للمجهول
اي ذكر علما التفسير وغيرهم انها كانت قبل نبوته اي قبل نبوة يوسف عليه
الصلاة والسلام فلا يمتنع قبلها ان يخطر عليه خاطر ينسيه به ذكر ربه المشار
اليه بقوله فانساه الشيطان ذكر ربه وهذا احد قولين فيه وقيل انه نبي
في الجب وهو على حجر مرتفع فيه بدليل قوله تعالى واوحينا لتنبئنهم بامرهم

هذا

هذا او هو قبل مجيبه لمصر وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وهو ابن
ثمان عشرة سنة ومن الانبيا من نبي صغيرا قبل الاربعين فعلى هذا اجاب
بانه انما كان استعان بمخلوق ومثله جائز وان لم يلق بمنصب النبوة فاضا
ما هو خلاف الاولى الى الشيطان تادبا ولا ضير فيه وهذا بنا على ان ضمير
الثاني راجع ليوسف وقد قال اكثر العلما المفسرون في قوله تعالى فانساه الشيطان قولين
اخرين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه ليس المراد به يوسف عليه الصلاة
والسلام والرب بمعنى السيد اي المالك وانما المراد احد صاحبي السجن وليس
المراد بصاحب السجن مالكه بل من طال حبسه فيه فالاضافة لادنى ملابسة
كقوله يا سارق الليلة اهل الدار وربه المراد به في الاية على هذا سيده وهو
الملك الشيطان انساه اي انسا الشرابي المسجون ان يذكر بزنة يقتل وفي بعض
النسخ بضم اليا وكسر الكاف المشددة والاول هو الصواب لانه الموافق لقوله
اذكرني عند ربك للملك شان يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن والورطة
التي وقع فيها وكان دخل معه فتيان من عبيد الملك احدهما شرابيه الذي
يسقيه الشراب وكان الملك عمر فيهم طويلا فدسوا في شرابه سما فلما اخبر به
الملك حبسهما فالتقيا يوسف وهو مسجون معهما وراى كل منهما رويا قصها
على يوسف وبينها له ثم قال لمن راه ناج منهما وهو الشرابي اذا خلصت
اذكرني عند ربك يعني الملك فتسلط الشيطان عليه حتى انساه ان يذكر
للملك قصة يوسف فعلى هذا لم يتسلط الشيطان على يوسف حتى يرد السوال
والى ذلك اشار المص وايضا اي مثل ما ذكر في جواب الشبهة عن قصة يوسف ويوشع
فان مثل هذا النسيان المذكور من قبل الشيطان بكسر القاف وفتح البا الموحدة بمعنى
عند وجانب يقال لفلان قبل فلان كذا اي عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك
مهطعين وفي بعض النسخ من فعل الشيطان والجار والمجرور حال من اسم الاشارة
يفيد انها منه والخبر قوله ليس فيه تسليط على يوسف ويوشع او هو خبر بعد
خبر بوسواس متعلق بتسليط ونزغ بنون وزاي ساكنة وغين معجمتين وقد تقدم
معناه لعصمة الله لهما عن ان يكون له سلطان عليهما وعلى غيرهما من الانبيا
وانما هو الضمير لمثل بشغل خواطرهما بمعجمتين من الثلاثي ويجوز كونه من المزيد على
لغة غير فصيحة كما تقدم اي شغل ليس بطريق الوسوسة والتسليط بل بامر
اخر مما يرد على الخاطر ولا يستقر وهو تذكيرهما اي يوسف ويوشع من امورهما
ما ينسيهما بالتشديد للمهملة والتخفيف ما نسيا اي يذكران نسيانه من احوالهما
السالفة كاستعانة يوسف بمخلوق وشان الحوت الذي نسيه يوشع ونسباه
للشيطان تادبا كما مر لا محذور فيه واما قوله اي قول نبينا صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي تقدم بيانه وروايته عن مسلم ان هذا واد به شيطان وتقدم
بيان الوادي ومكانه فليس فيه اي في هذا الحديث ما يقتضي ذكر تسليطه اي

الشيطان عليه صلى الله عليه وسلم ولا وسوسته له صلى الله عليه وسلم لعصمته
وتنزاهته عن مثله فهو لا يقدر على ان يقرب من سرادق حمايته بل ان كان ذكر في
الحديث ما يوهم تسلطه عليه فمقتضى ظاهره قبل التامل فيه فقد بين وكشف صلى الله عليه وسلم
فيه امر ذلك الشيطان في هذه الواقعة بقوله صلى الله عليه وسلم في رواية مالك
والبيهقي عن زيد بن اسلم ان الشيطان اتى بلالا بعدما امره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يرتقب طلوع الفجر ويوقظه صلى الله عليه وسلم من نومه فلم يزل الشيطان
يهديه كما يهدى الصبي الصغير في مهده حتى نام بلال فلم يستيقظ حتى اصابه صلى الله
عليه وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي
اخذ بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله يهديه بضم المثناة التحتية وسكون
الهاء ودال مهملة مكسورة مخففة واخره يا ساكنة وهمزة مضمومة او هو بفتح اوله
وسكون ثانيه وفتح داله وبعده همزة او الف ودال مشددة الا انه رسمه
باليا في النسخ وكذا يهدى في قوله كما يهدى الخ قال الجوهري هدأ هدءا
وهدوا اذا سكن واهدأت الصبي اذا سكنته وامررت يدك عليه لينام
وكذا في القاموس وافعال ابن القطاع وغيرهم ومثله هدّاه بالتشديد مهموزا
ومعتلا وهدهده بنون وهدهده كله بمعنى تحريك الصبي او مهده لينام
والحديث في الصحيحين فاعلم ان تسليط الشيطان في ذلك الوادي الذي
نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى فاتتهم
صلاة الفجر به وقد رجعوا من الغزاة انما كان تسلطه على بلال رضي الله عنه
لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى يرد السؤال
الموكل بفتح الكاف المشددة اسم مفعول اي المعتمد عليه في الحفظ عن خروج
الوقت بكلاءة الفجر بكسر الكاف كالحراسة وزنا ومعنى فهو ممدود مهموز وقد
تبدل همزته يا كما في النهاية يقال كلأه يكلؤه اذا حرسه وضمن معنى المراقبة
اي مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير مضاف
وله وجه وجيه هذا اي ما ذكر من ان تسليط الشيطان انما كان على بلال
ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان هذا واد به شيطان تنبيها
مفعول له على سبب النوم عن الصلاة بنا على ان المراد ان الشيطان تسلط
على من غفل عن الصلاة حتى فات وقتها بطريق من الطرق لكن ليس المسلط
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بلال وان الشيطان تحيل عليه
في غلبة النوم كما تتحيل الام والداية على طفلهما حتى يستغرق في نومه
واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي فانه صلى الله
عليه وسلم لما استيقظ من نومه امرهم بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه
واد به شيطان كما مر وعلة لترك الصلاة فيه لان الافضل في قضا الصلاة
الفائتة بعذر ان يبادر بقضائها في اول تذكرها فلما ترك ذلك وارتحل

وقال

وقال ان هذا واد به شيطان دل مساق كلامه على ان كونه لم يصل به لذلك فليس
فيه ما يقتضي ان الشيطان تسلط على بلال فضلا عنه صلى الله عليه وسلم
وهو اي ما ذكر من انه علة لارتحاله وترك الصلاة دليل فعيل بمعنى مفعول
اي مدلول مساق بفتح الميم مصدر بمعنى سياق حديث زيد بن اسلم والسياق
ما يفهم من ذكر شيء وزيد تقدم بيانه وهو هذا الحديث المذكور لكنه من طريق
اخر رواه مالك في الموطا والبيهقي عن زيد بن اسلم وعلى هذه الرواية التي
يفيد سياقها ما ذكر فلا اعتراض به اي بهذا الحديث في هذا الباب الذي عقد لكون
الشياطين لا تسلط لهم على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بوسوسة ونحوها
لبيانه اي بيان حديث زيد لما ذكر ووضوح دلالته عليه وارتفاع اشكاله
اي زواله بالكلية حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله لما يخالفه

فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم لما كان هذا الباب
معقودا لعصمة الانبيا في عقايدهم واحوال قلوبهم واقوالهم وافعالهم قدم الكلام
على الاول لانه الاهم والاساس وعقبه بالثاني وهو ما يتعلق باقوالهم فقد
قامت الدلايل اي صحته وثبتت فصارت كالعماد والسناد الذي يقوم به غيره والدلايل
جمع دليل وقد قال ابن مالك في شرح كافيته انه لم يات فعايل جمعا لفعيل اسم
جنس وان جاز بطريق القياس وفي الايات البينات انه يحتمل ان يكون جمع دلالة
بمعنى دليل وفعالة تجمع على فعايل قياسا مطردا وقد قال امام الحرمين ان
الدليل يسمى دلالة والظاهر انه مجاز انتهى وقد تقدم التنبيه على هذا ايضا
الواضحة اي الظاهرة القاطعة العقلية والنقلية من الايات والبراهين بصحة
المعجزة اي المعتضدة بصحة معجزاته او الباء تجريدية كما في قوله فسل به خبيرا
على احد القولين وهذا احسن واقوى على صدقه اي انه صادق فيما اخبر به
ووجه الدلالة تقرر لك في الاصول والاصح انها دلالة عقلية اظهر من الشمس
واجمعت الامة على صدقه صلى الله عليه وسلم وصدق اخباره فيما كان طريقه البلاغ
وهو مصدر او اسم مصدر بمعنى التبليغ عن ربه ما اوحي اليه لانه لازم الرسالة
انه معصوم فيه اي فيما امر بتبليغه للخلق عن ربه من الاخبار متعلق بمعصوم عن شي
منها اي مما طريقه البلاغ ملتبسا بخلاف ما هو به الباء بمعنى على او للملابسة
اي لا يخالف شي من اخباره الواقع لا قصدا للخلاف حتى يكون كذبا وقوله ولا عمدا
ان فسر بالقصد فهو عطف تفسير كما قاله الراغب وان قيل القصد ما كان
بسبب والعمد ما كان بلا سبب كما قال التلمساني فهو تاسيس وهو الاولى
ولا سهوا وغلطا الاول ما كان بغير قصد والثاني ما قصده خطا الظن واقعا
وفي نسخة وغلطا بالواو واو اذ في هنا اما تعمد الخلف في ذلك اي في
الاخبار عما طريقه البلاغ فمنتف عنه لانه غير لايق بمقامه والخلف قيل انه
بضم الخا بمعنى الكذب في اخباره عن امر مستقبل والكذب يكون عن الماضي وقيل

انه بفتحها وسكون اللام بمعنى الباطل واصل معناه القبيح الردي
ومنه المثل سكت الفا ونطق خلفا وتفسيره بالمخالفة غير متجه الا
ان يريد مخالفة الواقع فيرجع لما قبله وقوله بدليل المعجزة متعلق
بمنتف القايم مقام قول الله لمن بعث اليهم الرسول صدق رسولي ونبيي فيما
قال لكم وبلغكم عني بدليل معجزاته التي هي برهان قاطع على صدق مدعاه
اتفاقا وباطباق اهل الملة اي اتفاقهم على ذلك واصل معنى الاطباق
جعل الشي مطابقا للاخر اي موافقا له اجماعا منصوب بنزع الخافض اي
اطباقهم ثابت بالاجماع منهم وقوله اهل الملة اشارة الى بطلان قول
البراهمة والصابية باستحالة ثبوت النبوات عقلا كما تبين في علم الكلام
ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب المعتزلة وبعض الشيعة الى انها
واجبة عقلا من جهة اللطف وذهب الاشعري واهل السنة الى القول
بجوازها عقلا ووقوعها عيانا وادلتهم مفصلة في كتب الكلام ولما كان
كل خبر محتملا للصدق والكذب من حيث هو قالوا الدليل على صدقه صلى الله
عليه وسلم معجزته ولا يرد عليه قول المتكلمين انها فعل والفعل من حيث هو
لا يدل على الاختصاص بشخص معين الا باقترانه لدعواه ولاقتران اسباب
اخر كالات لخرق العادة احوال مختلفة واذا احتملت الوجوه عقلا لم تثبت
الدلالة لان القرينة والتحدي دالان على بطلان هذه الاحتمالات
وسبيل تعريف الله عباده صدق الرسالة بالايات الخارقة للعادة كسبيل
تعريفهم الالهية بالايات الدالة عليها والتعريف يكون بالقول تارة وبالفعل
اخرى فالتعريف بالقول كقول الله للملايكة اني جاعل في الارض خليفة وبالفعل
كتعجيزهم عن معارضة ما علمه من الاسما وتعجيز الخلق عن معارضة القران المنزل
على نبينا صلى الله عليه وسلم ودلالة المعجزة على صدقه دلالة عقلية وهذا معنى
ما قاله المص كما تقرر في علم الكلام واما وقوعه اي وقوع خبره على خلاف ما هو عليه
فيما طريقه البلاغ على جهة الغلط في ذلك من غير تعمد وقصد منه بل بسهو
ونحوه فبهذه السبيل اي طريق انتفايه كطريق انتفا العمد فيه عنه فان
الدليل الدال عليه دال على انتفا هذا ايضا لان الاول متفق عليه
وهذا مختلف فيه لكونهما على نهج واحد عند الاستاذ بضم الهمزة وسين
مهملة ساكنة ومثناة فوقية والف وذال معجمة وهي كلمة معربة معناه الرييس
في علم او صناعة وتفصيله في كتابنا شفا الغليل فيما في كلام العرب من
الدخيل ابي اسحق الاسفرايني وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران واسفراين
بكسر الهمزة وفتح الفا بلدة بخراسان وهو امام جليل متبحر في علوم الدين كلاما
وفروعا واصولا توفي بنيسابور يوم عاشورا سنة ثمان عشرة واربعماية
ومن قال بقوله واتبعه في هذه المسيلة يعني ان المعجزة تدل على صدقه صلى الله

عليه

عليه وسلم فيما قاله وانه لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا قصدا ولا غلطا
ولا سهوا بطريق من الطرق فمعجزته صلى الله عليه وسلم كما دلت على نبوته
دلت على صدقه وهذا القول ارتضاه المص ومن جهة الاجماع الدال على انه لم
يصدر عنه صلى الله عليه وسلم الكذب لا قصدا ولا سهوا وهو معطوف على
قوله بهذه السبيل فقط اي الدال على ذلك انما هو المعجزة والاجماع لا دليل
عقلي غيرهما وورود الشرع بانتفا ذلك اي انه ورد في الايات المتواترة
والاحاديث الصحيحة ما يدل على ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم على هدى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وغيره مما يدل عليه صريحا وتلويحا وما يدل
على ذلك ايضا عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ملكة نفسانية تمنع عن النقايص
والمعاصي والاعلام بما يخالف الواقع نقيصة تاباها العصمة وفي دلالة
ذلك على عدم صدور السهو منه نظر لا من مقتضى المعجزة اسم مفعول اي ليس
ما يدل عليه دلالة التزامية عقلية كدلالة اعتق عبدك عني على بعه لي
وقوله نفسها اشارة الى ان للمعجزة دخلا ما في ذلك عند القاضي ابي بكر الباقلاني
بتشديد اللام المالكي كما تقدم ومن وافقه على مذهبه وهذا مرتبط بقوله
ومن جهة الاجماع اي هنا والحاصل انه صادق فيما طريقه البلاغ
والدال على صدقه معجزته عند الاسفرايني وعند الباقلاني ورود
الشرع بذلك واجماع الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم وسبب
الاختلاف ونتيجته ما اشار اليه بقوله لاختلاف وقع بينهم اي بين
الاسفرايني واتباعه وبين الباقلاني ومن وافقه في مقتضى دليل المعجزة
اي في دلالتها على صدقه وانها بمنزلة قول الله انه صادق ام لا
لا نطول بذكره فانه بحث طويل صعب المدرك فيخرج عن غرض هذا الكتاب
الذي وضع لبيان شرف قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم من غير تطويل
واطناب يمل من غير تعرض للمباحث الكلامية فلنعتمد ما هو اصل مقصود
كاف فيما قصدناه على ما وقع عليه اجماع المسلمين من غير تعرض للدلالة
العقلية وما اجمعوا عليه هو انه لا يجوز بتخفيف الواو وتشديدها عليه
صلى الله عليه وسلم خلف في القول اي ما يخالف الحق الواقع في ابلاغ الشريعة
اي فيما طريقه ذلك مما امر بتبليغه والاعلام بالخبر به عن ربه تعالى وبما او
حاه اليه
من وحيه الذي نزل عليه الملك به بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال لا على
وجه العمد بان يتعمد الاخبار بخلاف الواقع ولا على غير عمد من خطا ونسيان
كما تقدم ولا في حال الرضى والسخط بفتحتين او بضم فسكون وهي كراهة
ذلك الامر المخبر به او في حال رضاه عمن خاطبه وسخطه عليه والرضى يقابله
كما في حديث اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك ويكون في مقابلة الجبر
والاكراه كما فعله برضاه اي اختياره وارادته لا قهرا وجبرا او على الوجهين

[illegible]

بدؤ ان الله يرضى بالكفر لعباده ام لا كما وقع بين الماتريدية والاشعرية في
تفسير قوله ولا يرضى لعباده الكفر هل المراد جميع عباده او خلصهم والاضافة تشريفية
كما فصل في محله والصحة والمرض اي لا يقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم في صحته ولا في حال
مرضه واختلاف مزاجه الذي قد يشوش الفكر مما يودي لمثله ذكر دليلا على
ما قاله من السنة فقال وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن وايل السهمي الصحابي المشهور
رضي الله عنه وهذا الحديث رواه عنه الامام احمد وابو داود والحاكم وصححوه وفيه
قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك قال نعم اي اكتب كلما سمعته مني قلت في الرضى والغضب اي
في حالتيك هاتين قال نعم اي اكتب ما تسمعه في حال رضاي وغضبي فاني لا اقول
في ذلك المذكور كله من حالتي الرضى والغضب الا حقا فلا يصدر عنه صلى الله
عليه وسلم ما يخالف الواقع لا عمدا ولا غيره لعصمة الله له في افعاله واقواله كلها
واشار بذلك ليفطنته او لرفعة محله في الصدق وفيه رد على منع كتابة الحديث ونقله
عن بعض الصحابة والتابعين وقال انهم كرهوه لحديث لا تكتبوا عني شيا غير القران
ومن كتب عني غيره فليمحه كما رواه مسلم والبخاري في قصة ابي شاه عام الفتح وقد اجيب
عنه بانه منسوخ او انه مخصوص بعصره في حياته صلى الله عليه وسلم اما بعده فصارت واجبة
او المراد النهي عن كتابة الحديث مع القران المختلط به او المراد لا تكتبوا عني شيا
كنت قلته ثم جا القران بما يخالفه واول ما دونت كتب الحديث في زمن عمر
ابن عبد العزيز رحمه الله كما ذكره الطبري في كتاب مناقبه ولنزدن بالمعجمة من
الزيادة وفي نسخة ولنزد فيما اشرنا اليه فيما مضى قريبا من دليل المعجزة عليه اي
دلالتها على ما ذكر بيانا مفعول نزد وهو توضيح وتاييد لما قاله الاسفرايني
فنقول تفصيل لهذه الزيادة اذا قامت المعجزة من اقامة الدليل اي دلت على صدقه
صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر به عن الله وانه لا يقول الا حقا وصدقا لتنزاهه عما سواه
وعصمة الله له عما عداه فقوله ولا يبلغ عن الله الا صدقا تاكيد لما قبله وان المعجزة قائمة
مقام قول الله صدقت في كل ما قلت لدلالتها على ذلك بطريق الاقتضاء والاستلزام فصارت
عبارة عنه بطريق الكناية وفي نسخة صدق عبدي فيما يذكره ويخبر به عني وهو يقول
اني رسول الذي ارسله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم مما اوحاه الله الي وامرني بتبليغه وابين
لكم ما نزل عليكم وفي نسخة اليكم وتنزيله عليهم بواسطته صلى الله عليه وسلم والمراد بنزوله
عليهم وصوله اليهم ونزوله على نبي بين اظهرهم والنزول في القران تارة ينسب
الى النبي صلى الله عليه وسلم وحده فيقال نزل وتارة الى الامة فالمراد بالاول مشافهة
ملك الوحي له وبالثاني مطلق الوصول والبلاغ او هو من قبيل بنو فلان قتلوا قتيلا
والقاتل واحد منهم ودلالة المعجزة على صدقه تقدم بيانها وظهورها على يد الكاذب
ممتنع عقلا وعادة وقال الشهرستاني في نهاية الاقدام من اصطفاه الله لرسالته
واجتباه لدعوته كساه ثوب جمال في الفاظه واخلاقه واحواله فتعجز الخلايق عن
معارضة شي من ذلك فتصير جميع حركاته معجزة لما دونهم من الحيوانات وما ينطق عن

قف على ما وقع بين الماتريدية والاشعرية في المراد بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر

قف على حديث لا تكتبوا عني شيا غير القران الخ

الهوى

الهوى اي ما يصدر عنه امر بمجرد هوى نفسه وتشهيه ان هو الا وحي يوحى اليه
وتقدم بيانه وبيان انها لا تدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يجوز له الاجتهاد وقد جاكم
الرسول بالحق من ربكم فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع وما اتاكم الرسول
فخذوه اي تمسكوا به وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ولا تقربوه لانه انما يامركم بما امره
الله وانما ينهاكم عما نهى الله عنه فان فسرت بما اعطاكم من الفيء فخذوه وما نهاكم
عنه من الفيء فلا تاخذوه فانه انما يعطي ويمنع بامر الله دل على ما ذكر ايضا بطريق
الفحوى والقياس فلا يقال ان الاية لا تدل على المراد على هذا التفسير فلا يصح ان يوجد
منه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وهو ما طريقه البلاغ عن الله خبر سمع منه او
صح عنه بخلاف مخبره بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وتخفيفه اي لا يصدر عنه خبر
غير مطابق للواقع على اي وجه كان من جهة الصادر عنه فلو جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم
الغلط والسهو فيما بلغه عن الله وقد حماه الله عنه لما تميز لنا من غيره اي ما تميز صوابه
الواجب اتباعه عن غيره او خبره من خبر غيره ولا اختلط الحق بالباطل ولم يتميز احدهما
عن الاخر فالمعجزة الخارقة للعادة المتحدى بها كما تقدم مشتملة على تصديقه اي ثبوت
صدقه فيما اخبر به عن ربه جملة واحدة اي في جميع ما جاء به من جميع اخباره وما
يبلغه عن الله من غير خصوص اي تخصيص لامر دون امر بدليل يقوم على التخصيص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم وتبرئة ساحته فيما بلغه عن ربه ذلك اي عن ان
يقع منه اخبار بما يخالف الواقع قصدا او غلطا او سهوا واجب وقوعه واعتقاده
برهانا اي بطريق البرهان القطعي العقلي المعلوم من المعجزة والتحدي بها كما تقدم
واجماعا من جميع اهل الملل الاسلامية وعلماء الدين كما قاله ابو اسحاق الاسفرايني بدليل
المعجزة القايمة مقام قول الله صدق رسولي فيما قاله لا كما قاله الباقلاني من انه
بورود الشرع والاجماع لا البرهان العقلي كما عرفت تفصيله فصل متمم لما
قبله وقد توجهت اي صدرت ووقعت في جهة من قولهم وجهه اذا ارسله في جهة
فتوجه ويكون توجه بمعنى اقبل وليس مرادا هاهنا اي في هذا المبحث لبعض الطاعنين
من الطعن وهو الضرب برمح ونحوه فاستعير للدخل والاعتراض كما قال تعالى طعنوا
في دينكم سوالات جمع سوال وهو طلب امر من الامور فقد يكون لتعلم ونحوه مما يحمد
وقد يكون تعنتا منهيا عنه وطلبا لامر منهي عنه كما قال تعالى لا تسالوا عن اشيا
ان تبد لكم تسوكم منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن جرير
وابن المنذر وابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير بسند فيه ما سياتي لما قرا في صلاته سورة
والنجم وقال اي بلغ في قراءته الى قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واللات
صنم كان لقريش او لثقيف والعزى تانيث الاعز وهي سمرة كانت لغطفان تعبدها
ومناة صخرة كانت لخزاعة وهذيل يعبدانها والثالثة الاخرى بمعنى المتاخرة الوضيعة
المقدار وهما صفتان لمناة وامرهن مبين في التفاسير غني عن البيان قال
قايل سمع ما قاله عند تلاوته صلى الله عليه وسلم كما سنبينه تلك المذكورة من اللات

وما بعدها الغرانيق العلا جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون
او غرنيق بضمها وفتح النون وهو طير من طيور الما كبير طويل العنق ابيض
واصله الشاب الناعم استعير للاصنام والعلا تجريد لزعمهم انها ترتفع للسما وان
شفاعتهم لترتجي اي تؤمل وتنتظر ويروي لترتضي اي تقبل عند الله بزعمهم الفارغ وفي رواية
وان شفاعتهن لترتجي وانها لمع الغرانيق يعنون الملايكة وفي رواية اخرى والغرانقة العلا تلك
الشفاعة ترتجي ومعانيها متقاربة فلما ختم اي اتم صلي الله عليه وسلم قراة هذه السورة
سجد صلي الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون ممن كان حاضرا عنده من الصحابة
رضي الله عنهم والكفار الحاضرون عنده ايضا لما سمعوه اثني علي الهتهم بقوله المتقدم
تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجي وما وقع في بعض الروايات لهذه القصة
ان الشيطان القاها اي هذه الكلمات علي لسانه فسبق لسانه بها سهوا منه ثم تنبه او نبهه
جبريل لها وكان ذلك ابتلا من الله ليعلم من ثبت علي ذلك او تزلزل وان النبي صلي
الله عليه وسلم كان لحرصه علي ايمان قومه تمني ان لو نزل عليه شي مما يوحي اليه يقارب
بينه وبين قومه اي يقربهم من الاسلام حتي يتركوا عنادهم وفي رواية اخرى لهذه
القصة انه صلي الله عليه وسلم كان تمني الا ينزل عليه شي ينفرهم عنه من الطعن فيهم
وفي الهتهم ولم يزل كذلك حتي نزلت عليه سورة النجم وهذه الرواية والتي
قبلها بمعني فان عدم التنفير عنه والقرب بينه وبين قومه متساويان وذكر
صاحب هذه الرواية وناقلها هذه القصة اي قراته صلي الله عليه وسلم سورة
النجم وسجوده وسجود المسلمين والكفار معه وان جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام
بالوحي فعرض عليه اي قرا عليه هذه السورة وفاعل عرض ضمير النبي صلي الله وسلم
فلما بلغ اي وصل في قراته هاتين الكلمتين يعني تلك الغرانيق العلا الخ قال له اي
قال جبريل له صلي الله عليه وسلم ما جيتك من الله بوحي فيه هاتين الكلمتين يعني تلك
الغرانيق العلا وفي نسخة الايتين فحزن اي رسول الله صلي الله عليه وسلم لذلك
وفي نسخة فحزن لذلك النبي صلي الله عليه وسلم اي لما قال جبريل له فانزل الله لما راي
حزنه صلي الله عليه وسلم تسلية له صلي الله عليه وسلم والتسلية اذهاب
حزنه بتطييب خاطره قوله وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الاية تقدم في تفسير
هذه الاية ما فيه كفاية وفي رواية ان النبي صلي الله عليه وسلم تمني ان يوحي اليه
ما يقرب قريشا منه ويستعطفهم فلما نزلت هذه السورة وقراها الي قوله ومناة
الثالثة الاخرى القي الشيطان عليه تلك الغرانيق العلا الخ فتكلم بها ثم مضي في قراتها
حتي ختمها فسجد معه من سمعه من المسلمين والمشركين رضا بما قاله لظنهم انه
رضي بالهتهم فلما امسي اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فعرضها عليه حتي بلغ
قوله تلك الغرانيق العلا فقال له ما جيتك بهذا وهذا لم ينزله الله فما زال صلي الله
عليه وسلم مغموما حتي نزل عليه قوله تعالي وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية
فطابت نفسه لتسلية الله له فيها باخباره ان كل نبي ورسول وقع له مثل ذلك من القا

الشيطان

الشيطان في الوحي وتلاوته في اثنايه ثم يبين له ذلك وينسخه الله فكانه قال
له لك اسوة بمن سبقك من الرسل والانبيا وانزل عليه صلي الله عليه وسلم
تسلية له ايضا وان كادوا ليفتنونك الاية اي قوله عن الذي اوحينا اليك
لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيا قليلا وان مخففة من الثقيلة اي قاربوا ان يخدعوك عما اوحيناه اليك
حتي تقول ما لم نقله مما ارادته قريش وحتي تركن الي بعض الكفرة لتستميل قلوبهم
للاسلام فبين الله لك ذلك وثبتك علي الحق واغناك عن المداراة كما فسره
المفسرون وبين في اسباب النزول اذا عرفت ما ذكرنا واردت كشف
غطايه عنك فاعلم اكرمك الله بما علمك وهداك لدفعه ان لنا في
الكلام علي مشكل هذا الحديث الذي اورده عليه بعض الطاعنين كما تقدم ماخذين
اي طريقين في الاخذ علي الكلام فيه نقلا وعقلا من اخذ عليه اذا منعه عما
يريد فعله حتي كانه امسكه من تشبث به واعتمد عليه ممن رواه احدهما في
توهين اصله اي تضعيف روايته ونقله من الوهن وهو الضعف
وجعل ثبوته اصلا للسوال والجواب المبني عليه واصل الوهن ضعف
الخلقة كقوله وهن العظم مني والثاني علي تسليمه وصحة روايته تنزلا وارخا
للعنان لمن اورده اما الماخذ الاول في الكلام علي صحة روايته فيكفيك
في تضعيف روايته ان هذا حديث لم يخرجه بالتشديد والتخفيف اي
لم يروه بسنده احد من العلما بالحديث اهل الصحة ممن يعتمد علي روايته
واتي باسم الاشارة مكان الضمير لتمييزه اكمل تمييز لقرب العهد به
ولا رواه ثقة ممن يوثق بنقله بسند سليم اي سالم من الطعن والعلة والجرح
من نقاد السلف متصل الي قايله ومن نقل عنه وانما اولع به بضم
الهمزة وكسر اللام وعين مهملة يقال اولع بكذا فهو مولع بالفتح اذا الهج
واكثر من ذكره ويكون بمعني الكذب وعبر به لان حاصل ذلك ومثله
من الاحاديث الموهمة لما لا يليق بالرسل عليهم الصلاة والسلام المفسرون
فانهم يوردون كثيرا من الاحاديث الضعيفة الموهمة لما لا يليق
بمقام النبوة والمورخون بالهمزة وقد تبدل واوا واهل التاريخ نقلة
الاخبار واختلف في لفظ التاريخ فقيل انه الارخ وهو الفتي من
البقر وقيل انه معرب ماه روز اي حساب الشهور والايام واول من
ارخ الكتب عمر بن الخطاب كما فصلناه في غير هذا المحل المولعون اي
المفسرون جمع مولع بفتح اللام وهو المكثر من الشي بكل غريب من الاخبار
والقصص التي لم تشتهر وتعرف المتلقفون بالمثناة الفوقية بعدها
لام وقاف وفا وفي نسخة المتلقون بحذف الفا يقال تلقفه اذا تناوله
بسرعة وتلقاه اذا اخذه من غيره والتلقي تفعل من اللقا وهو المقابلة

من الصحف كل صحيح لفظه ومعناه وسقيم لفظه كالمحرف لفظه ومعناه كالمفسر
بغير المراد والصحف جمع صحيفة والاخذ من الصحف غير مقبول عند
السلف لانه قد يتحرف لفظه ويخفى معناه او يفهم منه غير المراد والمقبول
التلقي من افواه الرجال واعلم ان ابن سيد الناس قال بلغني عن الحافظ
المنذري انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية بالكلية وان الحافظ
الدمياطي خالفه فيه ولا وجه لتصحيحه الا ان ثبت بسند لا مطعن فيه
ولا سبيل لذلك انتهى وفي سيرة مغلطاي ان الشيطان القاه في امنيته كما
ذكره الكلبي عن باذان عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قالوا انه باطل
نقلا وعقلا وسياتي ما في سنده ولقد صدق ابو بكر بن العلا المالكي
وفي نسخة حذف ابو وتقدمت ترجمته وهو المشهور بابن العربي حيث قال
لقد بلي الناس بالبنا للمجهول من الابتلا وهو الامتحان اي صار لهم بلية ومحنة
اي اصيب الناس ببعض بعين مهملة وضاد معجمة مقابل كل وهو ما صح في
بعض النسخ وفي بعضها ببعض بغين معجمة ثم ضاد معجمة وفي نسخة بتقضي
بباجارة ومثناة فوقية وقاف مفتوحة وصاد مهملة مشددة مكسورة
ومثناة تحتية مخففة من تقصيته اذا تاملته تاملا تاما كما قال ابو تمام اهل
الاهوا يا صاحبي تقصيا نظريكما كانه بلغ اقصاه واصله تقصص تفعل من
قص عليه الخبر فابدل من احد حروف التضعيف حرف علة كما قالوا تمطى في
تمطط ونظايره اهل الاهوا بالمد اي اصحاب الارا الفاسدة والمذاهب الباطلة
والتفسير اي بعض المفسرين الذين يذكرون في تفاسيرهم قصصا لا اصل
لها يبنون عليها تاويلات بعيدة وامورا غريبة وتعلق بذلك اي بما ذكر
من كلام اهل الاهوا وبدع التفاسير لا بحديث سورة النجم بخصوصه كما
قيل الملحدون جمع ملحد من اللحد وهو العدول عن الاستقامة فيطلق
على كل من لم تكن عقيدته حقا مع ضعف بعض نقلته بفتحات جمع ناقل
كفاسق وفسقة يعني به رواته او من ذكره في كتاب له فيكون اشارة
لمن ابتلي به من اهل الاهوا السابقين ونحوهم من المفسرين والقصاص
واضطراب رواياته الاضطراب في اصطلاح المحدثين ان يقع من الراوي
اختلاف في روايته فيرويه تارة على وجه واخرى على وجه اخر وهكذا
او يرويه راو على وجوه مختلفة بشرط ان لا يكون بعض طرقه ارجح من
بعض فان العمل حينيذ بالارجح فلا يعد مضطربا عندهم ومن فسر
الاضطراب بعدم عزوه الى مامون لم يصب وانقطاع اسناده الاسناد
يكون بمعنى المسند وهم رواة الحديث وبمعنى مصدري وهو ذكر السند
وانقطاعه ان يسقط منه واحد فاكثر غير الصحابي وضده الاتصال وقوله
واختلاف كلماته هو قريب من الاضطراب ثم بين ذلك بقوله تعالى بقوله انه

اي اهل الاهوا

اي ما ذكر وقع في الصلاة او الضمير له صلى الله عليه وسلم والتقدير قراها
في الصلاة واخر يقول انه قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة اي سورة
النجم والنادي والندي مجلس يجتمع فيه القوم للمشاورة وفصل الامور
المهمة ولذا سميت دار قصي دار الندوة كما مر واخر يقول انه قالها اي الكلمات
المذكورة وقد اصابته سنة اي وقد عرض له اوايل النوم من غير قصد منه فالسنة
بكسر السين اول النوم وهو النعاس وقيل السنة ثقل في الراس والنعاس
في العين والنوم في القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع الادراك
واخر يقول بل حدثت بتشديد الدال نفسه في سنته فخطرت بباله وحديث
النفس ما يجري على فكره من غير تلفظ به حتى كانه يحادثها فسهى اي حصل
له سهو حتى تكلم بها في اثنا قراته سورة النجم واخر يقول ان الشيطان قالها
يعني الكلمات المذكورة على لسانه صلى الله عليه وسلم اي تكلم بها الشيطان
وهو لا يدري فظنها وحيا النبي عليه وسمعها من كان عنده فتوهم انه صلى الله
عليه وسلم نطق بها عن قصد وانها من القران حقيقة وان النبي صلى الله عليه
وسلم لما عرضها وقراها على جبريل قال له ما هكذا اقراتك فحزن لذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما مر واخر يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقراها بل اعلمهم الشيطان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قراها اي قرا الكلمات المذكورة في اثنا تلاوته
سورة النجم وعرضها على جبريل فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي وصل
لقراة هذه الكلمات التي اعلمهم الشيطان بها قال جبريل عليه الصلاة والسلام
والله ما هكذا انزلت هذه السورة الى غير ذلك من الاقوال المؤذنة بان الشيطان
له دخل في ذلك مع انه ليس له سلطان على الذين امنوا وهذا كله صدر من اختلاف
الرواة ومن حكيت هذه كابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم من المفسرين والتابعين
كالزهري وابي بكر بن عبد الرحمن بن هشام وسعيد بن جبير لم يسندها احد منهم
اي لم يذكر لها سندا مرضيا احد ممن حكيت عنه ولا رفعها الى صاحب اي الى
صحابي من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قالها وقيل المعنى لم يعزها
لصاحب فذق لها واكثر الطرق التي رويت منها عنهم فيها اي في هذه القصة
واهية ساقطة ضعيفة غير مرضية لا يعول عليها والمرفوع فيه اي ما رفع فيه
ذكر من روى هذه القصة وفي نسخة منه حديث شعبة بن الحجاج الذي رواه
عن ابي بشر بكسر البا الموحدة وسكون الشين المعجمة وهو جعفر بن ابي وحشية
اياس التابعي الثقة توفي سنة خمس وعشرين ومائة واخرج له اصحاب
الكتب الستة وله ترجمة في الميزان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال فيما احسب اي اظن ومثله يستعمل للشك فيما قاله ثم بين المهم ما وقع
فيه من الشك من الراوي بقوله فيما احسب فقال الشك المذكور في
الحديث اي في متنه واصله لا في سنده والحديث هو حديث شعبة المذكور

ابو بشر هذا روى عن سعيد ابن جبير والشعبي وعنه شعبة وهشيم صدوق

ان النبي صلي الله عليه وسلم كان بمكة وان المفتوحة وما بعدها بدل من
الحديث وذكر شعبة القصة المذكورة في هذا الحديث بتمامها وانه صلي الله
عليه وسلم يتمني ان ينزل عليه ما يطيب نفوس قومه عسي ان يومنوا فنزل
عليه سورة النجم فقراها حتي بلغ افرايتم اللات والعزي الاية فقال تلك
الغرانيق العلا الي اخر السورة وسجد فسجد معه المسلمون والمشركون
وفرح الكفار قال ابو بكر البزار بتقديم الزاي المعجمة علي الرا المهملة نسبة
لعمل بزر الكتان بلغة البغداديين وهو الحافظ المشهور كما تقدم هذا
الحديث لا نعلمه يروي عن النبي صلي الله عليه وسلم باسناد متصل الي احد من
الصحابة الذي حضروا عنده او اليه صلي الله عليه وسلم يجوز ذكره لصحة نقله
والاعتماد عليه الا هذا الحديث المسند الي ابن عباس ولم يسنده اي لم ينقله
مسندًا عن شعبة الا امية بن خالد وهو ثقة اخرج له مسلم وغيره وتوفي
سنة احدي وثمانين وترجمته في الميزان وغيره اي غير امية بن خالد ممن
يروي هذا الحديث يرسله اي يرويه مرسلا والمرسل ما سقط من سنده
الصحابي فهو يرويه عن سعيد بن جبير عن النبي صلي الله عليه وسلم من غير ذكر
ابن عباس وظاهر كلام المص ان السند بتمامه مذكور غير الصحابي فان اراد انه
لم يعزه لغير ابن جبير واسقط رجاله كلهم فهو معضل والمحدثون يعبرون
عنه بانه ارسل ويرسل بصيغة الفعل ويفرقون بينه وبين المرسل بالاسم
وتفصيله في كتاب ابن الصلاح وغيره وانما يعرف هذا الحديث وروايته عن
الكلبي نسبة لكلب قبيلة معروفة وهو ابو النضر المفسر النسابة الاخباري
الراوي المشهور وسياتي كلام المص فيه والكلبي يرويه عن ابي صالح وهو باذان
بنون او باذام بميم وهو يروي عن مولاته ام هاني وعن علي كرم الله وجهه وروي عنه
السدي وغيره اخرج له اصحاب السنن الاربعة وقال ابو حاتم انه لا يحتج
به عن ابن عباس وهو لم يسمع منه فالحديث منقطع فقد بين لك ايها الواقف
علي هذا الحديث ابو بكر البزار المذكور انه اي هذا الحديث لا يعرف روايته من
طريق يجوز ذكره اي يحتج ويعتمد عليه سوي هذا الطريق الذي رواه شعبة منه
بسند يعتمد عليه في الجملة وفيه اي حديث شعبة ايضا من الضعف ما نبه عليه
البزار وغيره من انه لا يعرف من طريق غيره مع اختلاف كلماته واضطراب
رواياته وانقطاع سنده او ارساله والاختلاف في مواطن قراته وكيفيته
اكان في الصلاة او في نادي قومه او في سنة او حدث به نفسه فسهي وذكره
او قاله الشيطان علي لسانه او اعلمهم به وانكار جبريل له عند عرضه عليه
كما مر مع وقوع الشك فيه الذي اشار اليه بقوله المار فيما احسب كما ذكرناه
فيما تقدم الذي لا يوثق به صفة الشك كقوله ولا حقيقة معه اي تحقق
وتيقن مع ما فيه من تشكيكه في اصله كما اشار اليه البزار واما حديث الكلبي اي

روايته

ان هو الا اسما سميتموها
انتم واباوكم ما انزل الله بها من
سلطان وانها ليس لها
عند الله شان ولا منزلة

روايته هذا الحديث وغيره فمما لا يجوز شرعا ولا يصح نقلا الرواية عنه
ولا ذكره هذا بحسب الظاهر غير منتظم اذ الظاهر ان يقول اما حديثه فمما
لا يجوز ذكره او الكلبي لا تجوز الرواية عنه فاما ان يكون هو لف ونشر
تقديري واصله اما الكلبي وحديثه كقولهم راكب الناقة طليحان اي الناقة
وراكبها او هو من قبيل قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
علي قول الفرا واطلق ما فيه علي من يعقل وكذا قوله لقوة ضعفه وكذبه اي كثرة
كذبه وفي قوله لقوة ضعفه طباق بديع جدا كما اشار اليه البزار رحمه الله
فانه وغيره من المحدثين قالوا انه كذاب وضاع لا يوثق به وان كان اماما في
اللغة والتفسير وقد قال الجوزجاني وابن معين وغيرهما انه يضع الاحاديث
وكذاب لا يحتج به وروي عن ابي صالح عن ابن عباس وابو صالح لم يرو عن ابن
عباس وقال ابن حبان انه في الدين غير مبين وكذبه اظهر من ان يذكر ولم يسمع من
ابي صالح ايضا هذا اي الامر هذا او هذا هو ما قاله فهو خبر مبتدا او مبتدا او
مبتدا خبره ما بعده او منصوب بتقدير خذ هذا فاعلمه ونحوه واما كون
ها اسم فعل بمعني خذ وذا مفعوله وان جاز فياباه رسمه متصلا بدون الف
توهينه اي بيان وجه ضعفه من جهة طريق النقل ومنه الواهنة وهي
ضربان عرق بنالم منه فيرقي ونقل الحافظ ابن حجر قول ابي بكر بن العربي
ان طرق هذا الحديث كلها باطلة وقول عياض في الشفا انه لم يخرجه احد من
اهل الصحة وليس له سند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته
وان من نقله من المفسرين وغيرهم لم يسنده احد منهم ولا رفعه لصاحب الوحي
له فان له طرقا متعددة كثيرة متتابعة المخارج وكل ذلك يدل علي ان له اصلا
وقد ذكرنا له ثلاث اسانيد منها ما هو علي شرط الصحيح وهي وان كانت
مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل كمالك ومن لا يحتج به لاعتضاد بعضها
ببعض فتبين بهذا ان مبالغة المص في رد نقله غير مرضيه والذي صح
وثبت منه اي من هذا الحديث في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح
البخاري علي ما باتي ان النبي صلي الله عليه وسلم قرا سورة والنجم
وهو بمكة قبل الهجرة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس قال الكرماني
هي اول سورة نزلت فيها سجدة وانما سجد المشركون لان الهتهم معارضة للمسلمين
او وقع ذلك منهم بلا قصد او خافوا من مخالفتهم في ذلك المجلس وقال ابن حجر
فيه نظر لمخالفته لما قاله ابن مسعود من انهم اخذوا حصا وضعوه علي جباههم
ولان خوف المشركين لا يظهر له وجه بل الظاهر العكس ثم قال الكرماني ايضا ما
قيل من ان سبب ذلك القا الشيطان في اثنا قراته صلي الله عليه وسلم
ذكرا الهتهم لا يصح عقلا ونقلا واما سجود الجن المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
فكانه استند فيه الي سماع منه صلي الله عليه وسلم لانه لم يحضر القصة لصغر سنه

قوله قوله ابو بكر مبتدا وخبره قوله الا وجه له
قوله حديث عمران بن حصين ... وجد في عضده حلقة ... قال ما هذا ...
... فلان ... الواهنة ... انما ... فانها لا تزيدك الا وهنا ...
[illegible]

ومثله لا يطلع عليه وكشف ذلك له بعيد والصحيح ان الشيطان القى
ما القاه في اسماع المشركين فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله مدحا لالهتهم
وارتضا لها فسجد واامعه وهو لا ينافي عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يخفى ان هذا الحديث اخرجه الشيخان ففي البخاري مسنداً انه صلى الله عليه وسلم
قرا سورة النجم بمكة فسجد وسجد من معه غير شيخ اخذ حصى وترابا ووضعه
على جبهته فقتل كافرا وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس والشيخ الذي وضع
الحصا على جبهته امية بن خلف وفي سيرة بن اسحاق انه الوليد بن المغيرة وفيه
نظر لانه مات حتف انفه وقيل انه سعيد بن العاص وقال ابو حيان
النحوي انه ابو لهب ولم يسنده وفي مصنف بن ابي شيبة الا رجلين من
قريش وقيل انه المطلب بن المطلب بن ابي وداعة ولم يكن اسلم وما قاله
الطبراني من ان اهل مكة لما اظهر النبي صلى الله عليه وسلم دينه اسلموا وكانوا
يسجدون ومعه وبعضهم لا يسجد من الزحام فلما سمع ذلك روسا قريش كالوليد وابي
جهل وغيرهما قالوا لهم اتتركون دين ابايكم فارتدوا غريب هذا توهينه
من جهة النقل فاما توهينه من جهة المعنى فقد قامت الحجة اي الدليل الواضح
على ضعفه واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته
عما لا يليق بجنابه عن مثل هذه الرذيلة اي الخصلة القبيحة الدنية من الرذالة
وهي الدناة والتقول على الله بما لم يقله ولا شي اعظم من الافترا لا سيما على الله
عز وجل ونحوه ثم بين ما فيه من القبايح فقال اما من تمنيه بكسر الهمزة وتشديد
الميم ما تقيل كما مر ان ينزل بالتخفيف والتشديد في الزاي المعجمة مثل هذا المذكور
من مدح الهة غير الله بقوله تلك الغرانيق الخ وهو كفر لان الرضا بالكفر كفر او ان يتسور اي
يتسلط عليه الشيطان واصل التسور التسلق والصعود من حايط السور
فكني به عن الترفع واريد به هنا التسلط كما علم ويشبه عليه القران اي يلبسه
ويغلط فيه ما ليس منه حتى يجعل ما ليس منه وهو الكلمات المذكورة ويعتقد النبي
صلى الله عليه انه من القران ما اي شي ليس منه ويستمر على اعتقاده حتى ينبهه اي يوقظه
من غفلته عما شبه عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام بقوله ليس هذا من الوحي
الذي اتيت به اليك وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلاة والسلام لنزاهته عن
مثله وحفظ الله له او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل بكسر القاف
وفتح البا الموحدة اي من عند نفسه عمدا اي من غير القا الشيطان عليه وهو لا ينطق
عن الهوى وذلك اي ما يقوله من عنده كفر لانه افترا عليه وتبديل لكلام الله بالزيادة
فيه او سهوا حفظه الله منه وهو معصوم عن هذا كله بالاجماع كما تقدم وقد قررنا فيما تقدم
بالبرهان والدليل القاطع والاجماع من امة الاجابة عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان
الكفر اي طريانه ووقوعه منه على قلبه باعتقاده او لسانه بالنطق به لا عمدا ولا سهوا

فضلا

فضلا عن استقراره فان الجريان عبارة عن صدوره منه من غير ثبات كانه ماء
جار فهو استعارة لما ذكر او ان يتشبه اي يختلط ويلتبس عليه ما يلقيه الملك من
وحي الله اليه بما يلقيه الشيطان على لسانه محاكيا نطقه به او يكون للشيطان عليه سبيل
اي طريق يصل اليه منه معاذ الله عنه او ان يتقول على الله اي يفتري عليه عمدا
ما لم يوحه اليه ويقول انه اوحي الي لا عمدا ولا سهوا تاكيد لما افاده ما قبله من نفي
التقول على الله ما لم ينزل عليه مفعول مطلق لقوله يتقول لانه لا ينصب المفردات
الا اذا اريد لفظها وليس بمعنى الظن لعدم ذكر مفعوليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية تقول تكلف من نفسه قولا لم يقله كتشجع اذا اظهر الشجاعة
وهو جبان فكني به عن الافترا والكذب والاقاويل جمع اقوال فهو جمع الجمع
او جمع اقوولة افعولة وهو يستعمل للتحقير كالاضاحيك الاول هو الذي صرح به
سيبويه رحمه الله فمن اختار الثاني فقد رجح المرجوح وتمامها لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين اي لامسكناه واهلكناه كما نفعل بمن افترى علينا والوتين
عرق في العنق اذا انقطع مات صاحبه وهو الوريد وقطعه عبارة عن الذبح
وفيه دليل على ان الكذب على الله كفر وانه لا يقول على الله ما لم يقله وقال تعالى لقد
كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية اي لو
قربت من الميل الى الكفرة وضعف صفة لمقدر اي لاوصلنا لك عذابا مضاعفا
في مماتك يعني به عذاب القبر وفي حياتك بعد البعث في الاخرة والاية دليل
على عدم تمنيه السابق وانه معصوم من مقاربته شي من ذلك والاية نزلت في
ثقيف لما قالوا له صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تخصنا بخصال نفتخر بها
على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا ننحني في صلاتنا وتضع عنا الزنا وتمتعنا
باللات سنة ونحرم وادينا كمكة ونقول للعرب ان الله امرني بهذا فانزل
الله عليه هذه الاية ووجه ثان في توهين ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم
ذكر قوله تلك الغرانيق العلا الخ في اثنا قراة هذه السورة وهو اي الوجه الثاني
اي عدها من المحال عقلا او مما لا يستقيم لان اصل معناه لغة ما لا يستقيم
مما اعوج ومن لم يعرف اللغة يعترض على المتنبي قوله كانك مستقيم في محال
كما مر والمراد بالقصة صدورها ذكر منه بتسليط الشيطان عليه نظرا اي من جهة
النظر والفكر الصادر عن عقل مستقيم في عصمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام
فيما طريقه البلاغ واستحالتها عرفا اي من جهة ما عرف من احواله واحوال
غيره من الانبيا اي امرا متعارفا ومن فيه العرف بتاليف كلامه وتناسب الفاظه
فقد ارتكب شططا وكانه نظر لقوله عقبه وذلك ان هذا الكلام الذي تلاه
مع ما القي فيه من قوله تلك الغرانيق الخ لو كان كما روي لكان ما روي بعيد الالتيام
بهمزة بعد المثناة الفوقية وقد تبدل ياً تحتية والمراد به ان مناسبته لما وقع
فيه من كلام الله الذي هو في اعلا طبقات البلاغة في غاية البعد وهو مع كونه

ووقع في كلام رب العزة متناقض الاقسام متنافر النظم لما فيه من التضاد من حيث انه
يصير ممتزج المدح لالهتهم بجعلها عليه ترجى الشفا بالذم لها الذي دل عليه
سياقه في قوله ان هي الا اسما سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
وانها ليس لها عند الله شان ولا منزلة وهذا يناقض علو منزلتها ورجا
شفاعتها ويصير الكلام القراني بذكرها في اثنايه متخاذل التاليف اي متنافر
النظم غير متلايم فكان بعضه يخذل بعضا ويكر عليه هدما ونقضا والنظم
معناه في الاصل ادخال الدرر ونحوها في سلك متناسب الوضع والمقدار فاستعير
لتاليف الكلمات متناسبة المعاني متناسقة الدلالات ثم صار حقيقة فيه
وغلب استعماله في التراكيب القرانية حتى انصرف اليه عند الاطلاق ولما بكسر
اللام وتخفيف الميم وقيل انه بفتح اللام وما موصوله كان النبي صلى الله عليه وسلم والحضرة
معطوف على النبي من المسلمين بيان لمن الموصوله والحضرة مصدر بمعنى الحضور
مثلث الحا ويطلق على كل كبير يحضر عنده الناس فيقال الحضرة العالية وهو
اصطلاح اصحاب الترسل ويصح ارادة كل منهما هنا والاول اولى وصناديد
المشركين جمع صنديد وهو كصندد بزنة زبرج السيد الشجاع والحليم والجواد
والشريف والمراد خواص رؤسايهم وكبرايهم ممن يخفى عليه ذلك لكونهم
بلغا اصحاب سليقة مستقيمة والسنة فصيحة بليغة وهذا المذكور
امر لا يخفى على ادنى متامل يتامل الفاظ القران التي هي في اعلا طبقات البلاغة
وما ادرج فيه مما بينه وبينها بون بعيد فكيف بمن رجح حلمه بضم الحا المهملة
وسكون اللام بمعنى لبه وعقله ورجحانه زيادته وقوته وكيف مستعار
لاستبعاد خفا مثله على مثله كقوله كيف تكفرون بالله كما تقرر في كتب
العربية يقال حلم يحلم حلما وحلما واتسع اي عظم وكثر في باب البيان اي
في نوع المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ومعرفة فصيح الكلام علمه
لقوة فهمه وذكايه واستقامة سليقته مع فطرة وقادة وبصيرة نقادة
ووجه ثالث لبيان توهينه وضعفه انه الضمير ضمير شان قد علم مبناه
المجهول من عادة المنافقين الذين لم يظهروا كفرهم ومعاند المشركين اي المشركين
المعاندين فهو من اضافة الصفة للموصوف وضعفة القلوب بفتحات جمع
ضعيف اي الذين قلوبهم ضعيفة عن ادراك الحق لانهم بله لا اذعان لهم
والمراد بهم الكفار غير المعاندين ممن اشرك اتباعا لغيره او المراد بهم الجهلة
من المسلمين فهو عطف تفسير عليه نفورهم نايب فاعل علم لاول وهلة اي عند
اول شي يقع في اذانهم واذهانهم يقال لقيته لاول وهلة بوزن ضربة
ويجوز فتح هايه اي اول شي كما في القاموس اي قبل التفكر والتامل فيما
قرع سمعه حتى يهتدي لانه ليس متسقا منتظما مع ما وقع في اثنايه من
نظم القران وتخليط العدو من الكفرة والمنافقين على النبي صلى الله عليه وسلم بادخالهم

في كلامه ما لم يقله لاقل فتنة يفتتن بها المسلمون لادخالهم الشبهة عليهم
في دينهم وتعييرهم بعين مهملة وتحتيتين اي الحاق ما هو عار عليهم باتباع المسلمين
الهوى ومدح الهة غير الله والشماتة بهم بضم الشين المعجمة وتشديد الميم جمع
شامت كفيّاد وكفار من الشماتة وهي فرح العدو بما يصيب عدوه من نوايب
الدهر وفي نسخة والشماتة بهم الفينة بعد الفينة بفتح الفا وسكون المثناة التحتية
ونون تليها ها تانيث اي حينا بعد حين بما امتحنهم الله به من المصايب
تعظيما لاجرهم بما امتحنهم انتهى به من ذلك قال في القاموس الفينة الساعة
والحين وقد تحذف اللام فيقال لقيته فينة يعني انه استعمل علما وغير
علم كشعوب للمنية وارتداد من في قلبه مرض اي من ضعف ايمانه او من نافق
وسمع ما ذكر فيرجع عن الاسلام الى الكفر ممن اظهر الاسلام بلسانه ولم
يذق حلاوته فيرتد لادنى شبهة ترد عليه لضعف ايمانه وايقانه ولم
يحك احد اي لم ينقل احد من المحدثين او احد ممن عاداه صلى الله عليه وسلم
في هذه القصة اي قصة تلك الغرانيق شيا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل رواية
ودراية لركاكتها وتناقضها كما تقدم ولو كان اي وقع وصح ذلك الذي ذكره
بعضهم لوجدت قريش اي كفارهم بها اي بسبب هذه القصة على المسلمين الصولة
اي الاستطالة والقهر وتسلفوا بذلك على ترويج امرهم وما هم عليه ولاقامت بها
اليهود عليهم الحجة اي على المسلمين بانه مدح الهتهم واعترابها وسيلة الى
الله كما فعلوا اي كفار قريش مكابرة وعنادا في قصة الاسرا حين قصها عليهم كما
تقدم حتى كانت في ذلك لبعض الضعفا اي من ضعف ايمانه لقرب عهده ردة
ورجوع عن الاسلام لانكاره واستبعاده لها وكذلك اي مثل ما ذكر او مثل قصة
الاسرا ما ورد في قصة القضية بقاف وضاد معجمة ويا مشددة وهي مصدر
بمعنى القضا والتقاضي او اسم للواقعة التي وقع فيها القضا بينهم بما
وقع في صلح الحديبية لما راى صلى الله عليه وسلم انه دخل هو واصحابه مكة
فسار اليها ثم رجع الى المدينة في الواقعة التي قصها الله تعالى في قوله
وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس كما تقدم وهذه القضية
مذكورة في الصحيحين وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صدوهم
عن دخول مكة وصالحهم صلى الله عليه وسلم على ان يرجع وياتي من العام
القابل وكتب لهم بذلك كتابا شروطا فيها على المسلمين شطط حتى قال
عمر يا رسول الله الست رسول الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وهم
على الباطل قال بلى قال فلم نعط الدنية في ديننا وانما قال ليقف
على الحكمة في ذلك لا لشك فيه كما توهم بعضهم والكلام عليه مفصل في السير
وشروح البخاري ولا فتنة اعظم من هذه البلية التي وقعت بسبب ما ذكر
لو وجدت اي لو وقعت وصحت لما يترتب على ذلك من صولة الكفرة وشماتتهم

وغيره مما مر انفا ولا تشغب بشين وغين معجمتين ومثناة تحتية وباموحدة
من الشغب وهو تهييج الشر والفتنة للهادي جنيفة اشد من هذه الحادثة
المعلومة مما مر لو امكنته وقوعا فان قلت لم قال في الفتنة لو وجدت وفي
الحادثة لو امكنت ومجرد الامكان لا يقتضي شرا وفتنة قلت الاول
ظاهر لترتب الفتنة على وجود ما ذكروا اما الثاني فعبر بالامكان مبالغة
لان نفيه ابلغ من نفي الوجود لعدم وقوعه محالا لما علم من الكلام في عصمته
من عدم تسلط الشيطان عليه فما روي عن معاند من الكفرة فيها كلمة تليق
ان يلقي اليها السمع ولا عن مسلم بسببها بنت شفة بنت الشفة هي الكلمة شبه
اخراجها من الشفة باخراج الولد من بطن امه ففيه استعارة مصرحة او
مكنية فدل ما ذكر من انها لم ترو ولم يتكلم بها احد على بطلها بضم البا
الموحدة وسكون الطا المهملة وكام مصدرا بمعنى البطلان كما في القاموس
واجتثاث اصلها بجيم ومثناة فوقية ومثلثتين بينهما الف مصدر بمعنى
قلعها من اصلها كما تقلع الشجرة بنزع عروقها ولا شك في ادخال بعض شياطين الجن الانس
اشارة الى ما قدمناه هذا الحديث يعني ما قيل في اثنا تلاوة هذه السورة او
الحديث الذي يروي في ذلك على بعض مغفلي المحدثين الذين لا خبرة لهم بالرواية
ليلبس اي يوقع في لبس واشتباه على ضعفا المسلمين الذين لم يقفوا على ما يناسب
مقام النبوة وقدرها وقد قال القرافي في شرح الاربعين للامام الرازي ان
الجواب السديد فيه على تسليم صحته مع ان الله قد عصمه ان الله امره بترتيل
القران وكان يفعل ذلك فتمكن من ترصده من الشياطين في حال سكوته بين
الايات من دس ما اختلقه من هذه الكلمات محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم
وقد سجد من دنا من الكفار معه فظنوها من كلامه صلى الله عليه وسلم واشاعوها
فلم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظهم السورة على ما انزلت قبل ذلك ومعرفتهم
من حاله صلى الله عليه وسلم ما علم من ذم الاوثان واهانتها فحزن صلى الله عليه
وسلم من هذه الاشاعة والقا الشبهة وهو معنى قوله تعالى وما ارسلنا الى قوله
القى الشيطان في امنيته وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه
ويزيله وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما قرا السورة الى قوله افرايتم اللات
الى اخره خاف الكفار ان ياتي بشي من ذم الهتهم فشغبوا عليه على عادتهم
في قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه الخ وسبب هذا ان الشيطان حملهم
عليه فاشاعوا ذلك ونسبوه له فحزن لذلك انتهى وسياتي تلخيص الجوابين
في كلام المص وقد قدمنا لك ان هذه القصة لها اصل ثابت في الجملة لكنها ليس
فيها ما ينقص مقامه صلى الله عليه وسلم فابطالها بالكلية كما قاله المص لا ينبغي
كما قاله ابن حجر وقد تقدم ما يغني عن اعادته هنا فتذكره ووجه رابع لتضعيف
ذلك ما ذكر الرواة لهذه القصة المذكورة التي عقد لها هذا الفصل ان فيها اي

بسببها

بسببها نزلت وان كادوا اي قربوا مما لم يقع ليفتنونك اي يوقعونك في الفتنة
ويصدونك عن الذي اوحينا اليك الايتين اي اذكر الايتين المتقدم بيانهما وهما
الايتان المذكورتان وفي نسخة وهاتان الايتان برد ان الخبر الذي روي لنا فانهما
له الا انه قيل ان الايتين لم ينزلا في هذه القصة وانما الذي نزل فيها قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
وهاتان الايتان نزلتا في ثقيف كما تقدم ثم بين وجه منافاتهما له بقوله
لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري على الله يخلطه في القران ما لم يوح
اليه وانه اي الشان او الله لولا ان ثبته الله على الحق ببيان جبريل له لكاد يركن اي
قارب الميل اليهم بمدح الهتهم واتباع اهوائهم ولكنه لم يفعل شيا من ذلك
فمضمون هذا اي ما تضمنه المذكور في الايتين ومفهومه الذي دل عليه وفهم منه
ان الله عصمه من ان يفتري عليه ما لم يقله لا ان يفعل ما ارادوه منه بان يبدل الوعد
وعيدا او عكسه كما قيل وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف يركن اليهم
لكونا كثيرا وهذا تقرير لمعنى الايتين بنا على ما ادعاه من سبب النزول
وقد علمت انه لم يثبت نقله وقوله حتى لم يركن بيان لحاصل المعنى لان نفي
القرب من الركون يدل على نفيه بالطريق الاولى فلا يرد عليه ان المنصوص عليه
نفي القرب من الركون القليل لا نفس الركون كما زعمه المص لان الجواب لقد كدت
يعني انا ادركناك بعصمتنا عن الميل اليهم ولما ارادوه بعدما كادوا يخدعونك
بمكرهم وشدة تحيلهم وهم اي رواة الحديث مع ذكر الايتين يروون في اخبارهم الواهية
اي الشديدة الضعف انه صلى الله عليه وسلم زاد على الركون الذي هو مجرد
الميل بل القرب من الميل الذي هو ابلغ في نزاهته وعصمته والافترا اي الكذب
على الله بجعل ما ليس من الوحي منه بمدح الهتهم يعني تلك الغرانيق العلى الخ
وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك حماه الله وانه قال عليه الصلاة والسلام
حين قال له جبريل ما جيتك بهذا حين عرض عليه السورة كما تقدم فقال في
جوابه له افتريت على الله وقلت ما لم يقل عطف تفسير وهذا الذي رووه في اخبارهم
الواهية عنه صلى الله عليه وسلم ضد مفهوم الاية التي ذكروا ان هذه
القصة سبب نزولها لان عدم ركونه اليهم قليلا ينافي تصريحه بمدح الهتهم
وهي اي الاية بصريح مفهومها تضعف الحديث اي تدل على شدة ضعفه لو صح
نقله وروايته فكيف والحال انه لا صحة له عند المص كما تقدم بيانه وما فيه فاذا
ورد في الحديث ما ينافي القران ولم يمكن تاويله ولا الجمع بينه وبينه حكم بضعفه
وقد علمت ان الحديث رواه مسلم وانهم اجابوا عنه كما بيناه وهذا المذكور
في هذه الاية مما دل عليه مفهومها مثل ما دل عليه قوله تعالى في الاية الاخرى وهي قوله
عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته بعصمته لك وصرفه عنك ما هموا به
من خداعك والمكر بك لهمت طايفة منهم ان يضلوك ويصرفوك عن الحق وطريق

العدل مع علمهم بانك ثابت علي ذلك ولا يمكن زلتزقدمك عنه بوجه من الوجوه
وقيل انها نزلت في بني ظفر وما يضلون الا انفسهم اي لا يرجع ما ارادوه بك الا اليهم
ولا يحيق المكر السيي الا باهله وما يضرونك من شي وما يضرون الا انفسهم وتفصيل
معني الاية مذكور في كتب التفاسير وانما المقصود بذكرها التنظير بها لما ذكر
قبلها ولنزول هذه الاية سبب ذكره الترمذي والمص استشهد بها استشهادا
معنويا لما هو بصدده وليس لنا حاجة بتفصيل ما ذكر وقد روي بالبنا للمجهول
والراوي له ابن ابي حاتم وغيره من المحدثين عن ابن عباس انه قال كل ما وقع في القران
من لفظ كاد وما تصرف منه من مضارع وغيره يدل علي ان ما بعده لا يكون
وفي نسخة فهو ما لا يكون اي لا يقع ويوجد وانما يدل علي انه قاربه ولم يقع
قال تعالي يكاد سنا برقه السنا بالقصر الضوء والنور وبالمد العلو والشرف
يذهب بالابصار اي يذهب بصر الناظر اليه ولم تذهب بالتا الفوقية والبنا
للفاعل وفاعله ضمير الابصار المستتر ويجوز بناوه للمجهول مع التحتية عا
ونايب فاعله ضمير السنا وفي نسخة ولم يذهبها وهما بمعني والمقصود انها اشرفت
علي الذهاب ولم تذهب وقال تعالي في امر الساعة ان الساعة اتية اكاد اخفيها
ان كان المراد باخفايها انه لا يقول انها اتية فهو كما قال ابن عباس وان كان
المراد انه لا يعين زمان وقوعها فكاد بمعناها المشهور وكلامه هنا مبني
علي الاول واليه اشار بقوله ولم يفعل واشار المفسرون الي هذين المعنيين وخفا
الشي ستره وعدم اظهاره ويقال خفيته واخفيته اذا ازلت خفاه ولا تنافي
بين المعنيين لان الله اخفاها علي الناس واطلع عليها بعض خلص انبيايه وقال
القشيري القاضي وقد قدمنا الكلام عليه ولقد طالبته قريش قومه اي سالته صلي الله عليه
وسلم وطلبت منه وسبب تسميتهم بذلك مشهور وقد قدمناه وطالبته ايضا
ثقيف قبيلة مشهورة بالطايف اذ مر صلي الله عليه وسلم بالهتهم اي انصابهم
واصنامهم التي كانوا يعبدونها ان يقبل بوجهه الشريف ويتوجه اليها وفي نسخة
عليها ووعدوه الايمان به ان فعل ما سالوه من الاقبال عليها معظما لها تما
فعل ذلك ولا كاد يفعل مع حرصه علي ايمان العرب وطاعتهم فلم يكترث
صلي الله عليه وسلم ولم يلتفت لمقالتهم مع انهم من اشد الناس شكيمة وعصبية
وهذا امر متعلق بقوله لقد كدت تركن اليهم دال علي ما قاله اولا وقال ابن الانباري
هو الامام في العربية وساير العلوم الادبية ابو بكر محمد بن قاسم بن محمد بن بشار
النحوي الحافظ المفسر المحدث نادرة الدهر وفريد العصر ولد سنة احدي
وتسعين ومايتين وتوفي ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثماية
وله تصانيف جليلة مفيدة مشهورة ما قارب الرسول صلي الله عليه وسلم اي لم يقرب
من شي مما كان عليه الكفرة واهل الجاهلية ولا ركن اي ما مال الي شي من اهواهم
وما كانوا عليه فضلا عن التلبس بها وما ذكر في كاد هو المشهور والتحقيق فيها

ماقاله

ماقاله الجرجاني في دلايل الاعجاز من ان نفيها يدل علي نفي ما في حيزها علي
ابلغ وجه لا نفي القرب من الشي الدال علي انتفايه لانه بطريق برهاني وقد
يكون لوقوع الشي بعسرة نحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد ذكر بالبنا
للمجهول وفي نسخة ذكرت بتا التانيث في معني الاية يعني قوله تعالي وان كادوا
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيا قليلا تفاسير اخر تركها لكونها غير مرضية عنده ما ذكرناه ما اسم موصول
مبتدا ابينه بقوله من نص الله تعالي علي عصمة رسوله صلي الله عليه وسلم كما تقدم
وخبره قوله يرد سفسافها اي التفاسير الحقيرة الردية فيها واصل معني السفساف
ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل وكل غبار دقيق كالهبا سفساف ثم عبر به
عن كل حقير جدا فلذا قوبل في الحديث بمعالي الامور تارة وبمكارم الاخلاق
اخري كما قال صلي الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الامور ويبغض سفسافها
وفي حديث اخر ان الله رضي لكم مكارم الاخلاق وكره لكم سفسافها فلم يبق في الاية
يعني قوله وان كادوا ليفتنونك الخ اي لم يبق فيها تفسير يرتضي الا ان الله
امتن علي رسوله صلي الله عليه وسلم في هذه الاية اي من عليه وانعم عليه والمن
تعداد نعم سابقة وهو محمود من الله دون غيره ويكون بمعني النعمة بنفسها
بعصمته اي حفظه عن ان يصدر منه امر لا يرضاه فضلا عما ذكر من مدح اوثانهم
وتثبيته علي ما هو عليه من ذم الهتهم وما هم عليه مما كاده به الكفار من خداعهم وطلبهم
منه صلي الله عليه وسلم موافقته لهم في بعض امورهم التي لا تليق به ورامو من
فتنته اي ايقاعه في بلية ومحنة واصل معناها الاختبار ثم عبر بها عما ذكر
ومرادنا من ذلك الذي ذكرناه تنزيهه اي نبريته وصيانته صلي الله عليه وسلم
واصل معني النزاهة البعد اي بعده عما لا يليق بمقام النبوة وعصمته صلي
الله عليه وسلم وهو اي ما اراده مفهوم الاية لا ما ذكروه من سفساف التفاسير
واما الماخذ اي محل الاخذ والطريق في بيان ما ذكروه وتاويله وهو الوجه الثاني في الكلام
علي مشكل هذا الحديث الذي فيه انه ذكر قوله تلك الغرانيق العلي الخ في اثنا قراة
سورة النجم كما تقدم فهو اي تاويله والجواب عنه مبني علي تسليم رواية هذا
الحديث لو صح نقله من طريق يعتد بها وقد اعاذنا الله بعين مهملة وذال معجمة
اي حمانا وحفظنا من صحته اي وقوع اعتقاد ما في صحته ووقوعه منا فضلا
عنه واصل معنا العوذ الالتجا والتعلق فاريد به ما يتسبب عنه لان من
التجا الي الله حماه وكفاه وحفظه مما لا يرضاه ولكن علي تقدير صحته ذلك من
حال فقد اجاب عن ذلك المذكور من مدحه صلي الله عليه وسلم الهتهم ايمة المسلمين
بالهمزة والياء جمع امام وعبر به دون العلما ونحوه اشارة الي ان مقتضي
الاسلام تنزيهه عن مثله باجوبة منها الغث بغين معجمة ومثلثة اي الضعيف
الركيك والسمين اي القوي المقبول واصل معني الغث المهزول المقابل بالسمين

فاستعبر لما ذكر كما تقدم فمنها اي الاجوبة المذكورة ما روي قتادة مشهور
تقدمت ترجمته ومقاتل بن حيان الخراساني العابد المفسر الثقة روى عنه
اصحاب السنن وغيرهم وتوفي قبل خمسين ومائة ولهم مقاتل اخر وهو مقاتل
ابن سليمان وهو محدث مفسر الا انه اتهم بالكذب والظاهر انه الاول
انه صلى الله عليه وسلم اصابته اي عرضت له سنة وهي فتور مع اوايل النوم
قبل الاستغراق فيه المانع عن الحس والادراك وهي قريبة من النعاس
كما تقدم بيانه وليسا بمعنى وان قيل به وقوله

وسنان يقصده النعاس فرفعت ٭ في عينه سنة وليس بنايم

لا دليل فيه عند قراته هذه السورة يعني سورة النجم فجرى هذا الكلام اي
قوله تلك الغرانيق على لسانه ونطق به من غير قصد بل بحكم النوم وغلبته حتى يتكلم
بما لا يقصده وهذا المذكور لا يصح صدوره منه اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم ان يقع منه مثله في حالة من احواله لا في يقظة ولا في منام لانه صلى الله عليه وسلم
وان نامت عيناه لا ينام قلبه ولا يخلقه الله اي لا يوجد جريانه على لسانه
كما قاله بعضهم لحفظه له في ساير احواله ولا يستولي الشيطان اي يتسلط عليه لحفظ
الله له في نوم ولا تيقظ بفتحات ثلاثة ضد النوم وتسكين قافه خطا الا في ضرورة
الشعر كقول التهامي

فالعيش نوم والمنية يقظة ٭ والمرء بينهما خيال ساري

لعصمته في هذا الباب الذي طريقه البلاغ عما اوحي اليه من جميع العمد بقصد القول
عليه ما لم يقله والسهو في شي منه وفي قول الكلبي في الجواب عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
حدث نفسه اي فكر فيما ذكر وخطر بباله من غير نطق به فقال ذلك الشيطان على لسانه
اي نطق به محاكيا لصوته ونطقه به في اثنا قراته وهو لا يدري فتوهموا انه
صلى الله عليه وسلم قاله وانه اوحي به اليه كما تقدم وكذا ما وقع في رواية ابن
شهاب الزهري وقد تقدمت ترجمته عن ابي بكر بن عبد الرحمن وفي نسخة ابو عبد
الرحمن وكلاهما صحيح وهو ابو بكر بن عبد الرحمن بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي
التابعي الامام احد الفقها السبعة على قول وهو من سادات قريش ويسمى الراهب
لزهده قيل اسمه ابو بكر وكنيته ابو عبد الرحمن وقال النووي محمد اسمه وكنيته
ابو عبد الرحمن والصحيح ان اسمه كنيته وتوفي سنة اربع وتسعين وقيل غير
ذلك قال اي ابن شهاب او ابو بكر وسها صلى الله عليه وسلم في نطقه بذلك
فلما احس وفي نسخة اخبر بذلك اي عرف سهوه فيما نطق به قال انما ذلك الذي جرى
على لسانه او سمع من الشيطان وكل هذا المذكور من الاقوال آنفا لا يصح رواية ودراية
ان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا لحفظ الله له عن مثله
ولا يصح ايضا ان يتقوله بالتشديد اي يفتريه على لسانه اي ينطق به محاكيا لقوله
ونطقه فيلبس الوحي بغيره لمنع الله له عن تسلطه عليه بمثله فقوله على لسانه صريح

فيما

فيما اراده فما قيل ان فيه نظر الا انه لا مانع من ان يقول الشيطان
عليه مما لم يقله من غير ان يصدر عنه فكثيرا ما كذب عليه وهذا لا ينافي
عصمته صلى الله عليه وسلم غفلة عما عناه المص فلا وجه له وقيل في
الجواب عما ذكر لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله في اثنا تلاوته وقراته لسورة
النجم فذكرهم في خلال اياته ولعل للترجي من عادة المصنف استعماله كناية
عن ضعف من معه واثنا جمع ثني بمعنى مثني اي ملفوف بعضه على
بعض فشبه ما هو فيه ببرد مطوي في داخله شي اشتمل عليه على تقدير
التقرير اي حملهم على الاقرار والتوبيخ للكفار اي توبيخهم بعد اقرارهم
بعبادة الاصنام فوصفها بالعلو ورجا شفاعتها على هذا تهكم واستهزا
وقيل المراد حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما يليق بمن يضر
وينفع توبيخا وتبكيتا تنبيها على خطايهم ايذانا بانها لا تصلح ان تكون
الهة والتوبيخ على امر باطل وقع منهم فما قيل انه حري ان يسمى انكارا ابطاليا
تعنت لا داعي له ثم انه قال ليس في الكلام ما يفيد ذلك فلا بد من تقدير
اداة استفهام معه كقوله

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ٭ ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

او ذلك معلوم من المقام لان من ذكر امرا علم ان غيره يكرهه ويصرح بذمه واشتهر
منه ذلك فاذا امدحه بما مدحه به اعداوه علم انه تهكم واستهزا وارخا العنان
الخصم حتى يقع في هوة الضلال ولك ان تقول انه عند هذا القايل مفهوم من قوله
افرايتم وان ما ذكر مقدر مفعول ثان لرايت وهو محط الاستفهام وهو وان
كان غير مستقيم لكن هذا انما يريد توجيهه فتدبر كقول ابراهيم الخليل صلى
الله عليه وسلم هذا ربي للكواكب التي كان يعبدها قومه فوصفها بالربوبية
انما هو توبيخ لهم لانه بري من مثله كما لا يخفى على احد التاويلات التي ذكرها
المفسرون فهو على هذا مقدر معه اداة استفهام كالاية التي قبله وفيه
اقوال اخر مذكورة في التفاسير لا حاجة للتطويل بذكرها وقوله اي الخليل عليه
الصلاة والسلام في حق الاصنام بل فعله كبيرهم هذا والضمير للاصنام
وكانوا يجتمعون في عيد لهم ثم يرجعون للسجود لها فتخلف عنهم ودخل فكسرها
الاصنام الا اكبرها فلما راوه قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
قال بل فعله كبيرهم هذا كما قصه الله عنه في هذه الاية وحاصله انه
من معاريض الكلام الذي قصد به اقامة الحجة عليهم وان ما عبدوه لا يصلح
للعبادة بعد السكتة اي الوقفة الخفيفة بين ايات سورة النجم والحاصل انه لما
فرغ صلى الله عليه وسلم من ذم الاصنام بما اوحي اليه سكت وذكر كلاما وتهكم به
كما فعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام والتوبيخ لهم بذم الهتهم وبعد بيان الفصل
بين الكلامين اي كلام الله في ذم الاصنام وكلامه الذي وتهكم به قرينة تدل على المراد

وانه اي ما ذكره توبيخا وتعزيرا ليس من كلام الله المتلو لفصله بينه وبينه
بالسكت وهو اي ما قيل انه قاله في اثنا قرائته لما ذكر من التوبيخ والتعزير احد
ما اي الاقوال ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني او ابن العربي وهما الكبيان تقدم
ذكرهما وبيانهما ولا يعترض على هذا القول الذي قاله القاضي بما روي بالبنا
للمجهول فيهما انه صلى الله عليه وسلم او هذا الكلام كان في الصلاة وهو كلام
ليس بقران ولا ذكر فيبطلها فقد كان في صدر الاسلام وقبل الهجرة الكلام فيها اي في
الصلاة قبل مبني على الضم اي قبل النهي عنه غير ممنوع في الشرع وغير مبطل للصلاة
وكان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين
والذي يظهر ويترجح في تاويله اي تاويل هذا الحديث وهذا ما اختاره القرافي كما
نقلناه اولا عنده اي عند القاضي ابي بكر وعند غيره من المحققين اي اهل الكلام
والتفسير والحديث على فرض تسليمه اي تسليم وقوعه منه صلى الله عليه وسلم
وانه نطق بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القران ترتيلا
لقوله تعالى ورتل القران ترتيلا والترتيل القراة بتؤدة من غير استعجال
وهو في الاصل مستعار من قولهم ثغر مرتل اي مفلج كالاقحوان واوراقه ومن
لطايف بعض المتاخرين.

افدي الذي جبينه وشعره ۞ طرة صبح تحت اذيال الدجا
مالي به مع قرب داري ملتقى ۞ فهل رايت ثغره المفلجا

ويفصل الاي جمع اية بالمد فيه تفصيلا بفصل بعضها بعضا في قرائته وفي نسخة
في تلاوته مع سكت خفيف بينهما كما رواه الثقات عنه كما قالت عايشة
رضي الله عنها وقد سئلت عن قرائته لو اراد سامع ان يعد حروفه عدها
لتانيه فيها وتجويد حروفها وبيان حركاتها ومدها فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات بالنون او التا المثناة الفوقية وترصده ترقبه وانتظاره
اي يترقب وقفه وسكتته بين الايات في ترتيله القراة ودسه بمهملتين مصدر
معطوف على ترصد اي ادخاله فيما بين سكتاته خفية يقال دسه دسا اذا
ادخله قال الراغب الدس ادخال الشي في الشي بضرب من الاكراه واصل الدس
الاخفا ومنه العرق دساس فيها اي في القراة ما اختلقه اي كذبه وافتراه
وما موصولة مفعول دسه من تلك الكلمات بيان لما محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم في القاموس النغم محركة وتسكن الكلام الخفي والواحدة بها ونغم
في الغنا كضرب ونصر وسمع انتهى فالنغمة هنا بمعنى الكلام الخفي وتكون
بمعنى الغنا وليس مرادا هنا وهو المعروف عرفا كقوله الشرب بغير نغم غم
وبغير دسم سم والظاهر انه اريد به هنا الصوت مطلقا بحيث يسمعه اي
بمكان قريب منه صلى الله عليه وسلم فيسمعه من دنا اي قرب اليه من الكفار الحاضرين
عنده يسمعون تلاوته صلى الله عليه وسلم لسورة النجم فظنوها اي ظنوا تلك الكلمات

التي

التي قالها الشيطان ودسها في تلاوته محاكيا لصوته وهو لا يرى من قوله
صلى الله عليه وسلم اي مما تلاه من القران وجعلها قوله لنطقه بها او بنا على
اعتقادهم الفاسد واشاعوها اي اظهروها وقالوا انه مدح الهتنا ووافق
طريقتنا ولم يقدح ذلك اي ما دسه الشيطان واشاعوا انه صلى الله عليه وسلم
قاله عند المسلمين فلم يغير اعتقادهم ولم يلتبس عليهم القران بغيره مما
ادخل فيه لحفظ المسلمين السورة اي سورة النجم فالمصدر مضاف لمفعوله
قبل ذلك اي قبل اختلاق الشيطان ودسه فيها ما دسه على ما انزل الله متعلق
بحفظ فعلموا ان ما اشاعوه ليس من الوحي في شي مع عدم مناسبته له
لفظا ومعنى وتحققهم اي المسلمين من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان
وعيبها على ما عرف منه صلى الله عليه وسلم او من حاله لانه يذكر ويونث وهذا بيان
للقرينة القايمة على انه ليس من قوله ولا مما اوحي اليه فاندفع ما قيل من
انه ليس سبيل حتى يتمكن ان يدخل في كلامه وما تلاه ما ليس منه وقد بينا
لك انه اختاره القرافي لصحة الرواية عنده وقد حكى اي روى موسى ابن
عقبة كذا في جل النسخ وفي بعضها محمد بن عقبة في مغازيه اي في كتابه الذي
الفه في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم فالاضافة لما بينهما من الملابسة
ورجحوا النسخة الاولى وصححوها في الحواشي وضربوا على النسخة الثانية
وقال الحافظ الحلبي انه مما لا شك فيه وهو موسى بن عقبة بن ابي عياش مولى
ال الزبير وقيل مولى ام خالد روى عنه خلق كثير وهو ثبت ثقة توفي
سنة احدى او اثنتين واربعين ومائة واخرج له الستة ومغازيه من
اصح المغازي كما قال له الامام مالك ومحمد بن عقبة اخو موسى ولعقبة
اولاد كلهم فقها محدثون لكل واحد منهم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتراجمهم مشهورة نحوه وفي نسخة نحو هذا اي نحو ما نقل عن المحققين
مما هو بمعناه وفيه ميل ما اليه لنقله عن المحققين وكثرة من تابعهم عليه وان
قيل انه لم يرض وقال اي موسى بن عقبة ان المسلمين لم يسمعوها اي مقالة الشيطان
التي دسها وانما القى الشيطان ذلك القول الذي شاع في اسماع المشركين بدليل
انهم هم الذين اشاعوه ولم يشع عن غيرهم حتى خفي على كثير منهم وانكروه ولا
مانع من ذلك كما قيل من انها دعوى بلا دليل اذ لا قدرة للشيطان لعنه
الله على القايه للمشركين فقط وهم مختلطون معهم في محل واحد غير مسلم
وفي قلوبهم وهو كما قال الراغب جماعة مجتمعون على راي فيملاون العيون
رواء والقلوب جلالة وبهاء ومنه قيل فلان ملأ العيون وقلوبهم بان
يفقهوه ويقبلوه ويكون ما روي اي رواية ما نقل من حزن النبي صلى الله عليه
وسلم بيان لما اسم كان وقوله لهذه الاشاعة ومن اجل الشبهة الحاصلة
من تلك ومن سبب هذه الفتنة الحادثة من شيوع ما هو بري منه وهذا جواب عن

سوال الصعد تقديره اذا كان المسلمون لم يسمعوا هذه المقالة فلم حزن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس الجواب عن هذه الشبهة ان الشيطان الجاه لهذه
المقالة ولانه سمعها منه فعلقت بذهنه ثم نسيها صلى الله عليه وسلم فقالها
كما توهم اذ لا مناسبة لهذا هنا وقد قال الله تعالى في هذه القصة وهذا
من تتمة الكلام عليها وليس متعلقا بما قبله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الفرق
بين الرسول والنبي مشهور والكلام عليهما اشهر من ان يذكر والثاني اعم لانه
كل من اوحي اليه والرسول اوحي اليه وامر بالتبليغ وقيل غير ذلك وقوله
الاية اي الا اذا تمني القي الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم
الله اياته والله عليم حكيم ثم اشار الي تفسير هذه الاية فقال تمعني تمني تلي لان
اصل معناه تفعل من المنا بمعني القدر ومنه الم يك نطفة من مني تمني
اي تقدر ومنه المنية ويراد به تقدير شي في النفس وتصويره ولكون النفس
تتصور امورا لا حقيقة لها سمي به الكذب كقوله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني
اي كذبا كما قاله مجاهد وقال غيره تلاوة بلا معرفة المعني فاجراه مجري التمني
لما لا وجود له لان التمني كذلك في الاكثر ثم استعمل المطلق التلاوة واليه اشار بقوله
فمعني تمني تلي كما قال الشاعر

تمني كتاب الله اول ليلة ۝ تمني داود الزبور على رسل

وقال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقد عرفت وجهه والمراد بالكتاب
التوراة والاستثنا منقطع لان التلاوة ليست من العلم وقيل انه مصدر بمعني
الكتابة لقوله ومنهم اميون وهي في حق اليهود وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان
اي يذهبه لان النسخ لغة كما قاله الراغب ازالة شي بشي يعقبه كنسخ الشمس
الظل وما يلقيه الشيطان على هذا ما يدسه كما تقدم ويزيل اللبس الحاصل
به وبسببه ويحكم الله اياته اي يتقنها حتى لا تشتبه بغيرها وقيل معني هذه
الاية اي قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم
من السهو اذا قرا فينتبه لذلك السهو الصادر عنه بمقتضي البشرية بادي تنبيه
ويرجع عنه اي عما تركه سهوا وهذا المذكور هنا نحو قول الكلبي في الاية اي اية سورة
النجم كما نقله عنه اولا من انه حدث نفسه بان خطر بباله قولهم تلك الغرانيق العلا
وقال الكلبي ايضا معني اذا تمني اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن
الذي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما ذكر مما هو بمعناه وهذا السهو المذكور
كاينا في القراءة انما يصح وتوعد منه فيما ليس طريقه الواقع عليها والاتي فيها
تغيير المعاني فلا يقع ما يغير معاني الوحي ويخالفها وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها
وزيادة ما ليس من القران فيه بل الجائز عليه السهو الناشي عن اسقاط اية منه او اسقاط كلمة
منه ولكنه صلى الله عليه وسلم اذا سهي لا يقر بالبنا للمفعول او الفاعل على ذلك
السهو بل ينبه عليه ويذكره للحين اي يبادر به في وقت سهوه لا يقاظه لسهوه من

غير

غير امهال له فتعريف حين للحضور واللام بمعني في وقيل بمعني وقت كقوله
فطلقوهن لعدتهن وهذا مبني على ما سنذكره مفصلا في حكم ما يجوز عليه من السهو وما
لا يجوز ومما يظهر في تاويله اي تاويل ما ذكر في سورة النجم وما دس فيها ايضا كما ظهر في
بعض التاويلات السابقة المتبادرة الي الافهام ان مجاهدا رحمه الله تعالى روي
هذه القصة اي قصة سورة النجم السابقة والغرانقة العلا بالعطف علي اللات والعزي
ومناة الثالثة الاخري وحينيذ فلا اشكال يرد علي ما تقدم فان سلمنا وقوع
هذه القصة وصحة روايتها قلنا علي هذا التقدير لا يبعد ان هذا المذكور في
هذه الرواية وهو قوله والغرانقة العلا كان قرانا نزل عليه صلى الله عليه
وسلم ثم نسخت تلاوته والمراد علي هذه الرواية علي تقدير انها قراة منسوخة
بالغرانقة العلا والمراد بان شفاعتهن ترتجي اشارة الي انه علي هذه القراة بفتح همزة
ان من قوله وان شفاعتهن ترتجي الملايكة علي هذه الرواية التي فيها الواو
العاطفة وهي جمع غرنوق كزنبور وقنديل وقرطاس وفسرت بالاصنام
ايضا وهي في الاصل طير من طيور الما والشاب الجميل فاستعيرت لما ذكر
واستعارة الطير للملك اظهر وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملايكة انها
بالفتح بدل من هذا وذلك يعني ان الباعث علي تفسيرها بما ذكر ان الكفار
اي عبدة الاصنام من قريش وغيرهم كانوا يعتقدون ان الاوثان والملايكة بنات
الله سبحانه اي تنزيها له عز وجل عما قالوه بجهلهم كما حكي الله عنهم ذلك في القران
في ايات كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملايكة اناثا وقوله
اصطفي البنات علي البنين وقوله وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
الاية فجعلوها لاحتجابها مخدرات وهو في الملايكة مشهور واما في الاصنام
فبنا علي ما نقله الحليمي في تفسير قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
اي مشركو العرب زعمت في اللات والعزي ومناة انها بنات الله تعالى لانهم
لما كانوا يسمعون تكلمها وانما كان يكلمهم شيطان الجن من اجوافها ورد
الله عليهم ما قالوه في هذه السورة يعني سورة النجم بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثي اي
اختار لكم الذكور دون الاناث لانهم كانوا يقتلونها وهي الموودة واعتقدوا
ان له بنات لم يرتضوها لانفسهم وهي الملايكة والاصنام كما مر ولذا قال
تلك اذا قسمة ضيزي اي جايرة فانكر الله كل هذا الذي ادعوه من قولهم
اشارة الي ان الاستفهام فيه انكاري تكذيبا لهم فيما قالوا بجهالتهم مما كادت
تخر له الجبال هدا فالاستفهام منصب علي الجميع وبهذا يرتفع الاشكال علي
هذه القراة ورجا الشفاعة في قوله وان شفاعتهن لترتجي صحيح علي هذه القراة
ولا حاجة لهذا فانه منكر لانصباب الاستفهام الانكاري عليه كما قررناه لكن
بنا علي فتح همزة ان فيه ولذا قيل هذا التاويل وان كان صحيحا في نفسه
مباين للمقام ناي عن سياق الكلام فتدبر فلما تاوله اي تاول هذا الكلام

بصرفه عن ظاهره المشركون حسب اغراضهم الفاسدة على ان المراد بهذا الذكر اي
المذكور وهو قوله تلك الغرانيق العلا الخ الهتهم اي اصنامهم التي عبدوها
وليس الشيطان عليهم ذلك بوسوسته لهم وتزيينه لافكارهم وزينه في قلوبهم بتحسينه
وتزويره والقاه اليهم اي النبي ذلك المعنى الذي فهموه لما سمعوه منه صلى الله عليه
وسلم حقيقة على هذا الوجه الذي استظهروه نسخ الله من كلامه ما تلى كما تقدم
وقوله بما القاه الشيطان المراد به اللفظ اوله بما القاه الشيطان في قلوبهم
حتى يلتئم هذا بما قاله اولا واحكم اياته الباقية بعد ما نسخه منها ورفع تلاوة
تلك اللفظتين اي الجملتين يعني قوله تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى
وقوله تلك بالافراد لجعلهم كشي واحد فلا وجه لما قيل صوابه تينك التي وجد
الشيطان بها سبيلا للالباس اي طريقا لتلبيسه عليهم بها اذ اتليا
في هذه السورة ووقع في بعض النسخ التي وجد الشيطان بها بالافراد فيهما
والصواب ما ذكر كما نسخ بالبنا للمعلوم او المجهول كثيرا يجوز رفعه ونصبه
وكذا قوله ورفع تلاوته مع بقا حكمه او بدونه وكان في انزال الله لذلك الذي
نسخه بعد ذلك حكمة هي كما يعلم مما بعده تبيين من ضل ممن اهتدى وفي نسخة
برفع تلاوته حكمة من خير او شر ثم بين تلك الحكمة بنص القران في قوله تعالى
ليضل به من يشا ويهدي من يشا وما يضل به الا الفاسقين الخارجين عن طاعته
بارتكاب المعاصي وفي قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي بمنزلة الاختبار
لاظهاره للناس ما خفي عليهم فكانه اختبار للذين في قلوبهم مرض اي شك او
نفاق فاستعار لذلك اسم المرض والقاسية قلوبهم من المشركين الذين لم يدخل
الايمان في قلوبهم لشدة قسوتها فشبه قلوبهم بالحجارة الصلبة التي لا تتغير
عما هي عليه ولا تلين لقبول الحق وان الظالمين اي الكافرين وان الشرك لظلم عظيم
واقام الظاهر مقام الضمير تسجيلا عليهم بظلمهم وكفرهم لفي شقاق اي عداوة
ومباينة للمومنين فهم في شق وهم في شق بعيد عن الحق وقبوله وليعلم الذين
اوتوا العلم اي الذين اتاهم الله العلم من المومنين انه ما انزله الله ثم نسخه وازاله
لحكمة وليس رجوع الضمير لتمكين الشيطان من الالقا ثم ازالته بمناسب هنا
الحق من ربك لعدم اشتباهه عليهم وتمكن الشيطان بتلبيسه عليهم فيومنوا به اي
يصدقوا ويذعنوا لما نزل وان نسخ فتخبت له قلوبهم اي تنقاد وتخضع
مطمينة من غير شك وتزلزل واصل معنى الخبت ما اطمان من الارض وهو
السهل ضد الحزن فاستعير لما ذكر من الانقياد بخضوع وخشوع الاية اي وان
الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم ثم ذكر وجها اخر في هذه القصة
اشار الى ضعفه بقوله وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة اي شرع
في قراة سورة النجم وبلغ اي وصل في حال قراته ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى وصفها بالثالثة والاخرى للتاكيد كطاير يطير بجناحيه او الاخرى للتاخر

في الرتبة والاحسن ما قيل ان اللات والعزى كثيرا ما يذكرونهما معا
اذا حلفوا فيقولون واللات والعزى فوصف مناة بالثالثة ليعلم ان مناة
ثانيتهما وليست واحدة والد ذلك بالاخرى اشارة لتاخر رتبتها ومغايرة ما قبلها
فهي تانيث اخر افعل تفضيل فتامل خاف الكفار لما سمعوا ذكرها منه صلى
الله عليه وسلم ان ياتي بشي من ذمها وتنقيصها كما كان هو عادته اذا ذكرها
فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين اي تلك الغرانيق الخ ليخلطوا في تلاوته ذكرها
بمدحها الصادر منهم ويشغبوا عليه بشين وغين مشددة معجمتين من الشغب
بالفتح ويجوز تسكينه وهو تهييج الشر مع الصياح به وفي نسخة ويشنعوا
بنون وعين مهملة من الشناعة على عادتهم اذا حضروا قراته صلى الله عليه وسلم
انهم يرفعون اصواتهم عنده حتى يلهوه قولهم لا تسمعوا لهذا القران اذا قراه والغوا
فيه اي اظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطا وتشويشا عليه بما يشغل الخواطر
عنه لعلكم تغلبون باصوات لغوكم على قراته من قولهم هذا غالب على هذا اذا
كان زايدا عليه فكانوا يوصون بذلك من يحضر منهم كما قال ابو جهل
لعنه الله اذا قرا محمد فصيحوا حتى لا يدري ما يقول وقيل كان ذلك بالصياح
والتصفيق وانهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم عن معارضته ونسب هذا
الفعل اي الالقا للشيطان في قوله ما يلقي الشيطان بطريق المجاز المرسل والنسبة
للسبب ما للمسبب لحمله لهم عليه اي لان الشيطان هو الذي تسبب فيه
حتى فعلوه وهو الباعث عليه والحمل حقيقته جعل شي فوق شي ثم تجوز
به عما ذكر وصار حقيقة عرفية فيه واشاعوا ذلك المذكور واذاعوه في الكفرة
والاشاعة والاذاعة بمعجمتين بمعنى وهو جعله مشهورا منتشرا
وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله بفتح همزة ان لعطفه على المفعول فهو قاله
على هذا الوجه وعلى غيره هو افترا عليه وبهتان منهم كما يعلم مما تقدم
فحزن لذلك صلى الله عليه وسلم وهو جواب عن سوال تقديره اذا لم يصدر
عنه ذلك او صدر بمعنى اخر فلم حزن صلى الله عليه وسلم وقوله من كذبهم
وافترايهم عليه بيان لذلك لتعصبهم لا لهفتهم اذ اضلتهم فسلاه الله تعالى التسلية
اذهاب الحزن بوجه ما اي ازال غمه بما ذكر بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الاية
يعني من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الخ اي انما وقع
لك في هذه القصة سبق مثله لمن قبلك من الرسل فاصبر كما صبروا ولا تحزن
وقد تقدم في تفسير هذه الاية ما يغني عن اعادته وبين الله تعالى في كتابه
للناس الحق من ذلك اي من الوحي الذي انزل على لسانه من الباطل الذي القاه الشيطان
فيما تلاه ومن الثانية متعلقة بقوله بين والاولى ظرف مستقر فلا يرد عليه
ان الفعل لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد وحفظ الله عز وجل القران من
التبديل والتغيير بزيادة او نقص واحكم الله اياته اي اتقنها فلا ياتي الباطل

من بين يديها ولا من خلفها ودفع ما لبس به العدو من الكفرة والشياطين
كما ضمنه بفتح الميم المشددة وتخفيفها مكسورة فتقديره على الاول انه ضمن
القران اي جعل في ضمنه ما فهم من قوله تعالى الخ وعلى الثاني انه تعهد بحفظه
اذ قال انا نحن نزلنا الذكر اي القران لانه من اسمايه وانا له لحافظون من التبديل وان
يزاد فيه او ينقص فلم يكل ذلك الى غيره حيث اسنده الى نفسه بضمير العظمة
بخلاف غيره من كتب الانبيا اذ فوض حفظها للاحبار وهم كما قال بما استحفظوا
من كتاب الله ولذا وقع التحريف والتغيير حكمة بالغة واتى في ذلك بتاكيدات
وقدم معمول حافظون للحصر ومن ذلك اي من جملة اسيلة الطاعنين على الرسل
ما وقع فيما روي من قصة يونس نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يونس بن متى
وقد اختلف في متى هل هو اسم امه او اسم ابيه فقيل انه اسم امه وانه لم
ينسب احد الى امه غير يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام ورد بما في صحيح
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي
لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه لابيه فانه يقتضي ان متى اسم
ابيه خلافا لمن قال انه اسم امه وهو مروي عن وهب بن منبه وذكره الطبري
وابن الاثير في الكامل واول قول ابن عباس انه كان في روايته يونس ابن
فلان فمراده ان الراوي كنى عن اسم ابيه بفلان ولم يصرح به وهو السبب
في نسبته لامه وقد قيل ان الصحيح الاول وان ما ذكر من التاويل بعيد
وكان من اهل قرية بالموصل تسمى نينوى كان يتعبد في جبل عندها ثم
بعثه الله بالتوحيد لقوم يعبدون الاصنام وكان فيه حدة فلم يصبر
على الناس فتركهم ولحق بالجبل ولذا قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وكان
كداود في حسن الصوت اذا قرا وقفت عنده الوحوش تسمع قراته وتقدمت
ترجمته بابسط من هذا اذ وعد قومه بالعذاب مخبرا لهم به عن ربه بمجي العذاب لهم
فلما تابوا ورجعوا عما كانوا عليه وكانت توبتهم في يوم عاشورا او يوم جمعة
كشف بالبنا للمجهول اي كشف الله عنهم ما وعدوا به فقال يونس عليه الصلاة
والسلام لما راى تخلف الوعيد لا ارجع اليهم اي الى قومه حال كونه كذابا ابدا فذهب
مغاضبا مفاعلة من الغضب وهو ثوران دم القلب لارادة الانتقام والمفاعلة
ظاهرة ان اريد انه مغاضب لقومه وان اريد انه غضب لاجل ربه فهو
مثل يخادعون الله وكان اقام في قومه ثلاثين سنة يدعوهم للايمان
فلم يومن منهم الا رجلان فدعا عليهم فقيل له ما اسرع ما فعلت ارجع اليهم
وادعهم اربعين ليلة فان لم يجيبوا احل بهم العذاب فدعاهم سبعا وثلاثين
وقام فيهم خطيبا وقال ان لم ترجعوا الى ثلاثة ايام حل بكم العذاب وعلامته
تغير الوانكم فلما راوا التغير وعلم يونس بالعذاب خرج من بينهم وطلبوه
فلم يجدوه والهمهم الله التوبة فخرجوا للصحرا باهليهم واولادهم ودوابهم

وضجوا

وضجوا الى الله تعالى وقالوا امنا بيونس فقبل الله توبتهم وكشف عنهم العذاب
بعد ما عاينوه في سحابة على رووسهم كما قال تعالى الا قوم يونس الاية والى
ذلك اشار بقوله فاعلم اكرمك الله بما علمك من براءة ساحة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام مما توهمه الطاعنون فيهم بمثل هذا السوال بانه كيف اخبر وهو
نبي معصوم بما لم يقع واعترف به انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في كتاب
ولا في سنة صحيحة في هذا الباب المتعلق بقصص الانبيا وقصة يونس عليه وعليهم
الصلاة والسلام ان يونس قال لهم مخبرا عن ربه ان الله مهلككم حتى يتاتى ان يقال انه
صدر منه الكذب وانما الذي ورد فيه من الاخبار الصحيحة انه دعا عليهم بالهلاك اي بان
الله يهلكهم لعدم اطاعتهم له والدعا ليس بخبر اي كلام خبري بل انشا وطلب
من الله يحتمل صدق من كذب به اي يحتمل الصدق والكذب والضمير ان للخبر لا ليونس
كما قيل ولو كان خبرا ايضا لم يكن كذبا كما توهمه السايلون لانه على تقدير شرط
هو ان لم تومنوا كما يعلم من قوله الا قوم يونس لما امنوا الاية ولا ينافيه قوله لا ارجع
اليهم كذابا ابدا لعدم صحته عند المص كما تقدم ويأتي او وصفه بالكذب لتضمن
كلامه خبرا يحتمل الصدق والكذب وهو ان من لم يجب دعوة الرسل يحل به العذاب
لكنه اي الشان او يونس عليه الصلاة والسلام قال لهم اي لقومه لما وعظهم
ان العذاب مصبحكم اي ياتيكم في وقت الصباح وقت كذا وكذا اي عند تمام المدة التي بينها
لهم كما تقدم فكان ذلك اي وقع وتحقق مجيبه لهم في الوقت المعين فانهم لما راوا
سحابة دنت منهم نحو ميل فيها عذاب ودخان اسود فاخلصوا التوبة وامنوا
ولبسوا المسوح وتضرعوا الى الله فقبل توبتهم ثم رفع عنهم العذاب الذي تيقنوه
حتى كانه نزل بهم وتداركهم اي انعم عليهم بالخلاص مما خافوه والتدارك بمعنى
الاعانة والنعمة كما قال الراغب اي تداركهم الله برحمته لما تابوا ومتعهم
بالحياة الى حين كما قال تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين والاستثنا منقطع من قوله فلولا كانت قرية امنت
فنفعها ايمانها الخ اذ المعنى لولا كانت قرية من القرى التي اهلكناها امنت
الا قوم يونس ويحتمل الاتصال لانه في معنى ما نجينا قرية اي اهلها الذين
عاينوا العذاب الا هولا كما تقرر في التفاسير وفي كلامه خلل لا يخفى فان
محصله جوابان احدهما المنع وانه ليس بخبر وارد والثاني انه خبر عن وقوع
العذاب وقد وقع لانهم عاينوه لكن الله رفعه عنهم فالاستدراك ليس
في محله لمباينته لما قبله ومقصوده هذا لكنه تسمح في العبارة وايضا العذاب
لم يحل بهم ولكنه لمعاينته كما تقدم جعل كانه وقع ولذا عبر بالرفع دون الدفع
وهو من خصايص قوم يونس لانه ايمان باس وهو لا يقبل وروي في الاخبار انهم
اي بعد ان امهلهم اربعين ليلة فلما مضت سبعة وثلاثون كما مر راوا
دلايل العذاب في سحابة دنت منهم كما تقدم ومخايله بالخا المعجمة اي علاماته

جمع مخيلة وهي المظنة من خاله يعني ظنه وهي في الاصل موضع التخيل ثم استعير للامارات كقولهم الولد مبخلة ومجبنة قاله ابن مسعود رضي الله عنه رواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن ابي حاتم موقوفا وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشي الثوب يعني ان السحابة قربت منهم فكانت عليهم كثوب يغطي به قبر وفي التعبير بالقبر اشارة الي انهم كالاموات ولذا عبر في الاية بالكشف وفي نسخة كما يغشي النوء الغمر والنوء بواو ساكنة وهمزة او بواو مشددة يعني النجم الطالع او الساقط واراد به هنا السحاب لانه لا يخلو من سحاب ومطر مكة وانوا العرب مشهورة ثم الغمر معروف ثم اورد شيا مما يتعلق بالاسيلة والمطاعن فقال فان قلت ايها السايل عما يوهم ما لا يليق بمقام النبوة فما معني ما روي رواه ابن جرير عن عكرمة مولي ابن عباس رضي الله عنهما من ان عبد الله بن ابي سرح بفتح السين وسكون الراو بالحاء المهملات وهو عبد الله بن سعد بن ابي سرح بن الحارث العامري القرشي الصحابي كاتب النبي صلي الله عليه وسلم اسلم قبل الفتح وهاجر ثم ارتد واسلم بعد ذلك وحسن اسلامه كما تقدم وولي في خلافة عثمان فلما قتل اعتزل الناس والتزم العبادة ودعا الله ان يتوفاه بعد الصلاة فمات بعد تسليمه من صلاة الصبح كما ذكره السهيلي واشار الي ما ذكر بقوله وكان يكتب لرسول الله صلي الله عليه وسلم ما ينزل عليه من الوحي ثم ارتد مشركا اي عاد لما كان عليه من الشرك وصار الي قريش اي رجع اليهم بمكة ولحق بهم ووافقهم علي شركهم وقال لهم بعد عوده لهم اني كنت وانا اكتب الوحي اصرف محمدا من التصريف وهو التغيير والتبديل كما قال وتصريف الرياح اي ابدل ما يمليه علي وهو يسمعه فيوافقني علي ما اختاره حيث اريد اي في كل شي اريده كان يملي علي عزيز حكيم في خواتم الايات فاقول له صلي الله عليه وسلم او عليم حكيم اي اكتب هذا بدل ذاك فيقول لي نعم اي اكتب ما قلت بدل ما امليته كل صواب اي ما امليته وما قلته انت من عندك وسياتي ما فيه وفي حديث اخر اي في رواية اخري لهذا الحديث رواها السدي فيقول له النبي صلي الله عليه وسلم وهو بين يديه اكتب كذا كناية عما يامره بكتابته فيقول له اي ابن ابي سرح له صلي الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول صلي الله عليه وسلم اكتب كيف شيت يحتمل الخبر والاستفهام والظاهر الاول فيقول النبي صلي الله عليه وسلم اكتب عليما حكيما فيقول فيقول اي ابن ابي سرح اكتب بدل هذا سميعا بصيرا فيقول صلي الله عليه وسلم له اي لابن ابي سرح اكتب كيف شيت واردت كتابته وسياتي ما فيه وتاويله علي تقدير صحته وفي الصحيح اي الحديث الذي رواه البخاري وتقدم ان الصحيح اذا اطلق يراد به كتابه وحديثه هذا مروي عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا قال البرهان لا اعرفه باسمه وفي مسلم انه رجل من بني النجار كان يكتب للنبي صلي الله عليه وسلم ما يوحي اليه بعد ما اسلم ثم ارتد عن الاسلام الي الكفر وكان يقول بعد ما ارتد ما يدري محمد الا

ماكتبته

ما كتبته له يعني انه كان يكتب من نفسه ويزعم ان ما يقروه النبي صلي الله عليه وسلم كلامه ولم يزل لعنه الله علي ردته حتي مات فدفنوه فلفظته الارض فقالوا هذا من فعل النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه فحفروا واعمقوا ودفنوه فلفظته ثانيا فقالوا مثل ذلك ثم وقع ذلك مرة ثالثة فعلموا انه فعل الله فتركوه كما فضحه الله واعلم ايها المريد للوقوف علي الحق وظهوره ثبتنا الله واياك علي الحق في هذه القصة وغيرها اي جعلنا ممن علم الحق وعرفه ولم يتغير عما هو عليه وفي هذا الدعا مناسبة لما قبله فان فيه ذكر من ارتد بعد اسلامه ممن لم يثبت علي الحق بعد ما عاينه ولا جعل للشيطان ولا جعل لتلبيسه اي خلطه الحق بالباطل الينا اي لوصوله الينا سبيلا وطريقا يصل منه لنا اي ابعده الله عن ساحتنا ولا سلطه علينا ان مثل هذه الحكاية اي حكاية ابن ابي سرح والكاتب النصراني اولا اي قبل النظر في معناها والبحث عن صحتها واحوال رواتها لا توقع في قلب مومن ريبا اي شكا وترددا في حقيقة ما اوحي الي النبي صلي الله عليه وسلم وان الشيطان لا يتسلط عليه اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بعد ايمانه يعني ابن ابي سرح والكاتب النصراني كما مر ونحن معاشر علما الدين او علما الحديث لا نقبل خبر المسلم المتهم الذي جرح وطعن فيه المحدثون مما بينوه في باب الجرح والتعديل مع اسلامه وعلمه لا يقبل خبره لعدم عدالته فكيف بكافر قد افتري هو ومثله من الكفرة الفجرة اي اتصف بانه كاذب مفتر علي الله بادعا شريك وولد ونحوه ورسله بنسبتهم لما لا يليق بمقامهم ما هو اعظم من هذا المذكور عنهما وكيف هنا للاستفهام الانكاري التعجبي نحو كيف تكفرون بالله والمصنفون يستعملونه للترقي من امر لاعظم منه كما هنا والعجب لسليم العقل اي انه يتعجب ممن سلم عقله من الافات والحماقة وشوايب الشك والالتباس يشغل بمثل هذه الحكاية يعني حكاية الكاتبين سره السر هو الامر الخفي واريد به هنا فكره او قلبه ويشغل بزنة يعلم اي يجعله مشغولا وهذه جملة مستانفة لبيان وجه التعجب وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مبغض بوزن مصلح من البغض ضد المحبة وروي بتشديد الغين المعجمة وروي بنون وقاف وصاد مهملة من النقص ضد الزيادة مفتر علي الله ورسوله لانه قال انه صلي الله عليه وسلم يقره قوله وان الله لم يوح اليه وكل منهما كذب علي كل منهما ولم يرد عن احد من المسلمين انه روي ما ذكر عن ابن ابي سرح والكاتب النصراني ولم يصح احد منهم ما قالاه ولم يثبت قولهما له صلي الله عليه وسلم ما ذكر ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله رسول الله صلي الله عليه وسلم لهما او ما قاله كل واحد منهما له وهذا يويد الثاني وانما يفتري الكذب من لا يومن بايات الله وفي نسخة الذين لا يومنون بايات الله واوليك هم الكاذبون حقيقة لعدكذبهم بالنسبة للكذب علي الله ورسوله كالعدم فالفاحشة عنده النزر

فكم من كذب يغتفر وحاصله ان مثله مما يشهد العقل بكذبه مما لا ينبغي
ذكره فانه مما يسود وجوه القراطيس بلا فايدة وانما ذكره لازالة الشبهة
عن العقول القاصرة وتبيين حاله فلا وجه للانكار على المص وايراده له
بعد ما بين مراده وما وقع من ذكرها اي ذكر هذه القصة وافرد لاستوا نقلتيها
حتى صارتا امرا واحدا من حديث انس المروي عنه وما وقع من ظاهر حكايته لها بنقلها
فليس فيه اي في الحديث ونقله لغيره ما يدل على انه شاهدها اي ابصرها وحضرها
والشاهد عندهم ما يدل على صحة الحديث من روايته من طرق اخر تقوية
كالمتابعة والفرق بينه وبين المتابعة مذكور في مصطلح الحديث
ولعله اي انس رضي الله عنه حكى ما سمع من غير جزم به ولا قول بصحته وفي
قوله لعله اشارة الى انه متردد فيه ايضا وقد علل البزار حديثه اي حديث
انس رضي الله عنه ذلك المذكور فاشار الى ان فيه علة قادحة في صحته وقال
في بيان ذلك انه رواه ثابت عنه اي عن انس ولم يتابع عليه اي لم يرو من طريق
اخر يعضده عن طريق ثابت عنه ورواه حميد بالتصغير عن انس قال اي البزار
واظن حميدا انما سمعه من ثابت لا من طريق اخر فلا يكون متابعة وحميد هذا
هو حميد بن عبد الرحمن وقيل غير ذلك وهو يروي عن انس وغيره
وكان له طول في يديه توفي وهو قايم يصلي سنة اثنين واربعين
ومائة وثقوه وقيل انه يدلس واخرج له الستة ولا يخفى ان حديثه
الذي رواه المص اخرجه البخاري فقال انه كان رجل نصراني اسلم
وقرا البقرة وال عمران وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فعجبوا به الحديث وهو حديث
صحيح فرد المص له غير صحيح والذي ينبغي له ان يقول ان قاله كذب وافترى
ولا يقدح في اصل القصة وصحتها فانها مروية في الصحيحين كما تقدم قال
القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله تعالى ولهذا اي لما ذكر مما سمعته
انفا من انه لا شاهد له ولا متابعة لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا
حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع وهو مما رواه البخاري ومسلم كما تقدم واخرجه
البخاري في علامات النبوة عن ابي معمر عن عبد الوارث بن سعيد عن
عبد العزيز بن رفيع عن انس وعبد العزيز هذا توفي سنة ثلاث ومائة
وقوله الذي اخرجه اهل الصحة صفة حديث واهل الصحة الذين يروون
الاحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم وذكرناه وليس فيه اي في الحديث
المذكور في هذه الرواية عن انس قول شي من ذلك الذي ذكره السايل من
المطاعن من قبل نفسه بكسر القاف وفتح الموحدة اي لم يرو فيه انه صلى الله عليه
وسلم قاله من قبل نفسه لم يوح به اليه الا عن حكايته عن المرتد النصراني
وهو مفتر على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قاله ابن ابي سرح

فسياتي بيانه ولو كانت القصة صحيحة من جهة الرواية لما كان فيها اي في
هذه الحكاية التي افتراها النصراني عدو الله المرتد قدح اي عيب ونقص
في مقام النبوة من قدح كمنع اذا طعن فيه ولا توهيم اي نسبته الى الوهم بفتح الهاء
وهو الغلط ويسكونها ذهاب الوهم لشي كما في الصحاح وفي بعض النسخ توهين
بالنون من الوهن وهو الضعف اي نسبته لما يوهن جانبه بما لا يرضى له
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه من ربه ولبس مثله مما يعتريه
ولا جواز للنسيان والغلط فيما طريقه البلاغ من الوحي كما توهمه السايل والتحريف
تفعيل من الانحراف وهو الميل عن الحق والمراد به التبديل والتغيير فيما بلغه عن
الله ولا طعن في نظم القران بان يقال انه اثبت فيه ما ليس منه من كلام الكاتب
الكاذب ولا طعن في انه من عند الله وانه فيه ما ليس منه بتبديل الفاظه بغيرها
اذ ليس فيه اي فيما قاله الكاتب لو صح ما قاله اكثر من ان الكاتب المذكور قال
له صلى الله عليه وسلم عليم حكيم مثلا او النبه اي ما ذكره ونحوه وهو يملي ويكتب
ما يلقيه له لفهم خاتمة الكلام من ابتدايه على طريقة الارصاد البديعي
وهو ان يورد نظما او نثرا يفهم اخره من اوله قبل تمامه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم كذلك هو اي لفظ القران مثل ما قلت وما يتبادر لفهمك لذكاء
الدال عليه اوله فسبقه لسانه او قلمه اي سبق النبي صلى الله عليه وسلم لسان الكاتب
او قلمه لما سيمليه عليه وتوارد معه لكلمة واحدة مثل عليما او حكيما او كلمتين
كغفور رحيم لانتقاله من سياق الكلام لذلك مما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
بالوحي الذي املاه عليه قبل اظهار الرسول لها اي لخاتمة الكلام من كلمة او
كلمتين او الضمير للكلمة ويعلم منه الكلمتان وما قدمناه اولى اذ كان ما تقدم
مما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم بيانا لما يدل عليها اي على الخاتمة او الكلمة وتقتضي
وقوعها في اخره وخاتمته بقوة فطنة الكاتب على الكلام بيان لسبب سبقه وانه لكونه من
صميم العرب الناشيين في حجر البلاغة المرتضعين لثديها ومعرفته به اي ببليغ
الكلام نظما ونثرا وصياغة وصبه في قالبه وجودة حسه المدرك له وفطنته
اي سرعة انتقاله له قبل اتمامه كما يتفق ذلك الانتقال للعارف باساليب
الكلام اذا سمع البيت من الشعر اذا انشد ان يسبق فهمه لقوة ادراكه الى قافيته اي
اخر كلمة منه قبل الوصول اليها او اذا سمع مبتدا الكلام واوله الحسن اي الفصيح
المنسجم وقيده به لانه يرتبط بعضه ببعض وتتجاذب كلماته فتتعانق وتتلازم
بخلاف المتنافر كلماته الى ما يتم به من خواتمه ولا يتفق اي يقع اتفاقا ذلك اي سبق
الفهم من اول الكلام الخ في جملة الكلام اي لا يقع ذلك في الكلام بتمامه بان يسبق
فهمه الى خطبة او قصيدة بتمامها فان التوارد في مثله بعيد جدا كما
وقع للصدر بن الوكيل مع ابن اسرايل لما ادعى قصيدة له وتحاكما فيها عند
ابن الفارض فحكم بها للصدر فقال قايل انه من وقع الحافر على الحافر فقال

وقع الحافر على الحافر من الاول الى الاخر في القصة المشهورة وقيل مراده
بجملة الكلام انه ليس كل كلام تدل فاتحته على خاتمته والظاهر الاول
لقوله كما لا يتفق ذلك في اية او سورة بتمامها من الايات والسور ثم شرع في
الجواب عن قصة ابن ابي سرح بعد ما اجاب عن قصة النصراني وقدمها
لضعفها وظهور جوابها فقال وكذلك اي مثل هذه القصة قوله صلى الله عليه
وسلم فيما تقدم في قصة ابن ابي سرح لما قال بعد ردته كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم ان صح انه كان يقول
ذلك كل صواب مما امليته وقلته انت فقد يكون هذا الذي وقع له مع ابن
ابي سرح فيما كان فيه من مقاطع الاي جمع اية وفي نسخة الايات وضمير فيه لما
اوحي اليه من القران والمقاطع جمع مقطع وهو اواخر الكلام وفواصله وجهان
وقراءتان علمهما بالوحي فاملى عليه احداهما وذكر الكاتب الاخرى فلذا قال له
صلى الله عليه وسلم كل صواب لانهما انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم واملى
صلى الله عليه وسلم احداهما على ذلك الكاتب وتوصل الكاتب المذكور لما
ذكره بفطنته ومعرفته باساليب البلاغة بمقتضى الكلام اي بما يقتضيه مقامه ويدل
عليه سياقه الى القراءة الاخرى التي ذكرها الكاتب ظنا منه انه ابتكرها فذكرها
للنبي صلى الله عليه وسلم اي القراءة الاخرى ذكرها كانه توارد امر حيث
القرينة على نظم القران النازل على اساليب كلامهم فتوهم ان الرسول قرأ
كلامه وقوله فقبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها اي لتلك الكلمة
او الكلمتين فصوبها له اي قال له انها صواب لموافقتها لما اوحي اليه وهي
معتمد الاعجاز فيه ثم احكم الله من ذلك الذي انزل على رسوله صلى الله
عليه وسلم ناملاه عليه بالحكم اي اثبته واتقنه ونسخ ما نسخ اي ما اراد
نسخه لفظا ومعنى او لفظا لا معنى وعكسه كما فصل في كتاب الناسخ
والمنسوخ وحاصله ان ما قاله ابن ابي سرح لا ضير فيه فانه سبق
النبي صلى الله عليه وسلم الكلمات وافق فيها لفظه لفظ القران فصوبه النبي
صلى الله عليه وسلم واقره عليها فلما ارتد واضله الله قال ما قال ثم اسلم
عام الفتح وحسن بالاسلام حاله بعد ذلك ومحا الله عنه ما افتراه حال ردته
سواء كان ما قاله موافقا لما املاه عليه او مخالفا له على انه قراءة اخرى وقد
تخالف القراءات لفظا ومعنى وانما الممنوع فيها التناقض كما قد وجد ذلك
اي تخالف القراءات في بعض مقاطع الاي وهي فواصلها واواخرها التي هي
في النثر كالقوافي في الشعر مثل قوله تعالى حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم
ان تعذبهم فانهم عبادك تفعل بهم ما تريد وان تغفر لهم ذنوبهم وعصيانهم
فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم اي الواقع جميع
افعاله على مقتضى الحكمة لا يسئل عما يفعل بحكمته البالغة وان لم يظهر لنا

وجهه

وجهه وهذه القراءة قراءة الجمهور اي اكثر القراء وهي القراءة المتواترة وقد
يتوهم في بادي النظر ان المناسب للمغفرة الغفور الرحيم بدل العزيز
الحكيم وقد قرا جماعة من الصحابة في الشواذ فانك انت الغفور الرحيم بدل قوله
فانك انت العزيز الحكيم القراءة المتواترة وليست هذه القراءة الشاذة
في المصحف العثماني المسمى بالامام المجمع على القراءة بما فيه وترك ما عداه
وظن بعضهم ان القراءة الشاذة هي المناسبة هنا وليس لهذا وجه لمن
له معرفة بدقائق البلاغة فان المعنى انك ان غفرت ذنوبهم فليس ذلك عن
عجز لانك عزيز غالب على كل من سواك ولا قبح في فعلك لانك حكيم ولو قال انك انت
الغفور الرحيم اوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات مشركا وهو غير مستقيم اي ان تبقهم
على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم عبادك وان تهديهم لطاعتك وتغفر
لهم فانك انت العزيز الذي لا يمنع عما اراد والحكيم في افعاله فيضل من يشاء
ويهدي من يشا فلا وجه للطعن فيها بعدم المناسبة وقال ابن الانباري هذا
هو المناسب لان الغفور الرحيم يتفرد بالشرط الثاني والعزيز الحكيم يتعلق
بالشرطين اي ان تعذبهم او تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم في الامرين التعذيب
والمغفرة فهو اليق فتدبر وكذلك وقع في القراءات كلمات جاءت على وجهين متواترين
في المقاطع والاواخر كما جاء في المقاطع قرا بهما الجمهور من القراء العشرة
المتفق على قراءتهم وثبتا اي القراءة بالوجهين في المصحف العثماني المعمول برسمه
مثل قوله تعالى وانظر الى العظام جمع عظم اي عظم الحمار او عظم الموتى التي عجب من
احيائها كيف ننشرها براء مهملة من النشر اي نحييها وبه قرا ابو عمرو وغيره وننشزها
بزاي معجمة بقراءة نافع وغيره اي نحركها ونرفع بعضها على بعض من النشز بمعنى المرتفع
ومثل قوله تعالى يقضي الحق بضاد معجمة وتحتية في قراءة ابي عمرو وغيره اي يقضي
القضاء الحق في كل ما يقضيه ويقص بصاد مهملة مشددة في قراءة نافع وغيره
اي يتبع الحق فيما يحكم به ويقدره وكل هذا المذكور في هذا الفصل لا يوجب اي
لا يستلزم ولا يقتضي ريبا اي شبهة ولا يسبب بصيغة المضارع اي يكون
سببا للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ينسب اليه فيما طريقه البلاغ ولا وهما من
وهم بمعنى اذا ذهب وهمه اليه وفيه نظر وقد قيل ان هذا الذي وقع في قصة
الكاتب يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم في مكاتبته
الى الناس يدعوهم الى الاسلام ملوكا وغيرهم غير القران فله فيه ان يصف الله عز وجل
هو او ياذن لكاتبه في ذلك ويسميه في ذلك الكتاب الذي يكتبه لانه ليس قرانا يجب
اتباع نظمه كيف شا باي لفظ كان مما يليق به كما مر ولذا قال له اكتب كيف شئت
وكل صواب فصل هذا القول المذكور في هذا الفصل الذي قبل هذا امن
الوحي عن ربه واقع فيما طريقه البلاغ اي تبليغ الناس ما امر بتبليغه عن ربه
بالوحي واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ بما امر بتبليغه من الاخبار بيان لما الثانية وهي بفتح

الهمزة جمع خبر التي لا استند اي لا استناد لها الى الاحكام الشرعية التي يتعبد بها
ولا مستند لها الى اخبار المعاد بفتح الميم اي احوال القيامة والاخرة التي لا تعلم
الا بالوحي ولا انتفاء اي تسند وتنسب الى وحي اي امر اوحي به اليه من ربه
كاخباره عن بعض المغيبات ونحوها مما يقول انه اوحي به اليه بل اضراب
انتقالي لبيان ما ليس طريقه البلاغ وليس من الاحكام واخبار المعاد والوحي
مما وقع ذكره في احوال الدنيا وفي نسخة امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم
المتعلقة بامور نفسه فالذي يجب شرعا علينا اعتقاده والجزم به تنزيهه صلى
الله عليه وسلم وتبريته عن ان يقع خبره الذي اخبر به في شي من ذلك المذكور
من احوال الدنيا واحوال نفسه وذاته ملتبسا بخلاف مخبره بضم الميم وفتح
الباء اسم مفعول اي غير مطابق لما اخبر عنه بوجه ما لا عمدا لانه يكون
كذبا لا يليق بمقامه ولا سهوا ولا غلطا لاعتقاده ما ليس واقعا واقعا وانه بفتح الهمزة
معطوف على تنزيه معصوم حفظه الله عن صدوره منه في جميع احواله في
حال رضاه اي كونه غير غضبان ولا مكره على اخباره وفي حال سخطه بفتحتين
او بضم فسكون اي كراهته وعدم رضاه وجده بكسر الجيم وهو ضد الهزل
والمزح الذي اشار اليه بقوله ومزحه اي مزاحه وهزله فانه صلى الله
عليه وسلم كان يمزح احيانا ولا يقول الا حقا وفي حال صحته اي صحة مزاجه
وسلامته من الامراض ومرضه اي عروض بعض الامراض البشرية عليه ودليل ذلك
المذكور من عصمته في اخباره وجميع احواله اتفاق السلف اي من تقدم عصره
من هذه الامة واجماعهم عليه اي على انه لا يصدر عنه خبر بخلاف مخبره اصلا
وذلك انا نعلم يقينا من دين الصحابة رضي الله عنهم والدين اما بمعنى الديانة
او بمعنى العادة فقوله وعادتهم عطف تفسيري اي دابهم الذي استمروا عليه
او الدين بمعنى الطاعة والانقياد له مبادرتهم اي اسراعهم من غير توقف
وتردد وفي نسخة مبادرين فهو حال مما قبله اي مسارعين الى تصديقه
صلى الله عليه وسلم بقبول ما يقوله في جميع احواله السابقة من جده وما بعده
والثقة اي الوثوق والاعتماد لتصديقهم بجميع اخباره في اي باب اي نوع من الانواع
كانت اخباره واي شي وفي نسخة وعن اي شي وقعت وصدرت منه وباي سبب
في اي حال من احواله وانه اي الامر والشان لم يكن لهم توقف تفعل من الوقوف
اريد به الشك والريبة ولا تردد هو ايضا حقيقة عرفية في الشك وعدم
الوقوف في شي منها اي من اخباره بل بمجرد السماع يجزمون بتحقق خبره
كانهم عاينوه فيتلقوه بالقبول وانشراح الصدر ولا استثبات عن حاله اي
حال الخبر او عن احواله صلى الله عليه وسلم في اخباره والاستثبات بسين
مهملة ومثناة فوقية ومثلثة وموحدة ومثناة مجرورة وهو طلب الثبوت
بسوال ونحوه عند ذلك اي في زمان اخباره فلا يخطر ببالهم ولا يقولون هل فيها

سهو

سهوا ام لا اي هل صدر اخباره سهوا منه ام عمدا او غيره وهذا بيان لاستثباتهم
وهذا دليل على انه لم يقع منه ذلك واما عدم جوازه عليه وان كنا نعتقده ايضا
فليس بمراد فلا وجه لما قيل من انه انما يدل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز
فللقائل به ان يطلب الدليل على امتناعه ولما احتج اي تمسك واستدل ابن ابي
الحقيق بصيغة المصغر علم لهذا الشخص اليهودي وبنو الحقيق طايفة من يهود
خيبر لهم بها حصن منهم كنانة بن الربيع بن ابي الحقيق زوج صفية بنت حيي
ابن اخطب ام المومنين رضي الله عنها وله قصة في السير وليس هو هذا لانه
قتل في زمنه صلى الله عليه وسلم واما هذا فلم يذكروا اسمه وهذا الحديث
رواه البخاري في حديث اجلا يهود خيبر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه
متعلق باحتج ويحتمل ان يريد بابن ابي الحقيق جماعتهم كابن ادم للناس
لقوله حين اجلاهم من خيبر اي اخرجهم وطردهم منها في زمان خلافته رضي الله
عنه وهي بلاد بقرب المدينة لليهود علم ممنوع من الصرف والجار متعلق باجلاهم
باقرار اي جعلهم قارين فيها ساكنين من غير اخراج لهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي لبني الحقيق متعلق باقرار لجعل فعله صلى الله عليه وسلم حجة على عمر رضي
الله عنه واحتج عمر رضي الله عنه اي اقام الحجة عليه ردا لما احتج به بقوله صلى
الله عليه وسلم لذلك اليهودي من بني الحقيق كيف بك اذا اخرجت من بلادك اي في اي
حال تكون اذا وقع بك ما يصيبك واجليت من بلادك ونفيت منها فهذا يدل
على عدم دوام اقراره لهم كما ظن فهو متضمن لخبر صادق منه فقال له اي لعمر رضي
الله عنه اليهودي المذكور ردا لما احتج به كانت مقالته صلى الله عليه وسلم كيف
بك الخ هزيلة تصغير هزلة وهي المرة من الهزل ضد الجد كما في النهاية من ابي القاسم
هي كنيته صلى الله عليه وسلم كابي ابراهيم اي انما قال هذا على طريق الهزل والمزاح
فلا دليل فيه فقال عمر رضي الله عنه مجيبا له كذبت يا عدو الله اي لم يقل صلى الله
عليه وسلم ذلك هزلا ولو كان مزحا ايضا فهو لا يمزح الا بحق وذلك العدو يعتقد
خلاف ذلك عنادا منه وجهلا بمقام النبوة وتحقير لعنه الله والصحابة لا يقولون
بشي من ذلك وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر مفصلا في خطبة لعمر
رضي الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرهم بها على ان يكون ثمارها
بينه وبينهم ثم اقرهم ابو بكر رضي الله عنه على ما اقرهم عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اقرهم عمر رضي الله عنه في اول خلافته على ذلك ثم لما ظهر له غدرهم
بابن عمر اجلاهم منها واعطاهم قيمة ما لهم من الثمار والاموال واخرجهم لتيماء
واريحا من جانب الشام لحديث لا يجتمع بجزيرة العرب دينان كما فصل في السير
والبخاري وشروحه وكانت محاجة اليهودي له عند ذلك كما تقرر ومثله اي مثل
ما ذكر في الدلالة على عصمته صلى الله عليه وسلم في جميع اخباره فان اخباره المروية
عنه صلى الله عليه وسلم واثاره جمع اثر بمعنى خبر يوثر وينقل عنه وسيره جمع

سيره وهي الصفة الحميدة وشمايله جمع شمال بكسر الشين وهي صفاته الذاتية
الحسنة معتني بها نقلا وخطا اسم مفعول من العناية بمعنى الاشتغال
والاهتمام ومستقصي اي مستوفاة متممة من اولها الى اخرها واقصاها بتفاصيلها
اي مفصلة مبينة كلها ولم يرد عنه في شي منها اي من الاخبار والاثار والسير
استدراكه اي تداركه صلى الله عليه وسلم بالرجوع عما فرط منه للصواب فيه
لغلط في قوله قاله فيما ذكر من الاخبار وغيرها او اعترافه واقراره بوهم اي غلط
في شي اخبر به احدا من الصحابة ولو كان اي وقع منه شي من ذلك لنقل الينا
كما نقل فيما رواه مسلم عن طلحة وانس وغيرهما في قصة رجوعه صلى الله عليه وسلم
عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل التلقيح
اي تحوله عن رايه لغيره
والتابير جعل شي من طلع الذكر في الانثى لتحصيل ثمرها وبلحها وهو بمنزلة النطفة
للحمل جرت العادة لحكمة الهية انها لا تثمر بدونه وكان صلى الله عليه وسلم مر بهم وهم
يفعلون ذلك فسالهم عنه فاخبروه فقال لهم دعوه فتركوه امتثالا له صلى الله عليه وسلم
فلم يثمر نخلهم في ذلك العام فلما اخبروه بذلك قال لهم انتم اعرف بدنياكم فعدم معرفته
صلى الله عليه وسلم بامر من هذه الامور لا ينافي عصمته وانه لا يخبر بما يخالف
الواقع لان جل همه صلى الله عليه وسلم امور الاخرة والشرايع وقوانينها وغيره انما
جعل قصده العلم بظاهر من الحياة الدنيا وهذه القصة رواها مسلم كما علمت بسند
صحيح وفيه ان ثمرها خرج شيصا وهو البسر الذي لا نوى له قال المصنف هو رديء
البسر الذي اذا يبس صار حشفا وكان ذلك الامر الذي اشار عليهم به النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله لو لم تفعلوا كان خيرا رايا اشار به عليهم بناء على دابه صلى الله
عليه وسلم في ترك الاسباب الظاهرة والنظر لمسببها كما هو داب الكمل ولو
كان اعتقادهم واعتمادهم على الله مثله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف ذلك ولذا
فوض لهم صلى الله عليه وسلم امر دنياهم نظرا لقلوبهم لا خبرا اخبرهم به يكون
وقوع خلافه كذبا حماه الله منه ولا غلط فيه لانه اجتهاد تغير بحسب الظاهر
فلا نقص ولا يطعن به عليه وفيه انشدوا

ان الرسول لسان الحق للبشر ❊ بالامر والنهي والاعلام والخبر
هم اذكيا ولكن لا يصد فهم ❊ ذاك الذكا لما فيه من الضرر
الا تراهم لتابير النخيل وما ❊ قد كان فيه على ما فيه من ضرر
هم سالمون من الانكار ان زعموا ❊ حكما بحل وتحريم على البشر

وغير ذلك مما صدر منه من الامور التي ليست من هذا الباب مما يترجم عن الاخبار فيه
بما يخالف مخبره من امر الشرع والمعاد كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الشيخان عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في غزوة تبوك لما ساله صلى الله
عليه وسلم بعض الصحابة ان يحملهم فقال والله ما عندي ما احملكم عليه فاتي
بعد ذلك بابل فاعطاها السايل وقال اما انا حملتكم ولكن حملكم ثم قال والله اني لا احلف

ولفظ الرواية عند الشيخين عن ابي موسى الاشعري قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اساله الحملان لهم في غزوة تبوك فقال والله لا احملكم على شيء ووافقته وهو غضبان [illegible] فاعطاه [illegible] فقال [illegible] الله [illegible] انا حملتكم ولكن الله حملكم [illegible]

اي اقسم

اي اقسم على يمين المراد باليمين المستعمل بمعنى القسم هنا والمراد المقسم عليه
من فعل او ترك قال الزمخشري المحلوف عليه يمينا لتلبسه به واصله
العقد بنية وعزم واكد اشارة الى انه ليس لغوا لا ينعقد واصل
اليمين اليد اليمنى فسمي به لانهم كانوا يتماسكون بها اذا حلفوا
فارى غيرها اي اعلم غير اليمين المحلوف عليها واليمين مونث بجميع معانيه
فكني بضميرها عن المحلوف عليه اعني تركه صلى الله عليه وسلم حملانهم
لانه سببها خيرا منها اي احسن من فعلها الا فعلت الذي حلفت عليه اي الامر
الذي اقسم على ان لا يفعله كتركه حملانهم هنا وكفرت عن يميني بكفارته شرعا
وليس هذا بغلط فيما طريقه البلاغ ولا خبر لانه انشا قسم قال ابو موسى رضي
الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لما حلف ان لا يحملنا ثم ارسل الينا وحملنا
فقلنا نسي ما اقسم عليه والله لئن فعلنا ما فيه حنث له صلى الله عليه وسلم
لا نفلح فلنذكره فرجعنا وذكرنا له ذلك فقال انطلقوا انما حملكم الله ثم
قال والله احلف على يمين الخ وبه استدل على ان الحنث بما هو خير يستحب وليس
فيه انه حنث في هذه اليمين وكفر لانه يحتمل انه لم يكن عنده ما يحملهم عليه
لما اقسم ويحتمل انه قال ان شا الله ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الشيخان عن ام سلمة رضي الله عنها انكم معاشر الامة
تختصمون اي تاتون لفصل الخصومة الي اي عندي اقرا الحديث الخ وتمامه
ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض اي افصح فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن
اقتطعت له من اخيه شيا اي ليس حقه فلا ياخذه فكانما اقتطع له
قطعة من النار فليحملها او يذرها وفيه تنبيه على بشريته صلى الله عليه
وسلم وانه لا يعلم الغيب وانما يحكم بالظاهر وقد كان له صلى الله عليه وسلم الحكم
بالباطن لاطلاع الله له عليه كما ذكره السيوطي ولكن هذا اغلب احواله
صلى الله عليه وسلم تعليما لامته حتى يقتدوا به وقوله صلى الله عليه وسلم
للزبير رضي الله عنه في حديث روي في الكتب الستة من امره صلى الله عليه
وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا يستوعب الما ثم يرسله لجار له من الانصار
فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى
يبلغ الما الجدر اسق بهمزة وصل امر من سقى وقيل بهمزة قطع من اسقا والجدر
بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وقيل معجمة تليها را مهملة وروي بضم الجيم
جمع جدار ومعنى الاول ما رفع كالجدار لحبس ما السقي وهو لغة في الجدار
وقيل اصل الجدار وعلى الاعجام تمام الشرب من جذر الحساب ويجوز كسر جيمه
ومعناه الاصل وقيل هو اصل الحايط وحاصل ما ياتي في ذلك انه كان رجل
انصاري خاصم الزبير ابن عمته صلى الله عليه وسلم في سراج الحرة في الما الذي
يسقي به النخل وقال له ارسل الما الى جارك فترافعا له صلى الله عليه وسلم فقال اسق يا زبير

ثم ارسل الجارك فقال أن كان ابن عمتك فتلون وجهه صلى الله عليه وسلم
فقال اسق يا زبير واحبس الماحتي يبلغ الجدر وفيه نزل فلا وربك لا يومنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم وان الرجل الخاصم قيل هو حاطب بن بلتعة ولا يصح لانه
ليس انصاريا وقيل ثابت بن قيس وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد وقيل
انه بدري ونقل ابن الملقن انه منافق من الانصار وسياتي نقله عن الزجاج
قريب اخر الكتاب بن مشكل ما في هذا الباب كما سنبين كل ما في هذا الحديث وما معه
والباب الذي بعده واتي بقوله ان شا الله للتبرك امتثالا لقوله تعالى ولا تقولن
لشي الاية مع اشباهها اي اشباه وامثال ما في الباب وانث باعتبار المعنى اي
اشباه هذه المشكلات وايضا مثل ما ذكر من الجواب فان الكذب متى عرف من احد في شي من
الاخبار بخلاف ما هو عليه في الواقع والاولي ترك هذا الان الكذب لا يكون الا كذلك وقد
اطنب المص وطول بما لا فايدة فيه وكان يمكن اختصار هذا في كلمات قليلة على
اي وجه كان سوا كان هزلا او جدا كالحكوتية الذين ينقلون الحكايات الباطلة
مع علمهم بها للتلهي بها كما هو معروف الان استريب بخبره اي اوقع الناس في
ريبة وشك فيما يخبر به حتى لو صدق لم يصدق واتهم في حديثه الذي يحدث به
ولم يقع قوله في النفوس موقعا اي لم يقبل ويلتفت اليه ولهذا اي لكون الكذب يوقع في
ذلك ما ترك المحدثون ما زايدة وفي نسخة حذفها وهي اولى والعلما من عطف
العام على الخاص اي علما الحديث والفقها وغيرهم من اهل العلم الحديث مفعول
ترك من عرف بالوهم بفتح الها بمعنى الغلط وهو بسكونها بمعنى الوقوع في الفوع
الواهمة وفيه تفصيل في كتب اللغة والغفلة اي الذهول وعدم معرفة الامور
وسو الحفظ وكثرة الغلط عطف تفسير على سوء الحفظ اي كون حفظه سيئا غير قوي
مع ثقته اي كونه ممن يوثق به لديانته وعدم تعمده الكذب فيما يحدث به
ومع ذلك يترك رواية الحديث عنه لانه قد يقع فيه ما لا اصل له لغفلته وقلة
حفظه واذا كان هذا المخالفته الواقع غير مقبول فما بالك بالكذب ممن عرف
به ولا يرد على المص انه اذا حدث من اصل صحيح عنده تقبل روايته منه لا عن
ظهر قلبه وحفظه وانه لا يشترط في هذه الاعصار ذلك ابقا لسلسلة الحديث
لانه اذا حدث عن اصل كان الاعتماد عليه لا على حفظه وما ذكره هو الذي عليه
علما الحديث المعتمد عليهم وايضا اي مثل ما ذكر في عدم الاعتماد على من يكذب
فان تعمد الكذب قصدا والفا في جواب شرط مقدر نحو ان احطت بما ذكر خبرا
وعلمته في امور الدنيا فضلا عن الحديث والامور الشرعية معصية وذنب يذم
به عاجلا ويعاقب عليه اجلا ان لم يغفره الله والاكثار منه كبيرة باجماع
من ايمة الدين وهي كما قالوا تختلف في تعريفها وهل هي محصورة ام لا كما تقرر
في كتب الاصول وستاتي الاشارة الى شي من ذلك مسقط للمروة اي يذهب عدالته
والمروة بهمزة او واو مشددة مصدر من المرء كالرجولية والانسانية وكل هذا المذكور

من الكذب

من الكذب ونيابته مما يبزه ويبعد عن مقامه ويبرا عنه منصب النبوة المراد
بمنصبها مقامها وهو في اللغة بمعنى الحسب كما في قول ابي تمام ومنصب نماه
ووالد سما به واما استعماله بمعنى الولاية السلطانية فمولد كقول ابن الوردي
رحمه الله تعالى

نصب المنصب أوهي جلدي ۝ وعنائي من مداراة السفل

كما تقدم والمرة الواحدة منه اي من الكذب وفي نسخة منها اي من هذه المعصية
فيما يستبشع اي يستقبح من البشاعة بموحدة وشين معجمة ويشاع اي يشيعه الناس
لشناعته وقوله فيما متعلق بمقدر اي معدود فيما الخ وفي نسخة يستشنع بنون
من الشناعة وفيها ايضا ويشيع بدل ويشاع مما يخل من الخلل بعرضه ودينه
بصاحبه المنصف به ويزري اي يعيب وينقص ويحقر بقايله اي يجعله متصفا
بالخلل والنقص من ازريت عليه ازرا اذا عبته وفي نسخة صاحبه وقايلها
كما تقدم وقوله والمرة مبتدا اخبر قوله لا حقه بذلك اي بما لا يليق بمنصب النبوة
او خبر مما وهي حال واما الكذب فيما لا يقع هذا الموقع اي لا يعد مما يستبشع
فان عددناها اي جعلناها من الصغاير دون الكباير التي يترتب عليها حد او وعيد
على الخلاف فيها فهل تجري على حكمها اي يوافق حكمها حكمها ويتحد في الخلاف
فيها اي وقع الخلاف فيما قبلها هل يجوز صدوره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قبل البعثة ام لا فكذلك الخلاف هل وقع من ايمة الدين في هذه
ام لا مختلف فيه اي وقع فيه خلاف من ايمة الاصول فمنهم من قال اختلف
فيه ايضا ومنهم من قال لا خلاف في عدم وقوعه منهم لانه مما ينفر القلوب عنهم
والكذب حرام منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة وقد يقترن به ما يصيره كفرا
وقد يقترن بالصغيرة ما يصيرها ككونها تودي الى القتل او القتال كما
قاله الجويني وليس هذا محل تفصيله والصواب من هذه الاقوال تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم ومقام النبوة عن قليله اي الكذب وكثيره لاخلاله بعظيم
قدرها وشرفها سهوه لعصمة الله له عنه وعمده لعلو طبعه عنه اذ عمدة
النبوة بضم العين ما نعتمد عليه والمراد به المقصود منها بالذات البلاغ
والاعلام لمن ارسل اليهم ما اوحاه الله اليه والتبيين لهم ما شرعه الله
وتصديق من ارسله في ما جابه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والشرايع
التي جابها عن ربه وتجويز شي من هذا اي بانواعه على انبيا الله قادح في ذلك العمدة
المقصودة من بعثته وبلاغه واعلامه ووجوب تصديقه لان من يجوز عليه
الكذب في شي ما لا يعتمد عليه فيما بلغه عن الله واتي بالاشارة للغريب
في الكذب تحقيرا له وباشارة البعيد فيما بعده تعظيما له وهو ظاهر
وتجويزه ايضا مشكك فيه اي فيما جابه لا للناس صدقه الواجب اتباعه
يكذبه لو وقع منه ولو سهوا مناقض للمعجزة لا يجابها تصديقه ولذا اقترنت

بها الدعوة فليقطع امر للغايب اي يعتقد قطعا بانه اي الامر والشان او الكذب
باقامة الظاهر في قوله لايجوز بسكون الواو وتشديدها على الانبيا كلهم خلف
بضم الخا وفتحها اي كذب في القول الصادر عنهم وفي نسخة في قول بوجه من الوجوه
وفي نسخة في وجه اي في اي شي كان سوا كان من قبيل البلاغ ام لا لا بقصد ولا
بغيره كالسهو ولا بتسامح اي لا بتساهل ولا بتهاون مع تسامح متبعا لمن
تساهل في حقهم في تجويز ذلك الخلف في اقوالهم فجوزه عليهم حال السهو فيما ليس
طريقه البلاغ عن الله لعصمة الله لهم عن وصمته ومنهم بعض الشراح القايل
بانه لا دليل على عدم وقوعه منهم نادرا نعم جواب سوال تقديره هل هذا
شامل لما قبل النبوة فاجاب بانا نقطع بانه لا يجوز بعد النبوة وبانه
لا يجوز عليهم الكذب مطلقا قبل اظهار النبوة والاتسام اي الاتصاف من السمة
به اي الكذب في امورهم الخاصة بانفسهم واحوال دنياهم اي الاحوال المتعلقة
بالدنيا لهم ولاممهم لان ذلك اي الخلف في القول كان يزري اي يعيب
وينقص كما مر ويريب اي يوقع في ريب وتهمة بهم فيوقع الشك والتغيير في
القلوب وهو مما ينزه عنه مقام النبوة وينفر القلوب اي قلوب الناس عن
تصديقهم فيما يبلغونه لهم بعد مبني على الضم اي بعد ارسالهم وتبليغهم او
بعد العلم باتصافهم بالكذب ثم ايد ذلك بقوله وانظر امر لكل من له نظر
ومعرفة احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم اي من عاصره في مدة
حياته من قريش وغيرها من العرب اتته باعتبار القبيلة وغيرهم من الامم كالروم
والعجم والحبش وسوالهم تفتيشا عن حاله في اطواره وسيرته بعد دعوتهم
وقبلها لما شاع صيته في الافاق في صدق لسانه اي صدق كلامه فان اللسان
يطلق على الجارحة والكلام وقوله في صدق الخ بيان لحاله اي حال الكاين
في صدقه وما عرفوا به من ذلك بتشديد الراو البنا للمفعول وتجوز
تخفيفها والبنا للفاعل واعترفوا به مما عرف هو ايضا كالاول وانفق النقل على عصمة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منه اي من جميع ما ذكر عمدا وسهوا قبل وبعد مبنيان
على الضم اي قبل البعثة وبعدها والمراد نقل علما الملة ونقل الناس بعضهم
عن بعض عصرا بعد عصر ثم لم يزالوا ينقلون خلفا عن سلف انه لم يقع منه ذلك
وعدم وقوعه يدل على عدم جوازه عليه فالتوقف فيه لا يجوز وتحقيقه كما
قال العلامة العلايي في تاليف افرده لشرح هذا الحديث ومن خطه نقلت
وعبارته اتفق جميع اهل الملل والشرايع على وجوب عصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام عن تعمد الكذب فيما دلت عليه المعجزة القاطعة على صدقهم
فيه وذلك فيما طريقه التبليغ عن الله من دعوى الرسالة وما ينزل
عليهم من الكتب الالهية اذ لو جاز ذلك ادى الى ابطال دلالة المعجزة
وهو محال واما السهو والنسيان فقال الامدي اختلف الناس فيه

فذهب

ابن اقبرس

ابن اقبرس

فذهب ابو اسحاق الاسفرايني وكثير من الايمة الى امتناعه وذهب القاضي
ابو بكر الى جوازه وادعى الفخر الرازي في بعض كتبه الاجماع على امتناعه ونقل
الخلاف فيه في بعضها وحاصل الخلاف يرجع الى ان ذلك داخل تحت دلالة
المعجزة على التصديق فمن جعله غير داخل فيها جوزه لعدم انتقاض الدلالة وفي
كلام امام الحرمين ان ذلك فيما يتعلق ببيان الشرايع سوا كان قولا او فعلا
نازلا منزلة قوله في اقتضا البيان ومثل كلامه الى جواز السهو فيه واحتج
بقصة ذي اليدين وقال شيخنا الزملكاني ان الذي يظهر ان ما طريقه البلاغ
يقطع بدخوله تحت دلالة المعجزة على الصدق فهذا لا نزاع في انه لا يجوز فيه
التحريف ولا الكذب ولا السهو وما لا يكون كذلك وهو ما لا طريقه التبليغ وبيان
الشرايع فهل يجوز فيه النسيان وهذا محل الخلاف ويحمل اطلاق الفخر الاجماع
فيه على الاول وذكره الخلاف على الثاني وكذا كلام الامدي محمول على هذا التفصيل
وقال الباقلاني في كتاب الانتصار المعجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يفكر فيه وهو عامد له وذهول النفس وطريان النسيان وبوادر اللسان
لا يدخل تحت الصدق الذي هو مدلول المعجزة ومن زعم ان في تجويز ذلك القدح
في الثقة بتبليغ الانبيا عليهم الصلاة والسلام فليس بشي فانه انما يكون ذلك
لو جوز تقريرهم عليه وهو ممتنع واما القاضي عياض فانه نقل الاجماع على
عدم جواز السهو والنسيان في الاقوال البلاغية وخص الخلاف بالافعال
وهو يرجع الى اندراجه تحت المعجزة كما ذكرنا انتهى ثم اشار الى ما يوبد هذا
مما قدمه بقوله وقد ذكرنا الخ واوردوا اوجوابا عما يرد على كلامه فقال
فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السهو اي الحديث الذي
روي فيه سهوه في صلاته والفا الاولى في جواب شرط مقدر اي اذا علمت
تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن الخلف عمدا وسهوا في اقواله فقد تعرض
لك شبهة وسوال عما خالفه من هذا الحديث فتقول الخ والثانية في جواب
الشرط المذكور ومقول القول بعضه مقدر اي ان قلت انك قررت عصمته
عن السهو فما معنى قوله الخ واعلم ان الراغب قال النسيان ترك الانسان
ضبط ما استودع اما عن غفلة واما لضعف قلب واما عن قصد حتى يذهب
عن القلب وكل نسيان ذمه الله فهو ما كان عن تعمد نحو فذوقوا بما نسيتم لقا
يومكم هذا وخلافه مرفوع عنه كما في حديث رفع عن امتي الخ وما نسب الى الله
عز وجل فقوله انا نسيناكم بمعنى الترك كما قاله الزجاج وغيره لانه من لوازمه
واصله عدم الحفظ والله منزه عنه واما السهو فقد حكى المص فيما ياتي الفرق
بينه وبين النسيان معنى وقال ان السهو في الصلاة جايز على الانبيا بخلاف
النسيان لانه غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة

شغلا بها لا غفلة عنها ويأتي شرحه عند ذكره له وقال الحافظ العلاي انه
ضعيف معنى ولغة اما الاول فلما في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر انسى كما تنسون اي كما سيأتي بما فيه واما الثاني فقد قال الازهري
السهو الغفلة عن الشي وذهاب القلب عنه وسهي في صلاته غفل وكذا
في الصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطا عن غفلة وقسمه لقسمين وفي
النهاية السهو في الشي تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو
قريب مما قاله الراغب وسيأتي تتمته قريبا وهذا الحديث رواه الشيخان ومالك
والترمذي وغيرهم ولم يروه المص من طريق الصحيحين بل من طريق غيرهما لما
يأتي فقال الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق بن جعفر الذي تقدمت
ترجمته قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم قال ثنا ابو عبد الله بن الفخار
ابن عمر بن يوسف المالكي القرطبي عالم الاندلس وزاهدها وكان رحمه الله
مجاب الدعوة توفي سنة سبع عشرة واربعمائة قال ثنا ابو عيسى يحيى ابن
يحيى الليثي كما تقدم قال ثنا عبيد الله قال ثنا يحيى تقدم ايضا عن مالك امام
دار الهجرة المشهور عن داود بن الحصين بحا مضمومة وصاد مفتوحة مهملتين
ويا تصغير ونون وهو مولى عمرو بن عثمان مدني ثقة يحتج بحديثه وان كان
يرى رأي الخوارج لانه لم يكن داعية وروى هو عن عكرمة ونافع وغيرهما وروى
عنه مالك وغيره توفي سنة خمس وثلاثين ومائة عن ابي سفيان مولى ابن احمد
اسمه وهب وقيل قزمان وهو ثقة يروي عن ابي هريرة وغيره واخرج له
الستة انه قال سمعت ابا هريرة تقدم بيانه وانه اختلف في اسمه واسم ابيه على
ثلاثين قولا اشهرها انه عبد الرحمن بن صخر الدوسي نسبة لدوس قبيلة
سميت باسم جدها دوس بن ثابت وكني بابي هريرة لانه اتى بهرة وحشية
لقومه وقيل انه صلى الله عليه وسلم هو الذي كناه بذلك وقد قدمنا انه
ممنوع من الصرف كما صرح به سيبويه والنحاة المغرب فيه كلام بيناه خطا لا
في كتاب السوانح يقول اي يحدث قايلا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلاة العصر في جماعة هذه رواية الامام مالك في موطابه واختارها المصنف
على رواية مسلم وغيره لعلو سنده من طريقه ولترجيح اهل المغرب له فسلم في ركعتين
اي بعدما فرغ منهما ومن التشهد وهذه رواية الموطا وقيل من ثلاث وله طرق
مشهورة اشهرها رواية ابي هريرة وقال ابن عبد البر ليس في اخبار الاحاد
اكثر طرقا من حديث ذي اليدين وفي طريقه اختلاف من تلك الطرق وفي
سلامه هل هو من ركعتين او ثلاث وهل الصلاة العصر او غيرها ومن وقعت
معه القصة هل هو ذو اليدين او ذو الشمالين وتفصيله انه رواية
مالك عن السختياني عن ابن سيرين عن ابي هريرة واخرجه البخاري وابو
داود والترمذي والنسائي ورواه الزهري من طرق خالف فيها في تسمية

ذي

ذي اليدين ذا الشمالين وسيأتي ما فيه وفي انه لم يسجد للسهو وفي مسلم
انه سجد سجدتين بعد السلام وفي البخاري عن ابي سلمة انه صلى الظهر
او العصر وسلم على راس ركعتين وفي رواية على ثلاث وفي رواية انها كانت
صلاة المغرب وقد رواها مفصلة الحافظ العلاي باسانيدها ومتابعاتها
وليس هذا مما يلزم ايراده هنا فقام ذو اليدين من صلاته وسمي
ذا اليدين لطول يديه وكان يصلي خلفه صلى الله عليه وسلم وفي رواية
ذو الشمالين فقيل وهما اسم رجل واحد وقال العلاي انه غيره على
الصحيح وثبت من طرق ان ابا هريرة رضي الله عنه كان حاضرا في هذه
القصة كما صرح به في رواية المص بقوله سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الخ وفي رواية لمسلم صلى بنا صلاة الظهر وفي اخرى
الظهر او العصر وفي رواية احدى صلاتي العشا من طرق صحيحة كلها
تدل على ان ابا هريرة رضي الله عنه كان حاضرا بها قال العلاي ولا خلاف في ان اسلام
ابي هريرة كان سنة سبع ايام خيبر ولا خلاف بين اهل السير ان ذا الشمالين
استشهد ببدر سنة اثنين قال ابن اسحاق هو عمرو بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو
ابن غبشان بن سليم بن مالك بن افصى من خزاعة حليف بني زهرة وقال مسدد ابن
مسرهد الذي قتل ببدر ذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بني زهرة وذو اليدين
رجل من العرب بالبادية كان يجي فيصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وابدقول
مسدد ابن عبد البر وقال انه الذي عليه اصحاب السير والفقها ولذا روي
عن ابي هريرة انه قال فقام رجل من بني سليم وقيل ان ذا اليدين عمر الى خلافة
معاوية وتوفي بذي خشب وقول الزهري انه ذو الشمالين بن عبد عمرو
غلط فيه وروايته فيها اضطراب وقيل انه لم ينفرد بتسميته ذو الشمالين
ورد المص في الاكمال قول من غلط الزهري واختلفوا ايضا في تسمية ذي
اليدين فقيل الخرباق واختاره المص والنووي وابن الاثير وقال ابو حاتم
وابن حبان ان الخرباق غير ذي اليدين وقال ابن عبد البر القرطبي يحتمل انه غيره
وقد جمع بين الروايتين بتعدد الواقعة فاحداها قبل بدر والمتكلم فيها
ذو الشمالين ولم يشهدها ابو هريرة بل ارسل روايتها والثانية حضرها
والمتكلم فيها ذو اليدين كما حكاه المص في الاكمال واختاره لما فيه من الجمع بين الروايات
ونفي الغلط عن مثل الزهري قال العلاي وفيه نظر لان فيهما ما لا يمكن الجمع فيه
ولا شك ان ذا اليدين غير ذي الشمالين وقال بعضهم ان القصص ثلاث
والكلام فيه طويل لا يسعه هذا المقام فاعرفه فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة
روي كما قال الحافظ العلاي بضم القاف وكسر الصاد بالبنا للمفعول وهي
المشهورة وروي بفتح القاف وضم الصاد وهذا الفعل سمع لازما بضم
عينه وفتحها وهو متعد كقصرها بالتشديد واقصرها على السوا كما حكاه

الازهري ولا يقال ان فقر اذا كان مخففا لا يتعدي الا بحرف الجر كقوله تعالي
ان تقصروا من الصلاة لانا نقول تعديه بنفسه ثابت حكاه الجوهري
وغيره ومن زايدة عند الاخفش وعند سيبويه تقديره شيا من الصلاة ومعناه
يرجع الي الاختصار والكف ومنه قصر طرفه علي كذا ام نسيت تقدم ان
النسيان ترك ما لا بد منه اما لغفلة او لضعف قلب حتي يزول تذكره وانه
يذم منه ما كان عمدا او بعذر ربما لم يكن سببه منه كقوله رفع عن امتي الخطا والنسيان
وانه اذا انسب الي الله فمعناه الترك كما قاله الزجاج وابن سيده وام متصلة
ولا بد ان يتقدمها استفهام لفظا او تقديرا مع تساوي ما دخلا عليه سوا
كانا اسمين ام لا ويكون بمعني اي الامرين وتكون للسوال عن احد الامرين
ليعين كما هنا والكلام عليها مفصل في كتب العربية فقال صلي الله عليه وسلم
جوابا لذي اليدين كل ذلك لم يكن لما سلم صلي الله عليه وسلم واقتصر علي
ركعتين او ثلاث دار الامر عند ذي اليدين بين امرين النسخ او السهو
فسال عن تعيين احدهما فحق الجواب تعيين احدهما لكنه اجاب بنفي كل
منهما معينا ونفس الامر لا ينفك عن وجود احدهما وما ذكره صلي الله عليه وسلم
بحسب ظنه لانه لا يقع الخلف في اخباره وذو اليدين تحقق عدم النسخ فتعين
وقوع السهو كما سياتي والسوال المقترن بام لطلب التعيين بعد الاستثبات
يجاب بالتعيين فجوابه صلي الله عليه وسلم علي حسب ظنه كما علم ونظيره قول
ذي الرمة • تقول عجوز مدرجي متروحا • علي بابها من عند اهلي وغاديا •
• اذو زوجة في المصر ام ذو خصومة • اراك لها بالبصرة العام ثاويا •
• فقلت لها لا ان اهلي جيرة • لاكثبة الدهنا جميعا وماليا •
فالجواب باحدهما انما هو اذا كان فيهما احدهما والايجاب بنفيهما وقد يراد
بذكر ثالث فيهما وان لم يسال عنه وهذا مما لا شبهة فيه فان قلت كيف جوابه
صلي الله عليه وسلم بنفيهما كما واحدهما محقق فيلزم الخلف في اقواله وخبره وهو لا يجوز
عليه قلت قد اجيب عنه كما في شرح مسلم بوجوه احدها انه نفي الجميع
اي لم يكن لا هذا او لا هذا اصلا وهو لا ينافي وجود احدهما وقد رد هذا بان
تصريحه بقوله لم انس ولم اقصر فانه مذكور في الحديث في بعض الروايات ذكونه
مصروفا الي السلام كما قيل لا وجه له اي كما ياتي في كلام المص الثاني انه مبني
علي الفرق بين السهو والنسيان اي سهوت ولم انس وهو بعيد لانه
وان كان بينهما فرق يستعمل كل منهما بمعني الاخر الثالث انه نفي اضافة
النسيان اليه وكره اضافته له كما ورد لا يقل احدكم نسيت فانه انما
نسي اي خلق الله فيه النسيان وليس فعلا له وهذا مما قال المص
انه اخترعه وهو ضعيف فانه فعله بلا شبهة وان كان بخلق الله
الرابع انه اخبار عما في ظنه واعتقاده وكانه قال كل ذلك لم يكن في

ظني

ظني ولو قال ذلك لم يكن فيه خلف وكذب والمنوي والمقدر كالمذكور كما
لو حلف علي شي يعتقده وهو غير واقع يكون يمينه لاغية كما ذهب اليه
بعض الفقها فانه ليس مما كسبت القلوب وليس هذا مبنيا علي ان الصدق
والكذب باعتبار مطابقة الواقع وعدمها مما يخالف مذهب الجمهور فان
ظنه ذلك واقع والنفي منصب علي الظن فكل ذلك لم يكن لنفي القصر
والعلم بالنسيان وهو صحيح واقع وكل ذلك روي كما قاله التلمساني بالرفع
والنصب وعليه بني انه لشمول النفي او لنفي الشمول كما فصله اهل
المعاني في قوله •
• قد اصبحت ام الخيار تدعي • علي ذنبا كله لم اصنع •
وهذا البحث مع طوله شهرته تغني عن ذكره فان اردته فارجع الي
المطول وحواشيه وفي رواية اخري لهذا الحديث ما قصرت اي الصلاة بالبنا
للمفعول وما نسيت الحديث بقصته وفي رواية لم انس ولم تقصر فاخبره اي اخبر
صلي الله عليه وسلم ذا اليدين السايل له بنفي الحالتين يعني النسيان والقصر في
الروايات كلها وانها اي كل حالة منهما لم تكن واقعة منه فافرد الضمير المونث
لتاويله باسم الاشارة وفي نسخة وانهما لم يكونا والحال انه قد كان احد ذلك
المذكور وفي اسم الاشارة تنبيه علي ما قلناه كما قال له صلي الله عليه وسلم
ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله وهذا بيان لمحل الشبهة لوقوع
الخلف في قوله صلي الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن كما بيناه انفا وفي قوله
بعض ذلك اشارة الي نقيض القضية الاولي التي هي سالبة كلية بالموجبة
الجزيية وليس هذا محله كالكلام علي تقدم كل علي النفي وتاخرها عنه
كقول المتنبي • ما كل ما يتمني المرء يدركه •
وقد اطال الكلام فيه في الشرح الجديد وقد تركنا الاطالة خوف الملالة
فاعلم وفقنا الله واياك جملة دعايية معترضة ان للعلما من المحدثين والفقها
في ذلك السهو الذي وقع له صلي الله عليه وسلم في هذه القضية اجوبة بعضها
بصدد الانصاف الصدد معناه القرب هنا اي قريب من الانصاف يقال داره
صدد داري اي في مقابلتها وقربها فهو ظرف متصرف والبا بمعني في
والانصاف العدل والاستقامة في الامور ومنها اي بعض الاجوبة
ما هو بنية التعسف والاعتساف روي بنون وتحتية مشددة وهي تكون بمعني
القصد وعقد القلب وبمعني الجهة التي يذهب فيها وبمعني البعد كالنوي
كما في القاموس وغيره من كتب اللغة وهما شايعان في الاستعمال وروي
بمثناة فوقية من تاه يتيه اذا ضل عن الطريق ويكون بمعني الارض
الواسعة التي تضل سالكها كتيه بني اسرايل والتعسف والاعتساف
السير علي غير الطريق والجور والظلم هذا حقيقته لغة فعلي الاول انه اريد

ابن الفرس وغيره

حلبي وغيره

به انه فصد الجور والتقدير علي من خالف من العلما والتعسف بمعني انه
في حاله ومقاله غير مستقيم والاعتساف بمعني حمل غيره علي ذلك فهو ضال
مضل فلا تكرار فيه لاجل السجع كما قيل والاحسن ان يقال انه استعارة
تمثيلية بتشبيه مسلكه فيما قاله بمن دخل مسافة ضل فيها لكونها حزنا
بعيدا لم يهتد لطريقه وكذا علي الثاني التيه بمعني القفر الواسع
او الضلال وتفسيره بالتكبر بعيد بمراحل عن مقصده فتامل وها انا اقول
شروع في بسط ما يرتضيه عدولها عن طريق من تعسف وها للتنبيه وما
بعده مبتدا وخبر والفصيح ان تدخلها علي اسم الاشارة او علي ضمير خبره
اسم اشارة نحو هذا وها انا ذا وها انا ايضا مسموع كما في شرح التسهيل اما علي
القول بتجويز الوهم تقدم انه بفتح الها وجوز ناسكونها مع تفسيره بما مر والغلط
اي الخطا عمدا لعدم علمه بالصواب ويقال في الحساب غلت بمثناة وقيل
انها لغة والفرق بينه وبين النسيان والسهو ظاهر مما لبس طريقه معناه
معروف مستعار هنا لنوعه وجنسه من القول لا من قبيل الافعال فانها
ليست محل الخلاف هنا ومن بيانية مقدمة من تاخير البلاغ خبر ليس اي
اي لا يتعلق به حكم او وحي او خبر عن امر المعاد وهو اي هذا القول
الذي زيفناه اي رددناه ولم نرضه مستعار من النقد الزايف المغشوش
الذي ابطل السلطان التعامل به من القولين المذكورين سابقا وهذا
اعتراض بين اما وجوابها تذكيرا بما تقدم فلا اعتراض علي ما تقرر في
عصمة الانبيا بهذا الحديث المذكور في قصة ذي اليدين وشبهه مما روي
فيه عنه صلي الله عليه وسلم فيه سهو ونسيان ونحوه لا يمتنع فيما ليس
طريقه البلاغ واما علي مذهب من منع السهو والنسيان في افعاله دون اقواله
كغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام جملة اي جميعا وقد استعمله
بهذا المعني كثيرا وهذا القول ذهب اليه كثير من مشايخ الصوفية
وبعض المتكلمين وخصه بعضهم بنبينا صلي الله عليه وسلم ونحوه اي
يعتقده رايا انه صلي الله عليه وسلم في مثل هذا عامد وقاصد
لكل ما يفعله لصورة النسيان فياتي به علي وجه العمد ذاكرا له موهما لغيره
انه ناس ليسن اي ليعلم الناس سنته في السهو كالسجود له ونحوه
من الاحكام وكان حقه ان يذكر لهم لتعلمهم لكن البيان بالفعل اظهر
وفي شرح مسلم شذت طايفة من الباطنية وارباب القلوب فقالوا
لا يجوز النسيان عليه وانما نسي قصدا اي اتي بما هو في صورة النسيان
ليبين حكمه وقال المحقق الاسفرايني هذا امنحي غير سديد وجمع الضد
مع الضد مستحيل والاول هو الصحيح فان السهو في الافعال غير مناقض
للنبوة ولا قادح فيها بخلاف الاقوال في البلاغ انتهي فهو علي هذا القول

صادق

صادق في خبره اي قوله لم انس ولم تقصر ونحوه لانه لم ينس ولا قصرت الصلاة
ولكنه علي هذا القول بقصده لصورة النسيان ذاكرا له تعمد هذا الفعل اي
سلامه مقتصرا علي ركعتين في هذه الصورة اي صورة الناسي ليسنه اي
يجعله سنة لمن اعتراه اي عرض له ووقع منه مثله اي مثل هذا الفعل
ناسيا من امته ليقتدوا وابا فعاله وهو قول مرغوب عنها اي متروك لبعده
وضعفه عنده وفي الحواشي التلمسانية عن ابن سيدي الحسن قال سمعت
ابي رحمه الله يقول عن شيوخه ان السهو في الصلاة يكون عن معصية
سبقت منه وكذا صين عنه نبينا صلي الله عليه وسلم وقد بين وجه
كونه مرغوبا عنه كما اشار اليه بقوله نذكره في موضعه من هذا الكتاب
وقد قال العلامة العلاي ان هذا القول خطا لانه صلي الله عليه وسلم
اخبر عن نفسه بوقوع النسيان منه في حديث ابن مسعود المتفق عليه انما
انا بشر مثلكم انسي كما تنسون وايضا لو كان هذا عمدا ابطل الصلاة
ولا يعلم العمد في صورة النسيان الا اذا بينه بالقول ولم ينقل عنه ذلك
واما علي القول باحالة السهو عليه في الاقوال الصادرة عنه والمراد بالاحالة
المنع كما يدل عليه مقابلته بالتجويز في قوله وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه
القول من الاعمال كسهوه في الصلاة ففيه اجوبة منها اي من الاجوبة
عن قول القايل علي هذا القول انك قلت لا يقع منه صلي الله عليه وسلم
سهو في الاقوال وقد وقع منه ذلك في قوله كل ذلك لم يكن مع انه كان
بعضه كما تقدم فاجاب عنه بقوله ان النبي صلي الله عليه وسلم اخبر بقوله كل
ذلك لم يكن عن اعتقاده وضميره اي ما اضمره في نفسه وقدره في كلامه
من هذا القيد اما انكاره صلي الله عليه وسلم القصر اي ان الصلاة الرباعية
نسخ كونها رباعية في الحضر فصارت ركعتين ولذا سلم منهما فحق وصدق
لا شك فيه ولا شبهة ظاهرا وباطنا اي انكاره صلي الله عليه وسلم ذلك
وقع ظاهرا لتصريحه به وباطنا لاعتقاده له اذ لم يوح اليه خلافه وما ينطق عن
الهوي واما النسيان اي انكاره صدوره منه في فعله مع وقوعه منه ولا يخبر
بخلاف الواقع عمدا فاخبر صلي الله عليه وسلم عن اعتقاده ظنا منه لذلك والاعتقاد
يطلق علي اليقين والظن الراجح عنده فقوله لم انس المراد به انه لم ينس في ظنه
فكانه صلي الله عليه وسلم قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به ولم يقل في اعتقادي
وظني لكنه لارادته وتقديره في كلامه واضماره في نفسه كان كالملفوظ به
المذكور صريحا لان المقدر كالمصرح به فيكون كلامه هذا اخبارا وهو صدق مطابق
للواقع لانه في نفس الامر لم يظن انه نسي ولم يخطر ذلك بباله ايضا اي كما ان القصر
كذلك او كما ان المنطوق به صدق فلا يتوهم ان كونه صدقا مبني علي ان الخبر
الصادق ما طابق الاعتقاد والجمهور علي خلافه فان قلت فما بال ذي اليدين

ردّ هذا بقوله بل كان بعض ذلك وهو لم يكن في ظنه واعتقاده قلت لم يرد
ذو اليدين تكذيبه صلى الله عليه وسلم وانما اراد تنبيهه على ان ظنه غير
مطابق للواقع لانه امر شرعي لا تسامح فيه فلما قال له ذلك شك صلى الله
عليه وسلم في امره وسال من عنده من الصحابة فصدقوا ذا اليدين على ما
قاله وكانهم لم يسبقوا ذا اليدين بذلك مهابة له صلى الله عليه وسلم ولذا انه شك
في امره لانهم سكتوا عن امر لا يخفى عليهم وفيهم مثل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
والظاهر ان القول الاول مبني على عدم وقوعه في الاقوال البلاغية وفي
الافعال ايضا وخص الثاني بالذكر لانه محل الخلاف وقد وقع لبعضهم هنا
خبط اعرضنا عنه لركاكته ووجه ثان في الجواب عما ذكر على هذا القول وهو
ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على احدى الروايات كما تقدم ولم انس راجع
الى السلام من الصلاة والاقتصار على ركعتين او ثلاث منها اي ابي سلمت قصدا
لتنفس السلام فليس بسبق لسان متى وسهوت عن العدد اي عدد الركعات
فتوهمت اني اتممتها اي لم اسه في نفس السلام لظني اني اكملتها اربعا والمقصود
من هذا دفع الخلف عما قاله وهذا التاويل محتمل بصيغة المفعول اي يجوز
حمل الحديث عليه لما ذكرناه ولكنه فيه بعد لانه خلاف الظاهر وقول ذي اليدين
له بلى نسيت كما تقدم في بعض الروايات مبعد له لا مناف ولا حاجة لان
يقال ان ذا اليدين لم يفهم مراده وكذا قوله صلى الله عليه وسلم للصحابة احق
ما يقوله ذو اليدين وقد قيل انه يأباه قرينة الحال والمقال وهو الذي
عناه المص ووجه ثالث وهو ابعدها اي الاجوبة ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله
اللفظ اي لفظ الحديث وبينه بقوله من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان
معه في الانتفا بان ينتفيا معا بل كان احدهما وهو النسيان لان النفي قد يكون
لنفي المجموع وقد يكون لنفي واحد لا على التعيين ومفهوم اللفظ خلافه اي يخالف
لهذا الجواب ويؤيده ما في بعض الروايات كما اشار اليه بقوله مع الرواية الاخرى
الصحيحة في هذا الحديث وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت فان اعادة النفي تقتضي
ان كل واحد منهما منفي لا احدهما فقط يعني ان محصل هذا الجواب ان كل محمولة
على الكل المجموعي نحو كل الرجال يحمل هذه الصخرة العظيمة وهذا وان كان صحيحا
لكنه خلاف المتبادر لا سيما في النفي وسياق الحديث يأباه وكذا قول ذي اليدين
بلى كان بعض ذلك فان الموجبة الجزئية انما تنافي السالبة كما فصلوه في كتب المعاني
والاصول وكذا ينافيه ما في الرواية التي ذكرها هذا المذكور من الاجوبة هو ما رايت
فيه اي في هذا الحديث الذي تقدم بيانه رايته مذكورا لائمتنا من المحدثين والفقها
وكل من هذه الوجوه التي ذكرها يحتمل اللفظ يعني لفظ الحديث على بعد بعضها في الواقع
وسياق الحديث وتعسف الاخر بفتح الخا اي تكلفه وبعده عن الطريق المستقيم قال
القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله اقول في الجواب عنه وايضا

بقوله الى السلام

ابن فرس

عيني

هو الوجه الثاني

هو الوجه الثالث

لي انه اقرب الى الصواب من هذه الوجوه المذكورة كلها ان قوله صلى الله عليه وسلم لم
انس في الحديث انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه بقوله لم انس بصيغة المتكلم
وانكره على غيره يعني كل احد من امته بقوله بئس ما لاحدكم معاشر الملة والمسلمين
اي ليس يستقيم لكل احد من المسلمين ان يقول نسيت اية كذا وكذا كناية عن
بعض الايات القرانية ولكنه نُسّي مبني للمجهول مشدد السين اي انساه
الله لانه فعل الله لا فعله فلا ينبغي اضافته له مع ما فيه من الاشعار بتهاونه
بالقران بمباشرة اسبابه المقتضية لذلك وقيل معنى نُسّي انه نسخت تلاوته
لحكمة فيكون مخصوصا بزمانه صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك لئلا يتوهم
الضياع لحكم القران وبئس من افعال الذم اصلها بَئِس بمعنى اصابه البوس
ثم نقلت بغير لفظها ومعناها وفي ما الواقعة بعدها اقوال فقيل انها
تامة وقيل موصولة وقيل نكرة في محل نصب تمييز كما فصله النحاة ونسي مشدد
كما مر وروي بالتخفيف في مسلم وقال المص كان الوقشي لا يجيز فيه الا التخفيف
والتثقيل هو الذي وقع في جميع روايات البخاري وكذا هو مروي وعليه ابو
عبيدة وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كره نسبة النسيان الى النفس لان
الله هو الفاعل الحقيقي ولان النسيان معناه الترك فكره ان يقول الانسان
تركت القران لاشعاره بالتهاون به وعلى رواية التخفيف معناه انه ترك
وحرم الخير انتهى فاراد ارشادهم الى نسبة الافعال لخالقها واقرارهم بالعبودية
والاستسلام وهو ادب اولوي لا يمنع نسبتها لمكتسبها كما قال موسى ويوشع
عليهما الصلاة والسلام نسيت الحوت وقد ينسب للشيطان لانه يوسوسه
نحو ما انسانيه الا الشيطان ونسيان القران غير محمود لانه غفلة عنه وتفريط
فيه لا ينبغي فيل ويحتمل ان يكون فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى لا يقل احد عني اني نسيت اية كذا فانه تعالى نسخها لحكمة كما مر
وهذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما وبما ذكرنا سقط ما قيل ان هذا الجواب
الذي ارتضاه يرده قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت لانه لو كان ادبا
علمه الله له لانه هنا اللائق واضافته له لنكتة لم يتفطن لها وقيل انه مخصوص
بالقران لانه هو الذي علمه له فيكون هو الذي انساه ايضا فتامل وبقوله في
بعض روايات الحديث كما في موطا مالك لست انسى بصيغة المتكلم المعلوم
المخفف ولكن أُنَسَّى بالمجهول المشدد اي ينسيني الله لحكمة كالتشريع وتعليم
الامة فلما قال له السائل اي ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله
انكر قصرها كما كان اي تحقق في الواقع حقيقة وانكر ايضا نسيانه صلى الله عليه
وسلم لبعضها والمنكر من نسيانه هو ما كان من قبل نفسه وفي نسخة قبل
اي انه فعل ذلك بكسبه وتعاطي اسبابه من غير ايجاد الله له فيه وخلقه
لما لم يكن في جبلته كغيره فان وجد شي من ذلك النسيان فقد نُسّي بالمجهول وتشديد

ابن فرس

السين اي اوجده الله فيه من غير تعاطي لاسبابه حتى سال صلى الله عليه وسلم غيره
من الصحابة الحاضرين عنده عنه بقوله احق ما يقول ذو اليدين فقالوا نعم وهذا
غاية بانه لم يعلم نسيانه لانه لم يقصر في ذكر الله وطاعته فلذا استبعد صدوره
منه عنه فان قلت اذا انساه الله فلا بد ان ينسى لانه مطاوع الذي لا ينفك
عنه ولازمه الذي لا يفارقه قلت اللازم وقوع نسيان اوجده الله فيه لحكمة
لا ما صدر بتعاطي اسبابه وتقصيره كغيره فتحقق انه نسي بزنة علم
اي انساه الله فنسي لحكمة واجرى الله عليه ذلك النسيان لِيُسَن اي ليُعلم
امته احكام السهو كالسجود ونحوه فقوله صلى الله عليه وسلم على هذا التوجيه
الذي استظهره لم انس ولم تقصر وقوله في رواية اخرى كل ذلك لم يكن
حق مطابق للواقع محقق وصدق لا ظن فيه كما توهم ومعناه لم تقصر الصلاة
حقيقة في نفس الامر ولم انس حقيقة اي نسيانا صدر مني صدورا
حقيقيا وانا الفاعل له صورة وانما الفاعل له حقيقة هو الله وانا آلة له
نسبة الكنسبة القطع للسكين كما هو مذهب الاشعري في افعال العباد
المضافة لهم وهذا لا ينافي كونه حقيقة لغوية كمات زيد ولكنه مبني بالبناء
للمجهول والتشديد ووجه اخر في الجواب عما في هذا الحديث استثرته بسين مهملة
ومثناة فوقية ومثلثة وراء مهملة واصله استثورته ومنه فاثرن به نقعا وهو
من ثار الغبار يثور اذا انتشر وعلا فشبهه لخفائه بشيء مدفون نبش التراب
عنه حتى ظهر له اي استخرجته بفهمي وولدته من كلام بعض المشايخ وان لم يصرحوا
به وينصوا عليه وهو مبني على الفرق بين السهو والنسيان وذلك الوجه
المستخرج انه اي بعض المشايخ قال ان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى
لان السهو ما يقع بادنى غفلة وينتبه له بادنى تنبيه والنسيان ما يزول
عن الحافظ بالكلية حتى يحتاج لتذكير كثير ولذا نفى عن نفسه النسيان اذ قال
لم انس لان النسيان غفلة وآفة اي كالمرض الذي يعرض له ولذا عده الاطباء من
الامراض الدماغية المحتاجة للعلاج والسهو انما هو شغل البال اي يحصل
عند ما يعرض من شغل البال باموره والنظر لغيره بحيث يتنبه له سريعا قال
فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته كما وقع له مرارا المراقبته لربه وتوجهه له ولا يغفل
بضم الفاء عنها اي عن صلاته لتنزهه عن ان يستولي على قلبه الشريف ما يلهيه
عن عبادته وانما كان يشغل عن حركات الصلاة في السجود والركوع ما في الصلاة من قوة
عينه بمشاهدة تجليات ربه وتدبر اياته شغلا بها لا غفلة عنها بغيرها
فلذا كان صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى فهذا المذكور ان تحقق ونحوه
حقيقة على هذا الوجه والمعنى الذي قرره لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت
الصلاة وما نسيت في الحديث خلف في قول صدر منه حتى سال عنه وقد تقدم ان هذا
مخالف لما روي من قوله صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون وان الفرق

بينهما

بينهما الفرق فيه شيء يعلم مما تقدم ووجه اخر وفي نسخة وعندي ان في
الجواب وجها اخر وهو ان قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك وهو
احد معنيي النسيان احد معنييه الواردين في كلام الله وغيره كما اذا اسند الى الله
تعالى وهو مجاز مشهور ملحق بالحقيقة اراد وفي نسخة اراد والله اعلم
على هذا التقدير اني لم اسلم من ركعتين تاركا لكمال الصلاة عن قصد ولكني نسيت اي
سهوت عن اتمامها فالمنفي في كلامه الترك عمدا وهو لا ينافي السهو والنسيان
ولم يكن ترك الاتمام من تلقاء نفسي اي من عند نفسه وقصدها له والدليل على
صحة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر الصحيح اني لا انسى اي اترك
قصدا او انسى من غير قصد بل بارادة الله وايجاده في ذلك لحكمة اشار اليها
بقوله لاسن تقدم تفسيره وهذا مبني على احد التفسيرين في هذا الحديث
وفي تاويله وجه اخر هو اقرب من هذا والمراد به اسهو بما تعاطيت اسبابه
من الاشتغال او بدونه لحكمة ربانيه ويبقى في هذا الحديث امور اخر مما يتعلق
بانه صلى الله عليه وسلم وقع منه افعال وكلام في اثناء صلاته قبل اتمامها ومثله
يبطل الصلاة والكلام فيه طويل الذيل افرده الحافظ العلاي بتاليف نفيس
ولم يتعرض المص لذكر الحديث بتمامه ضربنا عنه صفحا فان اردته فخذه
من معدنه ولصعوبة الكلام في هذا المقام ختمه في بعض النسخ بقوله
والله الموفق للصواب اي المقدر على ادراكه والقيام به وهو الحكم المطابق للواقع
فيرتفع بموافقة ما هو الواقع من ذلك والتوفيق خلق القدرة على الطاعة
المقارنة لها وتقدم الكلام عليه في الخطبة واما قصة كلمات ابراهيم الخليل عليه
وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام الواردة على ما قدمه من ان الانبياء
عليهم الصلاة والسلام لا يصدر عنهم خلف في اقوالهم وينافيه ما في هذه
القصة عن اجل الانبياء بعد نبينا صلى الله عليه وسلم الواردة وفي نسخة المذكورة
في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات الخ واليه اشار المص بقوله
وفي نسخة المذكورة انها كذبات بفتح الهمزة بدل من قصة او معمول للمذكورة
وكذبات بفتح الكاف والذال المعجمة جمع كذبة بسكونها لان عين فعلة اسما
تحرك في الجمع كتمرة وتمرات وركعة وركعات الا اذا كانت صفة او مضاعفة
او معتلة العين كضخمات وجوزات كما في المغرب وقيل انه يقال بكسرها في
المفرد والجمع فهي جمع كذبة اسم جامد الثلاث المنصوصة اي المذكورة صريحا
في المراد منها اي من تلك الكذبات الثلاث اثنتان في قوله تعالى في سورة الصافات
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم كما سياتي بيانه وقوله تعالى في سورة الانبياء
قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم
ان كانوا ينطقون وقوله في قصة ابراهيم وهذه هي الثالثة الواردة في الحديث

للملك بكسر اللام اي سلطان زمانه لما سال ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وفي اسم هذا الملك اختلاف فقيل سنان وقيل عمرو وقيل صادوف وعمرو
ابن امري القيس ملك مصر عن زوجته سارة رضي الله عنها حين اخذها لما
وصف له جمالها وساله عنها فقال انها اختي قال صلى الله عليه وسلم تقية
خشية ان يقتله لو قال انها زوجتي فنجاه الله منه كما سياتي تفصيله
ولما كان هذا واردا على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
عن الكذب عمدا او سهوا اورده على سبيل السوال ثم ذكر الجواب عنه بما سياتي
مفصلا واورد على الحصر الوارد في الحديث بقوله ما كذب ابراهيم الا ثلاث
كذبات ان ثمة رابع هو قوله في الكواكب هذا ربي وقد تعرض لهذا
الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولم يجب عنه بما يشفي الغليل والذي يدفعه
ان تقديره اهذا ربي على طريق الاستفهام التوبيخي لالزامهم بالحجة
كما قرره المفسرون وحاصل قصة سارة ان جبارا من الجبابرة قيل له
ان هنا رجلا معه امراة احسن النسا فارسل اليه وساله عنها فقال هي
اختي ثم قال صلى الله عليه وسلم لها انه ليس على وجه الارض مومن غيري
وغيرك الان يعني انها اخوة الاسلام لا النسب كما قال تعالى انما المومنون
اخوة كما ياتي بيانه ذلك فلما اتى بها له تناولها بيده فشلت يده فقال لها
ادعي الله لي ولا اضرك فدعت له فاطلق ثم فعل مثل ذلك ثانية وثالثة
فقال لهم ما اتيتموني الا بشيطان وقوله اني سقيم لانه عليه الصلاة
والسلام كان لا ياتي معهم في اعيادهم لاصنامهم فنظر لنجم طالع فقال هذا
يطلع لسقمي كما ياتي وكانوا اهل فلاحة وزعامة ينظرون في النجوم واحكامها
وكان ذلك مما اوحاه الله لهم فلما حبست الشمس ليوشع ابطله الله تعالى
وقال الضحاك انه بقي لزمن عيسى عليه الصلاة والسلام فدعى الله برفعه
فرفع وحرم النظر فيه شرعا وفيه بحث وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
حاج عبدة الاصنام فلما عجز عنهم كسرها وجعل فاسه في عنق صنم اكبرها
لم يكسره ليلزمهم الحجة كما قصه في كتابه الحكيم وبينه المفسرون وقد علمت
ان قوله اختي المراد به اخوة الاسلام وانه انما قاله ليمتنع الملك من اخذها
او لئلا يقتله لانهم كانوا لا ياخذون منكوحة الغير او كانوا يقتلونه او قاله
ذلك ليعلمه غيرته عليها او اراد انها ليست جارية في ملك يمينه فيطلب
منه بيعها له وقد علم ان الله طهر حرم الانبيا عن الفواحش فنزههم
عما ياباه مقامهم وقوله كلمات ابراهيم دون كذبات فيه ادب لطيف
وصرح به بعده اتباعا للحديث وبيانا لتكرر السوال ما علم اكرمك الله
دعا له بالاكرام لاكرامه الانبيا عليهم الصلاة والسلام بمعرفة علو مقامهم
عما فيه شين لهم ان هذه اشارة لكلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام كلها

خارجة عن الكذب لان الله تعالى عصمهم عنه قبل النبوة وبعدها لا في القصد
ولا في غيره من السهو والنسيان كما مر وهي اي الكلمات المذكورة داخلة في باب المعاريض
جمع معراض ويقال معرض بكسر الميم وجمعه معارض وهو من التعرض وهو
خلاف التصريح والتلويح نوع من الكناية كالتورية بان يتكلم بما يوهم خلاف
مراده كقوله اختي المحتمل للمعنيين كما تقدم فان قلت قوله اختي ادعى لاخذ
الملك لها بان يقول له زوجنيها فلا وجه للعدول عن الظاهر قلت
نقل البرهان عن ابن الجوزي رحمه الله انه عليه الصلاة والسلام علم انهم على
دين المجوس ومن دينهم ان الاخت اذا تزوجها اخوها كان احق بها من
غيره فالتجأ لما يعتقده في دينه فاذا هو جبار لا يراعي دينه وقد
ارتضى هذا الجواب غيره واعترض بان المجوسية دين زرادشت
وهو بعد ابراهيم واجيب بانه دين قديم وانما زرادشت
اظهره وزاد فيه خرافات فتامل التي فيها مندوحة اي في المعاريض سعة
يتخلص بها من الكذب من ندح بمعنى توسع ومندوحة بفتح الميم وضمها
لحن وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال لك عن هذا الامر مندوحة ومنتدح
والمنتدح المكان الواسع وهو الندح ايضا من انتدحت الغنم في مراحها
وقال ابو عبيدة المندوحة الفسحة والسعة ومنه انداح بطنه اذا انتفخ
واندحالقة فيه وهو غلط من ابي عبيدة لان نونه اصلية وانداح انفعال
نونه زايدة واشتقاقه من الدوح وهو السعة انتهى اقول تبعه
فيه الجوهري وخطاه فيه صاحب القاموس عن الكذب اي في سعة القول ما يغني
عن تعمد الكذب فهو صدق لا كذب فيه وقد علمت انه ضمنه بمعنى التخلص
ولذا عداه بعن وفي الحديث ان في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب رواه
البخاري في الادب المفرد مسندا موقوفا على عمران بن حصين رضي الله عنه
واخرجه الطبراني والبيهقي من طريق اخر عن قتادة مرفوعا وحسنه العراقي
فلا عبرة بقول الصاغاني انه موضوع والى بيان هذا الحديث اشار المص رحمه
الله تعالى بقوله اما قوله اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه
اني سقيم فقال الحسن ابن ابي الحسن البصري الذي تقدمت ترجمته
وغيره من العلما في الجواب عنه معناه اني سقيم في المستقبل اي ان كل مخلوق معرض
اسم مفعول مشدد الرا لذلك اي للسقم والمرض فاعتذر لقومه من الخروج معهم
الى محل عيدهم اي ذكر لهم عذرا في عدم خروجه معهم لمحل اجتماعهم في اعيادهم
عند اصنامهم لما اراد واخروجه معهم اليها وفعيل بمعنى فاعل حقيقة
في الحال ويجوز ان يراد به الاتصاف في المستقبل مجازا والقرينة انما
تشترط لفهم المخاطب لا للخروج عن الكذب اذا نواه فانه مصدق فيه شرعا
كما قيل وفيه بحث لان الفرق بين الكذب والمجاز انما هو بالقرينة وعدمها

عرضي

فما قال ربعود عليه بالضرر والذي ينبغي ان يقال إنّ سقيم ومريض ملحق بالاسما
الجوامد كمؤمن وكافر فلا يختص بزمان فهو حقيقة فيما ذكر وهو ظاهر كلام
الكشاف فانه قال مَن عنقه الموت سقيم وفي المثل كفي بالسلامة داً وقال
لبيد ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء
ومات رجل فجاة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في
عنقه ومنه اخذ المتنبي قوله
قد استشفيت من دا بداءٍ واقتل ما أعلك ما شفاكا
فلا يرد عليه ما قيل انه مجاز والاصل الحقيقة والذي غره قوله معناه سأسقم
هذا اي الجواب او الامر هذا كما تقدم وفي نسخة بهذا فهو متعلق باعتذر وقيل
اي وقد قيل فالجملة حالية بتقدير قد بل سقيم بما قدر علي من الموت يعني
انه اراد بسقيم انه حزين مشغول الفكر بعلمه من انه لا بد من الموت والغم مرض
من الامراض القلبية ومن كان كذلك لا يليق به ان يفرح بالاعياد ولا يكون في
محال اللهو واللعب ولذا ورد كما تقدم انه صلي الله عليه وسلم كان متواصل
الاحزان وفي الحديث لو تعلم البهايم من الموت ما تعلمون من الموت ما اكلتم منها
سمينا فوري عليه الصلاة والسلام عما اراد بهذا وقيل معناه اني سقيم القلب اي قلبي
متالم بما شاهدته وفي نسخة أشاهده من كفركم وعنادكم في الباطل وعدم قبول
الحق وقيل بل كانت الحمي تاخذه اي تعرض له وتستولي عليه حتي كانها اخذته واسرته
عند طلوع نجم معلوم له او لهم ولذا قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فلما
راه اي راي ذلك النجم طالعا اعتذر لهم بعدم حضور اعيادهم معهم بما ذكر من
السقم الذي يعرض له اذا اطلع ذلك النجم وهذا الجواب ذكره النووي ايضا
وقال ابن حجر انه بعيد لانه يكون حقيقة وليس من المعاريض والتورية
في شي ورد بان المعاريض ان يذكر ما يدل علي معني قريب ومعني بعيد فيراد
البعيد ويوهم مخاطبه انه اراد القريب وهذا كذلك لان ظاهره انه سقيم
بالفعل حالا والمراد انه في زمان مرض وسقم لم يكن والفرق بين هذا
وبين الجواب الاول ظاهر لمن تدبر وكل هذا علي ما ذكر من التاويل الذي يصرفه
عن ظاهره ليس فيه كذب كما يتوهم من ظاهره بل هو خبر صحيح صدق اي صادق
مطابق الواقع وانما سماه كذبا في الحديث باعتبار ما يتبادر للذهن السامع من
ظاهره لا حقيقة فلا اعتراض عليه به وقيل في الجواب بل عرض اي قال بطريق
التعريض والتورية ورآه مشدده من التعريض بسقم حجته اي ضعف دليله
الذي اقامه عليهم متعلق بحجته بمعني احتجاجه عليهم في عبادة غير الله
وضعف ما اراد بيانه لهم من توحيد الله ونفي الشريك بدليل عقلي اراد اقامته
عليهم من جهة النجوم لما راي كوكبا فقال هذا ربي كما قصه الله عنه التي كانوا يشتغلون
بها اي بعبادتها وتعظيمها واسناد الامور اليها وانه اي ابراهيم عليه الصلاة

والسلام

والسلام اثنا نظره وفي ذلك اي في خلال نظره وتقدم انه جمع ثني بمعني
منثني والنظر بمعني الفكر والتامل فيما يناظرهم به وقيل استقامة حجته اي
اقامته دليل ملزم لهم في حال سقم ومرض حال خبر انه فجعل سقم حجته لعدم فايدتها
بمنزلة مرض نفسه وابدانه يعني انهم كانوا ينسبون التاثيرات للنجوم
ويعظمونها ويشتغلون بها لعلمهم بالنجوم وارصادها فاراد ابطال اعتقادهم
فيها وان حجتهم واهية فلم يقل ذلك لهم ابتدا بل نسبه لنفسه تعريضا بهم كما
قال اياك اعني فاسمعي يا جاره وهذا احسن في الزام الخصم وتقريعه
علي وجه لا يغضبه ويهيج حميته الجاهلية مع انه اي الخليل صلي الله عليه
وسلم لم يشك هو اي لم يقع منه شك في ربه ولا ضعف ايمانه حتي يحتاج الي الادلة
الضعيفة ولكنه ضعف في حاله في استدلاله عليهم لابطال عباداتهم للنجوم والاوثان
تبكيتا لهم وزجرا وسقم نظره اي ما ناظرهم به حتي لم تتم حجته التي اقامها عليهم
ثم بين صحة اتصاف الدليل بما ذكر لغة فقال يقال حجة سقيمة فتوصف
بذلك مجازا ونظر اي فكر ودليل معلول اي ضعيف مدخول وقيل ان هذه
العبارة ملحونة وان وقعت في عبارة المحدثين والصواب معل والمعلول
انما هو من العلل وهو الشرب مرة بعد اخري كقوله كانه منهل بالراح معلول
ورد بانهم استغنوا بمفعول عن مفعل كما قالوا احمد الله فهو محمود وقد صرح
به سيبويه وذكره في المحكم فقول ابن الصلاح والنووي انه لحن مردود وان
تبعهما بعض الشراح هنا حتي الهمه الله والقي في نفسه ومن عليه باستدلاله
الباسبية وصحة حجته عليهم اي احتجاجه بالكواكب والقمر والشمس متعلق
باستدلاله بما نصه الله مفعول الهم وقدمنا بيانه وايضاحه في هذا الكتاب
والحاصل انه لا يلزم من ضعف الدليل ضعف الايمان بل قد يختلج صدر
ذي العقل السليم يقين لا شبهة فيه عنده وهو لا يقدر علي اقامة دليل
عليه واما قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام في الاصنام التي كسرها وترك اكبرها
وقد علق الفاس في عنقه تهكما وقال ما فعلته بل فعله كبيرهم هذا الاية
والحال انه اي ان كبير الاصنام لم يفعل ولا قدرة له علي الفعل فهو مخالف
للواقع من جهتين مع انه معصوم في اقواله فانه علق خبره الذي ذكره بشرط
نطقه في قوله فاسالوهم ان كانوا ينطقون فهو كانه قال ان كان ينطق فهو فعله وانما قاله
مع علمه بعدم نطقه لغرضه علي طريق التبكيت لقومه عبدة الاصنام فوبخهم بانكم
كيف تعبدون جمادا لا ينطق ولا يقدر علي شي فلو قدر لدفع عن نفسه
ففيه تجهيل لهم واستهزا بهم لتعظيمهم ما لا يضر ولا ينفع وذكر الكواكب هنا لا وجه
له وهذا صدق اي خبر صادق كما صدق ما قرره ولا خلف فيه بضم الخا وفتحها لان
صدق الشرطية بمقدمها وموخرها علي سبيل الفرض وهو فرض محال بالاضافة
صحيح لا فرض محال بالتوصيف وليس هذا ايقافا علي ان جملة الجواب جملة خبرية

عرضي

مقيدة بالشرط والجملة المقيدة بقيد صدقها وكذبها بتحقق القيد وعدمه
كما هو مسلك اهل العربية واهل الميزان على خلافه لان الشرطية بمجموعها
قضية في قوة الجملة والخبر عند مجموع الشرط وجوابه كما قيل فان هذا بناء
على ما قاله السيد في حواشي المطول وغيره فان الحق ما قاله السعد وانه
لا خلاف بين النحاة والمنطقيين في هذه المسئلة فان مآلهما واحد كما حققه
المدقق فتح الله في حواشي التهذيب وليس هذا محله الا انه يقتضي ان
قوله فعله كبيرهم جواب الشرط او دال عليه فهو في معناه وقوله فاسألوهم
جملة معترضة مصدرة بالفا كما في قوله

واعلم فعلم المرء ينفعه ۝ ان سوف يأتي كلما قدرا

وقد يقال انه بيان لما يفيده الكلام من غير نظر لما ذكر وهو الظاهر
يعني ان قصده بنسبة الفعل الصادر منه لكبيرهم الاستهزاء او التهكم بهم
لتبليغ ما قصده من الزامهم الحجة برجوعهم الى انفسهم ونظرهم لما هم عليه
من الباطل الذي لا يقبله عقل سقيم فضلا عن عقل سليم وفي الاية وجوه
هذا اولاها واحسنها ولذا اقتصر عليه المص فان اردت الوقوف عليها فانظر
في الكشاف وشروحه واما قوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام للجبار الذي اراد
اخذ زوجته حين سأله عنها فقال هذه اختي لارادة ان يخلصها منه وليس
هذا بكذب تقديرين بالبنا للمجهول في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه لا كذب فيه وقال فانك اختي في الاسلام والدين الحق الذي كانا
عليه فهو على هذا اصدق اي كلام صادق حق والاخوة تطلق على المشاركة في
الصفات مجازا مرسلا او استعارة من المشاركة في النسب والله تعالى يقول
في القران انما المؤمنون اخوة وهذا يدل على صحة اطلاقه وحسنه اي اخوة
في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله وهو قد شاع حتى
قيل انه حقيقة عرفية وقد تقدم تتمة لهذا فان قلت انه على هذا ليس فيه
شي من الكذب فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها اي اطلق عليها انها
كذبا وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وهذا ينافي ما قررته وبينته
وفي مسلم اثنتين في ذات الله وواحدة في شان سارة الحديث قال القرطبي
ذات الله وجوده المنزه المقدس عما لا يليق به وفيه دليل على جواز اطلاق
الذات على وجوده المقدس فلا يلتفت لمن انكره من المتقدمين فتامله ثم قال
وروي انها اربع والرابعة قوله للكوكب هذا ربي وانما لم يعدها لانه كان في
حال الطفولية وعدم التكليف انتهى وتقدم الكلام فيه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث الشفاعة للناس يوم القيامة ويذكر كذباته هو مقول القول مشيرا
اليها في حديث الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم ياتون ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ويقولون له انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك

الا

٦٠

الا نرى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله ولا بعده مثله واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرهن اذهبوا
الى غيري الحديث فقد صرح الخليل نفسه بان هذا وقع كذبا منه فيدل على
خلاف ما قلته سابقا وجواب الشرط قوله فمعناه اي معنى قوله صلى
الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات انه لم يتكلم بكلام صورته
صورة الكذب وان كان حقا في الباطن المراد به ما اخفاه واضمره في نفسه او المراد به
ما خفي مما هو خلاف الظاهر الا هذه الكلمات المذكورة وهي الثلاث
المتقدمة ثم اشار الى الجواب عما وقع في حديث الشفاعة بقوله ولما كان مفهوم
ظاهرها اي ظاهر الكلمات المذكورة قبل النظر لما قصد منها خلاف باطنها
المقصود منها فانه صدق كما بيناه سابقا اشفق اي خاف ابراهيم
صلاة الله وسلامه عليه من مؤاخذته بها وفي نسخ بمؤاخذته بها اي المعاتبة
او المعاقبة عليها او رد شفاعته بسببها لانه كان عليه ان يصدع بالحق
صريحا من غير تورية وتعريض يقال اشفق وشفق اذا خاف والحاصل
انه لم يصدر عنه كذب وانما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة قبل التامل
فيها من سامعها وانما خاف ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك لجلالة قدره
لا لانها معصية صدرت منه وكان ذلك في اول امره وشدة خوفه في
حالة يجوز فيها الكذب فضلا عن التعريض الذي هو من حسنات الابرار
وكذلك اي مثل ما صدر عن الخليل ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم وهو
الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن مالك وفي نسخة واما الحديث فهو انه
كان صلى الله عليه وسلم عادته اذا اراد غزوة اي سفرا لغزاة معينة ورى بغيرها
عنها والتورية ان يقول ما يظهر منه خلاف مراده ويحتمله احتمالا بعيدا
فكانه جعل ما قصده وراءه ابداه فكان يسال عن طريق وناحية ويذهب
لغيرها فليس فيه اي فيما فعله وقاله خلف في القول اي ليس في قوله ذلك كذب
في قوله انما هو ستر واخفا لمقصده اي لما قصده وتوجه اليه لئلا ياخذ عدوه
حذره اي لئلا يتاهب لدفع ما يحذره بان يستعد له ويحضر له ما يهمه واخذ
الحذر عبارة عما ذكر كما بين في قوله تعالى خذوا حذركم وفيه من البلاغة ما لا يخفى
وكتم وجه ذهابه اي جهة مقصده وهو عطف على قوله ورى وبين التورية
والكتم بقوله بذكر السؤال عن موضع اخر غير الذي قصده والبحث عن اخباره اي
اخبار الموضع الاخر بالسؤال عن طرقه وحاله والتعريض بذكره له دون غرض يستتر
قصده به كقوله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضا الحوائج او حوائجكم
بالكتمان لا انه يقول لاصحابه تجهزوا الى غزوة كذا تصريحا بالواقع او خلافه
وهو غير مراد له او يقول وجهتنا الى موضع كذا اي توجهنا وقصدنا له خلاف
مقصده بيان لكذا فهذا القول كله لم يكن اي لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وانما

بالكسر الحزازة والحزن

وقع منه التورية دون تصريح به والاول اي سواله من غير مقصده لبس
فيه خبر بتوجهه له ولا امر لغيره بالتجهز له يدخله الخلف اي يعرض له
كذب لعدم مطابقته للواقع وانما هو تعريض وايهام لغير مقصده لاضير فيه
والتجهز التاهب باحضار جهازه ولوازمه وقيل معناه احتالوا وهذا هو
الاغلب من احواله وقد يقتضي الحال خلافه كما ورد في الصحيحين لم يكن صلى الله
عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك في حر شديد الى
مكان بعيد وعدو كثير فجلا للمسلمين امرها ليتاهبوا لها فاخبرهم بوجهه
الذي يريد كما في حديث طويل فيه خبر الثلاثة الذين تخلفوا فهو باعتبار الاكثر
في اول امره قبل قوة شوكة المسلمين ولذا اخبرهم انه سائر لمكة في غزوة الفتح فلا
يرد الاعتراض على حديث كان لا يريد غزوة الا ورى بغيرها كما قيل وقوله
تجهزوا وان كان انشا لا يتاتي فيه الخلف كما توهم لانه يتاتي فيه ذلك باعتبار
ما تضمنه من الخبر لان قوله تجهزوا الارض كذا معناه المراد منه اني سأغزوا
اهلها وهو ظاهر ثم اورد سوالا على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن
الكذب سهوا وعمدا فقال فان قلت ايها السايل عما يتوهم عن شبهة ترد
على ما قرره فما معنى قول موسى الكليم صلى الله عليه وسلم وقد سيل اي ساله
جماعة من امته اي الناس اعلم على وجه الارض في هذا العصر وهذا الحديث
مروي في الصحيح عن ابي سفيان رضي الله عنه فقال موسى عليه الصلاة
والسلام لمن ساله انا اعلم ممن على وجه الارض جميعا لعلمه بانه ليس عليها
من الرسل من هو مثله وفي البخاري بلفظ هل في الارض اعلم منك وفي
رواية ابن اسحاق فقال موسى ما اعلم في الارض خيرا مني قيل وبين الروايتين
فرق لان في رواية ابي سفيان الجزم بانه اعلم وتلك تنفي الاعلمية عن
غيره فتنتفي احتمال المساواة يعني بحسب الظاهر والا فقد علمت انه يفيد
نفي المساواة كما مر فتدبره واما ما رواه نوف البكالي عن كعب الاحبار
ان موسى المذكور في هذه القصة ليس هو الكليم الذي هو من اولي العزم
بل موسى بن ميشا بن افرايثم بن يوسف فقد قيل ان ابن عباس رضي الله عنهما
رده وقال لما سمعه كذب عدو الله ويأتي فيه كلام عن الكشاف وغيره وانما
قال ذلك لان كعبا تلقاه عن اهل الكتاب وهم اعداء الله لكفرهم او هو استعارة
لانه كذب كقولهم قاتله الله فعتب الله عليه ولامه بسبب ذلك اي قوله انا
اعلم اذ لم يرد العلم بذلك اعني اعلم الناس حينئذ اليه اي الى الله تعالى بان يقول
الله اعلم بذلك ونحوه الحديث اي اذكر الحديث الذي رواه الشيخان بتمامه
وفيه اي في هذا الحديث فقال اي الله عز وجل لموسى بلى اي فيهم من هو اعلم
عبدنا خضر وفي رواية عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك يا موسى ومجمع اسم مكان
والبحران كما قاله السهيلي بحر الاردن وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر

عرضي

الزقاق وقيل بحر الروم وفارس وعن ابن عباس اجتمع بحرا علم في مجمع
بحرين حقيقيين والعلما علم الظاهر من الشرعيات وعلم الباطن اللدني
ووصفه بالعبودية تشريفا له كما في قوله سبحان الذي اسرى بعبده
وقوله ... لا تدعني الا بيا عبدها ... فانه اشرف اسمائي
وللمصـ ... ومما زادني شرفا وتيها ... وكدت باخمصي اطى الثريا
... دخولي تحت قولك يا عبادي ... وجعلك خير خلقك لي نبيا
وهذا اي قول موسى انا اعلم خبر صدر من موسى عليه الصلاة والسلام قد انبا الله اي
اخبرنا كما ورد في هذا الحديث الصحيح انه ليس كذلك كما سمعته كذلك فيكون
خلفا منه وهو معصوم عن مثله فيرد على ما قرره وسياتي الجواب عنه والعتب
بمثناة فوقية كالمعاتبة وهو اللوم على ارتكاب ما لا يليق وضمنه معنى العيب
بالتحتية ولذا عداه بنفسه دون على ورد العلم الى الله تقدم معناه وتفسير
ابن بطال بترك الجواب لا ينبغي وكذا لو قال انا والله اعلم كان اولى وهذا هو
هو الاليق الاولى بمقام ادب النبوة اذ مراده فيما اظن والله اعلم ولا لاية فيه
وقصته في حمل الحوت في مكتل مفصلة في التفاسير وقد علمت بيان مجمع
اسم مكان ثم شرع في الجواب بقوله فاعلم انه وقع في هذا الحديث الصحيح المروي
عن ابن عباس ما يدفع السوال وهو هل تعلم احدا اعلم منك في السوال عما يعلمه
لا عما في الواقع ومن القواعد المقررة ان السوال معاد في الجواب فاذا يكون
ان يكون اذن بنون مرسومة بالف كان جوابه صدر منه على حسب علمه
فكانه قال لا اعلم انا احدا اعلم مني فهو اي كلام موسى وجوابه خبر حق
وصدق مطابق للواقع باعتبار تقييده بانه على حسب علمه واعتقاده لا خلف فيه
لمخالفته للواقع ولا شبهة اي لا يشتبه على احد صدقه فيما قاله وفي الحديث
روايات مختلفة يرجع بعضها الى بعض كما ستسمعه قريبا ومر بعضها وهذا
تاكيد لما قبله وعلى الطريق الاخر التي فيها اطلاق اعلميته من غير تقييد
بعلمه واعتقاده المفيد لنفي الاعلمية والمساواة كما تقدم على العموم
فانه روي من طرق مختلفة بالفاظ مختلفة وقد اشرنا اليه قبل هذا
فمحمله على غلبة ظنه ومعتقده مصدر ميمي بمعنى اعتقاده اي نجعله مقيدا
بهذا تقديرا لانه صرح به في رواية اخرى والروايات تفسر بعضها
بعضا كالقران والمقدر في حكم المذكور عندهم كما اشار اليه بقوله كما لو صرح به بالبنا
للمفعول او الفاعل اي صرح به موسى عليه الصلاة والسلام كان قال انا اعلم
في ظني او معتقدي ونحوه لا في نفس الامر ونحمله بلفظ المضارع وفي نسخة
محمله باسم مبتدا او على هذا لا يرد عليه شي ثم بين وجه قول موسى على هذا بقوله
لان حاله اي حال موسى صلى الله عليه وسلم كغيره من الرسل اصحاب الشرائع في عصرهم
في النبوة والاصطفا اي اختيار الله له دون غيره من خلقه يقتضي ذلك اي انما

اختاره لانه اعلم اهل عصره اذ لو لم يكن كذلك لم يختره لتبليغ رسالته وسياسة
خلقه ورجوعهم اليه في كل امورهم وهو صلي الله عليه وسلم خليله وامينه وحبيبه
ومثله لا يكون دون غيره او مساويا له في العلم ويحتمل ان معناه ان نبوته واصطفاه
يقتضيان اي يستلزمان انه لا يقول مقالة غير مطابقة للواقع فيحمل كلامه علي
ما يطابقه وان لم يكن فيه ما يدل عليه وهو ظاهر قوله فيكون اخباره بذلك اي
بقوله انا اعلم ايضا اي كما في الرواية المصرح فيها بذلك القيد عن اعتقاده وحسبانه
بضم الحا المهملة وكسرها بمعني ظنه صدقا خبر يكون وقوله لا خلف فيه مفسر له
او مؤكد اي لا شبهة فيه عند سامعه وقد بين موسي صلي الله عليه وسلم بقوله انا اعلم
انه اعلم بما تقتضيه اي تستلزمه وظايف النبوة جمع وظيفة بالظا المشالة وهي
الاحوال التي اقتضاها ذلك المقام من شروطها وما لا بد منها لكل نبي ورسول
من علوم التوحيد بيان لعلومه من معرفة الله وصفاته وانه منفرد في ذاته وصفاته
واستحقاقه للعبادة وامور الشريعة التي امره الله بتبليغها وسياسة الامة
اي امته والسياسة ضبط الخلق واجراء احكام الشرع عليهم بالسلطنة
ويكون الخضر عليه الصلاة والسلام وفيه لغات فتح الخا وكسر الضاد المعجمتين
وبسكونها مع الفتح والكسر وسياتي بيانه اعلم منه اي من موسي عليه الصلاة
والسلام بامور اخر غير الشريعة والسياسة والحكومات الظاهرة فيما بين
الناس يعني انه صادق فيها لانه عام مخصوص بما هو المتبادر من علوم اكثر الانبيا
وهو العلم بالامور الشرعية والحكم بين الناس كما هو شان الرسل وعلم الخضر بامور
باطنية كشفية فلا تنافي بينهما واعلم انه تقدم ان الخضر انما سمي خضرا لانه
كان اذا جلس علي ارض نبات بها هشيم اخضر وقيل لانه كان اذا صلي اخضر
ما حوله وان اسمه بليا وقيل غير ذلك ويكني ابا العباس واختلف فيه كما
ياتي هل هو ولي او نبي او ملك وهل هو حي الي الان ام لا وقد افرد احواله بتاليف
الحافظ الخيضري سماه الروض النضر في احوال الخضر وقال الثعلبي انه
معمر محجوب عن الابصار وهذا اوجه ما قيل انه ملك وان كان قولا ضعيفا
وروي في اجتماع النبي صلي الله عليه وسلم به حديث ضعيف وتقدم الكلام
علي تعزيته لاهل البيت مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه تعالي
كالقصص المذكورة في خبرها الذي قصه الله في سورة الكهف فكان موسي عليه الصلاة والسلام
اعلم من اهل عصره مطلقا بالشريعة والتوحيد والسياسة علي الجملة اي بجميع
العلوم المذكورة بما تقدم بيانه وهذا اي الخضر عليه الصلاة والسلام اعلم منه
علي الخصوص اي بعلم لدني يختص به من الامور الغيبية الكشفية التي لم يكلف
غيره بعلمها ويدل عليه اي علي انه اعلم بعلم اختص به قوله تعالي وعلمناه من لدنا
علما اي من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله او من اراد ممن ارتضاه للعلم به
وعتب الله ذلك عليه عتب مصدر مبتدا وقوله ذلك مفعوله وهو جواب سوال

تقديره

تقديره اذا كان اعلم من وجه وهو صادق في قوله هذا فلم عاتبه الله عليه ودله
علي عبد له اعلم منه فيما قاله العلما اي بينوه ووضحوه بما يدفع اشكاله انكار هذا القول
عليه اي قوله انا اعلم لانه اي موسي عليه الصلاة والسلام فيما قاله وهو خبر المبتدا لم
يرد العلم اليه اي الي الله تعالي تادبا معه كما قالت الملايكة لله تعالي لما قال لهم انبيوني
باسما هولا فقالوا لا علم لنا الا ما علمتنا وعتبه وانكاره لانه لم يرض قوله انا اعلم
اي لم يرضه الله منه ولم يستحسنه شرعا لتركه الاولي وان كان صادقا في مقاله
هذا او ذكر اي عدم رضاه بقوله هذا والله اعلم بوجه هذا او لعدم اجتهاده في
هذا لرد تحقق هذه العلة الي علم الله ليلا يقتدي به فيه اي في ادعا الاعلمية
جزما من غير رد الي الله من لم يبلغ كماله اي من لم يصل الي مرتبته في الكمال في العلم في
غير الانبيا في تزكية نفسه اي مدحها بجعلها زكية مبراة زايدة علي غيرها فان
مدح المرء نفسه غير محمود وان حسن احيانا لمقتض له كما قال تعالي فلا تزكوا
انفسكم هو اعلم بمن اتقي والتزكية التطهير من الاخلاق الردية التي من جملتها
العجب وعلو درجته بالنصب عطف علي كماله ويجوز جره من امته متعلق بقوله
يقتدي حال من ضمير يبلغ فيهلكه اي من يقتدي به من امته في قوله انا اعلم
لما تضمنه اي قوله انا اعلم من مدح الانسان نفسه وهو امر مذموم ويورثه اي يكسبه
ويعقبه ما يتصف به شبه ذلك بالميراث ذلك القول اي قوله انا اعلم من الكبر
والعجب بضم فسكون قال الراغب يقال لمن تروقه نفسه فلان معجب بنفسه
اي يستحسن افعاله واموره والتعاطي اي الاخذ في تزكية نفسه والدعوي
الباطلة اي ليلا يرونه اقتدوه به في قوله انا اعلم ما ذكر من الرذايل
وان نزه بالبنا للمفعول اي براهم الله وعصمهم عن هذه الرذايل اي الصفات
الذميمة من الكبر والعجب والتعاطي والدعوي الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لشرفهم وعلو مقامهم فغيرهم اي غير الانبيا يدرج سبيلها اي غير الانبيا يتصف
بها ولا ينزه عنها لاستعداده لها وقبول طبعه لها والسبيل الطريق والمدرج
اسم مكان بمعني المدخل والمسلك من درج اذا مشي يقال هو قاعد علي طريق
كذا اذا كان مستعدا له فهو استعارة وقيل المدرجة الثنية التي يمشي فيها
وتسيل منها السيول اي في موضع الرذايل المشبهة بالسبل المهلكة من
اتصف بها كالسيل المغرق لما يمر به وفيه تكلف لا يخفي ودرك ليلها بسكون
الرا ويجوز تحريكها بمعني ادراك الليل مقابل النهار فشبه ما يعرض له
من الصفات الذميمة بظلمة الليل الذي تغشاه والمراد ما لا بد منه من
اثار تلك الصفات كما قال النابغة
فانك كالليل الذي هو مدركي ۝ وان خلت ان المنتاي عنك واسع
الا من عصمه الله اي حفظه عن الاتصاف بها فالتحفظ اي الاحتراز منها اي من هذه
الصفات اولي لنفسه واليق فلذا عاتبه علي تركه الاولي وليقتدي به في التحفظ

والسلامة منه ولهذا اي لكون التحفظ اولي لمن يقتدي به قال عليه الصلاة
والسلام تحفظا عن اظهار العجب انا سيد ولد ادم اشرفهم واعلاهم رتبة وتحفظ
عن العجب في مقاله بقوله ولا فخر اي لم اقل هذا افتخارا وعجبا وانما هو تحدث بما انعم
الله به عليه او انا لا افتخر بهذا فان الله انعم علي بما هو اجل منه وفي رواية
الصحيحين انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر والسيد يطلق عليه وعلي غيره
وعلي الله كما تقدم وهو من يفوق غيره كرما وحلما ويطلق علي المالك والشريف
والكريم والحليم وهذا الحديث المروي في قصة موسي والخضر الذي تقدم احدي حجج
القايلين بنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام وهو احد الاقوال فيه لقوله فيه اي في هذا الحديث
انه اعلم من موسي كما تقدم ولا يكون الولي اعلم من النبي ولا مساويا له في علمه واما الانبيا
فيتفاضلون في المعارف اي يكون بعضهم افضل من بعض ولا محذور فيه واستدل علي
نبوته ايضا بقوله اي الخضر عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه في قصته
وما فعلته اي المذكور من الامور الثلاثة عن امري اي بما امرته نفسي فليس برايي
واجتهادي فدل ما ذكر انه بوحي من الله تعالي والوحي لا يكون لغير الانبيا وفيه
انه يكون بالهام والالهام وان لم يفد العلم اليقيني للغير عند اهل السنة
حتي لا يجوز الاستدلال به لكنه قد يقوي في نفسه ويعمل به الملهَم دون غيره
كما حقق في علم الاصول وفصلوه في محله ومن قال انه ليس بنبي بل ولي من
اوليا الله قال مجيبا عما ذكر من الدليل الثاني يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر اوحي
اليه به في زمانه وهذا الجواب يضعف اي يحكم بضعفه لانه اي الامر والشان ما علمنا
انه كان في زمن موسي عليه الصلاة والسلام نبي غيره الا اخاه هارون ولم ينقل
ملاقاة هارون للخضر عليهما الصلاة والسلام الا انه قيل ان يوشع كان نبيا
نُبِّئ قبل موت موسي عليهما الصلاة والسلام وسياتي عن الشيخ ما يويده فتدبر
وما نقل عن احد من اهل الاخبار المعتمد علي نقلهم في ذلك اي وجود نبي غير موسي والخضر عليهما
الصلاة والسلام ما يعول عليه لصحة نقله واذ وفي نسخة واذا جعلنا قول الله
لموسي ان لي عبدا اعلم منك ليس علي العموم وانما هو علي الخصوص لتخصيصه بما ليس
من الشرايع والعقايد وفي قضايا معينة كما تقدم بيانه لم يحتج الي اثبات نبوة
خضر لان علمه كان بامور معينة غير الشرايع والعقايد وهذا يقتضي انه
يجوز الوحي بها لغير الانبيا وانه اذا اطلق عليه نبي بالمعني اللغوي لا ينافيه كما
في قصة خالد بن سنان كما اشار اليه بعض العارفين ولهذا اي لكونه علما مخصوصا
لا ينافي غيره قال بعض الشيوخ كان موسي اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله
من الشرايع والاحكام وما في حكمها والخضر اعلم من موسي فيما رفع اليه بالبنا للمفعول
براء مهملة او بدال مهملة وفا وعين مهملة اي فيما جعله الله منوطا به منتهيا اليه
علمه مما غيب علمه عن غيره وقيل انما الجا موسي عليه الصلاة والسلام اي اضطره
الله والزمه ان يذهب الي الخضر للتاديب اي ليؤدِّب به الله حتي لا ينسب لنفسه

أحرى

ابن عربي في الفصوص

عرضي

الأعلمية وان كان صادقا في مقاله ومناسبا لمقامه لا للتعليم لما لم يعلمه مما يلزمه
علمه فانه اكمل اهل زمانه ولذا قيل ان هذه القصة تقتضي ان الخضر نبي رسول
لئلا يكون العالي اعلم من الاعلي وفي الكشاف ان القصة لا تقتضي ان موسي هذا
هو مُنَبَّئًا كما قاله اهل الكتاب لانه لا غضاضة في اخذ النبي العلم من نبي مثله اذ يمتنع
اخذه ممن هو دونه وفي فتح الباري ان في كلامه نظرا لان المتكلمين اشترطوا في
النبي ان يكون اعلم اهل زمانه علي العموم ولو لزم هذا لزم ان لا يجمع الله بين نبيين
في عصر واحد وقد كان مع موسي هارون وشعيب ثم يوشع والحق ان اللازم كونه اعلم
ممن ارسل اليه وانه اعلم بالعلم المخصوص به ولذا قال له الخضر عليه الصلاة والسلام
اني علي علم علمنيه الله لا تعلمه انت ولم يكن موسي مرسلا الي الخضر فلا ضير في كونه اعلم
منه بعلم لدني خصه الله به وقال الامام القرطبي ولننبه هنا علي مغلطتين
الاولي ان بعضهم قال ان الخضر اعلم من موسي تمسكا بهذه القصة وهذا انما يصدر
من قصر نظره علي هذه القصة ولم ينظر ما خص الله به موسي من توراته التي فيها
علم كل شي وكلامه ودخول انبيا بني اسرائيل تحت نبوته ودعوته كما قال الله تعالي
له اني اصطفيتك علي الناس برسالاتي وبكلامي والخضر وان كان نبيا ليس برسول
بالاتفاق والرسول افضل من النبي الذي ليس برسول فان قلنا انه ولي
فلا اشكال الثانية ان بعض الزنادقة قال قولا يهدم الشريعة وهو ان
قصة الخضر تدل علي ان احكام الشرع تختص بالعامة وان خواص الاوليا انما يراد
منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم بخواطرهم لصفا قلوبهم عن الاكدار والاغيار فتنجلي
لهم علوم الهية يقفون بها علي اسرار الكاينات وعلم الجزييات فيستغنون عن
احكام الشريعة كما في حديث استفت قلبك وهذا كله زندقة وكفر وانكار
لما علم من الدين بالضرورة من ان الاحكام انما تؤخذ عن الله بواسطة رسله
وسفرايه بينه وبين خلقه فمن ادعي خلافه كفر فيقتل ولا يستتاب وكل
هذا كفر صريح والامتحان لموسي اذ اراه الخضر ان قتل الغلام كقتله للقبطي
واقامته الجدار كالقا امه التابوت في اليم واقامته الجدار بغير اجرة
كسقيه لبنات شعيب قبل استيجاره له وهذا لا يقتضي الانكار علي بعض الاوليا
في الامور الكشفية ولا اساءة الظن بهم فيما يصدر عنهم من بعض المقالات
وهاهنا بحث مهم وهو ان النبي معناه لغة المُخبِر او المُخبَر مطلقا وهو
في العرف العام المخبر عن الله بوحي مطلقا وفي عرف الشرع المخبر عن الله بشريعة
خاصة به او امر بتبليغها غيره فعلي هذا لا يكون الخضر نبيا لانه انما اوحي اليه
ببعض الامور الغيبية اذا علمت هذا فخالد بن سنان اذ كان بين
نبينا صلي الله عليه وسلم وبين عيسي عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث
لا ينافي الحديث الصحيح من قوله صلي الله عليه وسلم لا نبي بيني وبين عيسي كما
قاله ابن حجر وقال ان الاول لا يقاوم حديث البخاري فهو مردود رواية

لان خالدا انما اوحي اليه بكشف امور البرزخ تاييدا الخبر غيره من الانبيا وتمهيدا
لما ياتي بعده بما سياتي به نبينا صلي الله عليه وسلم فانه لم يوح اليه بشرع ولا
بامر يجب العلم بتفصيله فليس نبيا بحسب عرف الشرع فتسميته نبيا انما
هو باعتبار المعني العرفي او اللغوي فلا منافاة بينه وبين الحديث مع انه لم
يكشف ما ارسل به كما في الحديث الاتي انه اضاعه قومه وهو تحقيق حقيق
بالقبول واليه اشار في الفصوص **فصل واما ما يتعلق بالجوارح** للانبيا
عليهم الصلاة والسلام جمع جارحة وهي الاعضا التي يكتسب بها الانسان
ويعمل ما يريد يقال جرح واجترح بمعني عمل واكتسب قال تعالي ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ما يتعلق بعصمتهم في افعالهم **من الاعمال** بيان لما اي الاعمال العادرة
بواسطتها **ولا يخرج من جملتها القول باللسان** لانه من الاعضا **فيما عدا الخبر** اي الاخبار
بما سبيله البلاغ وغيره **الذي وقع الكلام فيه** قبل هذا كما تقدم **ولا يخرج من جملتها ايضا**
الاعتقاد بالقلب لانه من عمله وله افعال تصدر عنه وهذا بحسب العرف واللغة
واما كون العلم من مقولة الكيف او الانفعال لا من الفعل والعمل فمما يحققه الحكما
ولا ينظر له علما الشريعة **فيما عدا التوحيد** والايمان وما يتعلق بالوحي كما تقدم
وما قدمناه من معارفه المختصة به صلي الله عليه وسلم من اطلاعه علي احوال الملكوت
مما لا ينكشف لغيره كما تقدم **فاجمع المسلمون** جواب اما **علي عصمة الانبيا** جميعا فيها
من الفواحش اي المعاصي والكباير القبيحة والفاحش كل امر اشتد قبحه من الاقوال
والافعال وقد تختص الفاحشة بالزنا وقال ابن عرفة هي كل ما نهي الله عنه **والكباير**
هي معروفة **الموبقات** اي المهلكات يقال اوبقه اذا اهلكه واهلاكها باتباعها
في العذاب في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب الاليم وحاصله عصمتهم
في اقوالهم وافعالهم واعتقاداتهم قبل النبوة وبعدها من الكباير المتوعد
عليها **ومستندهم** اي دليلهم الذي اعتمدوا عليه **في ذلك** اي في عصمتهم عن الكباير
الاجماع الذي ذكرناه عن المسلمين فالدليل شرعي وهو الاجماع **وهو مذهب القاضي**
ابي بكر الباقلاني الاصولي المالكي **ومنعها** اي الكباير **غيره** من الايمة **بدليل العقل**
فضمير منعها للكباير الصادرة عنهم وقيل انه راجع لعصمتهم اي منع عصمتهم
من الكباير لعدم استحالتها عقلا وهو وهم لانه يا باه قوله **مع الاجماع** لان
الاجماع لم يقم علي عدم عصمتهم من الكباير مع ان كلامه نفسه
بعده ينافيه **وهو قول الكافة** اي جميع العلما وقد تقدم ان بعضهم قال ان
كافة يلزم التنكير والنصب علي الحالية وقد بينا في شرح الدرة انه غير صحيح
واختاره ابو اسحاق الاسفرايني الشافعي لعلو مقامهم عن صدور مثله منهم فذهب
الجمهور ان عصمتهم عن الكباير بدليل سمعي وذهب طايفة الي انه بدليل
سمعي وعقلي والمشهور عن الاشاعرة ان العصمة فيما ورا التبليغ غير واجبة
عقلا اذ لا دلالة للمعجزة عليه واما ما طريقه التبليغ ودعوي الرسالة فالمعجزة دالة

علي

علي عصمتهم فيه **وذهب المعتزلة الي وجوب عصمتهم عن الكباير عقلا** بنا علي قاعدتهم
في الحسن والقبح العقليين ووجوب رعاية الاصلح والدليل العقلي من وجوه فصلت
في كتب الاصول منها انا امرنا باتباعهم فلو صدر عنهم ذلك وجب اتباعهم فيما فعلوه
فيلزم اجتماع الحرمة والوجوب وايضا لو صدر عنهم ذلك كانوا معذبين اشد
العذاب لان عليهم وزرهم ووزر من اقتدي بهم وكانت شهاداتهم غير مقبولة
ونحن نجعلهم الله شهدا علي غيرهم الي غير ذلك مما فصلوه **وكذلك** اي كما انهم معصومون
مما مر **لا خلاف في انهم معصومون عن كتم الرسالة** اي معصومون عن اخفا رسالتهم
عمن ارسلوا اليه لانهم مامورون بالتبليغ وفي النسخ كتمان الرسالة لقوله
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ومخالفة الامر معصية كبيرة **و** معصومون
عن التقصير في التبليغ بترك شي منه **لان كل ذلك** المذكور من الكتمان والتقصير فيه
تقتضي العصمة منه مفعول يقتضي وقوله **المعجزة** فاعل اي تدل المعجزة علي
لزومه **مع قيام الاجماع علي ذلك** اي علي ان الله عصمهم عنه **من الكافة** اي جميع
الناس واعلم ان الحريري قال في الدرة ان كافة يلزمها التنكير والنصب
علي الحالية الا انه غير مسلم فانه سمع كافة شاذ وفي توقف مثله علي السماع
نظر وقد ذكرناه مفصلا في شرح الدرة لنا **والجمهور** اي اكثر الناس ومعظمهم
متفقون علي انهم لا يكتمون شيا من الوحي الذي امروا بتبليغه وهذا ورد
في حديث رواه مسلم عن عايشة رضي الله عنها انها قالت من حدثكم ان محمدا
كتم شيا من الوحي فقد كذب والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
وان لم تفعل فما بلغت رسالته ولو كان كاتما شيا من الوحي لكتم قوله واذ
تقول للذي انعم الله عليه الاية **وقايل منهم** اي منهم من قال **بانهم معصومون من ذلك**
الكتمان والتقصير **من قبل الله** اي خلق الله في جبلتهم العصمة فهم **معتصمون**
اي متمسكون **باختيارهم في تركه وكسبهم** لا انهم مضطرون لعدم قدرتهم علي
خلافه **الا حسنا النجار** بفتح النون والجيم المشددة والف ورا مهملة وهو
حسن بن محمد النجار الذي تنسب له الطايفة النجارية وهم فرق من المبتدعة
الضالة وافقوا اهل السنة في بعض اصولهم ووافقوا القدرية في نفي الروية
ووافقوا المعتزلة في بعض المسايل ولهم مقالات كفروا بها والمشهور منهم
ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة **فانه** اي النجار **قال لا قدرة**
لهم علي المعاصي اصلا كالعنين الذي لا يزني فانه قال ان الله يوجد الافعال كلها
من غير اختيار وكسب بل بايجاب الطبع **واما الصغاير فجوزها** علي الانبيا
عليهم الصلاة والسلام **جماعة من السلف** المتقدمين **وغيرهم** من المتاخرين **علي الانبيا**
وهو مذهب ابي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري
البغدادي صاحب التصانيف الجليلة المشهورة ولد سنة اربع وعشرين
وماتين وتوفي سنة عشر وثلاثماية عن ست وثمانين **وغيره من الفقها**

والمتكلمين وسنورد اي نذكر بعد هذا ما احتجوا به من ادلتهم وما يتعلق بها وذهب
طايفة منهم الي الوقف اي التوقف وعدم الجزم وقالوا العدم جزمهم بجوازها وامتناعها
عليهم ان العقل اذا خلي ونفسه لا يحيل وقوعها منهم اي لا يعده من المحالات ولم يات في
الشرع قاطع اي نص صريح ودليل قطعي باحد الوجهين من الجواز وعدمه في صدور
الصغاير منهم وذهب طايفة اخري من المحققين من الفقها والمتكلمين في اصول
الدين الي عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا اي قال الذاهبون
لعصمتهم من جميع المعاصي صغايرها وكبايرها ان ذلك لاختلاف الناس في
الصغاير اي في تعريفها بما يميز احدهما عن الاخر وتعيينها هو كالتمييز وزنا
ومعني من الكباير هل هي معدودة او هي ما توعد عليه بحد ونحوه او هي امر نسبي
يتميز بما فوقه وتحته واشكال ذلك عليهم حتي عسر تمييز احدهما عن الاخر
وقول ابن عباس وغيره من السلف ان كل ما عصي به فهو كبيرة نظرا لجلال الله وعظمته
فان من يخالف امر السلطان كمن يخالف امر احد من رعيته وانه اي الذنب
انما سمي منها الصغير اي اطلق عليه صغيرة باضافة اي نسبة وقياس وفي
نسخة بالاضافة الي ما هو اكبر منه لا بالنظر له في نفسه ولا نظر الي من عصاه
ومخالفة الباري عز وجل في اي امر كان صغيرا او كبيرا اي يجب كونه كبيرة في نفسه
وهذا نظر من لم يشاهد شيا الا شاهد الله معه او قبله ولذا تفاوتت
الذنوب بتفاوت اصحابها فتدبر وقال القاضي ابو محمد عبد الوهاب المالكي
البغدادي الاديب العلامة وهو من شعرا اليتيمة وقصيدته الميمية
التي منها

ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ● ولو عظموه في النفوس لعظما

وله تصانيف في مذهبه جليلة كالتلقين والمعونة وارتحل الي مصر فتوفي
بها ودفن بالقرافة قريبا من الامام الشافعي في سنة اثنين واربعماية رابع عشر
صفر لا يمكن ان يقال في معاص الله انها صغيرة الا علي انها تغتفر باجتناب الكباير ولا يكون
لها حكم اي لا يعتد بها ويواخذ فاعلها بعقابه عليها كما هو حكم الكبيرة الذي
حكم الله به بخلاف الكباير اذا لم يتب فاعلها منها بالبنا للفاعل او المفعول
والتوبة معناها معروف فلا يحبطها شي اي يمحوها ويذهب حكمها كما يحبط
غيرها من اعمال العبد الصالحة والمشية في العفو عنها موكول الي فضل الله وسعة رحمته
كما قال تعالي ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وهو قول القاضي
ابي بكر بن الطيب الباقلاني وجماعة ايمة الاشعرية وكثير من ايمة الفقها لان الحديث
والنص دل عليه دلالة ظاهرة كقوله صلي الله عليه وسلم الصلوات الخمس مكفرة لما
بينهن ما اجتنبت الكباير اي ما دام اجتنابه لها وقوله تعالي ان الله لا يغفر
ان يشرك به الخ والحديث مبين للاية فلا يرد عليهم ان الوعيد شامل لها فلا تغفر
بمجرد اجتناب الكباير وهو الحق فان الحق خلافه لقوله تعالي ان تجتنبوا كباير

ما تنهون

عوضي

ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا
الكتاب رحمه الله قال بعض ايمتنا يعني المالكية ولا يجب علي القولين في العصمة
عن الصغاير وعدمها ان يختلف في انهم معصومون عن تكرار الصغاير وكثرتها وكان
الظاهر ان يقول لا يجوز لان احدا لم يقل بوجوب الاختلاف ففي عبارته تسمح اذ
يلحقها ذلك المذكور من الكثرة والتكرار بالكباير لما فيه من عدم المبالات بالمعاصي
وفي الاحيا الصغيرة تصير بالاصرار كبيرة كما ان المباح يصير بذلك صغيرة قال السبكي
اما الاول فظاهر واما الثاني فلا اعرفه وفيه نظر سياتي وتبين ان المختار
المفتي به ان من اكثر من فعل الصغاير سوا كانت من نوع واحد او من انواع لا يكون
فاسقا ولا مرتكبا الكبيرة ان غلبت طاعاته علي معاصيه الا ان يراد بالاكثار الاكثر
بحيث يغلب علي الطاعات وفيه ان ما ذكر في غير حق الانبيا فلا نسلم مسا وانهم
لغيرهم وهم المقتدي بهم فتدبر ولا ينبغي ان يختلف في صغيرة ادت الي ازالة
الحشمة اي الحيا من الناس لانها مما يسترذل وتنتقص النفوس منه وقد ورد بهذا
المعني في الحديث ناد جهارا ولا تحتشم وفي قول عنترة

فاري مغانم لو اشا حويتها ● فيصدني عنها كثير تحشم

وقد يرد بهذا قوله في ادب الكاتب ان الناس يضعون الحشمة موضع الاستحيا
وليس كذلك انما هي الغضب ومنه انه يحتشمني ويلبس كما قال وقد قال حسان
رضي الله تعالي عنه

ارسلت نفسي علي سجيتها ● وقلت ما شيت غير محتشم

ومنه قولهم للمهيب محتشم وقد صرح به السهيلي والبطليوسي واسقطت
المروة هي كمال الرجولية وفسرها المص رحمه الله بقوله واوجبت الازرا اي التنقيص
والخساسة اي الدناة وكونه مزدرا خسيسا في اعين الناس يقال ازدراه اذا تهاون
به وعابه لحقارته عنده كسرقة لقمة وشي تافه فهذا ايضا كغيره مما يعصم
منه الانبيا اجماعا العلو قدرهم وشرف انفسهم وهممهم العلية لان ارتكاب مثل هذا يحط
منصب اي مقام المتسم به الموصوف به اي يجعله سافلا ويزري بصاحبه اي يحقره
وينقصه وينفر القلوب عنه فينافي مقام الدعوة واتباع الخلق له والانبيا
منزهون اي مبرون عن ذلك كله لا يليق بعلي مقامهم بل يلحق بهذا المذكور
من الصغاير التي عصمهم الله منها كل ما كان من قبيل المباح فادي اليه ضمير مثله
يحتمل ان يعود الي ما ينزهون عنه فيكون من سد الذرايع الذي ذهب
اليه مالك فان عنده ان ما ادي الي منهي عنه منهي عنه وان كان مباحا
في نفسه ويحتمل ان يعود الي الازرا والخساسة كالاكل في السوق لمن ليس من
اهله من غير ضرورة والصنايع الرذيلة كالحجامة وليس منها رعاية الغنم
الذي فعله الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانه ليس بمعيب في الزمن
القديم وكلبس ما لا يليق به من الملبوس بما قلنا

نصيحة لطيفة قالتها الاكياس ؞ كلما اشتهيت والبس ما تشتهيه الناس ؞
وكادامة الشافعي لعب الشطرنج لخروجه بما ادي اليه عن اسم المباح الي الحظر اي المنع
منه يعني الحرمة وهذا اصرح في الاشارة الي سد الذريعة وهذه المسيلة
مما نقل علي الاطلاق عن الامام مالك لكنها مشكلة وقد قال القرافي كما تقدم
انها ليست علي اطلاقها ولعلما المالكية فيها كلام طويل لم يحضرني الان تفصيله
وفي الشرح الجديد ان مراده ان يودي الي ان يزدري بهم فيحرم عليهم بمن تلبه ازدرا
بالانبيا كفر ففعله يودي الي ان يزدري بهم فيحرم عليهم لاحتمال ان يراهم من
يجهل مقامهم فيزدري بهم فيقع في الشقا الابدي فتامله وفي الكبيرة والصغيرة
وتعريفهما كلام في الاصلين لا حاجة للاطالة بذكره وقد ذهب الي عصمتهم اي الانبيا
من مواقعة المكروه اي الوقوع فيه بان يفعله قصدا اما سهوا فلا باس به والمكروه قد
يكون كراهة تحريم وهو نوع من الحرام لكن الفقها يطلقون عليه مكروها اذا
لم يكن فيه نص اجتنابا من القطع بالحكم به وكراهة تنزيه كترك بعض المندوبات
والمراد هنا الاول داخل فيما تقدم مما جزموا بامتناعه عليهم والاول
شامل لخلاف الاولي وهو مما نهي عنه في الجملة لانه صلي الله عليه وسلم مامور باتباعه
فلو فعل مكروها اتبع فيه الا ان يكون لبيان الجواز والتشريع فانه يكون في حقه
افضل كغسله اعضا الوضو مرة او مرتين فتركه التثليث لبيان الجواز وقد استدل
بعض الايمة علي عصمتهم من الصغاير بالمصير الي امتثال اي فعل مثلها اقتدا بهم فلو صدر ذلك منهم
او جاز فعله الناس وظنوه مشروعا فلذا امتنعوه منهم وان كان صغيرة لان ذنب
العظيم عظيم وان قل واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا اي سوا كانت ضرورة
او جبلية كالقيام والقعود والاكل والشرب فانا نتاسي بهم فيه وان كان مباحا
لان الاصل في افعالهم انها حسنة شرعية فينبغي اتباعهم في كل ما صدر منهم لان الاصل
ارجح من الظاهر وقد اختلف الشافعية في اتباعه صلي الله عليه وسلم فيما علمنا
انه ليس تشريعا هل يستحب ام لا كنومه واضطجاعه بين سنة الفجر وفرضه وجمهور
الفقها علي ذلك اي استحباب اتباع اثارهم مطلقا ان لم نعلم انه خصوصية لهم
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابه كما راه لمذهبه من غير التزام فيام قرينة تدل
علي انه فعله للتشريع والاقتدا به فيه بل يقتدي بفعله مطلقا من غير التزام قرينة
المشروعية عند بعضهم واذا اختلفوا بعد القول باتباعه في حكم ذلك فذهب
الغزالي الي انه يستحب اتباعه في الامور الجبلية كغيرها وذهب اليه كثير من الفقها
والمحدثين وقال غيرهم انه مباح احسن من غيره وفي قول ضعيف انه واجب
وحكي ابن خويز منداد ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الله وقيل ابو بكر تلميذ الابهري
من ايمة المالكية والاصول وله تصانيف في مذهبه وعلم الخلاف الا ان اقواله مرجوحة
عندهم كقوله ان العبيد لا يدخلون في الخطاب وان خبر الواحد يوجب العلم
وخويز منداد بضم الخا المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون اليا المثناة التحتية وزاي

معجمة

معجمة ساكنة او مكسورة وميم مفتوحة او مكسورة وروي بيا موحدة بدلها
ثم نون ساكنة فدالين معجمتين بينهما الف وقيل الاولي مهملة توفي في حدود
الاربعماية وهو من اهل البصرة كما في التمهيد لابن عبد البر وابو الفرج عمر بن محمد
ابن عمر الليثي المالكي صاحب كتاب الحاوي في فقه مالك توفي سنة ثلاثين او احدي
وثلاثين وثلاثماية عن الامام مالك التزام ذلك اي اتباع افعاله واثاره
وجوبا اي قال انه يجب اتباعه صلي الله عليه وسلم في كل ما يفعله اذا لم يكن امرا
جبليا كالاكل والشرب ولم يعلم انه من خصوصياته اذا لم يعلم حاله من وجوب
او ندب او اباحة لان افعاله منحصرة فيها لانه لا يصدر عنه محرم ومكروه كما
تقدم وهو قول الابهري بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الها والرا مهملة ويا نسبة
نسبة لبلدة عظيمة بين قزوين وزنجان ولهم اخري باصفهان وهو معرب ابهر
بمعني ما رجي والابهري من علما المالكية اثنان ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح
والاخر ابو سعيد عبد الرحمن بن يزيد بن عبد السلام ولبس بن عبد السلام
هذا هو الشافعي وهذا ايضا مشهور عندهم بمحمد الابهري من علما المالكية
من اهل طليطلة ويلقب بابي تمام وهو المراد هنا وابن القصار الامام في فقه
مالك واكثر اصحابنا من المالكية وقول اكثر اهل العراق من فقها المذاهب وابن سريج بضم
السين وفتح الرا المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وجيم وهو ابو العباس احمد
ابن عمر بن سريج البغدادي الشافعي حامل لوا المذهب صاحب التصانيف الجليلة
كانوا يفضلونه علي جميع اصحاب الشافعي ويلقب بالباز الاشهب تولي قضا
شيراز وتوفي في جماد الاولي سنة ست وثلاثماية والاصطخري بكسر الهمزة
وفتحها وصاد مهملة ساكنة وطا مهملة مفتوحة وخا معجمة ساكنة ورا مهملة
يليها يا النسبة نسبة لاصطخر بلدة عظيمة وهو ابو سعيد الحسن ابن
احمد بن يزيد بن عيسي الامام المشهور عند الشافعية وكذا تصانيفه
توفي سنة اربع وثمانين وثلاثماية علي احد الاقوال وترجمته مفصلة
في الطبقات والميزان وغيرهما وابن خيران من الشافعية
وهو علم لمثني خير وهو ابو علي الحسين بن صالح بن خيران البغدادي الامام
الزاهد الجليل فدوة صاحب التصانيف المفيدة في فقه الشافعي
طلبه الوزير ابن الفرات لتولية القضا فلم يجبه فسمر بابه عليه اياما فلم
يجب فافرج عنه ثم قال انما فعلت ذلك به ليعلم ان ما في بلدنا مثله
توفي رحمه الله سنة عشرين وثلثماية لعشر بقين من ذي الحجة واكثر
الشافعية علي ان ذلك اي الاتباع له صلي الله عليه وسلم فيما لم يعلم حاله ندب اي
مستحب لا واجب ولا مباح كما مر وهو المشهور وبالغ ابو شامة رحمه الله
تعالي في نصرته وذهب طايفة من العلما الي الاباحة اي انه مباح وطايفة الي الوقف
وقيد بعضهم الاتباع اي اتباعه صلي الله عليه وسلم في افعاله وجوبا او ندبا

فيما كان من الامور الدينية ليخرج الامور الجبلية كالاكل والنوم وعلم به مقصد القربة
مصدر ميمي بمعني القصد اي التقرب الي الله بالعبادة وهذا اختار الامدي
وابن الحاجب وابي شامة ومن قال بان الاصل فيما لم يعلم من افعاله صلي الله
عليه وسلم الاباحة لم يقيد بما قيد به من قال بالندب او الوجوب بقيد الدينية
وقصد القربة لان التقييد به ينافي الاباحة اذ كلما قصد به القربة من
الديانه طاعة فهو لا يخلو من الوجوب او الندب قيحل هذا احكم فعله في
نفسه وبالنسبة اليه صلي الله عليه وسلم واما بالنسبة لامته فحكمهم
مرتب علي حكمه الا فيما استثني فتدبر قال المستدل علي عصمتهم من الصغاير
بما مر فلو جوزنا عليهم فعل الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم مطلقا كما
امرنا به اذ ليس كل فعل من افعاله لكثيره منهم متميز مقصده به اي ما قصده من
القربة بان يكون واجبا او مندوبا او من الاباحة مما لا يترتب عليه ثواب ولا
عقاب او مدح او ذم او من الحظر بالمشالة اي المنع شرعا لكونه محرما او
مكروها او خلاف الاولي او المعصية الظاهر عطفه بالواو عطف تفسير
وعلي هذه النسخة ينبغي ان يفسر الحظر بخلاف الاولي والمكروه وهذا بالحرام
ولا يصح علي تقدير جواز الصغاير عليهم ان يومر المرء بامتثال امر من الامور
لعله النبي صلي الله عليه وسلم وصدر عنه فعلكم معصية وقد امرنا باتباعهم لقوله
تعالي فاتبعوني يحببكم الله ونحوه فيلزم ان نتبعه في معصية صدرت
منه وهو باطل ولما ورد عليه ان الملازمة غير مسلمة لجواز ان تصدر منه معصية
صغيرة ولا يتبع فيها لانه قال لنا انها محرمة علينا الا انه ينبغي ما لم يصرح بتحريمه
ملتبسا علينا او يقال هذا انما يتم لو قلنا القول مقدم علي الفعل وليس
بمسلم كما اشار اليه بقوله لاسيما تقدم الكلام عليها وعلي قول انها للاستثنا مع
افادتها اولوية ما بعدها في الحكم وسي بمعني مثل وما موصولة او زايدة كما
بينه النحاة وقد قدمناه علي قول من يري تقديم الفعل علي القول اذا تعارضا
وجهل المتاخر منهما لدلالته علي الجواز المستمر مع كونه اقوي في البيان من
حيث انه يبين به وقوله من الاصوليين اي علما اصول الفقه وهو بيان لمن بان يفعل
فعلا قال انه حرام ولم يعلم المتاخر منها حتي يكون ناسخا له وقد اختلف
فيه فمنهم من قدم الفعل لانه لا احتمال فيه وقيل يعمل بالقول لقوته بالصيغة
واندحته في نفسه وهو قول الجمهور وقيل لا يرجح احدهما علي الاخر الا بدليل
وعلي الاول يقتدي بافعالهم مطلقا والمعارضة بمعني المخالفة ومنافاة احدهما
للاخر وعلي هذا تكون الحجة اقوي ونزيد هذا الدليل الذي استدل به علي عصمتهم
من الصغاير وعدم جوازها عليهم ونزيد بنون المضارعة حجة اي نؤيد
هذا الدليل بما يزيل الشبهة في حجيته وقوة برهانه بان نقول لم نجوز علي الانبيا
وقوع الصغاير ومن نفاها اي قال بعدم جوازها عن نبينا صلي الله عليه وسلم

بجمعون

بجمعون ومتفقون في حقه كغيره من الانبيا علي انه اي النبي صلي الله عليه وسلم
لا يقر بكسر القاف والبنا للفاعل وفاعله ضمير النبي صلي الله عليه وسلم اي لا يقر غيره
اذا راه علي امر منكر من قول او فعل لان تقريراته صلي الله عليه وسلم بمنزلة
قوله له ما فعلته جايز كما قيل ان السفيه اذا لم ينه مأمور وانه صلي الله عليه
وسلم منزه لاي شيا منهيا عنه يفعل او يقال فسكت صلي الله عليه وسلم عنه دل
علي جوازه والسكوت رضي وتقريب لوجوب الثنا عليه فكيف تعجب وانكار شديد
يكون هذا حاله في حق غيره ممن راه او سمعه ثم يجوز وقوعه منه في نفسه بان يرضي
لنفسه مع شرفها وعصمتها ما لا يرضاه لغيره من اتباعه ولذا عد واتقريراته
من الحديث كقوله وفعله ومثل ما راه وسمعه ما علمه في عصره ولم ينكره فانه يدل
علي جوازه اي اباحته كما قرره الاصوليون الا انهم شرطوا فيه شروطا منها
ان لا يكون بين منعه قبل ذلك كما لو راي ذميا من اهل الجزية في كنيسة علي ما يفعله
اهل ملته وان يقدر علي ازالة ذلك المنكر وفيه نظر لانه مامور بالامر وان خاف مكروها
وقتالا وان يعلم ان انكاره يفيد كما قاله بعض المعتزلة وهذا كما كان يقر بعض
المنافقين علي نفاقهم احيانا وعلي هذا الماخذ الدال علي انهم لا يقرون غيرهم
علي المعاصي فضلا عن انفسهم تجب عصمتهم عن موافقة المكروه قيل وقد
تقدم قريبا لانه مما نهي الرسول عنه غيره فكيف يتنزل للاتصاف به كما قيل
شعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله ۞ عار عليك اذا فعلت عظيم
ثم اردفه بدليل علي عدم فعله المكروه بقوله واذ الحظر بالمشالة بمعني المنع تحريما
ومكروها واذ للزمان الماضي اريد بها التعليل هنا وهو معطوف علي قوله وعلي
هذا الماخذ وفي نسخة الحض بحا مهملة وضاد معجمة وقال البرهان انه تحريف
وفيه نظر او الندب اي الطلب غير الايجابي وضمنه معني الحث علي الاقتدا بفعله كما
امر الله باتباعه في ايات كثيرة معلومة ينافي الزجر اي زجره غيره اذا راه ارتكب
ما لا يرضاه والنهي للغير عن فعل الامر المكروه وفي كلامه هذا احزازة وتوضيحه
بما يشفي الغليل انه تجب عصمته صلي الله عليه وسلم عن المكروه لما مر من انه
لا يرضاه لغيره فكيف يتصف به هو من غير مقتض وهذا معني قوله وعلي
هذا الماخذ الخ بين وجهه بوجه اخر اشار اليه بقوله واذ الحظر والحض كما في
بعض النسخ وهي صحيحة ايضا كما علمت اي اذا ارتكبناه صلي الله عليه وسلم فعل
فعلا لم ندر حكمه فقيل تمتنع مخالفته وقيل يندب اتباعه والي الاول اشار
بالحظر والي الثاني بالندب وعلي كل منهما لا يفعل مكروها فاعله مزجور فتدبر
وايضا اي مما يدل علي عصمته صلي الله عليه وسلم عن موافقة المكروه فقد علم من دين
الصحابة اي من عادتهم لان الدين يكون بمعني العادة ولو خلي علي ظاهره صح وقوله
قطعا اي علما لا شك فيه الاقتدا بافعال النبي صلي الله عليه وسلم كيف توجهت اي في اي جهة
من جهات الافعال المختلفة وفي كل فن اي في اي نوع كانت من امور معاشه ودياناته

وتكلمه وغير ذلك كالاقتدا باقواله في اوامره ونواهيه فلا يفرقون بين قوله
وفعله في الاتباع فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه وهو لا يصح ثم ذكر امورا
تدل على ان فعله كقوله فقال فنبذوا بمعجمة اي رموا وطرحوا والضمير للصحابة
الذين كانوا تختموا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابن عمر خواتيمهم جمع
خاتم على لغة فان بعضهم الكسر كما ورد الاعمال بخواتيمها جمع خاتمه يعني
اخرها وهو مطرد عند الكوفيين وعند غيرهم سماعي او جمع خاتام وهي لغة فيه
من عشر لغاته وهذا اشارة الى حديث هو انه صلى الله عليه وسلم كتب الى
الملوك يدعوهم الى الاسلام فقيل انهم لا يقرون كتابا غير مختوم فاتخذ له خاتما
من ذهب للختم نقشه محمد رسول الله ثم اوحي اليه بتحريم خواتم الذهب للرجال
دون النسا فطرحه وهو على المنبر واتخذ اخر من فضة حين نبذ خاتمه فهذا
منهم اقتدا بفعله صلى الله عليه وسلم كما ذكر وقيل ان خاتمه الذهب اهداه
له النجاشي ومنه علم تحريم التختم بالذهب وحله بالفضة خلافا لابن حزم
في حلهما وما روي من ان الخاتم الذي نبذه كان من فضة طعن في روايته كما
فصل في شروح الصحيحين وفي شرح مسلم للقرطبي انه صلى الله عليه وسلم نهى
ان ينقش احد خاتمه كنقش خاتمه وان ينقش احد على خاتمه اسم محمد وان تتختم
النسا بالفضة ورده النووي ومن اقتدائهم بافعاله صلى الله عليه وسلم
انهم خلعوا اي الصحابة نعالهم في الصلاة حين خلع صلى الله عليه وسلم نعله وهو
يصلي رواه احمد وابو داود والحاكم عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه ووضعهما عن يساره فلما راوه
القوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما حملكم على هذا قالوا رايناك فعلته فقال
ان جبريل اخبرني ان بها قذرا ومنه علم ان الصلاة بالنعل اذا علم طهارتها
لا تكره واما حديث خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم وخفافهم فلا يدل
على استحبابه الا اذا قصد اليهود فتامل ومما يدل على استحباب الاقتدا
بافعاله صلى الله عليه وسلم احتجاجهم اي استدلال الصحابة الوارد في حديث
رواه الشيخان عن ابن عمر استدلوا به على انه يجوز استقبال القبلة واستدبارها
بالبول والغايط واشار اليه بقوله برؤية ابن عمر اياه اي النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا لقضا حاجته اي للبراز وهو يكنى عنه بقضا الحاجة تادبا مستقبلا
بيت المقدس وهو قبلة الانبيا قال رقيت يوما على بيت حفصة فرايته صلى الله عليه
وسلم الخ واستدل بفعله هذا على جوازه ويلزمه لمن كان بالمدينة استدبار
الكعبة ايضا وهو مناف لحديث ابي ايوب عنه صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم
الخلا فلا تستقبلوا القبلة ببول ولا غايط ولكن شرقوا او غربوا فقيل انه
منسوخ وجمع بينهما بانه يكره في الخلا بلا ساتر دون العمران ولا يكره في
البيوت المعدة لذلك واختلفوا في علته فقيل تعظيمها اي القبلة وقيل

لان

لان الصحرا لا تخلو من مصل فيراه والصحيح الاول واحتج غير واحد منهم اي ناس
كثيرون من الصحابة في غير شي اي في اشيا كثيرة مما بابه اي نوعه العبادة اي
ما يتعبد به او العادة اي ما اعتادوا فعله بقوله اي ابن عمر رضي الله عنهما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعله ومثله كثير كما قيل لابن عمر رايناك تلبس النعال السبتية
وتصبغ بالصفرة فقال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقوله قال
صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صايم اشارة الى حديث في
الموطا عن عطا بن يسار ان رجلا قبل امراته وهو صايم في رمضان فخاف
وارسل امراته تسال امهات المومنين فسالت ام سلمة فقالت ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعله فاتته فاخبرته فقال لسنا كرسول الله
فاتتها واخبرتها بما قاله زوجها فوجدت عندها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ما لهذه المراة فاخبرته ام سلمة فقال لها رسول الله الا اخبرتيها
اني افعل ذلك فقالت ام سلمة قد اخبرتها فذهبت الى زوجها فاخبرته
فزاده ذلك شرا الخ فقال اني لاتقاكم لله واعلمكم بحدوده وقالت عايشة
لما سيلت عن تقبيل الصايم زوجته محتجة لجوازه وعدم افساده الصوم
كنت افعله اي تقبيل الصايم انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الرجل الصحابي الذي اخبر بمثل هذا عنه اي اخبرته زوجته بما افتته
به بعض امهات المومنين كما تقدم في حديث الموطا فقال الصحابي المخبر بذلك
يحل الله لرسوله ما شا فيجوز ان يكون هذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم فلا يقاس
امر غيره عليه وانما غضب لعلمه بانه اجيب عن هذا ولو كان هذا من خواصه لم يرضه
وقال واسا اني لاخشاكم لله اي اعظم منكم خوفا لله واعلمكم بحدوده اي بما حده الله
ومنعه من امور الدين المحرمة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته كما قال تعالى
تلك حدود الله فلا تعتدوها وقبلة الصايم لا تبطل صومه وفيها خلاف
فقيل مكروهة وقيل مباحة وقيل يفرق بين الشاب الذي لا يملك شهوته
والشيخ الذي يملكها كما فصله الفقها وهذا كله يدل على اقتدائهم بافعاله فكيف
يفعل مكروها كما تقدم والاثار المروية في هذا اي في اقتدا الصحابة رضي الله
عنهم بافعاله اعظم اي اكثر من ان نحيط بها اي اكثر من ان تعد وتحصى لكنه مع
كثرتها وشهرتها يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداوهم بها اي بافعاله
صلى الله عليه وسلم ولو جوزوا عليه المخالفة لما هو مشروع واجبا او مستحبا في شي
منها اي في بعضها بمواقعة امر مكروه ونحوه لما اتسق اي انتظم واطرد هذا
اي اتباعهم افعاله كلها لجواز كون بعضها منهيا عنه لا يقتدى به ولما بفتح
اللام والميم المخففة اي لو قلنا بجواز مخالفة امر الله في شي من افعاله ما اعتاد
الصحابة اتباعه فيها ولنقل عنهم اي نقل عن الصحابة مخالفة افعاله احيانا
وظهر بحثهم عن ذلك اي تفتيشهم افعاله ليقتدوا ببعضها ويتركوا بعضها احيانا

ولما بالتخفيف انكر صلي الله عليه وسلم علي الاخ قوله يحل الله لرسوله ما يشا
كما تقدم وان رسول الله صلي الله عليه وسلم غضب لقوله وقال انا اخشاكم لله
واعلمكم بحدوده واعتذاره بما ذكرناه فهذا كله يدل علي انه لا يفعل مكروها
واما صدور المباحات من الانبيا عليهم الصلاة والسلام والمباح ما يجوز فعله
وتركه من غير ترجيح لجانب لتوسعهم فيه ماخوذ من باحت الدار اي عرصتها
وهو حكم شرعي علي الاصح فجايز وقوعها منهم اي من الانبيا اذ ليس فيها قدح اي
نقص وذم حتي تمتنع عليهم بل هم ماذون فيها لهم اذ لا ضير فيها وايديهم كايدي
غيرهم مسلطة عليها اي هم كغيرهم من المكلفين لهم فعلها والاتصاف بها من
غير حرج عليهم في فعلها والتصرف فيها فاليد مجاز عن الكسب والتصرف
لانها الة الفعل غالبا لقوله بيده الملك اي له وتقبضته التصرف فيها
الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وبما شرحت له بالبنا للمفعول اي
لسبب ان الله شرح صدورهم من انوار المعرفة وفي نسخة انواع واصطفوا به
اي من اختيار الله وتقريبه من تعلق الهمم بالله اي همهم وعزمهم الصادق
تعلقه بالله وبامور الدار الاخرة اي بما هو وسيلة لها لا ياخذون اي لا يتناولون
من المباحات الا الضرورات اي ما يضطرون اليه من ضرورة البشرية كلها به قوام
البدن من الاكل والشرب مما يتقوون به علي سلوك طريقهم من تبليغ
امانة ربهم وما ينفع في المعاش والمعاد وصلاح دينهم مما يعين علي العبادة
ويصلح امورها كلباس المصلي الساتر له وضرورة دنياهم مما لا بد منه وما
اخذ علي هذه السبيل من كل امر ضروري وما موصولة مبتدا خبره التحق طاعة منصوب
بنزع الخافض وصار قربة اي امرا يتقرب به الي الله اي الامور المباحة كالماكل
والمشرب والملبس اذا اخذ منه مقدار الكفاية وما لا بد منه للتقوي علي السلوك
للاخرة صار عبادة يثاب عليها وهو ظاهر فالمباح بالنظر لذاته ومن حيث هو لا ثواب
فيه ولا عقاب اما بالنظر لما يقارنه فانه يصير عبادة والاعمال بالنيات وقد
يحصل بالمباح ترك محرم فيصير واجبا وما نقل عن بعض المعتزلة من ان
كل مباح واجب لانه ترك محرم رده الامام وهو ظاهر البطلان كما بينا منه
اي من المباح الذي يصير قربة اول الكتاب طرفا اي مقدارا قليلا في
خصال نبينا صلي الله عليه وسلم كما تقدم فبان مما ذكر من انهم ياتون من
المباح بمقدار الضرورة وانه بالنسبة لقصدهم يصير عبادة يثاب عليها
عظيم فضل الله علي نبينا وعلي ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وانعامه عليهم بما وهبهم
من الصفات الحميدة كالقناعة في امور الدنيا وعدم التنزه والتنزل لتعاطيها
من غير حاجة ثم توفيقهم لان يتقووا بها التقوي علي عبادة الله فجميع
امورهم عبادة وطاعة فقوله علي نبينا الخ متعلق بفضل ثم بين وجه ذلك
بقوله بان جعل افعالهم كلها قربات وطاعات اذا قصد بها التقوي علي العبادة

كما

كما بيناه بعيدة بسبب ما ذكره عن وجه المخالفة وجه بمعني الجهة والجانب
اي بعدت بما ذكر عن مخالفة الطاعة او مخالفة امر الله بمواقعة مكروه وهي
ورسم المعصية بالرا المهملة اي علامتها واثرها او بالواو بمعني السمة والعلامة
ايضا والكل ظاهر وما تقدم الي هنا مطلق من غير تقييد او مقيد بما بعد النبوة
لقوله فصل وقد اختلف في عصمتهم عن المعاصي قبل النبوة
ومجي الوحي لهم عليهم الصلاة والسلام فمنعها قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شا الله
اتي به للتبرك تنزيههم من كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب الريب هو في
الاصل الشك والشبهة وهو غير مناسب هنا فكانه اريد به ما يحط مقدارهم
لان شان النبوة الشرف والعلو فاذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم
وحصلت له شبهة فيهم فكيف انكار وتعجب اي لا يتاتي ما ذكر والمسيلة اي وقوع
الذنوب منهم قبل النبوة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد
تقرر الشرع بمعني ان الانبيا قبل النبوة معصومون اذا قلنا انهم غير مكلفين
بشرع من قبلهم وقلنا ان العقل لا حكم له في تحسين امر ولا تقبيحه كما هو
الحق عند الاشاعرة واهل السنة خلافا للمعتزلة القايلين بانه يجب الايمان
بالله قبل الشرع ولبعض الماتريدية القايلين بان الايمان بالله وتوحيده
واجب عقلا دون غيره لئلا يلزم الدور كما تقرر في اصول الدين وما قاله
المص جار علي المذهبين لان مراده بالمعاصي غير الكفر ولما كان الله لا يرسل
الي خلقه الا من هو اعقل اهل زمانه واقواهم فطرة واحسنهم خلقا وخلقا كانوا
معصومين قبل النبوة وبعدها ولم يقع ذلك منهم اصلا وان اختلف في
جوازه عقلا فعلي منعه لا يبقي شي وعند من جوزه قبل البعثة كالباقلاني
وان لم يوقعه كذلك فالكل متفقون علي ان الله لم يبعث فاسقا ولا معروفا
بالظلم والفجور وعدم الانصاف ولم يبعث الا تقيا زكيا محبوبا للقلوب مهيبا
في عيونهم له وقع عند كل احد وهذا بالنسبة للمعاصي التي حدثت
بعد نبوتهم وتشريعهم معلوم ضرورة وانما الكلام فيما تقرر قبل ذلك وقد
اختلف الناس في حال نبينا قبل ان يوحي اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا قيل صوابه
او لا لان ام لا تعادل هل وفيه نظر فقال جماعة لم يكن متبعا لشي من الشرايع
وهو قول الجمهور فالمعاصي علي هذا القول القايل بانه لم يتبع شرع من قبله غير موجودة
فلم تصدر منه بل لم تجز عليه ولا معتبرة في حقه اي لم يكلف بها ولم يواخذ
بها حينيذ اذ قلنا انه لم يتبعها ولم يكلف بها اذ احكام الشريعة انما تتعلق بالاوامر
تقدم الكلام عليها مرارا وانها جمع امر او امور او امرة والنواهي من حيث
الوجوب والحرمة والكراهية والندب ونحو ذلك وتقرر الشريعة اي
تحققها وظهورها ولم تكن بعد وجوده وقبل بعثته شريعة مقررة
في زمن الفترة حتي يتبعها ثم اختلف حجج القايلين بهذه المقالة الذي

ارتضوها مذهبا لهم عليها متعلق بحج باعتبار ما فيه من معني الاستدلال فذهب
سيف السنة اي عالمها الذي يقيم الادلة لنصرة طريقتهم استعار له السيف لانه
يقطع الجدال كما يقطع السيف الابطال والسنة ما ثبت عن النبي صلي الله عليه
وسلم ومقتدي فرق الامة تعريفها للعهد اي امة محمد صلي الله عليه وسلم وفي نسخة
الايمة القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم الباقلاني صاحب التاليف
الجليلة وحامل لوا اهل السنة الثقة الذي يضرب المثل بسعة علمه وشدة
ذكايه وانتهي له النظر في الاصلين علي اصل الاشعري وارسل الي ملك الروم
وناظر احبارهم في غريبة له وتوفي في ذي القعدة سنة ثلاث واربعماية وكانت
له جنازة لم ير مثلها وانما مدحه وان كان حقيقا بذلك اشارة الي ترجيح هذا
المذهب وانه لا ينبغي العدول عنه وهو ايضا علي مذهبه لانه مالكي لا شافعي
كما قد ينبو همز انشعريته الي ان طريق العلم بذلك اي اتباعه صلي الله
عليه وسلم الشرع نبي قبل نبوته النقل لانه لا يعلم بالعقل ومواد الخبر من طريق
السمع اي يعلم من خبر تردد ونقل يصل من طريق السمع وحجته اذ لو كان ذلك لنقل الينا
تعبده به ولما امكن كتمه وستره في العادة التي جرت بين الناس في مثله ان من
تعبد بشرع يظهره وينقله من اطلع عليه نقلا مستفيضا لا يخفي اذ كان نقله
وعدم كتمانه من مهم امره اي تعبده بشرع عزم مهم عظيم عند اهل ذلك الدين
واولي اي احق ما اهتبل به بها وتا مثناة فوقية وموحدة مبني للمجهول من
الاهتبال وهو شدة الاعتنا فهو عندهم من سيرته وصفاته المأثورة وافتخر
به اهل تلك الشريعة بان مثل هذا النبي العلي العظيم كان من اهل ملتهم وفيه
شرف لهم ولاحتجوا به عليه اي استدل اهل تلك الشريعة بكونه عليه
الصلاة والسلام كان علي شريعتهم اذ كان قبل نبوته تابعا لشرعهم ودينهم
فيقولون اذ دعاهم لاتباعه اما كنت علي ديننا فلم تنهانا عنه الان وتامرنا
بترك ما كنت توافقنا فيه ولم يؤثر اي ينقل شي من ذلك اي احتجاجهم عليه
ولا نقل احد انه صلي الله عليه وسلم كان متعبدا بشرع احد ممن كان قبله
جملة اي بالكلية اصلا وكثيرا ما يستعمل بمعني كافة وعامة وكما اختلفوا
في انه صلي الله عليه وسلم قبل البعثة هل كان علي شريعة من قبله ام لا اختلفوا
بعد البعثة هل كان يتبع شرع من قبله فيما لم يوح اليه فيه شي ولم ينسخ
وقد قيل ان هذا معلوم بالطريق الاولي كما فصل في كتب الاصول وذهب
طايفة الي امتناع ذلك اي تعبده بشرع من قبله عقلا اي بدليل عقلي لا دخل
للنقل فيه قالوا اي المدعون للامتناع العقلي لانه يبعد ان يكون متبوعا
مقتدي به فيما شرعه الله له وامره بدعوة الناس له من كان قبل صيرورته
متبوعا مبعوثا لغيره من عرف تابعا لشرع غيره متعبدا به قبل بعثته علي
هذا القول وهذا القول بامتناعه عقلا مبني علي التحسين والتقبيح وفي نسخة ونفوا

هذا

هذا الخ اي علي القول بان حسن الشي وقبحه يعرف ويثبت به وهو قول
المعتزلة في التحسين والتقبيح العقليان عبارة عن تعلق المدح والذم
عاجلا والثواب والعقاب اجلا وهو محل النزاع في هذه المسيلة المشهورة
في الاصلين واهل السنة يقولون لا يعرف حسن امر او قبحه الا من جهة الشرع
ولا دخل للعقل فيه وهي طريقة اي مذهب غير سديدة اي غير صحيحة واستناد ذلك
اي الاستدلال عليه الي النقل عن الاثار وعن اهل الشرع كما تقدم للقاضي ابي بكر
الباقلاني قريبا اولي واظهر وهو القول الصحيح المعول عليه وقالت طايفة
اخري اي بالتوقيف من غير تعيين لطرف في امره عليه الصلاة والسلام فقالوا
لا نعلم حاله قبل البعث هل كان علي شريعة من الشرايع السالفة ام لا ولم نقطع
الحكم عليه بشي من ذلك الحال المتعلق بعبادته وما كان عليه قبل بعثته اذ لم يحل احد
الوجهين منهما العقل اي بعده محالا لاستوايهما عنده في الامكان ولا استبان وظهر
واتضح في احدهما احد الوجهين طريق النقل بان ينقل ما يعينه عمن يوثق به وهو
مذهب ابي المعالي عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين شيخ الامام الغزالي
وعليه عمدة مذهب الشافعي وهو اظهر من ان يخفي وقالت فرقة ثالثة انه صلي الله
عليه وسلم كان عاملا في اموره وعباداته بشرع من قبله من الانبيا ثم اختلفوا بعد القول
بانه علي شريعة منها هل يتعين ذلك الشرع بتعيين صاحبه واحكامه ام لا فيقال
كان علي شرع لم يعلمه فوقف بعضهم عن تعيينه وعن الجزم بحا مهملة وجيم بمعني تاخر ونكص فهمه
ولم يجسر عليه لعدم دليل قام عنده علي تعيينه وجسر بعضهم اي تجرا واقدم علي
التعيين وصمم اي جزم واقدم بلا تردد فيه ثم اختلفت هذه الفرقة المعينة فيمن كان يتبع
شريعته من الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين تقدموه فقيل هو نوح
لانه اول الرسل اصحاب الدعوة العامة في الجملة كما في البخاري وقيل ابراهيم لانه
افضل الرسل غيره بالاتفاق وابو الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل
موسي لان كتابه اجل الكتب قبل القران وقيل عيسي لانه اقرب الرسل زمانا اليه
عليه الصلاة والسلام فهذه جملة المذاهب المنقولة في هذه المسيلة والاظهر الاقوي
دليلا ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني وهو القول الاول لما تقدم
وابعدها مذاهب المعينين كما تقدم لانه لم ينقل ومثله لا يخفي اذ لو كان شي من ذلك اي
اتباعه لشرع معين لنقل كما قدمناه لكنه لم ينقل فدل علي عدمه ولم يخف حكمه
اي لم يستتر عن احد من جميع الناس ولا حجة لهم في ان عيسي عليه الصلاة والسلام
اخر الانبيا فهو اقربهم اليه ولا نبي بينهما فهو اولي الرسل به كما ذهب اليه بعضهم
فلزمت شريعته من جا بعدها لانه المتبادر بحسب بادي الراي قبل التامل فيه
فاذا تامل عرف ان شريعته لا تلزم من جا بعده لانه انما يلزم ذلك لو عمت دعوته
غير بني اسرايل من العرب اذ لم يثبت عموم دعوة عيسي صلي الله عليه وسلم بل الصحيح
انه لم يكن لنبي من الانبيا دعوة عامة لجميع بني ادم الا نبينا محمد صلي الله عليه وسلم فانها

عمت جميع بني ادم بل جميع المخلوقات من الجن والانس كما تقدم ومن قبله اخذ عليهم
الميثاق ان من ادركه يومن به وقوله بل الصحيح اشارة الي انه قبل بعموم من
قبله كادم ونوح عليهما الصلاة والسلام لقوله لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا
اذ لو لم يرسل اليهم ما استحقوا الهلاك بمخالفته وهذا ان سلم فهو عموم نسبي لا حقيقي
كما لنبينا صلي الله عليه وسلم ولا حجة ايضا كما لا حجة لما قبله في قوله تعالي ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا اي مستقيما والملة الشريعة والدين وكانت العرب تقول لمن اتبع ملة ابراهيم
انه حنيفي وانما لم يكن فيه حجة لان هذا الامر بعدما اوحي اليه صلي الله عليه وسلم
والكلام فيما قبل البعثة وانما امر باتباعه في التوحيد واقامة الحجة برفق علي من
خالفه لا في شريعته المتعلقة بالعبادة وهذا لا يدل علي مدعاه ولا علي تفضيل
ابراهيم لان الافضل قد يتبع الفاضل فيما عرف من هديه وخلقه ولا حجة
للاخرين القايلين بانه صلي الله عليه وسلم كان علي شريعة نوح في قوله شرع
لكم من الدين ما وصي به نوحا الاية فلا حجة فيها لانه فسره بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه فهذا امر مخصوص باقامة امر دينهم باتفاق كلمتهم لها بتفاصيل شرع
عملي ثم اشار لوجه اخر بقوله تحمل بصيغة المصدر وفي بعض النسخ تحمل بميم
وفي اخري فيحمل مضارع هذه الاية التي احتجوا بها انما هو علي اتباعهم في التوحيد
اي الايمان بالله وحده وما يتعلق بالعقايد الحقة مما يشترك فيه جميع
الانبيا وليس الكلام في هذا انما الكلام فيما تعبد به صلي الله عليه وسلم من
الاعمال الصالحة فليس المراد بالاتباع التقليدي فيما ذكر وهو محل الخلاف
الذي نحن فيه كقوله اولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده فالمراد بهداهم
ما اتفقوا عليه من التوحيد دون فروع الشرايع فانه لا يضاف للكل وقد
قال تعالي لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا دليل فيما ذكر يثبت مدعاهم
وقد سمي الله فيهم اي ذكر الله في جملة الانبيا المذكورين في هذه الاية في سورة
الانعام المشار اليهم بقوله اولئك الذين الخ من لم يبعث اي نبيا لم يرسل بشريعة
مخصوصة وامر بدعوة الناس لها ولم يكن له شريعة جديدة تخصه كيوسف ابن
يعقوب علي قول بشريعة امر بتبليغها ودعوة الخلق اليها فاتفق
العلما علي ان يوسف نبي والجمهور ايضا علي انه رسول لقوله ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات وانه يوسف بن يعقوب بن ابراهيم الكريم بن الكريم بن الكريم
قال ابن جريج بعثه الله رسولا الي القبط وقيل انه لم يكن رسولا له شرع انما كان
علي شريعة ابيه يعقوب او علي ملة ابراهيم ويوسف المذكور في الاية هو غير
يوسف بن يعقوب بن ابراهيم وهو نبي اخر ارسل لبني اسرايل فاقام فيهم اثني
عشر سنة يدعوهم وفرعون يوسف قيل انه فرعون موسي اطال الله عمره حتي ملك
في زمن موسي عليه الصلاة والسلام وقد سمي الله جماعة منهم اي من الانبيا
في هذه الاية بسرد اسمايهم علي التوالي ثم امره صلي الله عليه وسلم باتباعهم بقوله

فبهداهم

فبهداهم اقتده وشرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها حتي يومر باتباعهم جميعا في فروع
الشرايع العملية التعبدية فلا يصح الاستدلال بها علي ذلك فدل اختلاف
احكام تلك الشرايع المامور بالاقتدا بها علي ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله القلبية التي لم يقع فيها اختلاف ونحوه من اصول الدين وبعد هذا القول
بان المراد ما اتفقوا عليه من العقايد فهل يلزم من قال بمنع الاتباع اي اتباع
نبينا صلي الله عليه وسلم الشرع من شرايع من قبله هذا القول اي ان يقول
بهذا القول اي منع اتباع شريعة من الشرايع السالفة في ساير الانبيا غير نبينا
صلي الله عليه وسلم فيقول يمتنع اتباعهم لشرع غيرهم كما امتنع ذلك في حق
نبينا صلي الله عليه وسلم او يخالفون بينهم اي بين نبينا صلي الله عليه وسلم وبين
غيره من الانبيا فيقول ان نبينا لشرف قدره لا يتبع في عبادته شريعة غيره
وغيره يتبع من قبله اما من منع الاتباع عقلا اي قال انه امر اقتضاه الدليل
العقلي فيطرد اصله اي دليله او امره الذي قرره وذلك يطرد في كل رسول لان
الاحالة التي اقتضاها العقل من حيث هو لا يختلف في رسول دون غيره بلا مرية
بكسر الميم وضمها بمعني شك وشبهة لان الامر العقلي لا يختلف باعتبار الاديان
والاعصار ومريه براء مهملة وفي نسخة مزية بزاي معجمة اي تفاضل بينهم
والمال واحد واما من مال الي الاستدلال والقول بالنقل اي قال انه
لم ينقل لنا انه صلي الله عليه وسلم تعبد بشرع من قبله ولو نقل صح لانه امر سماعي
لا عقلي صرف كما ذهب اليه الباقلاني رحمه الله فاينما بمثناة فوقية بعد التحتية
ولو قري بالنون صح ايضا تصور له وتقرر بالبنا للفاعل وللمفعول اي حيث
انه لا مقتضي للعقل ولا دخل له فيه فاي شي نقل من منع او جواز اتبعه ولم
يخالفه ولا داعي للخلاف فيه ومن قال بالتوقف من غير جزم بتعيين احد الطرفين فعلي
اصله اي علي مذهبه في عدم التعيين في غيرهما انسا وبهما فيما ذكر اذ لا فارق
ومن قال بوجوب الاتباع لغيره لانه امر ديني لا دخل للراي فيه لمن قبله من الرسل
عليهم الصلاة والسلام يلتزمه اي القول بالوجوب علي غيره لازم له ايضا بمساق
حجته اي بسبب ما اقتضاه مساق حجته ودليله واجرايه في كل شي لاطراده
وصدقه عليه قيل وهذا في غير النبي الذي بعث تحت دعوة كهارون مع موسي
عليهما الصلاة والسلام فتدبر وقد وقع لبعضهم هنا كلام تركه خير منه والله اعلم
فصل هذا اي ما تقدم من العصمة قبل حكم ما يكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد
اي تعمد والمراد بمخالفة الشرع وهو اي العمل الذي خولف به عن قصد ما يسمي عرفا
وشرعا معصية لانه عصي الله به ويدخل تحت التكليف اي ما خولف فيه الشارع قصدا
هو من جنس ما كلف الله به عباده بحكم والحكم هو خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين
من الاحكام الخمسة وفي عبارته تسمح لان المندرج تحت التكليف ليس هو المعصية
بل تركها واما ما يكون من الاعمال المخالفة لامر الشارع بغير قصد وتعمد كالسهو وهو

السهو لسبب وغيبة ما علمه عن القوة الحافظة بحيث يتنبه بادنى تنبيه
لبقائه في المدركة والنسيان وهو ذهول عما لم يبق صورته في القوة المدركة
والحافظة ويحتاج في حصوله لسبب جديد وهذا هو الفرق بين السهو
والنسيان على ما قيل وقد تقدم طرف منه في الوظايف الشرعية الوظايف جمع
وظيفة وهي ما وظف وعين من الاعمال الموقتة كالصلاة والصوم والحج ونحو
من العبادات بخلاف السهو والنسيان مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به
وفسر عدم تعلق الخطاب به بقوله وترك المواخذه عليه المواخذة بالهمزة
وبالواو مفاعلة من الاخذ والمراد به العقاب او العتاب وغير المكلف انواع
وهو المجنون والمغمي عليه والنايم والساهي والناسي ومن لم يبلغه الخطاب
من الجهلة والمخطي وقد تقدم الكلام على السهو والنسيان والغفلة قريبة
من السهو وقدير دالسهو والنسيان بمعني ومنه السكران وان اجري
عليه حكم العمد تغليظا عليه كما قاله النووي وكذا المكره والمجاري في الحديث
رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاحوال الانبيا في ترك المواخذة
به وكونه ليس بمعصية اي هم وامتهم مستوون في عدم المواخذه به لانهم لم يكلفوا
به الا قبل الشرع ولا بعده ثم ذلك الذي لم يواخذ به من السهو والنسيان
على نوعين احدهما ما طريقه البلاغ اي نوع منهما وقع فيما امر بتبليغه لمن ارسل اليه
وتقرير الشرع اي ما يقرره الشارع ليعمل به وتعلق الاحكام به امرا ونهيا وتعليم الامة
بالفعل اي ما علمته الرسل عليهم الصلاة والسلام لامهم من الافعال الشرعية واخذهم
اي تكليفهم ومواخذتهم باتباعهم فيه اي بسبب الاتباع وعدمه وما هو خارج
عن هذا اي ما خرج عن طريقة البلاغ لعدم صدقه عليه واندراجه تحت كلمة مما
يختص بنفسه دون امته مما يجب او يمتنع ونحوه مما يختص بالرسل انفسهم اما النوع
الاول وهو ما طريقه البلاغ ونحوه فحكمه عند جماعة من العلما حكم السهو في القول في هذا الباب
اي باب العصمة وحكمها وقد ذكرنا قبل هذا الاتفاق على امتناع ذلك اي امتناع
المخالفة في القول في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته بحفظه من جوازه عليه
فضلا عن وقوعه منه قصدا او سهوا او نسيانا وتركه لعلمه بالطريق الاولي فكذلك
اي كما قالوا في الاقوال البلاغية قالوا في الافعال في هذا الباب المذكور
لا يجوز طرو بتشديد الواو او بالهمزة بعد واو ساكنة كما مر لحدوث لفظا ومعني
ووزنا وفي نسخة طرد بدال مهملة بزنة ضرب اي اضطراد المخالفة فيها لا عمدا
ولا سهوا لانها اي الافعال يعني القول من جهة التبليغ والادا وطرو ضبط كالذي
قبله هذه العوارض عليها اي على افعاله صلى الله عليه وسلم يوجب التشكيك اي يستلزم
وقوع الشك في بقية افعاله هل فعلها بوحي من الله او مخالفة للوحي او سهوا
ويوجب ايضا تسبب المطاعن الطعن القدح بما يورث نقصا في افعاله صلى الله
عليه وسلم ولما ورد عليه ان وقوع السهو منه في افعاله صلى الله عليه وسلم مما ثبت

في احاديث صحيحة لا يمكن انكارها فكيف يسوي بينهما في الانتفا اشار الي الجواب
عنه بقوله واعتذروا عن احاديث السهو الثابتة في صلاته صلى الله عليه وسلم
بتوجيهات نذكرها بعد هذا كما سياتي عن قريب والي هذا المذهب في امتناع
المخالفة ووقوعها عمدا او سهوا مال الامام ابو اسحق الاسفرايني اي رجحه على
خلافه وذهب الي اعتقاده وذهب الاكثر من الفقها والمتكلمين الي ان المخالفة في الافعال
البلاغية التي امروا بتبليغها لاممهم والاحكام الشرعية علمية وعملية سهوا وعن غير
قصد منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم نسيانا او غلطا فهو من عطف العام على
الخاص وسهوا لمنين اوحال جايز عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم لانه امر
معفو عنه غير مواخذ به كما تقرر في احاديث السهو في الصلاة الثابت في الصحيحين
وغيرهما كما مر انفا وفرقوا بالتشديد والتخفيف اي ذكروا فرقا بين جواز
وقوع ذلك في الافعال وبين الاقوال البلاغية اذ منعوا المخالفة فيها عمدا او سهوا
لقيام المعجزة اي لدلالة معجزة كل نبي من الانبيا التي تحدى بها على الصدق اي صدقه
في القول اي فيما يقوله ويبلغه عن ربه ومخالفة ذلك اي مخالفة الصدق في القول
سهوا ومن غير قصد تناقضها اي يناقض معجزته وينافيها فلا تجتمع المعجزة
وعدم صدقه فيما يبلغه عن ربه لامته لان اجرا الله المعجزة على يديه في
قوة قوله انه صادق فيما يبلغكم عني ودلالتها على ذلك دلالة التزامية
في قوة المطابقة كما تقرر في علم الكلام فالفرق مثل الصبح ظاهر واما السهو
في الافعال فغير مناقض لها اي للمعجزة ولا قادح في النبوة اي لا يضرها بوجه من الوجوه
لعدم منافاته لها بل غلطات الفعل اي وقوع الغلط في الافعال وغفلات
القلب عما يفعله حتى يصدر عنه ما لم يرده من سمات البشر اي من صفاتهم
اللازمة لهم حتى لا يخلو عنها انسان كما قيل

وما سمي الانسان الا لنسيانه ... واول ناس اول الناس

كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن مسعود انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني جملة انسي مستانفة او خبر بعد خبر لانا او صفة لبشر
وضمير المتكلم يربطه واما كونه يقبح كما في قوله انا الذي سمتني امي حيدره
عند المازني فلانه ليس محل الالتفات لا لانه لا يكون رابطا فلو صح هذا
لم يجز كونه خبرا ايضا وظاهر الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه
النسيان والسهو مطلقا وقد منعه بعضهم وجوزه اخرون بشرط ان
لا يقر عليه وينبه عليه كما ياتي وحاصل ما اشار اليه اولا واخرا التنبيه
ما افاده ظاهر الحديث واختلف هل يجوز تاخير تنبيهه ام لا وضعفوا
جواز السهو عليه فيما هو فعل من الامور البلاغية واجابوا عما ورد من مثله
وصححوا الاول وهو الجواز لانه لا ينافي النبوة بل فيه فضيلة البيان وتقرير
الاحكام واختلفوا فيما طريقه البلاغ من افعاله فجوزه الجمهور واما في

عرضي

الاقوال البلاغية فجمع على منعه كما اجمعوا على منع تعمده واما السهو في
الاقوال المتعلقة بامور الدنيا مما ليس طريقه البلاغ ولا من الاحكام
واخبار المعاد وما لا يضاف لوحي فجوزه بعضهم اذ لا مفسدة فيه وصحح
المص منعه على الانبيا في كل خبر عمدا او سهوا لا في صحة ولا في مرض ولا رضي او
غضب ولم يزل الناس يتداولون اخباره صلى الله عليه وسلم عصرا بعد عصر
من غير استدراك احد لغلط فيها او وهم في شي منها ولو كان لنقل كما نقل مح
الصلاة ونومه عنها واستدراك رايه في تلقيح النخل وسهوه في امور الدنيا
غير ممتنع وهذا الحديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة وانه قاله
صلى الله عليه وسلم وقد صلى الظهر خمسا ثم سجد سجدتين واقبل بوجهه على الصحابة
وقال لو حدث شي في الصلاة انباتكم به ولكني انما انا بشر الخ نعم العرب كثيرا
ما تزيد نعم في كلامهم اذا الغي لمصنع له وكانه جواب سوال مقدر كقول مجدر
نعم واري الهلال كما تراه بل في حالة السهو والنسيان اي في حالة البلاغية في حقه
صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم لتستفيد منه امته وتقرير شرع اي تحقيقه
وتثبيته كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه في الموطا اني لا نسي او انسي بالهمزة
المضمومة والتشديد مبني للمجهول للعلم بفاعله اي ينسيني الله ويوجد النسيان
في لاسن اي لاحدث لكم امرا شرعيا كتعليم سجود السهو ونحوه بل قد روي
هذا الحديث بوجه اخر وهو لست انسي ولكن انسي لاسن الاول بفعل
المتكلم المعلوم المخفف والثاني بمجهول مشدد ويأتي انه لا تنافي بين
نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم في الرواية الاولي ونفيه عنه
في الحديث الاخر لان نسبته اليه باعتبار حقيقة اللغة ونفيه عنه
باعتبار انه ليس موجد له حقيقة والموجد الحقيقي هو الله كما يقال
مات زيد وامانه الله وفرق بين الفاعل الحقيقي بحسب عرف اللغة
والفاعل الحقيقي في نفس الامر كما قرره الاصوليون وتحقيقه في شرح العضد
للابهري فحيث اثبت له النسيان اراد قيام صفة النسيان به ونفيه
باعتبار انه ليس بايجاده ومن مقتضى طبعه والموجد له هو الله وقوله
في حديث اخر لا يقولن احدكم نسيت اية كذا بل هو انسي فكره نسبة النسيان
لغير الموجد الحقيقي المقدر لكل شي اولان اصل النسيان الترك فكره ان
يقال ترك القران لاشعاره بالتهاون اختيارا او قوله نعم الخ استدراك
عما قد يسال عنه بان نسيانه صلى الله عليه وسلم ليس كنسيان غيره لما
يترتب عليه من الفوايد الجليلة وتشويشه بهم في الحديث باعتبار ظاهر
الحال واليه اشار بقوله وهذه الحال اي ما يعرض له صلى الله عليه وسلم من
النسيان ليس زيادة له مخصوصة به صلى الله عليه وسلم في التبليغ للناس
لما يحصل من تعلم ما يفعله الساهي في العبادة من امته وتمام عليه في النعمة

بتتميم

بتتميم نعمة الرسالة والبلاغ ببيان حال الساهين فيما بلغه لهم من العبادة
فهي بعيدة عن سمات النقص لان النسيان نقص في الجملة ولذا اعده الاطبا
من الامراض الدماغية وهي في حقه باعتبار ما فيها من عبادة الارشاد للعباد
ولذا قال بعض مشايخنا من الحنفية ان هذه السجدة سجدة سهو للامة وسجدة
شكر له صلى الله عليه وسلم ومدح في حقه وان لم يمدح بها سواه لكونه اميا وتربي
يتيما كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

كفاك بالعلم في الامي معجزة ... وبالنزاهة والتاديب في اليتم

وبعيدة عن اعتراض الطعن اي فلا يعترض ولا يطعن فيه بما يعرض له من
النسيان وعلله بقوله فان القايلين بتجويز ذلك اي السهو والنسيان
على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الافعال البلاغية يشترطون في جوازه
عليهم ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه اذا عرض لهم ويعرفون
بالتشديد والبنا للمجهول فيه وفي ينبهون حكمه كان الظاهر يعرفونه
لانه اخصر واظهر فكانه الحقه اشارة الى انه كما يعرف بصدوره عنه يعرف
بحكمه كالسجود فالمعرف هو الله بالفور اي ملتبسا بالفور وهو عدم التمهل
والبطو على قول بعضهم وهو الصحيح عند ايمة الاصول وقبل انقراضهم اي يمهلون
مدة الحياة فانما يلزم التنبيه قبل الموت وهو معنى الانقراض على قول الاخرين
الذين لا يشترطون الفورية واما ما ليس طريقه البلاغ لامته ولا بيان الاحكام الشرعية
من افعاله صلى الله عليه وسلم وهو بيان لما وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه
كتسبيحه وتحميده لربه وتفكره في معرفته مما لم يفعله ليتبع فيه مبني للمجهول
ومشدد التا فالاكثر من طبقات علما الامة الطبقة علما كل عصر فهم طبقة بعد
طبقة على جواز السهو والغلط عليه فيها اذ لا يلحقه صلى الله عليه وسلم به شي
اصلا ولحوق الفترات اي عروضها جمع فترة وهي كما قال الراغب سكون بعد
حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة انتهي والغفلات بقلبه بان يغفل عما
هو فيه كما هو مقتضى البشرية وذلك اي لحوق ما ذكر من الفترة والغفلة لاضير
فيها بما كلفه من مقاساة الخلق بنظره صلى الله عليه وسلم في احوالهم وتدبير
امورهم وسياسة الامة بتدبير امورهم والنظر في عواقبهم ومعاناة الاهل من العناية
او العنا بهم ومعناه الاشتغال بهم وملاحظة الاعدا بغزوهم والحذر منهم والتجسس
على اخبارهم ثم استدرك فقال لكن ليس نسيانه صلى الله عليه وسلم وسهوه على
سبيل التكرار بكثرة وقوعه منه والانصال باستمرار ذلك لان مثله غير محمود عند
الطباع السليمة بل وقوعه منه على سبيل الندور وقلة الوقوع والنادر لا حكم
له وقلما يخلو منه احد كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله تقدم طرف من الكلام على هذا الحديث وان الغين بمعجمة غيم
رقيق وان المراد به ما يعرض له من الخواطر التي تشغله عما يهمه من امر الاخرة

احوالهم

وهو عبادة ايضا لانه تفكر في امور امته وتدبير احوالهم وانما استغفر الله
منه لانه شغله عن الاهم عنده فهو بالنسبة لعظيم مقامه كانه ذنب لانه
اشتغال بالعالي عن الاعلى فهو حالة كمال لا نقص وليس في هذا السهو الصادر
منه صلى الله عليه شي يحط اي ينزل قدره العلي من رتبته وعظمة مقامه ويناقض
معجزته الدالة على صدقه وذهب طايفه من العلما اي جعلوا هذا امذهبا ومعتقدا
لهم وليس هذا من الذهاب ضد الرجوع وان كان اصل معناه المنقول منه
الى منع صدور السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم
جملة اي كلها لا يستثني منها شي اصلا وهو مذهب جماعة المتصوفة اي اهل
التصوف واصحاب علم القلوب هو عطف تفسير له وهم الذين صفوا قلوبهم بالمجاهدة
لا يتكلفوا طريقة التصوف لان هذه الصيغة قد يراد بها المبالغة كالمتوجه
في صفات الله تعالى والمقامات اي المراتب التي يعرفها مشايخهم ويقطعونها
في سيرهم الى الله وتقدم الكلام عليهم مبسوطا ولهم اي للعلما في هذه الاحاديث
المروية في السهو والنسيان مذاهب اي اقوال يعتقدونها نذكرها بعد ان
شا الله تعالى فصل في الكلام على الاحاديث المذكورة فيها السهو الواقع
منه عليه الصلاة والسلام في افعاله وقد قدمنا في الفصول السابقة قبل هذا
الفصل ما يجوز عليه فيه السهو وما يمتنع واحلناه اي جعلناه محالا فيما طريقه البلاغ
في الاخبار وما هو من قبيل الاقوال جملة من غير استثنا لشي منها وفي الاقوال الدينية
اي التي ذكر فيها الاحكام الشرعية قطعا من غير تردد واجزنا وقوعه في الافعال
الدينية على الوجه الذي رتبنا متصلا قبل هذا من انه غير مناقض للمعجزة وعدم قدحه في
النبوة مع ندرته وما يترتب عليه من افادة علم وتقرير حكم واشرنا الى ما ورد
في ذلك ونحن نبسط القول فيه في هذا الفصل والصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله
عليه وسلم في الصلاة ثلاثة احاديث فمنها وهو اولها حديث ذي اليدين والسلام قطعا لصلاته
من اثنتين اي ركعتين من الظهر او العصر وما قاله ذو اليدين هو المقدم كما تقدم
وقال المص في الاكمال احاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة الخ وقد قدمنا
الكلام على حديث ذي اليدين الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين بحينة
بالموحدة مضمومة وحا مهملة وبعدها مثناة تحتية ونون بصيغة التصغير
وهو عبد الله بن بحينة وبحينة امه وهي بحينة زوجة مالك والد عبد
الله الازدي وعبد الله هذا حليف بني المطلب اسلم هو وابوه ولهما
صحبة وانكر الحافظ الدمياطي صحبة مالك والد عبد الله وان يكون له رواية
واسلام وانما ذلك لعبد الله وفي تجريد الذهبي مالك بن بحينة ابو عبد الله
روي عنه حديث وصوابه عبد الله الازدي وامه بحينة قرشية وبحينة ام
عبد الله زوج مالك لا ام مالك وفي اطراف المزي من مسند مالك بن بحينة
حديث ايصلي الصبح اربعا وحديث السهو في الصلاة في مسند مالك بن بحينة

دبلي

وفي

وهذا الصواب الذي اتفق عليه الجمهور

وفي الكاشف مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وروي عنه ابن حبان
وقال النسايي هذا اخطا صوابه عبد الله بن مالك الثالث حديث ابن مسعود
الذي رواه الشيخان عنه مسندا وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا
فقيل له ازيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد بعدما
سلم وليس قوله بعدما سلم في رواية البخاري واخرج مسلم من حديث الاعمش
ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه
قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم زاد او نقص الشك مني
فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شي قالوا صليت كذا وكذا
فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم واقبل علينا بوجهه
فقال انه لو حدث في الصلاة شي انباتكم به ولكن انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم فليتحر الصواب وليتم ثم يسجد سجدتين
وفي الحديث دليل على تداخل سجود السهو واما كونه بعد السلام او قبله فقد
وقع فيه اختلاف بين الفقها كما اختلفت الرواية فيه وقيل سجود النقص
قبل السلام وسجود الزيادة بعد السلام وهو معنى ما قيل القاف بالقاف والدال
بالدال وهذه الاحاديث التي ذكرها المص مبنية على السهو في الفعل اي ان ما طرا
فيها وقع في فعله لا في قوله الذي قررناه فيما مر قريبا وحكمة الله فيه اي اوجده
الله فيه لحكمة ولو شا صانه عنه وهي انه انما اوجده ليستن اي ليبين للامة
حكما شرعا به اي بسبب فعله فالسنة هنا بمعنى الطريقة ثم اشار الى جواب
سوال تقديره ان هذه الحكمة تحصل ببيانه بالقول بان يقول من سهى في
صلاته فليفعل كذا من غير وقوع سهو في فعله فقال اذ البلاغ بالفعل اجلى بالجيم افعل
تفضيل اي اظهر منه بالقول واظهريته لمشاهدة فعله وكيفيته في زمن قليل ولو
قرره بكلامه احتاج لتفصيل ولا وجه لما قيل ان فيه خللا في صلاته بزيادة او نقص
خلاف وجوده بالقول اذ اعصمه الله عنه فالحكمة انما هي لبيان ان هذا السهو
انما هو من صفات البشر فاذا وقع من مثله فغيره افبل له كما قال لا يضل ربي ولا ينسى
وكقولهم سبحان من لا ينسى ولا يغفل وهذا امما استاثر به الله وارفع للاحتمال
لانه لو قال من سهى فليسجد سجدتين في اخر صلاته احتمل ان يكون اراد من سهى
في امر من اموره سوا كان سهوا في نفس الصلاة او في غيرها وشرطه اي شرط جواز
السهو على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في افعالهم البلاغية ان لا يقر بالبنا للمفعول
على هذا السهو اي لا يجعله الله قارا عليه من غير اعلامه بما صدر منه من زيادة او نقص
بل يشعر به مجهول اي يعلمه الله به بواسطة المنبه له ليرتفع الالتباس اي الالتباس
الحاصل لمن يراه هل هو سهو او نسخ لما كان وتظهر فايدة الحكمة فيه ببيان ما يلزم
من سهى كما قدمنا قريبا فان السهو والنسيان في الفعل في حقه اي بالنسبة اليه صلى الله عليه
وسلم اذا صدر وتحقق منه غير مضاد اي ليس ضدا منافيا للمعجزة المثبتة لنبوته

ابن اقبرس

واما السهو في القول البلاغي فينافيها لانها من قوة قول الله انه صادق في كل
ما يخبركم به عن ربه فينافيها اخباره بما يخالف الواقع ودلالة المعجزة على صدقه
في مقاله دون افعاله وفي اثبات ذلك كلام في علم الكلام وشبهة لمنكري النبوات
اجيب عنها بما لا يسعه هذا المقام ولا قادح في التصديق اي تصديق من آمن
به صلى الله عليه وسلم من امته والاول بالنظر للنبي صلى الله عليه وسلم
نفسه وهذا بالنظر لمن بلغه النبوة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الذي تقدم بيانه انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني اي نبهوني
على سهوي او نسياني وقد تقدم بيانه مفصلا فتذكره وقد قال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان عن عايشة رضي الله عنها رحم الله فلانا هو كناية
عن علم لم يرد التصريح به وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابي وقيل هو عبد
الله بن يزيد الانصاري قالت عايشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
صوت قاري يقرء فقال من هذا فقالوا عبد الله بن يزيد فقال رحمه
الله لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن اي تركت تلاوتهن سهوا
مني ويروى انسيتهن وهذا تفسير للرواية الاولى ولذا ذكرهما المص ولم يعين
احد في الايات التي نسيها ولا عددها ولا سورتها لان كذا وكذا فيه خلاف
للفقها في باب الاقرار فيما لو قال له علي كذا وكذا درهما معطوفا فقيل يلزمه
احد وعشرون وقيل درهمان وليس هذا محله وقال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي رواه في الموطا كما تقدم اني لانسى بزنة الفي مخففا معلوم
او انسى بالتشديد وبنا المجهول اي ينسيني الله لاسن وتقدم بيانه قيل
هذا اللفظ المذكور هنا معطوفا باو الفاصلة شك من الراوي لا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغير الشك من معاني او غير مراد هنا وقد روي
الحديث اني لا انسى بلا النافية بعد لام التاكيد ولكن انسى بصيغة المجهول المشدد
لاسن قيل نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم فيما كان بسبب منه ونسبته
الى الله فيما لا دخل له فيه وهذا لا ينافي كون النسيان غفلة لا فعل من
افعاله كما توهم وذهب ابن نافع بنون وفا بعد الالف وعين مهملة وهو
عبد الله بن الصايغ المالكي وليس هو قانع بقاف ونون وهو تحريف من
الناسخ ظنه بعضهم رواية وهو مع اشهب يقال لهما القرينان كما يقال
لمطرف وابن الماجشون الاخوان كما قاله ابن مرزوق وعيسى بن دينار
الفقيه الزاهد العابد الطليطلي الذي تفقه به اهل الاندلس واخذ
الفقه عن ابن القاسم وتوفي بطليطلة سنة اثني عشرة ومايتين الى انه ليس بشك
من الراوي وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله ليس معناه انه بحسب
الظاهر منسوب له وفي الحقيقة فعل الله بل المراد انه قد يكون بسبب تعاطاه
او بدونه لحكمة ارادها الله كما تقدم بجملة لفظ الحديث ما قاله اي ابن نافع

ابن اقبرس

وقال القاضي ابو الوليد الباجي يوجه وجهه كما تقدم

وابن

وابن دينار واحتمالا اخر وهو ان يريد اني انسى في اليقظة بفتحتين وتسكينه
لكن في غير الضرورة كما مر ضد النوم وهذا معنى النسيان المنسوب اليه
بصيغة المضارع المخفف المبني للمعلوم وانسى بصيغة المجهول المشدد
في النوم الذي هو حالة تمنع الحس والفعل الاختياري فاطلق على عدم الادراك
في النوم نسيانا لاشتراكهما في عدم الادراك ولا يخفى بعده وركاكته واما
كونه صلى الله عليه وسلم اذا نام لا ينام قلبه وان نومه ويقظته سوا فلا يأباه
كما توهمه بعضهم او المراد بقوله انسى بالمعلوم ما هو على سبيل عادة البشر المجبول
عليها طبايعهم من الذهول عن الشيء اذا غفل عنه والسهو عما هو بصدده
لعروض ما يشغل باله عنه او انسى بالمجهول المشدد معناه ذهوله عنه مع
اقباله عليه بمشاهدته او تلبسه به وتفرغه له باعراضه عن غيره لكن ينسبه الله
ما هو فيه بتخليه له الشاغل عما سواه ثم وضحه وفصله بقوله فاضاف احد
النسيانين بقوله انسى المعلوم الى نفسه لان تقديره انسى انا اذ كان له التسبب فيه
بمباشرة ما هو كالسبب المفضي اليه ونفى الاخر عن نفسه اذ لم يسنده له
اذ هو فيه اي في حال التلبس به كالمضطر الملجا الفعل ليّنا ولما كانت التنسية
نسيانا جعلهما نسيانين وقيل انه تغليب ولا حاجة له مع وجود المعنى
الحقيقي وذهبت طايفة من اصحاب المعاني الذين تقيدوا ببيان معاني
الحديث وشرحه كالبغوي والخطابي فقوله والكلام على الحديث عطف تفسير
لما قبله الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى بناء على
الفرق بين السهو والنسيان فان منهم من قال انهما بمعنى ومنهم من فرق
بينهما كما قاله الحافظ العلاي كما مر وقال السهو جايز في الصلاة على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بخلاف النسيان لان النسيان غفلة وافة والسهو انما
هو شغل بال فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها فكان
صلى الله عليه وسلم يشغله عن الصلاة ما في الصلاة وياتي بيانه قال المقدم
وهو ضعيف من جهة المعنى واللغة فالاول ما ثبت في الصحيحين من
قوله انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون والثاني تسوية ايمة اللغة بينهما
اذ فسروهما بالغفلة وذهاب القلب عنهما كما في التهذيب والصحاح والمحكم
وقال الراغب السهو خطا عن غفلة وهو على ضربين ما لا يكون الانسان
فيه منسوبا للتقصير اذ لم يتعاطى ما يولده والثاني ما يتعاطى ما يولده كما لو
سكر وفعل منكرا بلا قصد وهذا هو المذموم وفي النهاية السهو في الشيء تركه
من غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن يرجع لما قاله الراغب
وبه يظهر الفرق بين السهو في الصلاة الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم غير مرة
والسهو عنه الذي ذم بقوله الذين هم عن صلاتهم ساهون انتهى وقد تبعه

دلجي

عرضي

دلجي

بعض الشراح وانا اقول اما الفرق بينهما فلا شبهة فيه فان السهو
غفلة يسيرة عما هو في القوة الحافظة يتنبه له بادني تنبيه والنسيان زواله
عنها بالكلية ولذا عده الاطبا من الامراض دونه الا انهم يستعملونهما بمعني
تسامحا منهم واهل اللغة لا يدققون النظر في التعاريف اللفظية والرسمية
لان النسيان كما تقدم ذهول اي عدم علم وادراك وغفلة اي ان يذهب عن فكره وادراكه
بالكلية وافة اي مرض يصيب القوي المدركة بنقص فيها وفي صاحبها قال
الفارق بينهما وانه يسهو ولا ينسي وفي نسخة قالوا والنبي صلي الله عليه وسلم
منزه عنها لانها نقص يخلقه الله والانبيا منزهون عنه والسهو شغل بامر يمنع
عن ملاحظة ما هو فاعله وهو غير مذموم بل قد يمدح كاشتغال المصلي بتجليات
ربانية فكان صلي الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا ينساها ويذهل عنها لاشتغاله
بغيرها من امور الدنيا وانما يشغله عن حركات الصلاة لا عنها ما في الصلاة مما
فيه قرة عينه شغلا بها اي بسبب ما فيها من تجليات نورانية لا غفلة عنها بالكلية
ولذا اقحم حركات اولا واحتج من منع النسيان عليه صلي الله عليه وسلم بقوله صلي
الله عليه وسلم في الرواية الاخري لهذا الحديث اني لا انسي ولكني انسي لنفيه النسيان
عنه وقد سهي ومن سوي بينهما يقول انما نفي النسيان ايما اي ان الفاعل
الحقيقي هو الله او المراد لا انسي كما تنسون كما تقدمت الاشارة وذهبت طايفة
هم مشايخ الصوفية اصحاب المقامات العلية كما صرح به في اخر الفصل الذي
قبل هذا الي منع هذا كله اي السهو والنسيان عنه اي عن النبي صلي الله عليه
وسلم لتنزهه عنه وقالوا ان سهوه صلي الله عليه وسلم كان صدر منه عمدا وقصدا
لا غفلة وسهوا ونسيانا وانما قصده ليسن كما تقدم وهذا القول بانه عن
قصد دون غفلة قول مرغوب عنه لانيه لانه متناقض المقاصد لانه لو فعل في صلاته
ما فعل عمدا بطلت وفسدت صلاته فكيف يسن بما لا يجوز وقيل
لمناقضة السهو العمد واستحالته لكونه عمدا لا يحلا منه بطايل اي ليس
فيه فايدة وكبير امر حتي يرتكب اموره المخالفة المتناقضة له ويحلا بفتح
المثناة التحتية وسكون الحا المهملة ولام مفتوحة والف وقول البرهان
انه بضم اوله وبالحا المهملة ثانيه وهم منه لانه في كتب اللغة كالاساس
وافعال السرقسطي وغيره انه يقال ما حليت وما حلوت منه بطايل اي ظفرت
ففعله ثلاثي ورد ماضيه كعلم وضرب وكذا هو في شروح التسهيل في الخطبة
والطايل بمعني الفايدة يقال هذا لا طايل تحته اي لا فايدة يعتد بها
وهذا الفعل اعني حلا قيل انه مختص بالنفي وهو المشهور وصرح ابن السيد
بخلافه ثم بين تناقضه بقوله لانه كيف يكون صلي الله عليه وسلم متعمدا ساهيا في حال
واحدة لان بينهما من التضاد ما يمنع اجتماعهما ولا حجة لهم في قولهم انه صلي الله عليه

وسلم

دلجي

ابن اقبرس

عرضي

دلجي

وسلم امر اي امره الله بتعمد صورة النسيان وليس بناس ليسن لهم ما يترتب عليه لقوله
صلي الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم قريبا اني لا انسي او انسي فقد
وفي نسخة وقد بالواو الحالية اثبت في هذا الحديث له صلي الله عليه وسلم
احد الوصفين يعني النسيان والسهو الذي نفاهما هولا القايلون بما ذكر وقيل
المراد بالوصفين النسيان من قبل نفسه او من قبل ربه ونفي مناقضتها باضافته
للضمير التعمد والقصد مفعول نفي ونفيه من اثبات ضده الذي لا يجتمع معه
وقال انما انا بشر مثلكم انسي كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ويجوز ان يكون النفي
يفهم من الحصر بانما فيبطل ما ذكره المص من ابطال هذا القول في غاية الظهور
وانه لا يتخيله الا معذور وكيف يتعمد ما صورته تخل بعبادته مع امكان البيان
بالقول انتهي اقول هو كما قال لكن ما تقدم عن السادة الصوفية يمكن
توجيهه وقد مال الي هذا اي القول بانه صلي الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان
عظيم اي كبير كان العظيم يكون بمعني الزيادة في القدر والكم كالكثير والمراد الاول
من ايمتنا اي الاشعرية لا الفقها المالكية كما قيل ان هذا العظيم الذي ذكره
وهو ابو المظفر الاسفرايني شافعي كذا في الشرح الجديد بنا علي ان ابا المظفر هو ابو اسحاق
ابراهيم وان المص كناه بذلك بغير كنيته المشهورة والذي يظهر ان الاول هو
الصواب وهذه مجازفة من قايلها ولم يرتضه غيره منهم اي لم ينقل هذا القول
احد غير ابي المظفر لانه كيف يومر بتعمد ما يبطل الصلاة من غير ضرورة ولا ارتضيه
لانه بعيد عن الصواب بمراحل ولا حجة لهاتين الطايفتين القايلين بانه صلي الله
عليه وسلم لا ينسا وبان سهوه عمد وقصد في قوله في الحديث اني لا انسي بالنفي
في احدي الروايتين كما تقدم تفصيله ولكن انسي بالتشديد كما بيناه اذ ليس
فيه اي في الحديث علي هذه الرواية نفي حكم النسيان بالجملة اي جميعه بانه
لا يصدر منه صلي الله عليه وسلم نسيان اصلا وكانه اراد بحكمه معناه
بقرينة قوله وانما فيه نفي لفظه باطلاق اسناده له وما قيل المراد النسيان
الذي هو حكم بمعني مدلول لفظه والاضافة بيانية تعسف وكراهة لقبه
هو بمعني اسمه ولفظه المستعمل فيه وليس المراد به احد اقسام العلم وهذا
علي مصطلح الاصوليين كقوله صلي الله عليه وسلم في حديث مشهور بيس ما لاحدكم
وبيس من افعال الذم كامر فاعله ضمير مستتر مفسره ما وقوله ان يقول نسيت اية كذا
هو المخصوص بالذم ونسيت مخفف مسند لضمير المتكلم ولكنه نسي مجهول
مشدد رواه مسلم نسي مخففا مع ضم النون وكذا روي من طرق فقد
روي بتشديد السين وتخفيفها مع البنا للمفعول فيهما فعلي التثقيل
انه تعالي خلق فيه النسيان وعلي التخفيف معناه اي انا سي القران نسيه الله
اي تركه لا يلتفت اليه كقوله وكذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي
فاشار الي انه لا ينبغي ان ينسب فعلا لنفسه وينسبه لخالقه تادبا وان

جاز لانه كسبه فالذم لهذا انه عام في كل فعل او هو لما فيه من عدم الاعتنا بالقران لان نسيانه لتركه تعهده تلاوته فهو مخصوص بالقران واختاره القرطبي وقيل النسيان المذموم هنا بمعنى الترك وقيل فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يقل احد عني اني نسيت اية فان الله هو الذي انسانى ما نسخه وليس بصنعي وقال الخطابي انه مخصوص بعصر النبوة فانهم انما ينسيهم الله ما قدر نسخه **او نفي** مصدر معطوف على نفي لفظه اي انما فيه نفي **الغفلة وقلة الاهتمام** بجره معطوف على الغفلة **بامر الصلاة** فاريد به نفي لازمه **عن قلبه** متعلق بنفي فلا انسى بمعنى لا يغفل قلبي عن عبادة ربي وتوجهي اليه **لكن شغل بها** اي بالصلاة وما فيها من التجليات **عنها** اي عن بعض اعمالها وعدد ركعاتها **ونسي بعضها** من اركانها الظاهرة **بعضها** مما يشاهده فيها وتدبر ما يتلوه فيها وما قيل ان هذه مرتبة لا تليق بارباب التمكين الذين لا تفوتهم امورهم الباطنة عن ادب الظاهر كان عليه ان يتادب بتركه ومثله من زخرف الاصطلاحات لا يجري في مقامات النبوة **كما ترك** صلى الله عليه وسلم **الصلاة** الثابت في حديث الصحيحين **يوم الخندق حتى خرج وقتها** اي وقت الصلاة المعين لها في كتب الفقه وهذا نظير لما هو فيه لامتثاله له كما عينه بقوله الاتي فشغل بطاعة عن طاعة وهذه تسمى غزوة الخندق وغزوة الاحزاب لانه صنع فيها خندق براي سلمان الفارسي وتجمع فيها طوايف كثيرة كما هو مشهور في السير والخندق معرب كنده بمعنى حفر وكانت سنة اربع وقيل سنة خمس على ما بينوه واختلفوا في سبب الاختلاف فيه على اقوال منها انهم لما ارخوا من الهجرة وجعلوا راس السنة المحرم جعله بعضهم محرم سنة الهجرة وبعضهم المحرم الذي بعده فتفاوت ذلك بسنة **وشغل بالتحرز من العدو عنها** اي عن الصلاة التي دخل وقتها حتى خرج لانه يخشى من هجوم العدو عليهم وهم في الصلاة غير مستعدين للحرب ولم تكن صلاة الخوف شرعت لهم حينئذ **فشغل بطاعة** وهي حفظ المدينة وارواح المومنين من بغتة العدو **عن طاعة** وهي ادا الصلاة في الوقت وتلك اهم باعتبار حقوق العباد اذ لو فاتت لم يمكن تداركها بخلاف هذه وهذا نظير لشغل عبادة عن عبادة وان لم تكن منها لا للسهو والمنهي عنه اشتغاله عن العبادة حتى ينساها فلا يرد عليه انه يلزمه وقوع سهوه في افعال العباد وهذه واقعة حال قدم فيها الاهم ولم يكن ناسيا وانما بدا بدرء المفسدة الذي هو اهم من جلب المصلحة وكان هذا عذرا في تاخير الصلاة قبل مشروعية صلاة الخوف على انه قيل انه سهو ايضا فعلى هذا لا يتخرج عليه شي **وقيل** القايل له ابن مسعود كما رواه الترمذي والنساي **ان الذي ترك** بالبنا للفاعل او المفعول اي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم **يوم الخندق اربع صلوات**

خبر

عرضي

تلمساني والبرهان

[illegible]

خبر ان **الظهر والعصر والمغرب والعشا** بدل منه وما قيل انه يجوز نصب اربع لترك على مذهب سيبويه لا وجه له هنا والصحيح ما في الصحيحين من انها صلاة العصر وفي الموطا انه فاتته صلاتين الظهر والعصر وقال النووي يجمع بين الروايات بان الخندق كانت في ايام وتعدد تركه للصلاة فيها وقيل ان تاخيرها كان نسيانا واستدل بما رواه احمد انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب يوم الاحزاب فلما سلم قال هل علم رجل مسلم اني صليت العصر قالوا لا فصلاه ثم صلى المغرب الا انه ضعف روايته وهذا كان قبل نزول صلاة الخوف كما مر والحديث مروي عن علي رضي الله عنه لما كان يوم الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وبه استدل على ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وفيه اختلاف وقد افرد ذلك الحافظ بتاليف نفيس اوصل الاقوال فيه الى نحو عشرة **وبه** اي بتركه صلى الله عليه وسلم هذه الصلوات **احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها في وقتها الى وقت الامن** من خوف العدو **وهو مذهب الشاميين** اي بعض علما الشام وفقهايها المجتهدين والمحدثين منهم الذين يرون ان صلاة الخوف كانت مشروعة قبل ذلك **والصحيح ان حكم صلاة الخوف** اي فرضيتها **كان بعد هذا** اي بعد غزوة الخندق **فهو ناسخ له** اي لجواز تاخير الصلاة عند الخوف وهو مذهب ابي حنيفة والجمهور وصلاة الخوف على طرقها التي ذكرها الفقها يختلف فيها هل كانت مخصوصة بعصره صلى الله عليه وسلم او نسخت في حياته فلا تجوز الان او حكمها باق الى الان وهل تختص بالجماعة ام لا والكلام عليه وعلى ادلته مفصل في كتاب الاثار وشرحه للعيني وليس مما يهمنا تفصيله هنا ثم استطرد لما يناسب ما هو فيه من تاخير الصلاة عن وقتها لعذر شرعي واورد عليه سوالا فقال **فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم** عن صلاته حتى خرج وقتها كما اشار اليه بقوله **عن الصلاة يوم الوادي** كما رواه البخاري وغيره والصلاة هي صلاة الصبح والوادي بطريق مكة وقيل ببطن تبوك وكان صلى الله عليه وسلم عرس فيه ووكل بلالا بان يقوم عنده ليوقظه اذا طلع الفجر فاستند ظهره لراحلته فغلبه النوم ولم يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلعت الشمس وكان اول من استيقظ ابو بكر ثم عمر رضي الله عنهما فكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ البخاري عن ابي قتادة قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال اين ما قلت قال ما القيت علي نومة مثلها قط فقال ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها حين شاء

ادابها

[illegible]

يا بلال قم فاذن الناس بالصلاة فتوضا فلما ارتفعت الشمس وابياضت
قام فصلي ومثله في مسلم وتقدم ايضا لفظ البخاري عن عمران بن حصين
واستشكل الحديث بانه يتاتي هذا اد النبي صلي الله عليه وسلم قد قال في
حديث اخر ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فكيف نام عن هذه الصلاة حتي قضاها
وهذا الحديث في الصحيحين بطوله وفيه ان عايشة رضي الله عنها قالت
تنام يا رسول الله قبل ان توتر فقال تنام عيني ولا ينام قلبي وكذا ساير
الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ورد ايضا ولذا ذهب كثير من ايمة الشافعية
الي ان نومه صلي الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه وسياتي الكلام فيه وقيل
انه من خصايصه ونقل عن النووي واجاب عن تعارضهما بقوله فاعلم
ان للعلماء عن ذلك التعارض اجوبة منها ان المراد بان هذا اي تيقظ قلبه في نومه حكم قلبه
اي حاله وصفته عند نومه وغيبته عن الادراك في نفسه الجملة في غالب الاوقات
اي اكثر اوقات نومه وغيبته بغين معجمة ضد الحضور قال البرهان وبينه
مع ظهوره ليلا يتصحف بعينيه تثنية عين باصره ورد بانه معني
صحيح لا تحريف فيه فانه حينيذ معطوف علي قلبه اي هذا حكم قلبه وحكم
عينيه غالبا وهو متجه وقد يندر اي يقل والندرة اخص من القلة لانها
القلة المفرطة جدا منه غير ذلك بان ينام عينه وقلبه كنوم ساير الناس
كما يندر من غيره اي يقل من غير النبي صلي الله عليه وسلم خلاف عادته يحتمل
ان يريد خلافه لما يعتاده من اموره مطلقا ويحتمل خلاف عادته في نومه
بيقظة قلبه كالانبيا لكنه لا حكم له لندرته وعدم انضباطه ونصرح هذا
التاويل اي جعله مقيد ابغالب امره وما اعتاده قوله صلي الله عليه وسلم في
الحديث المذكور اولا في قصة الوادي لا حديث ان عيني تنامان كما توهم
كما تقدم في الحديث ان الله قبض ارواحنا قبض الارواح غيبوبتها عن الحس
لان الروح تفارق البدن كما في الموت ولذا كان النوم اخا الموت وقول بلال
فيه اي الحديث المذكور كما مر من انه صلي الله عليه وسلم امر ان يوقظه
فغلبه نومه ولم يوقظه فلما قال له اين ما قلت يا بلال قال ما القيت علي
نومة مثلها قط اي لم ينم نوما ثقيلا مثل نومته هذه فهذا كله يدل علي انه
استغرق في نومه علي خلاف معتاده لان قبض الروح يدل علي عدم يقظة
القلب وما وقع لبلال ايضا مخالف لمعتاده والشاهد فيما قبله او فيه
ايضا فتامله والحاصل انه صلي الله عليه وسلم كان لنومه حالتان
والاغلب الاول ثم بين وجه حالة المخالف لعادته بقوله ولكن مثل هذا
المخالف لمعتاده انما يكون منه اي يفعله بايجاد الله وخلقه لامر يريده
الله مما يرضاه ويقدره من اثبات حكم شرعي يبينه لمن طرا عليه وهو قضا
الصلاة ووجوبه فورا او بدونه وما سيسن سنة اي طريق من طرق الشرع

يقتدي

يقتدي بها ويستمر سلوكها والمهار شرع وفي بعض النسخ شرح وهو تصحيف
كما قال صلي الله عليه وسلم في الحديث الاخر الوارد في النوم عن الصلاة لو شا
الله عز وجل لايقظنا من منامنا قبل خروج الوقت ولكن اراد الله بعدم ايقاظنا
ان تكون بتا التانيث والضمير للسنة المفهومة من السياق اي يكون سنة لمن
بعدكم من هذه الامة يقتدون بها فيقضون ما فاتهم من الصلاة وهذه حكمة
ان الله قوي النوم علي النبي صلي الله عليه وسلم ونام قلبه علي خلاف عادته لتظهر
هذه السنة البديعة الثاني من الاجوبة ان قلبه صلي الله عليه وسلم لا يستغرقه
النوم اي لا يستولي عليه ولا يغطيه عن الادراك بحيث يغيب بالكلية عن احساسه
كالغريق والاستغراق في كل شي بلوغ نهايته حتي يكون منه اي صاحب القلب
الحدث فيه الضمير للنوم اي يقع منه لشدة نومه حدث لا يشعر به من خروج شي
من احد السبيلين ينقض وضوءه لما روي انه صلي الله عليه وسلم كان محروسا
اي محفوظا في نومه من ان يصدر عنه مثله وانه صلي الله عليه وسلم كان ينام
حتي ينفخ اذا النفخ بخا معجمة خروج النفس بشدة لها صوت يسمع وحتي يسمع غطيطه
بالبنا للمجهول والغطيط بغين معجمة كالخطيط بخا معجمة ترديد النايم صوتا
متواليا مع نفسه وهو معروف ثم يصلي ولا يتوضا اي يقوم من شدة نومه
الذي يسمع له فيه خطيط وغطيط ولا يجدد وضوءه فهذا دليل علي انه صلي
الله عليه وسلم محروس في نومه عن الحدث الناقض للوضوء اقامة للمظنة
فيه مقام المئنة ولولا ذلك لزمه الوضوء منه كغيره من الناس فعدم
نوم قلبه عبارة عن عدم استغراقه في نومه حتي لا يشعر بالحدث فليس تيقظه
حقيقة كما في الجواب الاول فلا ينافي انه لا يشعر بخروج الوقت لافراط نومه
وحديث ابن عباس المروي في الصحيحين المذكور فيه وضوءه صلي الله عليه وسلم
عند قيامه من النوم ليلا مروي في نومه مع اهله اي احدي زوجاته وهي في هذا
الحديث ام المومنين ميمونة بنت الحارث خالة بن عباس رضي الله عنهم واهل
اصل معناه الاقارب والاتباع ثم اطلق علي الزوجة اطلاقا صار به حقيقة
عرفية فلا يمكن الاحتجاج به اي بحديث ابن عباس المذكور علي وضوءه لمجرد النوم
اي بسبب النوم وحده لكونه مع اهله اذ لعل ذلك الوضوء لنقض وضوءه
الاول لملامسة الاهل اي مسها من غير حايل او لحدث اخر مما هو عند الشافعي
من نواقض الوضوء فكيف يظن ان حديث بن عباس هذا يناقض ما تقدم من
ان وضوءه لا ينقض بمجرد نومه ليقظة قلبه وفي اخر هذا الحديث نفسه الذي
رواه ابن عباس ثم نام حتي سمعت غطيطه تقدم بيانه وانه يقال خطيطه بمعناه
ثم اقيمت الصلاة فصلي ولم يتوضا وهو صريح في عدم نقض النوم للوضوء وحده
فيل ولا حاجة لهذا ايضا فان في هذا الحديث انه قام من نومه لقضا
حاجته فوضوءه لانتقاضه بقضا الحاجة لا لمجرد النوم فالسوال ساقط من

وجوه عدة وقيل في الجواب ايضا ان معناه لاينام قلبه من اجل انه يوحي
اليه في النوم فانه وساير الانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام رؤياهم وحي بلا
شبهة فمعني قوله لاينام قلبي انه لاينقطع عنه بنومه الوحي وامر النبوة
وهذا الاينافي استغراقه في نومه وخروجه عن هذا العالم ثم اشار لجواب
اخر فقال وليس في قصة الوادي ونومه فيه عن صلاته الانوم عينيه بانطباق
جفنيه عن روية الشمس وذلك انما يدرك بحاسة البصر وهي نايمة محجوبة عن
الحس الظاهر وليس هذا اي روية الشمس من فعل القلب لانه انما يدرك
المعقولات دون المحسوسات فلامنافاة بينهما كما مر ولاحاجة الي ان
يقال لعله صلي الله عليه وسلم كان تحت خيمة تمنعه الروية وقد قال صلي الله
عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا في منامها كما تقدم ولو شا لردها الينا بايقاظنا من
نومنا الذي كان قبل في حين غير هذا اي في وقت لم يوح اليه فيه شي
ولم ير رؤياه التي هي وحي وقوله في حين الخ متعلق بقال لا من مقول القول
كما توهم وقد تقدم ان الروح تقبض في المنام والممات لكنها ترد في الاول
كما قال تعالي فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الاخري الي اجل مسمي
قال علي كرم الله وجهه فما رات نفس النايم وهي في السما هي الرويا الصادقة
دون غيرها وفي الحديث سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم اينام اهل الجنة
فقال لا النوم اخو الموت فان قيل فلولا انه كان عادته استغراق النوم
باستيلايه علي حواسه وقلبه كغيره لما قال لبلال كما ذكرناه في الحديث الذي
في نومه بالوادي اكلا بهمزة وصل في اوله وهمزة ساكنة في اخره امر
من الكلاة وهي المراقبة والحفظ لنا اي النايمين منهم الصبح اي وقت
طلوعه لنوقظنا للصلاة فلاتفوتنا كما سمعته قبل هذا فهذا ينافي ما قاله
من انه لايستغرق في نومه لحد لايشعر بما يحدث منه فيه من نواقض الوضو
فقيل في الجواب عن هذا السوال انه كان من شانه اي عادته صلي الله عليه وسلم
التغليس بالصبح اي التبكير به فيصليه بغلس وهو ظلمة تخالط اول ضوء الفجر
في اخر الليل ومراعاة اول الفجر اي مراقبته بالنظر له في اوله قبل انتشار الضوء
بقرب الشمس من الافق المرئي لاتصح ولاتتيسر ممن نامت عيناه سوا استغرق
ام لا ولو كان قلبه لاينام اذ هو امر يدرك بالجوارح الظاهرة ولا دخل للقلب
والحواس الباطنة فيه فوكل صلي الله عليه وسلم بلالا رضي الله عنه اي امره
بان لاينام ويتقيد بمراعاة اوله اي مراقبته والنظر اليه ليعلمه بذلك
اي بطلوع الفجر كالو شغل بشغل غير النوم في يقظته عن مراعاته اي
مراعاة الفجر وقد قيل ان هذا كله مبني علي انه صلي الله عليه وسلم كان لاينام
نوم غيبة اصلا وهذا مما لاينبغي وفي هذا المقام اجوبة كثيرة عن تعارض
الحديثين في شروح الصحيحين تركناها خوف الاطالة المورثة للملالة

ولا تشعر بخروج الريح

عوض

فان

فان قيل فما معني نهيه صلي الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لايقولن
احدكم نسيت اية كذا وتقدم هذا الحديث بتمامه والكلام في معناه
وقد قال صلي الله عليه وسلم وهي جملة حالية مبينة للسوال في تعارض
نهيه عن قول نسيت مع قوله اني انسي كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال
في حديث اخر قد تقدم فيه رحم الله فلانا لقد اذكرني اية كنت انسيتها بضم
الهمزة مبني للمجهول من الافعال اي انسانيها الله وقد تقدم الكلام علي
هذا الحديث مفصلا فاعلم اكرمك الله انه لاتعارض في هذه الالفاظ
الواردة في النهي عن ذلك وغيره اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فليس علي
ظاهره اذ هو كلام صادق لامانع منه شرعا فهو محمول علي ما نسخ حفظه
اي لفظه وتلاوته من القران وفي نسخة نقله بنون وقاف بدل حفظه
والمعني واحد وعلي هذا المعني قوله لايقل احدكم نسيت تقديره اني نسيت
والمسند اليه ضميره صلي الله عليه وسلم اي اذا سمعتموني تركت في
القراة شيا لاتقولوا ان النبي نسي اية كذا اي ان الغفلة في هذا لم تكن اي
توجد فكان تامة منه صلي الله عليه وسلم ولم يقع ذلك اختيارا ولكن الله
اضطره اليها اي الله عزوجل الجاه للغفلة ليمحو ما يشا اي بنسخ ما اراد نسخه
بتنسيه له ويثبت مالم يرد نسخه فلاينساه فعلي هذا هو مخصوص بالرسول
صلي الله عليه وسلم وبعض ايات نسخها الله باذهابها لا بكل ما نسيه ولهذا
قال وما كان تركه من سهو او غفلة من قبله بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ولام اي
من جانب نفسه صلي الله عليه وسلم بمقتضي الجبلة البشرية من غير الجاء من
الله له فذكرها صفة غفلة اي خطرت بباله بعد نسيانها صح اي جاز
ان يقال فيه انسي بضم الهمزة مجهول مخفف فانما يمتنع نسبة النسيان له فيما
اذا كان من القسم الاول فليس النهي علي اطلاقه حتي يعارض الحديث الاخر وهذا
النهي خاص بزمنه صلي الله عليه وسلم حيث كان يقع النسخ فلو قيل فيه ذلك
ربما يتوهم انه اهمل من القران شيا حتي ضاع وصلح بفتح اللام وضمها والاول
افصح وقيل في الجواب عما تعارض هنا ان هذا يعني نهيه صلي الله عليه وسلم
عن ان نقول نسيت منه صلي الله عليه وسلم علي طريق الاستحباب اي تعليما
وارشادا لما هو مستحب فالنهي ليس نهي تحريم بل للكراهة ان يضيف الفعل الي
خالقه عزوجل ولا يضيفه لنفسه فانه الفاعل الحقيقي وغيره الة وهذا علي
مذهب اهل السنة والاخر اي الحديث الاخر الذي اضيف فيه النسيان للعبد
وقوله نسيت كذا ورد علي طريق الجواز وخلاف الاولي من غير النبي صلي الله
عليه وسلم ومنه للتشريع فهو غير مكروه منه وجواز اضافته له لاكتساب
العبد فيه ضمنه معني دخل اي لدخل العبد فيه باكتسابه فهو كالالة والموجد
الحقيقي هو الله عند الاشعري واهل السنة خلافا للمعتزلة وبهذا جزم ابن بطال

فقال انه بالنهي اراد ان يجري على السنة العباد نسبة الافعال لخالقها
لما فيه من الاقرار بالعبودية والاستسلام للقدرة وهو اولى من نسبتها
لمكتسبها مع انه جايز ايضا واسقاطه صلى الله عليه وسلم لما اسقط من هذه الايات
التي قال فيها انسيت اية كذا وكذا جايز عليه سهوا بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله
الى العباد اما في حال تبليغه الاول فلا يجوز سهوه فيه وبعده يجوز ثم يستذكرها
من امته او قبل نفسه لانه لا يقر على نسيانه الا ان تقتضي
الله نسخه ومحوه من القلوب فينسيه الله له ولا ينبه عليه فيعلم بذلك انه نسخ
لفظه وتلاوته سوا نسخ معناه ام لا وترك استذكاره بطيقة المصدر او
الفعل الماضي المجهول ولما فيه من البعد قال وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه
وسلم ما هذا سبيله من القران مما يراد نسخه كرة اي حينا ما ويجوز ايضا ان ينسيه
منه اي الله ينسيه من القران قبل البلاغ لانه يجوز النسخ قبل البلاغ كفرض
الصلاة خمسين في ليلة المعراج وهذا منه ما لا يغير نظما اي نظم القران
ترتيب كلماته متناسقة على مقتضاها ولا يخلط حكما باخر كحل بحرمة بما
لا يدخل خللا في الخبر حتى لا يدري ما يراد به وهو بيان لقوله ما لا الخ ثم
يذكره اياه اي يذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما انساه مما لا يغير ولا يخلط
ويستحيل دوام نسيانه له لمنافاته للغرض المقصود منه لحفظ الله تعالى كتابه لقوله
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون كما تقدم وتكليفه بلاغه بجرور معطوف
على حفظ الله اي كلف الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ كتابه
من ارسل اليهم ودوام نسيانه ينافيه اشد المنافاة فصل في
الرد على من اجاز عليهم الصغاير اي على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
والكلام بالجر عطف على الرد على ما احتجوا به في ذلك اي جواز الصغاير عليهم والصغيرة
ما عدا الكبيرة والكبيرة منهم من عينها بالعد ومنهم من عينها بالحد فقيل هي
ما ورد فيه وعيد بنحو غضب الله ولعنه ودخوله النار في كتاب او سنة
صحيحة وقيل ما فيه حد وعقوبة معينة والصغاير كالكباير في توقف
العفو عنها على مشية الله وكون اجتناب الكباير مكفرا لها لا ينافي التوقف
عليها وجوازها عليهم مطلقا او سهوا مشروط بان لا تكون مشعرة بخسة
ورذالة منفرة للطبايع اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين من الفقها والمحدثين ومن شايعهم اي تابعهم ووافقهم على
اعتقاد ذلك من المتكلمين اي علما الكلام وهو العلم الباحث عن العقايد
الدينية وسمي علم الكلام اما لان مسيلة كلام الله من اجل مباحثه او لكثرة
دوران الكلام فيه بين السلف والمشايعة من الشيعة وهي فرقة من الناس
تتبع غيرها وشيعة الرجل اتباعه وانصاره ولو واحدا وخص في العرف
بالمفضلين لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه وهذه المسيلة من علم الكلام وذكرها

في

في كتب الفقه والحديث استطرادي وقيل انها من مسايل هذه الفنون
بحيثيات متغايرة فالفقيه يبحث عنها من حيث انها يجوز اعتقادها او
يحرم او يكره والمحدث من حيث انه هل صح رواية صدورها منهم ام لا
والمتكلم من حيث اقامة الدليل على عصمتهم وامتناعها وعدمه ولبس في
قوله شايعهم ما يخالفه وانما عبر به لانه ليس من كتابه المسايل الكلامية
احتجوا على ذلك اي تجويزها عليهم بظواهر كثيرة من القران والحديث الجمع لفظ
ظواهر اشارة الى انها ليست بحجة في الباطن ان التزموا ظواهرها اي ان قالوا
بلزوم اعتقاد الظاهر منها افضت بهم اي اوصلتهم الى تجويز الكباير عليهم واصل
معنى الافضا الادخال في فضا واسع ثم شاع فيما ذكر وخرق الاجماع اي مخالفة
ما اجمع الناس عليه وهو من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه
وهو المجاوزة وما لا يقول به مسلم اي افضت به الى راي لم يقله احد من
المسلمين وهو تجويز الكباير عليهم عمدا فانه لم يقله الا الحرية واما سهوا
فجوزه بعضهم واختلفوا في امتناعه هل هو سمعي او عقلي كما تقدم فكيف استبعاد
لتجويز الكباير عليهم وكلما احتجوا به من الظواهر مما اختلف المفسرون في معناه هل يحمل
على ظاهره او يأول وتقابلت الاحتمالات اي تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة في
مقتضاه اي مقتضى ما احتجوا به من تجويز وقوع ما خرج به عن صلاحية الاحتجاج
وجات اقاويل اي نقل وورد وجوه قالوها على خلاف ما التزموه واحتجوا
به واقاويل جمع قول فهو جمع الجمع فيها للسلف بخلاف ما التزموا من ذلك الذي استدلوا
به فاذا لم يكن مذهبهم في تجويزها عليهم اجماعا اي مجمعا عليه لكثرة من خالفهم فيه
وكان الخلاف فيما احتجوا به قد كان لاحادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد
به وقامت الدلايل على خطا قولهم في تجويزها عليهم وصحة غيره في عدم الجواز وجب
تركه جواب اذا والمصير الى ما صح من عدم التجويز وها نحن ناخذ اي نشرع لانها
من افعال المقاربة وها حرف تنبيه زايد على المبتدا اذا كان الخبر اسم اشارة
فان لم يكن كذلك جا نادرا كما هنا في النظر فيها اي في ادلتهم التي احتجوا
بظاهرها على تجويزها عليهم ان شا الله تعالى فمن ذلك الذي احتجوا به على
تجويزها عليهم قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وجه تمسك من جوز عليهم الصغاير بهذه الاية نسبة ذنب
اليه مغفور له لم يسمه فالظاهر انه صغيرة واللام للتعليل والمعلل الفتح
اي فتح مكة في قوله انا فتحنا لك الخ اي يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على
عدوك ليجمع لك عز الدارين في العاجل والاجل وتحقيقه في التفاسير
قال ابن عبد السلام رحمه الله لم يخبر الله احدا من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام بالمغفرة ولذا قالوا في الموقف نفسي نفسي اذهبوا الى محمد فقد
غفر الله له ما تقدم وما تاخر وهذا من خصايصه صلى الله عليه وسلم

قلت وفيه نكتة اذ سوي المتقدم بالمتاخر ايما الي انه مثله في عدم الوقوع وانما هو خلاف الاولي مما عده بالنسبة اليه ذنبا وسياتي تفصيله وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات اعاد الجار اشارة لتغايرهما لان الاول ليس بذنب حقيقي كذا قيل ولم يقل ولذنب المومنين اشارة لكثرة ذنوبهم حتي كان ذاتهم عنده الذنب ووجه الاسند لال مامر ومما استند لوابه ايضا ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك الوضع الحط وهو بالعفو والوزر الحمل والثقل فاستعير للذنب استعارة مرشحة والنقض بمعني اثقل جعله نقضا وهو ما اتعب الجمل حتي نقض لحمه وقال الازهري هو من نقيض الرحل وهو صوته لما وضع عليه والكلام عليه كالذي قبله وقوله عفا الله عنك كناية عن لم اذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبته عليه والمعني لاي شي اذنت لهم في العفو حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت في ذلك خطابه في الاذن في التخلف عن الغزو وهي غزوة تبوك سنة تسع وقد استاذنه من تخلف عنه فاذن لهم لبعد المشقة وشدة الزمان وكذا امرح صلي الله عليه وسلم بقصده ولم يوحي كامر فاذن لقوم منافقين اعتذروا له باعذار سمجة وهو علي خلاف الاولي لا ذنب حقيقي بل قوله عفا الله عنك ملاطفة له ورعاية لخاطره وقدمه علي ما صدر منه حتي لا يبدأه بما يوهم مواخذة ما ولذا احطوا علي الزمخشري فيما فسره به من قوله اخطات وبيس ما صنعت لما فيه مع تفسيره بغير المراد منه من سوء الادب وخطابه بما لم يخاطبه به رب العزة وجعله كناية عن الجناية والجاني هو وقد مر الكلام في ذلك مبسوطا صدر الكتاب ومما استند لوابه ايضا قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وهذه نزلت في غزوة بدر وقد اسر صلي الله عليه وسلم من قريش سبعين رجلا منهم العباس عمه صلي الله عليه وسلم وعقيل فاستشار صلي الله عليه وسلم في ذلك فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هولا قومك لعل الله يهديهم بك خذ منهم فدية تتقوي بها وقال عمر رضي الله عنه اضرب رقابهم واخمد نارهم فرضي صلي الله عليه وسلم ما قال ابو بكر فنزل عليه قوله تعالي ما كان لنبي ان تكون له اسري الاية فجلس صلي الله عليه وسلم يبكي هو وابو بكر وقال عرض علي عذابهم ادني من هذه الشجرة والكتاب السابق ياتي بيانه ومنه ما قيل هو احلال الغنايم لهم دون الامم السابقة وانه لا يعذبهم ورسول الله صلي الله عليه وسلم فيهم او ما وعدهم به من مغفرة ذنوبهم وانه لا يعاقب المخطي في اجتهاده وقوله عبس وتولي الاية عبس اي قطب وجهه وتولي اعرض والاعمي هو ابن ام مكتوم

رضي الله عنه

رضي الله عنه موذنه واسمه عبد الله او عمرو علي ما باني واسم ابيه زايدة علي ما قاله بعضهم وهو ابن خال خديجة ام المومنين رضي الله عنها وسبب نزولها انه اتاه وعنده صناديد قريش الوليد ابن المغيرة وعتبة وامية بن خلف وابو جهل لعنهم الله وقال ارشدني وهو صلي الله عليه وسلم يحادثهم استمالة لهم فاعرض صلي الله عليه وسلم عنه ولم يجبه لاشتغاله بهم رجا استمالتهم للاسلام واستمالة من ورايهم

قاله القرطبي

قيل وهو باطل من قايله وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وماتا كافرين وابن ام مكتوم كان بالمدينة ولم يحضر معهم فالاولي ان لا يذكر هولا ويقتصر علي ابن ام مكتوم وقوم من كفار الكفرة وتبعه بعض الشراح وارتضاه وقد رده خاتمة المحدثين الشيخ محمد الشامي في سيرته وقال انه كلام صدر من غير روية وتدبر فان ابن ام مكتوم ابن خال خديجة كما ذكر واسلامه قديم وهو من المهاجرين الاولين هاجر قبل هجرة النبي صلي الله عليه وسلم وقيل بعده والصحيح الاول وسورة عبس مكية بلا خلاف وقد نقل ما ذكر عن جماعة من الصحابة والتابعين فاي مانع منه والعجب من صاحب الزهر اذ لم يناقش القرطبي ومن تبعه في هذا وكان صلي الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه ابن ام مكتوم بسط له رداه ويقول له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ولذا كان استخلفه علي المدينة مرارا لقدم هجرته ولا ظهار توقيره وما قيل من ان ضمير عبس وتولي للكافر في غاية الضعف كما ياتي وهذا مما استدلوا به علي مدعاهم في حق نبينا محمد صلي الله عليه وسلم واما في حق غيره فما قص في القران من قصص غيره من الانبيا كقوله تعالي في حق ادم صلي الله عليه وسلم وعصي ادم ربه فغوي فجعل مخالفة ما نهي عنه من اكل الشجرة ضلالا وغواية فهي ذنب صدر عنه فنبيه دليلهم ظاهر والقصة مع جوابها مشروحة في التفاسير وقوله تعالي في حق ادم مع حوي فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما الاية الضمير اتاهما لادم عليه الصلاة والسلام وحوي المتقدم في قوله الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها اي اتاهما ولدا صالحا سويا اشركا فيما اتاهما غير الله فسمياه عبد العزي وعبد مناف وحكي الزجاج رحمه الله ان ابليس لعنه الله جا لحوي فقال اتدري ما في بطنك قالت لا قال لعله بهيمة فان دعوت الله ان يجعله انسانا انسميه عبد الحارث وابليس اسمه الحارث وقيل كان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته به فعاش وهذا من لقا الشيطان وقيل ان الضمير لال قصي من قريش وان القصة في حقه لا في حق ادم والكلام عليه في التفاسير مشهور وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا اي من الدلايل التي استدل بها من جوز الصغاير علي الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما حكاه الله في الاية عن ادم عليه الصلاة والسلام وحوا من اعترافهما بصدور الذنب منهما

الاية

بعضد ومن الذنب منهما وانصافهما بما كان سببا لخروجهما من الجنة وفيه
دليل على انه تجوز المعاقبة على الصغاير ان لم تغفر خلافا للمعتزلة ومما
استدلوا به ايضا قوله تعالى في قصة يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني
كنت من الظالمين لما ذهب مغاضبا قومه اذ لم يطيعوه فاعترف انه ارتكب ظلما
ومعصية وما قصه الله من قصته في قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا
وكان قد ضاق صدره في حمل اعباء النبوة والمغاضبة لقومه اذ لم يصبر ولم
ينتظر توبتهم فخرج من جبنه واظلهم العذاب الذي اخبرهم به فتضرعوا
الى الله وتابوا فرفعه الله عنهم ويونس عليه الصلاة والسلام لم يعلم برفعه
عنهم وكان حقه ان لا يذهب الا باذن مجدد من الله عز وجل وهذا ما ذكره
من قصته وما ذكره من قصة داود عليه الصلاة والسلام وقوله وظن داود انما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الاية وذلك انه راى ما قصه الله من فضايل الانبيا
قبله فسال ربه ذلك فقال انهم ابتلوا فصبروا فقال ان ابتليت صبرت
فتمثل الشيطان له في صورة حمامة من ذهب عجيبة وكان صلى الله عليه
وسلم في محرابه متخليا بصلاته فاراد اخذها فطارت فذهب خلفها وتبعها
حتى اشرف على دار فيها امراة تغتسل لم ير مثلها فافتتن بها وسال عنها فاذا
هي امراة اوريا وكان ارسله مع عسكر له فارسل يقول لرييسهم ويعلمه
ان يقدمه في الحرب وكان سيفا من سيوف الله فاستشهد وتزوج
داود عليه الصلاة والسلام امراته فارسل الله له ملكين في صورة خصمين
كما قصه الله في كتابه وعاتبه عليها وهذا اما عده هولا ذنبا نظرا لظاهر
الحال فتاب منه ولم يزل يبكي على ما صدر منه حتى نبت العشب من دموعه
ومما دلتهم قوله تعالى في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ولقد همت به وهم
بها وما فيه بالبنا للمعلوم والمجهول من قصته اي يوسف مع اخوته وهما انبيا
على اختلاف سياتي بيانه وقصته معروفة والشاهد في قوله هم بها بنا
على ما اشتهر من انه جلس منها مجلس الخاتن واراد ما يريده اهل الاهوا
وفيه مبالغات وامور يذكرها عنه القصاص وهو صلى الله عليه وسلم بري منها
وانما يتوهم ما توهم ان لم يجعل هم بها جواب لولا بحسب المعنى والا فلا يتوهم
شي من ذلك فان دليل الجواب جواب معنى فيقتضي انه لم يصدر منه هم
فضلا عما هو اعظم منه مع ان هم النفس له مراتب منها ما هو مقتضى
الجبلة البشرية ومثله معفو مغفور ومما دلتهم ايضا قوله تعالى حكاية
عن موسى صلى الله عليه وسلم فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
ضمير وكزه للقبطي الذي وجده موسى عليه الصلاة والسلام يخاصم رجلا
من بني اسرايل وكان دخل منف نصف النهار فوجد قبطيا من جند فرعون
يسخر بعض بني اسرايل لحمل حطب ونحوه وكان موسى عليه الصلاة والسلام

جيما

جيما اذا قوة شديدة فدفعه عنه وضربه فقتله فقال رب اني ظلمت
نفسي فهذا اعتراف بصدور ذنب منه وهو المراد هنا ومعنى وكزه
ضربه بجمع كفه وقيل ضربه في صدره وقيل دفعه وقوله من عمل الشيطان
اي هو شر من جنس اعمالهم ثم ذكر بعض ما استدلوا به من الحديث فقال وقول
النبي صلى الله عليه وسلم في دعايه الماثور عنه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت
وهو من دعا طويل رواه الشيخان كان يقوله صلى الله عليه وسلم اذا قام
يتهجد وطلبه المغفرة من الذنوب المذكورة يدل على صدورها منه في
الجملة وهو مدعاهم ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم الماثورة وقد
افردت بالتاليف كالحصن الحصين وغيره ومما استدلوا به ايضا ذكر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة في الموقف ذنوبهم في حديث طلب الناس
منهم الشفاعة واستغاثتهم بهم من هوله وطوله وحديث الشفاعة مشهور
طويل رواه مسلم عن ابي هريرة فلا نطول به ومحل الشاهد فيه ان الناس
اذا اشتد عليهم هول الموقف وكربه قالوا نذهب للرسل فيشفعون
لنا في الخلاص فيذهبون اليهم فردا فردا وكل يقول لست لها لي ذنب عظيم
اخاف منه ودلالته على ما ادعوه غنية عن البيان ومما استدلوا به
ايضا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم مع شرحه انه ليغان
على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
وروي ماية مرة فالسبعين ليست على ظاهرها والمراد بها التكثير وهي
فيه كثير حتى قال بعضهم سبع لك الاجر اي كثره فهذا يدل على انه
صلى الله عليه وسلم كان يصدر منه بعض الذنوب والا لم يكن لاستغفاره
وجه وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام والا تغفر لي وترحمني الاية
فطلبه المغفرة يقتضي سبق ذنب منه فهو حجة لمن جوز عليهم الصغاير وذلك
ان الله نهاه عن ان يشفع في احد من اهله غير من اذن له في دخول السفينة
معه فقال له الله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اي
قضى الله بذلك عليهم فشفع في ابنه كنعان وهو ممن قضى بهلاكه لظنه انه
داخل في اهله فلما قيل له انه ليس من اهلك ندم على عدم استفصاله
واستغفر لتركه الاولى لا الذنب او تركبه واليه اشار بقوله وقد كان قال الله له
ولا تخاطبني اي لا تدع ولا تشفع في الذين ظلموا اي كفروا وان الشرك لظلم عظيم
انهم مغرقون اي لانهم قضي عليهم وحكم بهلاكهم لكفرهم الذي قطع رحمهم وقرابتهم
ومما دلتهم ايضا انه تعالى قال حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني في القيامة يوم الجزا فهذا يقتضي صدور
ذنب منه وهو ما تقدم من قوله فعله كبيرهم وما بعده مما تقدم هو والجواب
عنه وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام اني تبت اليك قال بعد

ما طلب الرؤية من الله عيانا فلما تجلى له ربه وخر صعقا ثم افاق قال سبحانك
تبت اليك وليس هذا بذنب ولكنه ساله بعد ما قال له لن تراني ولو ترك ذلك
كان اولى والكلام على الرؤية وجوازها مفصل في علم الكلام وكذا هذه الاية
ومما استدلوا به ايضا على جواز الصغاير عليهم قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الى قوله
ثم اناب اي تاب فانه يقتضي صدور ذنب منه وكان الله فتنه اي ابتلاه
بامر اختلفوا فيه فقيل انه احتجب عن الناس فعاتبه الله على ذلك وقيل
انه سبا بنت ملك في غاية الجمال تسمى جرادة فاحبها وكانت عندها صنم تعبده
خفية فاطلع عليه فاحرقه وقد ذكروا في قصته امورا لا تليق بمقام الانبيا
عليهم الصلاة والسلام الى ما اشبه هذه الظواهر اي ما ذكرته من الامور التي
يدل ظاهرها على ما قالوه له اشباه ونظاير كثيرة تركت ثم شرع في سرده
الجواب عما ذكر من ادلة المجوزين للصغاير عليهم فقال قال القاضي عياض
المصنف رحمه الله في الجواب عما قالوه وتمسكوا بظاهره قبل تحقيق النظر فيه
فاما احتجاجهم لتجويزهم الصغاير عليهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الخ
فهذا قد اختلف المفسرون فيه وفي تاويله فقيل المراد بما تقدم ما كان قبل النبوة وبما تاخر
ما بعدها اي بعد النبوة وهو عبارة كني بها عن انه لم يصدر منه ذنب لانه
لا تكليف قبل النبوة اصلا والعقل لا يستقل بذلك وقوله ما بعدها ذكر
للتعميم كقولك اعط من تره ومن لم تره وقيل معنى ما تقدم ما وقع لك من ذنب
ومعنى ما تاخر ما لم يقع اعلمه بما حاصله انه مغفور له غير مواخذ به لو وقع
منه لكنه لم يقع منه ذنب كغيره وانما يصدر عنه نادرا خلاف الاولى وقيل
معنى ما تقدم ما كان قبل النبوة مما لا يواخذ به لانه لا شريعة يلتزم احكامها
والمراد بالمتاخر عصمتك بعدها فمغفرته تجوز بها عن العصمة ووجه الشبه بينهما
عدم اعتبار الذنب فيهما فمن قال ليس هذا من مقتضيات اللفظ مع انه
معلوم قبل النبوة لم يفهم مراده حكاه اي هذا الوجه احمد بن نصر الخزاعي
الزاهد الشهيد قتله الواثق في محنة خلق القران سنة احد وثلاثين
ومايتين وقيل المراد بذلك المذكور من المغفرة امته اي يغفر الله
لامتك ما صدر ويصدر منها فالمراد بخطابه خطاب امته فاضافة
الذنب له صلى الله عليه وسلم لادنى ملابسة لانه يسوءه ما يسوؤهم وهو
الشفيع لهم والمراد ان رحمة الله لهذه الامة اكثر فلا يرد عليه ان مغفرة
ما تاخر له شروط كان لا يكون حق عبد ونحوه وقيل المراد بما تقدم ما وقع
منه صلى الله عليه وسلم على سهو وغفلة و المراد بما تاخر ما كان صادرا
عن تاويل اي بيان لمعنى يحتمله النص فيحمل عليه باجتهاد منه ثم تبين له
ان الصواب اداه الى غيره لان التاويل بيان ما يؤول اليه فيناسب ما تاخر
فلا يرد عليه شيء والمراد انه لم يتم الاستدلال بالاية حكاه الطبري محمد ابن

جرير

جرير كما تقدم واختاره القشيري عبد الكريم شيخ الصوفية وغيره كما تقدم في
ترجمته وقيل المراد بما تقدم ما تقدم لابيك ادم عليه الصلاة والسلام
والمراد بما تاخر ذنوب امتك فاللام للتعليل اي غفر لاجلك ذنوب ابيك ادم
لما توسل بك الى الله ويغفر لامتك لانك رحمة لهم حكاه السمرقندي وقد قدمنا
ترجمته والسلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو الامام ابو عبد الرحمن
الصوفي كما تقدم عن ابن عطا شيخ الطريقة كما تقدم وهذا مما لا يقال بالراي
وقد نقله مثل هولا وان كان خلاف الظاهر بمثله اي بمثل هذا التاويل
والذي قبله يتاول قوله تعالى خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك
وللمومنين والمومنات فيقال المراد استغفر لذنب ابيك ادم ولذنوب امتك او استغفر
عما صدر منك سهوا او غفلة او بتاويل منك وهذا القول لذنبك فقط لا لقوله
وللمومنين والمومنات قال مكي تقدمت ترجمته مخاطبة النبي اي خطاب الله
للنبي صلى الله عليه وسلم ها هنا اي في قوله ليغفر لك الله وكثيرا ما يحمل عليه
ما لا يناسبه فيقال انه لامته وانما وجه له صلى الله عليه وسلم لنكتة كونه
بالطريق الاولى الاحرى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول ما كنت
بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو بتقدير قل فلذا قال امر
سر بذلك الكفار اي فرحوا وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا
واحد وما له علينا مزية ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره
الذي بعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى ردا عليهم ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر الاية فقال الصحابة هنيا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل
الله بك فما يفعل بنا فانزل الله تعالى واخبر بما للمومنين اي بما يؤول اليه امرهم
في الاخرة في الاية الاخرى بعدها اي ليدخل المومنين والمومنات جنات الاية
وانزل وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فبين ما يفعل به صلى
الله عليه وسلم وبهم وهذا قول قتادة والحسن وغيرهما وعزاه المص لابن
عباس بقوله قال ابن عباس رضي الله عنهما وعموم مغفرته وهو انما قاله
صلى الله عليه وسلم اولا قبل ان يعلمه الله بعصمته وعموم مغفرته وهو في
عام الحديبية ثم بين محصل جوابه عن استدلالهم بقوله فمقصد الاية اي محصل
ما قصد بها انك غير مواخذ بفتح الهمزة والواو المبدلة منها وفتح الخا المعجمة
اسم مفعول بذنب ان لو كان اي وجد فهي تامة وان بفتح وسكون زايدة ومثله
كثير فهو امر جا على طريق الفرض تطمينا له صلى الله عليه وسلم فلا يقوم بها
حجة لتجويز الذنوب عليهم وقريب منه ما قال بعضهم المراد بما ذكر من المغفرة
ها هنا اي في اية ليغفر لك الله ونحوه تبرئة من العيوب بموحدة بعد التا
الفوقية وراء مهملة قبل الهمزة ولو قرئ بنون وزاي معجمة وياء تحتية ساكنة
قبل الهاء جاز والمعنى والرسم متقارب يعني لا دليل فيها لهم لانه قد قيل

ان المراد منها تنزيه الله له وتبعيده من العيوب اي الذنوب او ما يودي
لها فالمغفرة كناية او مجاز عما ذكر واما الجواب عما تقدم من استدلالهم
بالاية المتقدمة وهي قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
كما بيناه اولا فقيل معناه ما سلف وتقدم من ذنبك قبل النبوة اي مما هو
في صورة تفريط وان لم يكن ذنبا لانه لم يكن قبل النبوة شرع يخالفه معصية
وقد عصمه الله تعالى عما كان عليه الجاهلية من العقايد ونحوها من الديانات
وهو قول ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المفسر الزاهد المتقي
المتقن توفي سنة اثنين وثمانين ومائة والحسن البصري وقد تقدمت
ترجمته وهو ايضا معنى قول قتادة اي معنى ما نقله عنه المفسرون في
تفسير هذه الاية من انه صدر منه بعض امور قبل النبوة وان لم يكن ذنبا
حقيقة وقيل معناه اي معنى وضع وزره عنه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم
اي حفظه الله عن الاتصاف به راسا او ابتدا وهو وجه حسن يتحمله اللفظ
بلا تكلف ولولا ذلك اي رفعها عنه لاثقلت ظهرك وفي نسخة ظهره والظاهر انه
حقيقة ويجوز ان يكون استعارة كما قدمناه وفيه على هذا تقدير اي لولا
انا حفظناك عنها اثقلت ظهرك وهدت قواك حكي معناه السمرقندي في تفسيره
وقيل في تفسيرها مما لا يبقى فيها حجة لهولا المراد بذلك المذكور من وضع الوزر
الذي اثقل ظهره اي اتعبه واعياه من اعبا الرسالة جمع عب كحمل لفظا ومعنى كما
تقدم حتى بلغها غاية لثقل المتحمل حتى يبلغه ويودي امانته فانه ما
عليه الا البلاغ حكاه ابو الحسن الماوردي الشافعي وتقدم بيانه والسلمي
وقيل معناه حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي لان ايام الجاهلية كانت
خلية من الدين والامن ايام هرج ومرج فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم
بالدين القويم سلم هو ومن تبعه وشرح الله صدورهم بالاسلام وصانهم
من الاثام فخفت ظهورهم وسددت امورهم وقيل معناه شغل سرك اي قلبه
او خواطر قلبه وحيرتك اي تحيرك في ابتدا امرك وطلب شريعتك اي طلبك
من الله شريعة تعمل بها حتى شرعنا لك ذلك بما اوحاه فاطمان قلبه
وذهبت حيرته حكي معناه القشيري في تفسيره وقيل معناه اي معنى وضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك خففنا عنك ما حملت اي كلفت حمل اثقاله
من دعوة الخلق وتبليغ امانة الرسالة التي لم يطق حملها الجبال بحفظنا
لما استحفظت يقال استحفظه اذا استرعاه واعطاه امانة اي نحن حفظنا
ما امرناك بحفظه عليك مما عسر عليك القيام به وجعلنا لك جلدا
وصبرا صير اثقاله خفيفة عليك لما ورد حينيذ انه اذا خففها عنه
لم يكن انقض ظهره اشار لدفعه بقوله ومعنى انقض ظهره على هذا اي كاد
اي قرب من انه ينقضه اي يعيبه ويثقله ولم ينقضه بالفعل ويجوز على

هذا

عرضي

هذا ابقاؤه على ظاهره وان النقاضة بالفعل لكنه خفف عنه اي خففنا
عنك ما كان انقض وهو راجع لما قاله المص لا وجه اخر كما قيل ثم بين وجه
دفع ما ذكره لما تمسكوا به تفصيلا فقال فيكون المعنى اي معنى وضعنا عنك
الخ على قول من جعل ذلك الوضع مصروفا لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله
عليه وسلم وهو خبر يكون بامور فعلها قبل نبوته ونزول الوحي فيها اي اعتنا وه
ببيان الله لحكمها حتى لا يكون عنده هم وغم ولكنها حرمت عليه بعد النبوة ولم
يكن مكلفا بها قبلها فعدها اوزارا بعد حرمت عليه وخشي المواخذة بها
قبل ذلك فاطلاق الوزر عليها باعتبار ما بعد النبوة والتشريع وثقلت عليه
واشفق اي خاف منها ومن المواخذة بها الشدة مراقبته لله وخشيته له
فمعنى وضعها على هذا بيان انه غير مواخذ بها وانها لم تكن وزرا عليه يخافه
او يكون معنى الوضع للوزر عصمة الله تعالى له وحفظ خلقته بطهارة فطرته
وكفايته بتطهير عنصره على التحرز من ذنوب لو كانت اي لو وجدت وصدرت عنه
لانقضت ظهره فهو امر على سبيل الفرض والتقدير لا التحقيق والتقرير كما توهموه
ولا يبعده قوله انقض مع هذا كما قيل والوزر مجاز بمعنى الذنب وعلى ما قبله
بمعنى الثقل كما في قوله او يكون من ثقل امور الرسالة عليه وما في تبليغها من المشقة
بجعل المعقول كالمحسوس او معنى الوزر ما اثقل عليه وشق وشغل قلبه من
امور الجاهلية كما نقله انفا عن مكي رحمه الله واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه
من وحيه واسترعاه عليه من امانته كما تقدم ثم اخذ في دفع شبهة اخرى
تمسك بها المجوزون للصغاير فقال واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
في التخلف عنه فالعفو كالمغفرة تقتضي ثبوت ذنب كما قالوه وليس
كذلك فان ما ذكر امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم من الله فيه
نهي فيعد اي يجعله ويعتقده معصية منه بمخالفة ما نهي عنه ولا عده وصيره
الله عليه معصية يستحق اللوم عليها بل لم يعده اهل العلم اي احد منهم معاتبة بفعل
خلاف الاولى مما ليس بمعصية وغلطوا من ذهب الى ذلك اي عدوا قول من قاله
من المفسرين غلطا وهو قول المنقول عن قتادة وعتب الله على نبيه صلى
الله عليه وسلم في بعض ما لا يليق وان جاز كما في قصة ابن ام مكتوم وقوله
له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ليس بمراد هنا وان كان لا يحذو رفيه فلا
اعتراض على المص كما قيل قال نفطويه تقدم الكلام عليه وعلى ضبط اسمه
ومعناه وقد حاشاه الله تعالى اي براه الله ونزهه واصل معناه
جعله الله في حشا اي جانب من ذلك اي من فعل ما يستحق عليه العتاب
فضلا عن ان يجازيه بمعصية ارتكبها بل كان مخيرا اي خيره الله في امرين
وهما ان شا اذن لهم في التخلف وان شا لم ياذن قط قالوا اي العلما من
السلف وقد كان له صلى الله عليه وسلم كما علم من تتبع احواله ان يفعل ما شا
فيما

يري انه مناسبه لانه اذن له في الاجتهاد كما تقرر في الاصول فيما لم ينزل عليه فيه شي من وحي يبين حكمه فكيف انكار لانه معاتب وان لم يخير في امور شتي منها ما لا يخفي فيه ولا يمكن انكاره وقد قال الله تعالي له في هذه القضية فاذن لمن شيت منهم وهذا الامر وتعلقه بالمشية صريح في انه صلي الله عليه وسلم مخير فلما اذنت لهم كما امره الله اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم اي مما خفي عليه من امرهم او بما اسروه واستتر من ضمايرهم وهو انه لو لم ياذن لهم في القعود والتخلف عنه لقعدوا لجزمهم بالقعود ولو امروا بخلافه واعلمه بما اوحاه اليه في هذه الاية من انه لا حرج لا وزر ولا اثم عليه فيما فعل من الاذن لهم كما توهم من ظاهر قوله عفا لانها اشتهرت بمعني غفر الذنب واشار الي ذلك وليس عفا ههنا في هذه الاية بمعني غفر اي ستر وترك المواخذة والمعاقبة كما هو معناه المشهور بل لها معان اخر منها ما ورد في الحديث كما قال النبي صلي الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي والنسايي عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه انه صلي الله عليه وسلم قال عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة الحديث الا ان الذي رواه هو لا قد عفوت عنكم زكاة الخيل والرقيق والمص رواه بلفظ اخر وقف عليه ومثله لا يفوع له العصا فانه فم قول من قال لم اقف علي هذه الرواية ولم تجب عليهم قط لان زكاة الخيل والرقيق لم تجب علي مسلم قط حتي يكون العفو معناه اسقاط الوجوب كما انه ترك عقوبة لازمة هنا اي فالمعني انه لم يلزمكم ذلك اي زكاة الخيل والرقيق ونحوه معزو للقشيري رحمه الله قال اي القشيري وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب كما هو متعارف مشهور من لا يعرف كلام العرب فيقف علي معانيه الواردة في كلامهم لعدم اللزوم الذي سمعته في الحديث الوارد في كلام افصح العرب واصل معني العفو الترك وعليه تدور معانيه فيستعمل في كل مقام ما يناسبه فعفو الذنب ترك العقاب عليه وعدم الزام الزكاة ترك لها قال ومعني عفا الله عنك في هذه الاية لم يلزمك ذنبا فيما فعلته من الاذن قال الداودي رحمه الله من ايمة الحديث وتقدمت ترجمته روي انها اي قوله عفا الله عنك كانت تكرمة من الله في خطاب نبيه عليه الصلاة والسلام اي تعظيما وتكريما يبدا به الكلام نحو ما قال مكي هو استفتاح كلام يوقعونه في اول خطابهم مثل اصلحك الله واعزك هي جملة دعايية يبدءون بها الكلام اكراما لمن يخاطبونه وهو عادة اهل الترسل في مكاتباتهم وهو قريب مما قبله بل معناهما واحد وهو ملاطفة في المحاورة تدعو الاستماعه حتي كانه باستماعه مستحق للدعا له والقران جا علي اساليب كلام العرب فهي جملة دعايية قصد بها اكرام المخاطب وحكي السمرقندي ان معناه عافاك الله قيل اخره لضعفه لبعد احدهما عن الاخر لفظا ومعني فكانه غلط في

المادة

عوض

المادة وهو من سوء الفهم لان الراغب قال عفوت عنك قصد به ازالة ذنب وصرفه عنه ومفعوله متروك لانه متعد في الاصل يقال عفاه واعتفاه وقولهم في الدعا اسالك العفو والعافية اي ترك العقوبة والسلامة من البلا وعفا النبت والشعر زاد انتهي فهذه الجملة اذا قصد بها الدعا اكراما كان معناها قواك الله حتي لا تبالي بمن تخلف عنك من عفا النبت والشعر اذا قوي وعافاك الله تعالي في الدعا قواك الله لان القوي لا يكون مريضا وقال الجوهري عافاه الله واعفاه بمعني وهو دفاع الله عن العبد ما يكره فسقط ما قيل انه لا يساعده اللغة كيف يعترض علي هذا ولا يعترض علي تفسيره باصلحك الله واعزك فتدبر واما قوله اي قول الله تعالي الذي استدل به من جوز الصغاير عليهم في اساري بدر اي في حقهم واساري جمع اسير وهو معروف وبدر اسم محل وقعت فيه تلك الغزوة المشهورة سميت ببدر بن قريش وهو الذي احتفر بها بيرا ثم سمي به مكانها وكان صلي الله عليه وسلم اسر من كبار قريش نحو سبعين رجلا كالعباس وعقيل كما فصل في السير فاستشار رسول الله صلي الله عليه وسلم فيهم الصحابة فاشار عمر رضي الله عنه بقتلهم كما مر فانه قلما يظفر بمثلهم فتضعف شوكة المشركين وقال ابو بكر رضي الله عنه تاخذ منهم فدية نتقوي بها ونمن باطلاقهم لعل الله يهديهم بعد ذلك فاعجب رسول الله صلي الله عليه وسلم رايه وعمل به فانزل الله فيهم ما كان لنبي ان تكون له اسري الايتين والاسير فعيل بمعني مفعول من الاسر واصله سير يشد به الاسير ولذا يقال اخذه باسره اذا اخذه جملة ومعني يثخن في الارض يكثر القتل وقيل معناه يتمكن في الارض وما كان نفي الكون وحا بمعني لا يليق ولا ينبغي كما ياتي وبه فسره المستدل بهذه الاية علي ان اخذ الفدية قبل قتل كثير من اعدايه ذنب عاتبه الله عليه وهذه القضية مشهورة في السير والتفاسير فلا حاجة للتطويل بايرادها فليس فيه اي فيما ذكر في الايتين الزام ذنب له صلي الله عليه وسلم ومعصية صدرت منه باختيار الفدية التي لم يجز له كما فهمه المستدل به بل ما ذكر فيه بيان ما خص به اي جعله الله من خصايصه تكريما له وفضل به من بين ساير الانبيا وتقيتهم فكانه عز وجل قال لنبيه صلي الله عليه وسلم ما كان لنبي غيرك اي لم يقع هذا الذي خصصت به من احلال الفدية ممن اسرته لنبي من الانبيا السالفة غيرك فانه احل لك وخيرك الله فيه بين الفدا والقتل ونظيره من خصايصه التي لم تكن لنبي قبله ما بينه بقوله كما قال صلي الله عليه وسلم في الحديث الصحيح احلت لي الغنايم وروي المغانم ولم تحل لنبي قبلي والمستدل به يقول معناه ما كان لنبي اصلا لا انت ولا غيرك اخذ الفدا قبل كثرة قتل اعداديه فهو مخالفة لما شرعه الله والمص رحمه الله قال ليس معناه هذا حتي يتم الدليل

وقال الخطابي من كان قبله صلى الله عليه وسلم من الانبيا على ضربين
منهم من لم ياذن له في الجهاد فلم يكن له غنايم ومنهم من اذن له فيه ولم يحل
له الاكل من الغنايم فكانت تنزل عليه من السما نار تحرقه وكان له التصرفات
فيها وفي الصدقات كيف شا الا انه قيل ليس في الاية ما يدل على ما قاله
المص بخلاف الحديث وهو مروي في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه ولك
ان تقول ان الفدا في معنى الغنايم لانه مال ماخوذ من الكفرة فذكره
للحديث اشارة الى انه مؤيد لهذا التاويل وفي المسايل الاربعين للرازي
العتاب وقع هنا على تركه الاولى لان الافضل في ذلك الوقت الاثخان وترك
الفدا قطعا للاطماع ولولا انه من باب الاولى ما فوضه صلى الله عليه
وسلم لاصحابه وقال القرافي في حاشيته عليه المسماة بالتنقيد انه
وقع في الحديث ان عمر رضي الله عنه دخل عليه وهو وابو بكر يبكيان فقال
ما يبكيكما فقال صلى الله عليه وسلم عرض علي عذاب قومك ادنى من هذه
الشجرة والاولى لا عذاب في تركه ولتفويضه للصحابة لان الاجتهاد كما يقع اعلم انه
في الاولى يقع في الواجب بل لو استدل بهذا على انه على مراتب الوجوب لم يبعد
لانه لم يكتف فيه باجتهاد نفسه فالصواب انه فوض له الاجتهاد في امر
الاسارى ففوضه لاصحابه فافتى عمر رضي الله عنه بالقتل وكان هو
المصلحة وهو من احدى موافقاته واجتهد الصحابة بما لم يؤد للمصلحة
فخلص عمر ولم يواخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده في اجتهاده
فله اجر ولذا قال فيما مر عذاب قومك دون عذابي لخروجه من موجب
العتاب ببذل جهده والى هذا ذهب فحول العلم رجمع بين ظاهر
الاية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة انتهى وهو حسن
جدا واحسن مما اختاره المص فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض
الحياة الدنيا الاية سوال وارد على ما اختاره من انه امر اختص به بانه
لو كان كذلك ما عوتب عليه بما ذكر من انهم رجحوا اخذ الفدا وهو
مال غاد ورايح وعرض فانه لا ينبغي النظر اليه قيل في الجواب عنه المعنى
بكسر النون وتشديد اليا اي المقصود بالخطاب في قوله تريدون لمن اراد ذلك اي عرض
الدنيا منهم اي من الصحابة الحاضرين الوقعة وتجرد اي خلص وتمحض
غرضه بمعجمتين اي قصده لعرض الدنيا بمهملتين وبينه وبين العرض
تجنيس وحده اي منفردا عن قصد ثواب الاخرة وهو موكد لما قبله والاستكثار
منها باخذ ما يناله وليس المراد بهذا الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لشرف
نفسه عن النظر لها ولا علية بكسر العين ولام ساكنة بعدها يا مخففة جمع علي
كغلمة جمع وصبي وصبية وقيل انه اسم جمع اصحابه اي كبار الصحابة
كابي بكر وعمر وغيرهم ممن حضر الوقعة وقد علمت مما قرره القرافي انه صلى

الله

الله عليه وسلم ليس معاتبا ولا مخاطبا هنا اصلا وانه هو التحقيق ثم
ايد كون الخطاب ليس لهولا بما روي في نزوله فقال بل اضراب انتقالي
قد روي عن الضحاك انها اي اية تريدون الخ نزلت في امر اخر غير الفدا فلا يرد
السوال راسا وذلك حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
اي بعض منهم بالسلب بسين مهملة ولام مفتوحتين ما يستلب اي يوخذ
من القتيل من لباسه وما معه وقد بينه الفقها واختلفوا فيمن يستحقه
ممن له حق في الغنيمة او القاتل مطلقا او ان شرطه الامام كما فصلوه
والسلب ايضا شجر تتخذ منه حبال ولذا اسمت العامة الحبال سلبا
كما في بعض كتب اللغة رجمع الغنايم عن القتال متعلق باشتغل حتى خشي عمر رضي
الله عنه اي خاف على المسلمين ان يعطف اي يرجع كارا عليهم اي على المشغولين
بما ذكر العدو الذين انهزموا والعدو يقع على الواحد وغيره وكثيرا ما يقع
في العساكر ضرر عظيم بمثل هذا وعمر رضي الله عنه ادرى بذلك ثم قال تعالى
في هذه الاية والقصة لولا كتاب من الله سبق تقدم على هذه القضية وتقدم
بيان المراد بالكتاب هنا وسياتي ايضا واختلف المفسرون في معنى هذه الاية
والمراد منها فقيل معناها كما نقله الطبري ما قاله محمد بن علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب لولا انه سبق مني اي من الله فيما اوحاه لنبيه صلى الله
عليه وسلم اني لا اعذب احدا الا بعد النهي ونحن لم نهكم عن اخذ فدا العذبتكم على
ما فعلتم من اخذ الفدا لانه لو كان منهيا عنه محرما استحق مخالفه العذاب
فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره فهذا التفسير ينفي ويمنع ان
يكون امر الاسرى اي فدايهم معصية لانه لم ينه عنه ولم يحرم فلا دليل في الاية
لما مر وعلى هذا التفسير تكون هذه الاية مخصصة لنحو اقتلوا المشركين
فلا وجه للاعتراض به على ما ذكره المص وقيل المعنى المراد من هذه الاية
لولا ايمانكم بالقران وهو المراد بالكتاب السابق في قوله لولا كتاب من الله سبق
وقدر الايمان في النظم لان ذات الكتاب لا تمنع العذاب الا بالايمان
بما تضمنه من هذه الاحكام فاستوجبتم اي استحققتم به الصفح اي العفو
وعدم المواخذة لعوقبتم على اخذكم الغنايم وما هو في حكمها من الفدية
وهذا حكاه ابن عطية في تفسيره وليس فيه تحصيل الحاصل كما توهم لما سياتي
ويزاد بزاي معجمة فعل مجهول من الزيادة هذا القول تفسيرا وبيانا وايضاحا
بان يقال في تقرير المعنى لولا ما كنتم مومنين بالقران بحقيقته وحقيقة ما فيه
من الاحكام وما صدرتم وقوله وكنتم ممن احلت لهم الغنايم على ما قبله لعوقبتم
كما عوقب من تعدى بفتح التا الفوقية والعين والدال المهملتين المشددة دالة
قبل الالف فعل ماض والكتاب على هذا بمعنى القران وسبقه لتقدمه في
الازل او لتقدم ما نزل او حكم الله الذي كتبه وقدره وحاصله انه لولا

عرضي

ابن الفرس

ان الله انزل القران وما فيه من الاحكام واحل لكم فيه الغنايم لمسكم العذاب
وحل بكم العقاب كما عوقب من قبلكم من الامم لما تجاوزوا الحدود وتعدوا
ما نهاهم الله عنه وهو اما تشريع وامتنان عليهم بما احله لهم ولم يضيق عليهم
كما ضيق علي الامم السابقة او هو ردع لمن اشتغل بالغنايم والسلب فقد روي
انه لما كان يوم بدر تعجل الناس الي الغنايم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ان الغنيمة لا تحل لاحد سود الوجوه غيركم وكان النبي واصحابه اذا غنموا
الغنيمة جمعوها فنزلت نار من السما فاكلتها فانزل الله تعالي لولا كتاب من الله
سبق الايتين واخرجه الترمذي وقال صحيح حسن ووقع في الشرح الجديد
هنا مواخذة علي ما في الكشاف هنا وما فيها لا مساس لها بالمقام ناشية
من عدم التدبر وقيل معناه لولا انه سبق في الازل في اللوح المحفوظ الذي كتب
فيه كل ما هو كاين الي يوم القيامة انها اي الغنايم حلال لكم الانتفاع بها والتصرف
فيها لعوقبتم علي اخذها فهذا المذكور في التفاسير كله يشير الذنب والمعصية فيما
فعله باسري بدر لان من فعل ما احل الله علي ما وجهه به لم يعص الله ولم يعد
ما صدر منه معصية حتي يستدل بما ذكر فيها علي تجويز الصغاير عليهم ومما
هو صريح في حكم ما اشار اليه بقوله قال الله تعالي فكلوا مما غنمتم اي من غنايمكم
حلالا طيبا فكلوا بمعني انتفعوا به وليس المراد خصوص الاكل وذكره لكثرته
وغلبته علي غيره من الانتفاع واستدل بهذا علي ان الامر الوارد بعد الحظر
للاباحة وعليه الاكثر والقايل بان الاصل فيه الوجوب يجيب عنه كما فصل في
الاصول وفي الكشاف وتبعه القاضي في قوله لولا كتاب من الله سبق الخ قيل
لولا ما شا الله من ان سيحل لكم الفدية واعترض عليه بانه يقتضي انه
صلي الله عليه وسلم لم يعلم بحل الغنايم له حين ذهب لبدر والظاهر انه انما
اقدم علي ذلك ورغب فيه بعد علمه بحله له ولم يخرج لبدر الا طالبا للغنيمة
ولولا ذلك لم ياخذ عير قريش وهو وهم منه فانه لا يلزم من علمه بحل الغنيمة
علمه بحل الفدية وان كانت في حكمها وقد اورده علي قوله لولا انه سبق في
اللوح المحفوظ الخ وهو غير وارد لان المعني لولم تحل لكم الغنيمة وهو يقتضي
الفدية فتامل وقيل بل كان صلي الله عليه وسلم قد خير في ذلك اي في
اخذ الفدية من الاسري وفي قتلهم فلما اخذها قيل له كان الاولي خلافه
لكن بكا وهما السابق وورد بنه صلي الله عليه وسلم دنو العذاب منهم
اياه كما تقدم ويدل علي انه خير في ذلك انه فقد روي عن علي رضي الله عنه
انه قال جا جبريل الي النبي صلي الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاساري
ببدر ان شاوا القتل وان شاوا الفدية اي اخذ الفدية والمال منهم
علي ان يقتل منهم في العام المقبل والسنة التي تلي هذه السنة اي ان الله قدر عليهم
ان اخذوا الفدية بقتل من الصحابة مثلهم اي بعددهم فقالوا نختار الفدا

ويقتل

ويقتل منا مثلهم رغبة في الشهادة وهذا المذكور كله دليل علي صحة ما قلنا
من انهم لم يفعلوا في وقعة بدر من اخذ الفدية الا ما اذن لهم فيه اي
جوزه لهم فلا ذنب ولا معصية لكن بعضهم اي بعض الصحابة الذي استشارهم
رسول الله صلي الله عليه وسلم في ذلك مال الي اضعف الوجهين من الفدية
دون القتل باجتهاد منه والاجتهاد يجوز من الصحابة بحضرته صلي الله
عليه وسلم كما صححه اهل الاصول مما كان الاصلح للاسلام والمسلمين غيره
وهو القتل وبينه بقوله من الاثخان والقتل الذي هو اعز الوجهين فاختاروا
الاول لما خيروا فعوتبوا علي ذلك من اختيار غير الاصلح وبين لهم ضعف اختيارهم
الفدية وصوب اختيار غيرهم وهو ما اختاره الفاروق وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
لان كلا منهم قال ما اداه اليه اجتهاده ظانا ان الخير فيه والي نحو هذا اشار
الطبري رحمه الله وانما وبخوا وخوفوا وقوع العذاب بهم لان المخوف منهم من
تجرد نظره للكمال في العاجل مثل الصديق رضي الله عنه ممن فعله شفقة علي
قومه ورجا ان الله يهديهم للاسلام ويعز بهم الدين في الاجل وقد حقق
الله رجاه فلا اعتراض علي هذا بانه لو كان كذلك ما وقع توبيخ شديد
ومن طالع السير وما وقع في هذه الغزاة علم هذا وتحققه وقوله صلي الله
عليه وسلم في هذه القصة لو نزل من السما عذاب ما نجا منه الا عمر
... جواب عن سوال ورد علي ما قرره من انهم غير عصاة ولا مذنبين
وهو انه اشارة الي هذا المذكور من تصويب رايه اي راي عمر رضي الله عنه
وراي من اخذ باخذه اي وافقه فيما قاله في اعزاز الدين وغيظ الكفرة بايقاع
القتل برووسهم وارهاب قلوبهم في اول وقعة وقعت بينهم واظهار كلمته
بان تكون كلمة الله ورسوله هي العليا وتكون ظاهرة سابغة وابادة عدوه اي اهلاكه
وافنائه لان الاسري كانوا اعظم ايمة الكفر فلو قتلوا لم يكن لهم عمود بعده
وان هذه القضية اي قضية اسري بدر واخذ الفدية منهم واطلاقهم لو
استوجبت عذابا اي اقتضت وقوع العذاب بمن فعلها لحكمة اقتضته لا لامر الله
نجا منه اي من العذاب الذي اقتضته عمر لانه رضي الله عنه لم يرض به
ولم يره رايا صحيحا ومثله اي ونجا مثله ممن كان علي رايه وهو سعد بن معاذ
رضي الله عنه كما ورد في الحديث وعين عمر اي خصه بالذكر مع ان جماعة
منهم كانوا علي رايه لانه اول من اشار بقتلهم جوابا لقول النبي صلي الله عليه وسلم
له كما في صحيح مسلم ما تري يا ابن الخطاب فقال ما اري راي ابي بكر ولكن
اري ان تمكنا فنضرب اعناقهم الحديث ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك اي في
مقابلة رايهم بالفدية لحله لهم اي لان الله احله لهم وخيرهم فيما سبق هذه
الواقعة وقال الداودي تقدمت ترجمته والخبر بهذا لم يثبت اي لم يثبت
المنع من اخذ الفدية لا الحديث الذي فيه ما راه عمر وغيره ولو ثبت هذا لجاز

ان يظن ان النبي صلي الله عليه وسلم يحكم بما لا نص فيه بوحي نازل عليه ولا
دليل يدل علي ما حكم به مستنبط من نص سبق باجتهاده ولا جعل الامر فيه من الله
مفوضا اليه فانه وقع التفويض اليه صلي الله عليه وسلم في امور اذن
له بالحكم فيها بما كما صرحوا به وقد نزهه الله عن ذلك بقوله وما ينطق عن الهوي
ان هو الا وحي يوحي والاجتهاد والتفويض بوحي يوحي وقال القاضي بكر بن العلا
امام مذهب مالك كما تقدم اخبر الله نبيه صلي الله عليه وسلم في هذه الاية
النازلة في اسري بدر ان تاويله الذي قبله من ابي بكر رضي الله عنه
في اختيار عدم القتل وافق ما كتب له اي حكم به وجوزه بقوله لولا كتاب
من الله سبق في علمه وحكمه من احلال الغنايم لهم واحلاله لهم اخذ الفدا وكيف
لا تكون الفدية حلت لهم قبل هذا وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم
واصحابه قبل هذا اي غزوة بدر زادوا اي اخذوا الفدا من المشركين في
سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي لما مرت عير لقريش بتجارة من الطايف
ومع العير عمرو بن عبد الله الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله
ونوفل بن عبد الله والسرية فعيلة من السري وهم ناس يرسلون للعدو
من خمسة الي ثلثماية او اربع ماية ولم يعين ابو حنيفة عددا لاقلهم
وقال ابو يوسف سبعة فصاعدا وقال الماوردي يطلق علي الواحد سرية
والظاهر انه مجاز فلا بد من عدد له منعة وعبد الله بن جحش هو ابن
رياب بن يعمر الاسدي وامه اميمة بنت عبد المطلب عمته صلي الله عليه
وسلم اسلم قبل دخول النبي صلي الله عليه وسلم دار الارقم وهو من المهاجرين
الاولين واستشهد باحد ودفن عند حمزة رضي الله عنه وسريته كانت
في رجب في السنة الثانية او في جمادي الاخرة ومعه ثمانية من المهاجرين
او اثني عشر هو اميرهم ومن ثم سمي امير المومنين ويعرف بالمجدع في الله لجدع
انفه واذنيه باحد وكان دعا الله بذلك وكانت السرية قبل بدر بشهر
او اكثر كما سياتي وبعث ليترصد عير قريش فسار وا حتي نزلوا ببطن
نخلة بين مكة والطايف فرمي واقد بن عبد الله الصحابي عمرو بن الحضرمي
فقتله فكان اول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان وكانا
اول اسير في الاسلام وافلت نوفل فقدموا المدينة بالعير والاسيرين
فاسلم الحكم وافتدا صاحبه عثمان بن عبد الله ورجع لمكة فمات بها كافرا
وقد فداي نفسه بالحكم بن كيسان وصاحبه عثمان بن عبد الله فالبا متعلقة
بقوله فادوا لا بقوله قتل لان المذكور هنا ان الحكم بن كيسان مولي هشام
ابن المغيرة المخزومي اسر في هذه السرية اسره المقداد بعد قتل ابن الحضرمي
فاراد عبد الله بن جحش ضرب عنقه فقال له المقداد دعه نقدم به علي
رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما قدم به اسلم وحسن اسلامه وقتل ببير

معونة وسياتي تفصيله فيما عتب الله عليهم اي علي النبي والصحابة في
اخذ الفدية فلو كانت ممتنعة وبخهم الله علي ذلك والمراد بالعتب التوبيخ
والانكار مجازا عن لازم معناه اذ معناه لا يليق به تعالي لانه يستعمل فيما
بين الاقران وانما عبر به ليشمل خلاف الاولي فذلك اي ما وقع من الفدا في
تلك السرية كان قبل بدر اي قبل وقعتها بازيد من عام كذا في النسخ وهو
سهو لان بدرا الاولي وقعت في ربيع الاول بعد ثلاثة عشر شهرا من الهجرة
فتكون هذه الوقعة في سنة اثنين من الهجرة ثم في رجب بعث رسول الله صلي
الله عليه وسلم هذه السرية ثم في رمضان من هذه السنة وقعت غزوة
بدر الكبري فبين هذه السرية وغزوة بدر نحو ثلاثة اشهر فكان المصنف
توهم ان هذه السنة سنة ثانية وليس كذلك وحاصل قصة هذه السرية
انه صلي الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من
المهاجرين وكتب له كتابا وامره ان لا يقراه حتي يسير يومين وان لا يستكره
من اصحابه احدا ففتحه بعد يومين فاذا فيه اذا نظرت كتابي فامض تنزل
بنخلة بين مكة والطايف فترصد بها قريشا وتعلم خبرهم فلما قراه قال سمعا
وطاعة واعلمهم بما في كتابه صلي الله عليه وسلم فلم يتخلفوه وسلك الي الحجاز
فلما كان بنجران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما فتخلفا
في طلبه فمضي ابن جحش واصحابه حتي نزلوا بنخلة فمرت بهم عير لقريش فيها عمرو
ابن الحضرمي وعثمان بن عبد الله واخوه نوفل والحكم بن كيسان مولي هشام
ابن المغيرة فلما راهم القوم هابوهم ونزلوا قريبا منهم فاشرف عليهم عكاشة
ابن محصن وقد حلق راسه فقالوا عمار لا باس عليكم منهم وذلك في اخر
يوم من رجب ثم تشاوروا فقالوا ان تركتموهم الليلة دخلوا الحرم فامتنعوا
به وان قتلتموهم قتلتموهم في الشهر الحرام ثم اجتمعوا علي قتل من قدروا عليه
واخذ مغنمهم فرمي واقد بن عبد الله التميمي ابن الحضرمي بسهم فقتله
واستاسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان واعجزهم نوفل بن عبد الله
واقبل ابن جحش واصحابه بالعير والاسيرين علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم وقيل ان ابن جحش قال لاصحابه ان لرسول الله مما غنمنا الخمس
وذلك قبل ان يفرضه الله فقسم ذلك بين الصحابة وقال ابن اسحاق انهم
لما قدموا عليه صلي الله عليه وسلم قال ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ووقف
امر العير والاسيرين ولم ياخذ من ذلك شيا فندم المسلمون علي ما فعلوا
وقالت قريش استحل محمد واصحابه الشهر الحرام بسفك الدم واخذ المال والاسر
فقال المسلمون بمكة انما وقع ذلك في شعبان فلما كثر القيل والقال انزل الله
تعالي يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية ففرح المسلمون بذلك وقبض
رسول الله صلي الله عليه وسلم العير والاسيرين وبعثت قريش في فدا عثمان

ابن عبد الله والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفدي حتي يقدم
صاحباي يعني ابن ابي وقاص وعتبة بن غزوان لخشيته ان يقتلهما قريش
بمن قتل منهم فلما قدما فداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه حتي
استشهد ببير معونة واما عثمان فلحق بمكة ومات كافرا كامر وهذا المذكور
كله يدل علي ان فعل النبي صلي الله عليه وسلم في شان الاسرا من الفدا او ما وقع معه
كان علي تاويل باجتهاد منه صلي الله عليه وسلم ومن الصحابة وصيغ بالنظر
الصحيح في انه فيه اعانة ورجا لان الله يهديهم في الاجل الي الاسلام وكان
كذلك وهو جار علي ما قد تقدم قبل اي قبل بدر مثله من وقوع الفدية في سرية
ابن جحش ولم يعاتبوا عليه فلم ينكره الله تعالي عليهم كما بيناه انفا لكن الله تعالي اراد
بقوله تعالي ما كان لنبي ان تكون له اسري لعظم امر بدر وانهما بها كسر شوكة
المشركين وارعب قلوبهم فلو زاد واذ لك بقتل من اسروه كان اتم وكثرة
اسراها الواقعة فيها بما اداه اجتهادهم اليه اظهار نعمته مفعول اراد اي
ظهورها علي المسلمين وانهم لو تركوا الفدية اغناهم الله عنها وتاكيد منته عليهم
تعريفهم ما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ بقوله لولا كتاب من الله سبق علي احد
الوجوه المتقدمة واللوح المحفوظ مبين في كتب الحديث والتفسير من
حل ذلك لهم اي كونه حلالا ماذونا فيه لهم لا علي وجه عتاب اي لم يذكره للوم
بل لبيان شكره ونعمته وانكار عليهم في اختيار الفدية او تذنيب اي نسبتهم لذنب
ارتكبوه بما فعلوه هذا معني كلامه اي كلام القاضي بكر بن العلا وهو الذي
اختاره المص خلافا لمن قال ان الحق انه عتاب من الله وارتضاه بعض الشراح
هنا وقال ان ذلك تكلف لا ينبغي ارتكابه واما قوله تعالي وتولي اعرض
بوجهه الاية اي ما يشعر به ظاهرها من انه صدر عنه صلي الله عليه وسلم
ما استحق عليه العتاب واستدلال بعضهم بهذه الاية والقصة علي تجويز
الصغاير عليهم كما تقدم اجمالا فليس فيها اثبات ذنب له صلي الله عليه وسلم ولا
تجويزه عليه كما توهم من استدل بها علي ذلك بل اعلام له صلي الله عليه وسلم ان ذلك
المتصدي بصيغة اسم المفعول ونايب فاعله قوله له اي اقبل عليه وتوجه
له واصله مقابلة الشي كما يقابله الصدي وهو الصوت الراجع اليه من
جبل ونحوه كما قاله الراغب وفي التعبير به نكتة وهي ان كلام هولا عبرة
به كما قال المتنبي انا الطاير المحكي وغيري هو الصدا
ممن لا يتزكي اي لا يسلم فيطهره الله من دنس الشرك فان الصواب والاولي والاليق
به صلي الله عليه وسلم ما لو كشف لك حال الرجلين اي ابن ام مكتوم ومن
كان عنده من المشركين واقتصر علي الاقل والا فالكفرة كانوا جماعة كما تسمعه
الاقبال علي الاعمي دون غيره والاعمي هو عبد الله بن شريح ويقال عمرو بن ام مكتوم
واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو ابن قيس بن زيد الاصم

والذي

والذي تصدي له جماعة من كبار المشركين بمكة اختلفوا فيهم فقال مجاهد كانوا
ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وزاد بعضهم اباجهل والعباس
وامية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان صلي الله عليه وسلم يرجو اسلامهم واسلام
غيرهم وقد قدمنا عن القرطبي ان هذا باطل وجهل ممن قاله لان امية ابن خلف
والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة لم يحضر معهم وماتا كافرين
احدهما مات بمكة والاخر ببدر ولم ياتيا المدينة وتقدم انه شنع علي
القرطبي فيما قاله فان سورة عبس مكية وابن ام مكتوم اسلم قديما بمكة
قبل الهجرة وكان مع النبي بمكة والمدينة وهاجر قبل النبي صلي الله عليه وسلم
مع مصعب بن عمير رضي الله عنه فكيف يجهل من نقل هذه القصة من
من كبار المفسرين ثم اشار الي ان ما فعله صلي الله عليه وسلم ليس ذنبا
بل فعلا حسنا لانه تبليغ للرسالة ولطف في الدعوة بالاقبال علي من كان
من اهل العناد والكبر فاعلمه بحال الفريقين فقال وفعل النبي صلي الله عليه
وسلم لما فعل من التصدي وما معه الذي اشار اليه بقوله وتصديه
لذلك الكافر تقدم وجه افراده كان طاعة لله وتبليغا عنه فما فعله صلي الله عليه وسلم
كان لازما له واستيلافا له اي استمالة للكافر وتاليفا له رجا لاسلامه كما شرعه
الله له وفرضه عليه بامره بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه لا معصية كما زعمه
من تقدم ومخالفة له اي لما شرعه الله وما قصه الله عليه في هذه السورة
اعلام بحال الرجلين المذكورين وتوهين امر الكافر عنده اي تضعيف وبيان
لحاله لانه لا مقدار له يعتد به واشارة الي الاعراض عنه بقوله وما عليك ان
لا يزكي لان معناه لا باس عليك من امره فلا تلتفت اليه والضمير في قوله وما
يدريك لعله يزكي لابن ام مكتوم وقيل ضمير لعله للكافر يعني انك اذا
طمعت في ان يتزكي بالاسلام او يذكر فتقربه الذكري الي قبول الحق وما
يدريك اي ما طمعت في ان يتزكي بالاسلام كاين والاول هو الاولي لان
ما في القران من يدريك فهو مما اعلمه الله به وما فيه من ادراك لم يعلمه به وايضا
فالكافر لم يسبق له ذكر صريحا ولا ضمنا وقوله وما عليك ان لا يزكي يريد
انه لا باس عليك بعدم اسلامه فحرصك علي اسلامه الحامل لك علي الاعراض
عن غيره تطييبا لخاطره الاولي تركه لان ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وقد
تقدم تتمة لهذا فتذكره وقيل المراد بقوله عبس وتولي الكافر الذي كان مع النبي
صلي الله عليه وسلم في ذلك المجلس قاله اي هذا القول ابو تمام الشاعر صاحب
كتاب الحماسة علي ما ياتي وهو قول في غاية الضعف بعيد من السياق والذي
عليه المفسرون انه النبي صلي الله عليه وسلم وفي الغيبة الكلام له بدون الخطاب
اكرام له صلي الله عليه وسلم عن ان يواجه بالعتب لا مبالغة في العتب
لان فيه اعراض كما قاله ابن عطية واما قصة ادم عليه الصلاة والسلام والاستدلال
بعضهم

بها علي تجويز الصغاير علي الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالي فاكلا منها اي
من الشجرة بعد قوله له ولزوجته حوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
المخالفين لامر الله ونهيه وقوله تعالي الم انهكما عن تلكما الشجرة شجرة الكرم او
التين او غيرهما كما بينه المفسرون وتصريحه تعالي بالحا المهملة وضمنه معني
النذا فعداه بعلي في قوله عليه بالمعصية بقوله وعصي ادم ربه فغوي
اي ضل عما بينه له وقيل معناه جهل وقيل اخطا فان الله تعالي قد اخبر بعذره
جواب اما وهو جواب عما استدلوا به لانه ارتكب معصية وذنبا ولقد
عهدنا الي ادم اي اخذنا عليه وبينا له ما يلزمه فتركه من قبل اي قبل الكله
من الشجرة فنسي العهد المتقدم ولم نجد له عزما ثابتا علي ما عهد اليه لان
العزم توطين النفس علي فعل او ترك وقريب منه تفسيره بالصبر الاتي وعلي
هذا فالذي نسيه هو نهي الله له عن الاكل من الشجرة وفعله ناسيا لا يكون
ذنبا لعدم المواخذة به وفيه انه لو كان كذلك ما جازاه الله باخراجه من الجنة
ونزع لباسه وقيل انه ذكر تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم عن عصيان قومه
لان مثل ادم اذا عصي ربه فما بالك بغيره وقال ابن عطية انه ضعيف
لان جعل ادم مثلا للكفار لا ينبغي والذي اراه انه ابتدا قصص او انه
لما عهد له صلي الله عليه وسلم ان لا يعجل بالقران فنسي سلاه بانه سبق
مثله لادم فعفي عنه فلا لوم عليه ثم ذكر وجها اخر فقال قال ابن زيد هو عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم في ترجمته نسي عداوة ابليس له لحسده
علي جعله تعالي خليفة قيل وكان النسيان يواخذ المكلف به ثم عفي الله عنه
كما ياتي وبهذا اعلم الجواب عما تقدم ونسي ما عهد الله اليه من ذلك اي من كون
ابليس عدوا له ولزوجه وولده بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية
وحذره منه كما قصه في قصته وبينه المفسرون قيل نسي ذلك المذكور
من عداوته بما اظهر لهما اي لادم وزوجه من المخادعة فدلاهما بغرور
وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي
واصله انسيان ووزنه افعلان قلبت ياوه الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها وحذفت الهمزة لالتقا الساكنين فالهمزة زايدة ولامه محذوفة
وقيل انه من الانس ووزنه فعلان وانما ذكر هذا توجيها للقولين
المذكورين فلا وجه لما قيل انه لم يقع موقعه لعدم مناسبته لما قبله
ويدل لقول ابن عباس ان تصغيره انيسيان ولذا قيل كما تقدم
وان اول ناس اول الناس وقلت
ومن لم يكن ينسي الضغاين والذي تقدم من حقد فليس بناسي
وقيل في توجيه ما صدر من ادم عليه الصلاة والسلام انه لم يقصد المخالفة
لما نهاه عنه استحلالا لها اي لعدها حلالا حتي لا يكون ذلك معصية ولكنهما ادم

وزوجه

وزوجه اغتر ابحلف ابليس لهما اي قسمه وقوله والله اني لكما لمن الناصحين في
تحسينه الاكل لهما من الشجرة وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا مخالفا للواقع
وقد روي عذر ادم اي اعتذاره عما صدر منه بمثل هذا المذكور من ظنه صدقه
لاقسامه لهما في بعض الاثار المروية عن السلف او الاحاديث وذلك
انه راهما في الجنة ونعيمها فبكي فقالا له ما يبكيك قال رحمة لكما الزوال
هذا النعيم عنكما فقالا فماذا يكون مانعا من زواله فزلهما بتاويله النهي
وقسمه علي ما قاله قالوا وهو اول من وقع منه الحسد والكذب في اليمين
وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتي غرهما وخدعهما بان الاكل ليس فيه مخالفة لما
نهي الله عنه والمومن يخدع مبني للمفعول اي من شانه انه يتخدع بتصديق
من غيره لسلامة صدره وظنه ان احدا لا ينافق ولا يكذب وليس هذا
لقلة ادعانه بل لانه لكونه لا يفعل ذلك يعتقد ان غيره مثله ولذا قيل
ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقد قيل في توجيه ذلك ايضا انه
نسي ولم ينو المخالفة للعهد الذي عهده الله له والنسيان مغتفر وفي تفسير
الثعلبي ان النسيان كان مواخذا به لنشاته عن اسباب اختيارية ثم نسخ
ذلك فلذلك قال الله تعالي ولم نجد له اي لادم عليه الصلاة والسلام عزما اي قصدا
للمخالفة لله فيما نهاه فان العزم التصميم علي فعل او ترك وهو مستلزم ما ذكر
وتقدم فيه تفاسير اخر واكثر المفسرين علي ان العزم معناه المراد منه هنا الجزم
وهو الاخذ بما فيه سداد بعد النظر التام فيه والصبر حتي يتيسر له مراده
من غير قلق واضطراب وقيل كان عند اكله سكران فلم يخالف قصدا والسكر لم
يكن حراما اذ ذاك والجنة ليست دار تكليف ايضا الا انه ورد ان خمر الجنة
ليس له سكر ولا خبال كخمور الدنيا ولا يخفي ان هذا الوجه في غاية الضعف
فالاولي تركه الا انه قول سعيد بن المسيب كما نقله البغوي وان ما ذكر غير
مسلم لا سيما ان قلنا ان الجنة ليست هي دار الخلد كما هو احد اقوال
المفسرين فيها ولذا قال المص وهذا القول ضعيف لانه تعالي وصف خمر الجنة بانها
لا تسكر فبنا في هذا الجواب وهو اشارة الي قوله تعالي لا فيها غول ولا هم عنها
ينزفون فانه فسر بانها لا تذهب عقولهم من نزف عقله اذا ذهب والكلام
عليه مفصل في التفاسير فاذا كان ادم عليه الصلاة والسلام ناسيا علي
احد الوجوه السابقة لم يكن ما فعله ادم معصية فلا يصح الاستدلال الجنيد
بالاية وكذلك اذا كان ملبسا عليه يعني تلبيس ابليس الذي غره به وقسمه
له بانه ناصح له وانه يريد خلوده في الجنة وعدم زوال نعمته وان نهي الله
له ليس بتحريمي مواخذ به كما يوخذ مما ياتي غالطا اي وقع من ادم عليه الصلاة
والسلام الغلط بقبوله تلبيسه وتغريره له بانه لا اثم عليه في اكله اذ الاتفاق
من ايمة الدين علي خروج الناسي والساهي من حكم التكليف يعني انه ليس مكلفا بنص القران

والحديث فلا يكتب عليه ذنب وايضا انه كان في جنة الخلد وليست دار تكليف
الا انه قيل ان السهو والنسيان كان مواخذا به شرعا ثم نسخ كما تقدم عن
الثعلبي وايضا قيل ان الجنة انما تصير دارا باحة دون تكليف بعد الحشر
واما قبل فلا على انه فيه بحث اذ المراد به انه ليس فيها تكاليف الدنيا كالصلوا
الخمس والزكاة ونحوهما مما علم من الاحكام الشرعية اما اذا قال الله تعالى لاهل الجنة
امرتكم بكذا او نهيتكم عنه فانه لا تجوز مخالفته بلا شبهة وهذا مما لا ينبغي
الغفلة عنه وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وهو ابو محمد بن الحسين الاصفهاني
امام اهل السنة والكلام وكان في عصره اجل من تصدر للوعظ والتدريس والتاليف
وله مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات عجيبة وله رحلة للهند وغيره ولما رجع
الى نيسابور مات في الطريق سنة ست واربعمايه فنقل الى نيسابور ودفن بها
وقبره يزار ويستجاب عنده الدعا كما ذكره المورخون كابن خلكان وفورك
بضم الفا وسكون الواو وفتح الرا وكاف وتقدم في صدر الكتاب التردد في
انه مصروف او ممنوع من الصرف وغيره من العلما انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة
وفي عصمتهم من الصغاير قبلها خلاف وقد جوزه كثير ودليل ذلك قوله تعالى وعصى
ادم ربه فغوى ثم اجتباه اي اختاره لنبوته ربه فتاب عليه مما صدر منه قبل النبوة
وهدى اي هداه الى علمه فذكر ان الاجتبا والهدى مصدر بمعنى الهداية وليس
على هذا الوزن مصدر الا الهدى والسرى والتقى على كلام فيه في شرح
سيبويه كانا بعد العصيان لعطفه بثم كما لا يخفى فالمعنى ان الله ارتضاه
لنبوته وانه لم يصدر عنه ذنب بعد ما نبي والاجتبا الاختيار من جبيت
الما في الحوض اذا جمعته فالاجتبا جمعه للمعارف والعلوم الدينية وقد قيل
عليه انه في غاية البعد لان ظاهر الحال من سجود الملايكة لادم واظهار فضله
عليهم ومخاطبته في حضرته يمنع هذا الاحتمال اذ لا معنى للنبوة غير هذا
فالاستدلال به على نبوته اولى مما استدل به المص رحمه الله وقيل في الجواب
عما استدل به على تجويز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام بل اكلها
متاولا لحل اكله وانه لا يصدر عنه به معصية واشار للتاويل بقوله وهو لا يعلم
انها الشجرة التي نهي عنها بالبنا للمفعول اي التي نهاه الله عنها في الاية لانه تاول
نهي الله تعالى له بقوله لا تقربا هذه الشجرة الاية بانما نهى عن شجرة مخصوصة لقوله من
هذه الشجرة لان اسم الاشارة موضوع لفرد معين مشاهد لا على الجنس اي انه
نهي عن جنس هذه الشجرة الشامل لجميع افرادها وبعضهم قال ان اسم الاشارة
قد يشار به الى الجنس مجازا وبه صرح النحاة كما في اول شرح الكتاب والمراد
بالجنس الكلي مطلقا فيشمل الجنس والنوع وغيره ولبعض الشراح هنا كلام
لا محصل له ولذا اي لاجل انه تاول بما ذكر قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ
قال الراغب التحفظ قلة الغفلة وحقيقته تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة

ابن افبرس

ابن افبرس

انتهي

انتهي والمراد ترك التيقظ والتنبه وقيل في الجواب وبيان تاويله انه تاول
ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم وانما هو نهي تنزيه عن خلاف الاولي وكونه لا ينافي سبب
قوله فتكونا من الظالمين كما قيل سيأتي ما يدفعه في كلام المص فان قيل فعلى كل حال
مما ذكرته في توجيه ما صدر من ادم كيف يكون لا معصية فيه وهو مشكل
فقد قال الله تعالى في هذه القصة وعصى ادم ربه فاثبت له المعصية بما فعله وانت
قررت خلافه وقال فتاب عليه وهدى والتوبة انما تكون عن ذنب وقوله اي قول
ادم المحكي عنه في حديث الشفاعة في المحشر للخلق كما تقدم ويذكر ذنبه لما طلب الخلق منه
ان يشفع لهم في الخلاص من هول الموقف فقال لهم اذهبوا لغيري من الانبيا
فيذكر ذنبه وانه يستحي من ربه وقال اني نهيت عن اكل الشجرة اي عن اكل
شي منها فعصيت بفعلي ما نهى الله عنه فهذا كله يقتضي انه صدر منه
ذنب ومعصية فينافي ما وجهته به فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه مما
يقتضي ارتكاب الذنوب مجملا مختصرا في اخر هذا الفصل ان شا الله تعالى
واما قصة يونس بن متي فقد سبق اي الكلام على بعض منها انفا اي قريبا من قولهم
استانفت الشي اذا ابتدأته وانف اسم فاعل منه صار بمعنى قريب وليس
في قصة يونس المذكورة في القران نص على ذنب صدر منه حتى يتمسك بها من جوزه
عليهم وانما ذكر فيها اي في قصته انه ابق اي فر وهرب وقد يفرق بين الاباق
والهرب بعد تخصيصه بالعبد فيخص الاباق بما كان بلا خوف كما في القاموس
وغيره ولذا عبر به لما فيه من المزايا هنا بخلاف الهرب وكان يونس كما تقدم
دعا قومه فلم يطيعوه فوعدهم العذاب فلما تاخر عن موعده خرج من بينهم
وذهب مغاضبا اي غضبان فمغاضب هنا كما قيل ليست كغيرها من المفاعلة وغضبه
على قومه لا على ربه وان قيل به واول وقيل انه خشي القتل وقد تقدم
تفصيله كما اشار اليه بقوله وقد تكلمنا عليه اي تقدم منا الكلام في يونس
وقصته وقيل انما نقم الله عليه اي عاب فعله ولامه عليه وكرهه ونقم بكسر
القاف وقد تفتح خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب بهم وهو بين اظهرهم
فكان ينبغي له الثبات اعتمادا على ان الله ينجيه كما نجى نوحا وغيره من انبيايه
حتى الية ما يريد وقيل بل لما وعدهم اي قوم يونس العذاب استعمل الوعد
مع العذاب مع انه يختص بالخير تهكما كقوله فبشرهم بعذاب اليم فلا وجه
لما قيل انه عام بحسب الوضع الاصلي ثم عفا الله عنهم لانه لما وعدهم العذاب
لثلاث ورأوا مقدماته ضجوا الى الله تعالى ولبسوا المسوح وفرقوا بين
الامهات والاولاد وتابوا وقالوا امنا بيونس فعفى الله عنهم وهو صلى الله
عليه وسلم لا يعلم بذلك قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا العدم علمه بما عاينوه
وخصهم الله بقبول توبة اليأس كما قال تعالى الا قوم يونس الاية وقيل بل
كانوا اي من عاد ثم انهم يقتلون من كذب فخاف ذلك اي القتل لتخلف ما وعدهم به

ابن افبرس

عرضي

وقيل قايله وهب ضعف عن حمل اعبا الرسالة اعبا بالهمز جمع عب كحمل
وهو الحمل الثقيل كما تقدم وكان كما قال وهب في خلقه ضيق ولذا اخرجه
الله عن اولي العزم بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تكن
كصاحب الحوت وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم فان ما وعدهم به من
العذاب نزل بهم حتى راوا اغامة فيها دخان اظلتهم لكنهم لما تضرعوا
الي الله كشفه عنهم وهذا المذكور في قصته كله ليس فيه نص على معصية
صدرت منه حتى يستدل به على ما ادعوه كما تقدم الا على قول مرغوب
عنه اي متروك لضعفه وهو انه خرج من غير اذن من الله في الخروج
وترك القيام حتى ياذن الله له وقوله تعالى اذ ابق الي الفلك المشحون قال المفسرون
اي تباعد والفلك يكون مفردا وجمعا ومعناه السفينة والمشحون
بمعنى المملوء وتفسير ابق بتباعد مذهب المبرد فاشار به الي ان تعبيره
بهذا يقتضي انه لم يعص الله ولم يخرج بغير اذنه كالعبد الابق من سيده
ولذا ذكره المص رحمه الله تاييدا لما قبله ومن لم يقف على مراده قال
ليس في ذكره هنا كبير فايدة فان كل ابق متباعد من سيده وانما
يحل الاستدلال لقوله فظن ان لن نقدر عليه وقد تقدم الكلام عليه واما
قوله عز وجل اني كنت من الظالمين فانه يقتضي انه صدر منه ذنب كما اشار
اليه بقوله فالظلم حقيقته معناه وضع الشي في غير موضعه مطلقا فيشمل
الذنب وغيره ومنه ظلم السقا اذا شربه قبل ان يرويه فهذا اي جعله
من الظالمين اعتراف منه عند بعضهم بذنبه لتبادره من الظلم عرفا وشرعا
لا لغة كما تقدم فاما ان يكون ذنبه لخروجه عن قومه بغير اذن ربه في الخروج
من بينهم على عادة الانبيا اذا ارادوا الهجرة كما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم لما هاجر الي المدينة وهو مفصل في الصحيحين او ذنبه ضعفه عما
حمله من اعبا الرسالة لضيق صدره كما تقدم او لدعايه بالعذاب على قومه
وهذا التوجيه ضعيف لان الدعا على الغير اذا راى منه ما يسوءه لا يعد
ذنبا والي هذا اشار بقوله وقد دعا نوح على قومه بالهلاك فلم يواخذ اي لم
ينقمه الله ولم يعاتبه عليه وذلك قوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فدل هذا على ان عده ذنبا لا يتجه وقال الواسطي رحمه الله تقدمت ترجمته
في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم بقوله سبحانك اني كنت من الظالمين
ولم يقل سبحانك على شانك عن صدور ظلم منك واضاف اي نسب الظلم الي
نفسه اعترافا ببراءة الله من مثله او لقصور البشرية حتى يجوز ذلك عليه
ولا يبري نفسه واستحقاقا لذلك وان لم يقع بالفعل فالحاصل انه ذكره
هضما لنفسه وبيانا لاستعداد البشر لمثله وانما يحفظهم الله بلطفه
ومثل هذا في تنزيه الله وبيان قصور نفسه قول ادم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا

ابن اقبرس

٣ما

مع ما تقدم من بيان العذر فيما صدر منهما وانما اضافا الظلم اليهما
اذ كانا اي ادم وحوى السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه
اي انزلهما الله فيه قبل الاكل من الشجرة في الجنة واخراجهما من الجنة اي جنة
الخلد التي وعد المومنون وقيل انها جنة وبستان اخر في الدنيا على
خلاف مشهور فيه للمفسرين وانزالهما من الجنة التي هي فوق السما الي الارض
الدنيا وقوله وضعهما الخ اشارة الي ان الظلم فيه بمعناه اللغوي وهو
وضع الشي في غير موضعه مطلقا كما تقدم انفا فان قلت اذا كان
دعا نوح ليس بذنب فلم قال اذا طلب اهل المحشر منه الشفاعة اني دعوت
على قومي فخشي ان لا تقبل شفاعته قلت قد اجابوا عنه بانه ليس لانه
بذنب بل لان لكل نبي دعوة عظيمة مستجابة فهو قدمها في الدنيا لما دعا
عليهم لا لانه ذنب وقيل غير ذلك وعاتب الله يونس دون نوح عليهما
الصلاة والسلام لان يونس لم يصبر وعجل الدعا ونوح دعاهم الف سنة
حتى مل من دعوتهم ويئس منهم واما قصة داود صلى الله عليه وسلم فلا يجب
كان الظاهر ان يقول لا يجوز او لا يصح ان يلتفت الي ما سطره فيها اي كتبه في كتبهم
الاخباريون اي اصحاب القصص ونسب الجمع على خلاف القياس لانه اراد
به قوما معينين كانصاري فانه شبه العلم كانماري وعدم الالتفات كناية
عن عدم الاعتبار بذكر ذلك واعتقاده فانه لا يليق ببعض الصالحين فضلا
عن الانبيا لكنه اراد بعدم الوجوب الامتناع وعدل عن الظاهر لنكتة وقوله
عن اهل الكتاب متعلق بسطر لتضمنه معنى نقل الذين بدلوا اي حرفوا كتبهم
وغيروا ما فيها بادخالهم ما لا اصل له وهو علة لعدم جواز النقل لما رووه
ونقله بعض المفسرين في تفاسيرهم وكان ينبغي لهم ان لا ينقلوه وذلك قولهم
ان داود صلى الله عليه وسلم كتب الي ايوب قايد جيشه ان ابعث اوريا
اي زوج المراة الحسنا التي راها داود وهو يصلي في محرابه فتعلق
قلبه بها امامه الي وجه العدو قبل التابوت وكان من يتقدم مع التابوت
لا يجوز له ان يرجع حتى يفتح على يديه او يستشهد فقدمه ففتح على يديه
فكتب اليه ثانيا ان ابعثه الي موضع كذا امره بعد مرة حتى قتل فتزوج امراته
ولم ينص الله تعالى في قصته في القران على شي من ذلك الذي ذكروه في قصصهم
ولا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح يعتمد على روايته والمراد
بالصحيح هنا ما يشمل الحسن فانه كثيرا ما يستعمله الفقها بهذا المعنى
والذي نص الله عليه في القران قوله وظن داود انما فتناه الي قوله وحسن ماب
فهذا هو الصحيح نصا ثم انه لما ورد عليه ان في هذا النص ما يقتضي ايضا
صدور ذنب وفتنة تاب منها فما المراد بها وما الجواب عنها قال وقوله
فيه اي في هذا النص اواب اي كثير الرجوع عما صدر منه الي الله بالتوبة

فهو مثل تواب في ابهام صدور ذنب منه ثم عني فتناه في هذه الاية اختبرناه
اي جربناه وامتحناه والمراد فعلنا به فعل الممتحن ليظهر حاله للناس
من فتنت الذهب اذا اصفيته من غشه وهذا حقيقته فليست الفتنة
هنا بايقاعه فيما يضره من الاثام كما هو المعني المتداول في عرف اللغة ومعني
اواب هنا كما قال قتادة في تفسيره مطيع لكثرة رجوعه لامره وهذا التفسير اولي
من تفسيره بتواب من الذنوب وهذا التفسير نقله البغوي عن ابن عباس
ايضا وقال ابن عباس وابن مسعود في تفسيره لفتنته ما زاد داود علي ان قال
للرجل يعني اوريا زوج المراة الحسنا التي راها انزل لي عن امراتك اي افرغ عنها
وطلقها لاتزوجها لا انه ارسله لما يضره حتي قتل اكفلنيها اي ضمها الي
بالدخول تحت نكاحي ومنه الكفالة لانها ضم ذمة الي ذمة كما قصه الله في مرافعة
الملكين له وقوله ان هذا اخي الي قوله اكفلنيها وعزني في الخطاب مما ضربه
الله مثلا لما صدر منه فعاتبه الله علي ذلك الفعل الذي صدر منه ونبهه عليه
علي ما فيه من خلاف الاولي اللايق بمقامه عدمه وانكر عليه شغله بالدنيا وما فيها
من النكاح ونحوه وهذا الذي قاله بن عباس وابن مسعود هو الذي ينبغي ان
يعول عليه اي يعتمد عليه فيروي ويعتقد من امره وامر امثاله من رسل الله
عليهم الصلاة والسلام لا ما نقل عن اهل الكتاب وقد قيل انه انما خطبها اي طلب
تزوجها علي خطبته بكسر الخا وهي طلب الزوجة وهو من الخطابة بالضم وكان داود
صلي الله عليه وسلم لم يعلم بخطبته فلا ذنب اصلا وقيل ان الذي عتب الله عليه
انه احب قلبه ان يستشهد ليتزوج بامراته لا انه صرح به وباشر اسبابه كما مر
وهو ميل قلبي لا يواخذ به لانه خطر بقلبه انه لو استشهد تزوجها لانها
اعجبته وعلي هذه الوجوه لا معصية فيه اما طلب النزول عن زوجته فكان جايزا
عندهم كما كان في اول الهجرة بين الانصار والمهاجرين واما الخطبة علي
الخطبة فانها وان كانت حراما عندنا بغير رضي وفراغ فلعله جايز عندهم
او لم يعلم بما اعلمه الله به فلا حرج عليه واما خطرات القلوب فلا يواخذ بها
وما عداه لا يجوز نسبته لهم ولا التحدث به ولذا قال علي رضي الله عنه من
حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته ماية وستين وهو حد
الفرية علي الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذه القصة نظير قصة نبينا
صلي الله عليه وسلم مع زيد رضي الله عنه في زوجته ام المومنين زينب
بنت جحش كما ياتي لما راها الا انه صلي الله عليه وسلم لم يطلب من زوجها
فراقها بل قال له امسك عليك زوجك حتي زوجها الله له وفيه منقبة
عظيمة له وقد ابتلي الله بالنسا ثلاثة من الانبيا نبينا وداود ويوسف
عليهم الصلاة والسلام ابتلا الحكم خفية منه وبقية الكلام علي هذه القصص
مفصل في التفاسير وكتب الحديث فلا حاجة للتطويل بها هنا وكثرة القيل

والقال

والقال كما فعل في الشرح الجديد وحكي السمرقندي في تفسيره وقد قدمنا ترجمته
وانه ابو الليث الامام المشهور ان ذنبه الذي استغفر منه اي طلب مغفرته
والعفو عنه لم يكن ذنبا كما توهموه وانما هو قوله لاحد الخصمين اي الملكين اللذين
اتياه في صورة رجلين متخاصمين له لقد ظلمك بسوال نعجتك الي نعاجه
وظلمه بتشديد اللام اي نسبه للظلم بقول خصمه اي بمجرد قوله من غير كشف
لحال خصمه وتثبت في امره وهو خلاف الاولي وقد قال ابن العربي انه لا يجوز
في ملة من الملل فما قاله السمرقندي لا يجدي هنا واجيب عنه بانه
انما قاله لانه راي خصمه سلم له مقالته ولم ينكر عليه فظنه رضي بما قاله
وكلام الله مبني علي غاية الايجاز فكانه قال تمهل وعلم بسكوته رضاه او هو
بتقدير ان كان كما تقول فقد ظلمك وقال الحليمي انه سمع قول المتظلم فاستعجل
ولم يساله عن ظلمه ولذا عاتبه ولم يرض فعله والاحسن ما قدمناه والي نفي
ما اضيف في الاخبار اي ما نسب في الاخبار السابقة الي داود من ذلك الذي رووه
ذهب احمد بن نصر وقد تقدمت ترجمته وابو تمام قال البرهان هو حبيب بن اوس
الطايي ونسبه معروف وانه هو الشاعر المشهور صاحب الديوان وترجمته
معروفة وبلاغته ورتبته معروفة في معرفته باللغة والعربية وهو في الطبقة
العليا من المولدين متقدم العصر والرتبة علي المتنبي لكن لم نر من عده
من علما الحديث والتفسير فهو غلط من اشتراك الاسم وقد نقل المص في
هذا الكتاب كثيرا عن محمد الابهري من علما المالكية من اهل طليطلة وهو يلقب
بابي تمام وهو المراد هنا وما قاله الشراح هنا واصحاب الحواشي من انه ابو
تمام الشاعر المشهور خطا فانا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيا مما يتعلق
بالامور الشرعية وانما غرهم الاشتراك اللفظي وهذا مما اشتبه فيه
ويويده قوله وغيرهما من المحققين فان عد ابي تمام الشاعر محققا مما لا يعرف
فهو مويد للوهم فيه وقال الداودي تقدم الكلام عليه وترجمته ليس في قصة داود
صلي الله عليه وسلم واوريا خبر رواه المحدثون في كتبهم المعتمدة ثبت بفتح المثلثة
وسكون الموحدة وتا مثناة فوقية اي ملتبس بثبوت النقل فيه واوريا هو
ابن حنان زوج المراة التي تزوجها داود بعده كما تقدم وهي ام سليمان
نبي الله عليه الصلاة والسلام واوريا قال الانطاكي في حواشيه بضم الهمزة — انه ء
وسكون الواو وكسر الرا المهملة ومثناة تحتية ومدة تليها همزة وضبطه غيره
بفتح الهمزة الاولي وقال البرهان لا اعلم فيه نقلا فلا يظن بنبي محبة قتل مسلم
كما قالوه ولا ينافيه ما قدمه من قوله انه صلي الله عليه وسلم احب بقلبه ان
يستشهد كما قيل فان المص لم يرتضه بل مرضه بقوله وقيل الامام وما قيل
من ان كلام الداودي طعن في الروايات من غير دليل ليس بشي فان ما ورد — ابن اقبرس
فيه ما لا يليق بمقام الانبيا والاقدام عليه من غير رواية صحيحة لا يليق

والثاني لا يطلب منه دليل وقيل ان احد الخصمين الذين اختصما اليه بان ادعى احدهما على الاخر رجلان حقيقة لا ملكان في صورة رجلين وهما جبريل وميكائيل في نعاج جمع نعجة وفي نسخة نتاج غنم على ظاهر الاية من غير تاويل بانهما ملكان اتياه في صورة رجلين ينبهاه على ما صدر منه من خلاف الاولى لا كما قاله اصحاب القصص وهذا وقع في بعض النسخ ولبس في الام والحاصل ان ما اشتهر بين القصاص واهل الكتاب واغتر به الحشوية لم يثبت والذي قصه الله عنه ليس فيه ما يأباه مقام النبوة واما قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وما نقله اهل القصص فيها مما يقتضي صدور ذنب منه كما تمسك من جوز مثله على انبيا الله مما لا اصل له في نص من القران ولا من الاحاديث الصحيحة واخوته ابنا يعقوب اثنا عشر من زوجتين له راحيل ام يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين تزوجها بعد اختها ليا واسما اخوته مذكورة في التفاسير والتواريخ مع اختلاف في ضبط اسمائهم واكبرهم اسمه روبيل فليس على يوسف فيها اي في تلك القصة تعقب اي اعتراض مما يدل على طعن فيه او نقص ينسب اليه مما لا يناسب مقامه عليه الصلاة والسلام وهو الكريم بن الكريم واصل العقب ان يمشي على اثره كانه يطوء عقبه ثم استعمله المصنفون بمعنى الاعتراض على يوسف فيقال تعقب كلامه اذا اورد عليه ايرادا ما اي فلا اعتراض على يوسف نفسه فيما حكاه عنه كما بينه المفسرون واما اخوته والاعتراض على ما صدر منهم من القا يوسف في الجب وكذبهم على ابيهم عليه الصلاة والسلام وعقوقهم له فلم تثبت نبوتهم حتى ينافي ما فعلوه لانهم غير معصومين وقال السيوطي في رسالة سماها دفع التعسف عن اخوة يوسف لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين نبوتهم ونقل عن ابن زيد انه قال بنبوتهم وانكره اخرون والمفسرون منهم من قال انبيا ومنهم من رده كالقرطبي والرازي وابن كثير ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزي ومنهم من لم يتعرض له وفسر الاسباط باولاد يعقوب فحسبوه قال بنبوتهم وسياتي بيانه فيلزم بالنصب في جواب النفي الكلام فاعله على افعالهم وتوجيهها وقوله ذكر الاسباط وعددهم في القران عند ذكر الانبيا يوهم انهم انبيا وانما اراد ذرية يعقوب لا اولاد صلبه وهم من ولدهم بغير واسطة لحصوله لمن يخرج من صلب ظهرهم كما اشار اليه المص قال المفسرون يريد من نبي بينا المجهول اي صار نبيا من ابنا الاسباط لا اولاده لصلبه كما تقدم وقال ابن كثير لم يقم دليل على نبوتهم وظاهر القران خلافه ومنهم من زعم انهم اوحي اليهم بعد ذلك لقوله تعالى والاسباط ولا دليل فيه لان بطون بني اسرائيل يقال لهم اسباط كالقبائل في العرب والشعوب في العجم فلا يدل على انه اوحي اليهم باعيانهم بل على ان ذرية يعقوب انبيا ولا وجه لتفسير الاسباط باولاد يعقوب لصلبه كما قال ابن تيمية واصل السبط الشجرة الملتفة الاغصان ثم اطلق على اولاد يعقوب لكثرتهم والسبط الحافد ايضا كما قيل الحسن والحسين

سبطا

سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اثنتي عشرة اسباطا انما صرح فيه ان الاسباط الجماعات الكثيرة مطلقا فتخصيصه باولاد الصلب خطا ولم يكن فيهم نبي قبل موسى غير يوسف وفي الحديث اكرم الناس يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي فلو كان اخوته انبيا شاركوه في ذلك وما في قصتهم من العقوق والكذب صريح في عدم نبوتهم وانما نشا الغلط من لفظ الاسباط كما قاله ابن تيمية في رسالة له في ذلك وقيل وهو احد الاقوال الثلاثة كما فصلناه انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما حكاه الله عنهم في سورة يوسف صغار الاسنان جمع سن وهو زمان العمر اي اطفالا غير مكلفين ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به بمصر لبعد العهد به اي لم يعرفوه لانهم فارقوه وهم غير مميزين وفي عبارته لطيفة هنا ولهذا اي لكونهم حين صدر عنهم ما صدر قالوا لابيهم ارسله معنا غدا اي نتجارى ونتسابق ونلعب واللعب لا يليق بالرجال وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا الفعل على احد الاقوال المتقدمة والله اعلم بحقيقة حالهم وهذه الدلالة بحسب الظاهر المتبادر فان الكبار قد يلعبون ويتسابقون وهو على قراءة نرتع ونلعب بالنون وعلى القراءة الاخرى يرتع ويلعب بالياء المثناة التحتية هو بضمير الغيبة ليوسف دونهم فلا دليل فيه وكذا عدم معرفتهم له انما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به لان مدة مفارقتهم اربعون سنة او ثمانون بحسب الظاهر اذ يجوز ان لا يعرفوه لتغيير زيه وكونه بكهيئة الملوك ذوي الهيبة ولعدم قربهم من مجلسه ومثله من الامارات الظنية يكتفى فيه بهذا القدر واما ما استدلوا به على وقوع الذنب والمعصية منهم وهو قول الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ضمير همت لامراة العزيز وضمير هم ليوسف عليه السلام والهم يكون بمعنى العزم المصمم على امر وبمعنى ميل طبيعي غير اختياري وهمها بالمعنى الاول وهو ارادتها الفاحشة وهمه بالمعنى الثاني وهو غير مذموم اذا كف عنه بل ممدوح يوجر عليه لو سلم فان قلنا بعدم وقوعه لانه في المعنى جواب لولا ان جوزنا تقديمه عليها على ما ياتي او قائم مقامه اي لولا رؤيته البرهان هم فيدل حينئذ على انه لم يهم بها وما وقع في القصص من حل السراويل وما بعد ذلك كذب لا اصل له وبرهان ربه قيل انه راى يعقوب عليه الصلاة والسلام عاضا على اصبعيه وهو يقول اتفعل فعل السفها وانت مكتوب من الانبيا بان تصورت له صورته او راه حقيقة وفرج له السقف وقيل ضرب صدره بيده فنزعت منه شهوته وقيل نودي بصوت من ورا الحجاب فقام هاربا ومضت خلفه وقيل انما تمثل له جبريل فصده فعلى طريق جماعة من الفقها والمحققين ان هم النفس لا يواخذ به مطلقا لانه امر اضطراري وفسره بقوله وليس سيئة اي خطيئة ومعصية لقوله صلى الله عليه وسلم نقلا عن ربه يعني في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه وهو حديث طويل اذا هم عبدي بسيئة اي عزم عليها

وقصدها فلم يعملها بان تركها خوفا من ربه كتبت له حسنة لمجاهدته نفسه بصرفها
عما تريده فلا معصية في هذا اي في هم يوسف اذن اي على هذا القول والتقدير
واما على مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين كابي بكر الباقلاني الذين راوا تعارض النصوص
فدققوا النظر في التوفيق بينهما فانهم فصلوا في ذلك تفصيلا فان الهم الذي يخطر
بالبال اذا وطنت عليه النفس عازمة على الفعل اي صممت وجزمت عليه واصل
معناه اتخذوه وطنا ثم نقل لما ذكر بعد ما كان مجازا لعلاقة ظاهرة يقال وطنت
نفسي واوطنتها اذا احملتها على امر فاستمرت سيئة تكتب عليه فهو مرفوع خبر
ان ونصبه خبر كان مقدرة بعيد واما ما لم توطن بالبنا للمفعول عليه النفس من همومها
جمع هم بمعنى نية وعزم وخواطرها عطف تفسير فهو المعفو عنه لا ما قبله وهذا هو
الحق فيكون ان شا الله هم يوسف من هذا القبيل المعفو عنه فلا يتم الاستدلال بهذه
القصة على تجويز الصغاير والحاصل انه ذهب كثير من العلما الى ان هم المرء
وخاطر نفسه لا يواخذ به فلا معصية في ذلك على هذا وذهب بعض الفقها
والمحدثين الى ان الهم اذا لم توطن عليه النفس معفو عنه واذا وطنت عليه
وصممت كتبت سيئة والنصوص فيه متخالفة فما تقدم من حديث مسلم واحاديث
اخر في معناه يدل على انه لا يواخذ به وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله وقوله يواخذكم بما كسبت قلوبكم ونحوه يدل على خلافه والتوفيق
بينهما كما قاله الغزالي من ان اول ما يرد على القلب كروية امراة على الطريق
مال لها ويسمي حديث النفس وخاطرا والثاني ما يتولد منه من الرغبة
واعادة النظر وهو الميل الطبيعي والثالث حكم القلب بانه ينبغي ان
يفعل وينبغي اعادة النظر والرابع التصميم على ذلك وترك الصوارف عنه
كالحيا والاول لا يواخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا هيجان النفس
والميل والشهوة لانها لم تنبعث اختيارية وهي المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وهو الخواطر التي لا يتبعها هم وعزم واما
الاعتقاد وحكم النفس بانه ينبغي ان يفعل فيكون اضطراريا ولا يواخذ
به واختياريا فيواخذ به والرابع يواخذ به فان لم يفعل نظر فيه فان تركه
خوفا من الله وندما على همه كتب له حسنة لمجاهدته لنفسه وان تركه
لعايق وعذر غير خوف الله كتب عليه وفي الحديث ما يدل على هذا التفصيل
وهو كلام حسن وهم يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزما ونقضه ما منعه
منه خوف ربه فهو حسنة لا معصية ثم اشار الى الجواب عن سوال مقدر
بقوله ويكون على تقديرانه معفو عنه قوله وما ابري نفسي الاية معناه وتفسيره
الذي بينه بقوله اي ما ابريها من هذا الهم يعني ما انزهها عنه لانه امر
جبلي لا يحمد ولا يذم وقيل او يكون ذلك اي قوله ما ابري نفسي صدر منه على
طريق التواضع باظهار انه غير منزه عما يشين لان الكمال لله لا انه صدر منه

مثله

مثله حتى يتمسك به والاعتراف بمخالفة النفس اي ما ابريها من الهم
بالمعاصي وقد فعلت ولكني خالفتها وصرفتها عن همها وهو امر حسن منه
لما بكسر اللام وتخفيف الميم زكي قبل وبري منه في الايات السابقة وهذا بنا
على ان قوله وما ابري نفسي من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام وقد قيل
انه من كلام امراة العزيز متصل بقولها ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
والوجهان مذكوران في التفاسير وعلى هذا لا يرد السوال اصلا فكيف
تاييد لما هو بصدده من انه لا اعتراف بصدور ذنب منه في كلامه وقد
حكى ابو حاتم قيل ولعله ابن ابي حاتم في تفسيره عن ابي عبيدة معمر بن المثنى
وقد تقدمت ترجمته وابو حاتم الرازي هو الامام الحافظ الجليل محمد ابن
ادريس بن المنذر الحنظلي احد الاعلام في التفسير والحديث ولد سنة خمس
وتسعين ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع وسبعين ومايتين ان يوسف
عليه الصلاة والسلام لم يهم اي لم يقع منه هم يعد معصية وان الكلام اي
النظم القراني الذي نحن فيه فيه تقديم وتاخير اي وبيانه لقد همت امراة
العزيز به اي بيوسف وتكليفه بما ارادته ولولا ان راى برهان ربه لهم بها
قال الشريف المرتضى في كتابه الدرر والغرر انه على هذا يجري مجرى
قولهم كلمته قد كنت هلكت لولا اني تداركتك اي لولا تداركي هلكت
وانه لم يقع هلاك واستشهد له بقوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طايفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع واستبعد قوم تقديم جواب
لولا عليها وهو اولى من حذفه وذكر شواهد استشهد بها على جواز تقديمه
ردا بها على من قال انه لا يجوز انتهى فما قيل ان جواب لولا محذوف
لعدم جواز تقديمه غير مرضي وهذا مذهب الزمخشري والزجاج
لكن المرتضى علم من الايمة في العربية وغيرها فلذا اختير قوله ويقدر بلفظ
ما قبله او لواقع المعصية وامراة العزيز اسمها راعيل وقيل زليخا كاربخا
بفتح اوله وضمه خطا وقد قال تعالى حكاية عن المراة المذكورة انفا ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم واسم زوجها العزيز قطفير والمراودة الطلب من راد يرود
اذا جا وذهب اي طلبت منه ان يضاجعها ومعنى استعصم امتنع
لعصمة الله له وفيه دليل على انه لم يقع منه هم بالمعنى الذي قالوه ومما يويده
انه قد قال تعالى في حقه كذلك اي عصمناه لنصرف عنه السوء والفحشا اي
ليلا تميل نفسه لما اريد منه من معصية الله والجار والمجرور في محل نصب او
رفع اي ثبتناه تثبيتا كذلك او امره كذلك والسوء الزنا او الذكر القبيح
او عقوبة الملك والفحشا موافقة المراة ونحوها مما يقبح وقال تعالى في
هذه القصة وغلقت الابواب معطوف على قوله راودته وغلق الباب تغلقه
والتفعيل للتكثير وقفلها لتخلو به لما ارادته وقالت هيت لك هيت اسم فعل

مبني علي الفتح واللام للتبيين كما في سقيا لك وقال الراغب هيت قريب من
هلم وقري هيت لك اي تهيات لك ويقال هيت به اذا قلت له هيت لك انتهي
قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية اي قال حين راودته معاذ الله اي اعوذ
بالله منك ومما اردت التجا الي الله في دفع ما همت به وهو منصوب علي
المصدرية والمثوي بمعني المقام من ثوي بالمكان اذا اقام به وقيل في معني
ربي هنا انه الله تعالي وقيل الملك بكسر اللام وهو زوج زليخا وضمير انه للشان
خبر ربي احسن مثواي فالرب يطلق علي الله وعلي غيره ومعناه المالك والسيد
والمربي والمنعم وفي اطلاقه علي غير الله تفصيل في التفاسير مشهور وتقدم
مرارا والنهي عن اطلاقه علي غير الله تنزيهي ومعني احسن مثواي انه احسن
القيام بي وتعهدني باكرامه لي وانعامه وقيل معني هم بها انه هم بزجرها
ليمنعها عن مراودته ووعظها بتخويفها من الله ولحوق العار بها وقد
قال المفسرون كابن عطية انه وجه ضعيف لمخالفته للظاهر وقيل معني
هم بها غمها امتناعه اي عن معاملتها بما ارادته فهو من الهم بمعني الغم والبا
للتعدية بمعني اهمها اذا اوقعها في هم وحزن وهو بعيد وان كان فيه
مشاكلة وتحسين للتعقيد المعنوي فيه وقيل انه بعيد من اللغة لانه
بهذا المعني متعد بنفسه يقال همه الامر اذا احزنه وقيل معني هم بها نظر
اليها وهو في غاية البعد وقيل معناه هم بضربها ودفعها حين امسكته
وهذا كله بتقدير مضاف والحاصل معناه والحامل علي هذه التاويلات
صرفه عما لا يليق بمقام النبوة وقيل هذا كله كان قبل نبوته بناء علي
عدم العصمة قبلها وقد تقدم بيانه وقد ذكر بعضهم انه ما زال النساء يملن
الي يوسف عليه الصلاة والسلام ميل شهوة لما جبلت عليه طباعهن حتي نباه الله تعالي
اي جعله نبيا فالقي عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من يراه عن
الانشغال بالنظر الي حسنه وجماله ومهابة الانبيا امر معلوم كما نشاهده
في بعض العباد فضلا عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام واما خبر موسي صلي
الله عليه وسلم الذي استدل به علي جواز صدور الذنب من الانبيا وما جري له
مع قتيله الذي وكزه وهو رجل كافر كان طباخ فرعون لعنه الله وكان
يسخر الناس لحمل الحطب لمطبخ فرعون فسخر رجلا من بني اسرايل فاستغاث
منه بموسي عليه الصلاة والسلام لما كبر وكان موسي قويا في جسمه فنهاه
عن تسخيره فلم ينته فضربه بيده لدفع ظلمه فمات والوكز بمعني وهو
الدفع ومنهم من فرق بينهما بان الاول في الصدر والثاني في الظهر وقيل
باطراف الاصابع وقيل غير ذلك وهو امر سهل فقد نص الله تعالي في
القران علي انه من عدوه اي كان كافرا من كفرة القبط وموسي موحد
قبيل من بني اسرايل اي من قوم بينهم وبين بني اسرايل عداوة ومحاربة

فلا

فلا يمتنع عليه قتله لدفع ضرره مع انه لم يقصد بضربه قتله وانما قصد
دفعه ودفع ظلمه ومثله لا يحرم واشار الي ذلك بقوله قيل كان من القبط علي
دين فرعون اي كان كافرا علي ملة آمره بها من عبادته او غير ذلك والقبط
نبط مصر وقوم فرعون وهم جيل من الناس معروفون ودليل السورة اي السورة
تدل بمنطوقها في هذا كله اي فيما قصه الله من هذه القصة انه قبل نبوة موسي
فانه لما قتله فر خايفا فكان ما كان له مع شعيب عليه الصلاة والسلام
اي جري له معه ما جري وتزوج ابنته ثم تنبا لما فارقه كما قصه الله
وقبل النبوة لم يكن معصوما من الخطا فيصدر عنه مثل هذا وان لم يكن
معصية لانه لم يضربه بالة جارحة فهو خطا شبه عمد ولم يكن ثمت
شرع ولذا قال وقال قتادة وكزه بالعصا وليست جارحة بل مثقل ولم يتعمد
بضربه ويقصد قتله فعلي هذا لا معصية في ذلك اي فيما فعله موسي في هذه
القصة حتي يستدل بها علي ما ادعوه وقوله اي قول موسي المحكي عنه
مما يقتضي ان ما صدر عنه معصية هذا من عمل الشيطان اي هذا
الذنب مما القاه الشيطان وقوله ظلمت نفسي بعمل ما قالوا انه معصية
ولذا قال فاغفر لي ما صدر مني فلولا انه ذنب لم يطلب مغفرة الله له
قال ابن جريج بصيغة التصغير وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
ابو الوليد او ابو خالد القرشي مولاهم احد الاعلام الفقها قال موسي صلي الله
عليه وسلم ذلك المذكور من نسبة عمله للشيطان وطلب مغفرته من اجل انه لا ينبغي
اي لا يصح ويليق لنبي ان يقتل احدا حتي يومر بالبنا للمفعول اي يامره الله
او من له الامر ولذا كان صلي الله عليه وسلم في اول امره لم يوذن له في القتال
ثم اذن له في ذلك بعدما هاجر المسلمون الهجرتين فموسي صلي الله عليه وسلم اذا
لم يوذن له في ذلك فهو غير جايز وقال النقاش في تفسيره لم يقتله موسي عن عمد
حال كونه مريد القتل والمقصود بالنفي الحال وانما وكزه وكزة مفعول مطلق موكد
يريد بها دفع ظلمه للناس وعدم تسخيرهم وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة اذ لم
يكن مامورا بشرع وهو مقتضي التلاوة اي ما يدل عليه نص القران المتلو وقوله
تعالي في قصته اي قصة موسي التي قصها الله في القران وفتناك فتونا قال الراغب
اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداته ويستعمل في
ادخال الانسان النار قال تعالي ذوقوا فتنتكم اي عذابكم وتارة يستعمل
فيما يحصل منه العذاب كقوله الا في الفتنة سقطوا وتارة في الاختبار نحو فتناك
فتونا وجعلت الفتنة كالبلا في انهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من
شدة ورخا وهو في الشدة اظهر واكثر استعمالا انتهي واليه اشار بقوله اي
ابتلاك ابتلا بعد ابتلا اشارة الي ان الفتنة هنا بمعني الابتلا اي الاختبار وانه
يكون بالخير وبالشر والشدة وان الفتون جمع فتن او فتنة علي تقدير عدم

التاو والاعتداد بها فيدل على التكرار فلذا قال ابتلا بعد ابتلا ويجوز ان يكون
مصدرا كالقعود فالتكرار غير مراد او يوخذ ذلك من السياق قيل ذلك
الابتلا في هذه القصة يعني قتله القبطي وما جرى اي وقع واتفق له اي لموسي
مع فرعون وذلك ان فرعون راي رويا هالته فعبرها المعبرون والكهان بمولود
من بني اسرايل يكون على يديه زوال ملكه ودينه فامر القوابل بان كل ذكر
ولد منهم يا تونه به ويذبحونه ففعلوا ذلك حتى وقع في بني اسرايل
موتان عظيم فقال له القبط تخشي فنا بني اسرايل فلا يبقي لنا خدم فنحتاج
الي استخدامنا فامر ان يقتل الذكور منهم سنة ويتركون سنة فولد هرون
في سنة العفو ثم ولد موسي في سنة الذبح فخافت عليه امه فاوحي اليها
وحي الهام وقيل وحيا جاها فيه جبريل وان لم تكن نبية لان الملك كان
يراه غير الانبيا كمريم ثم ارتفع ذلك بعد مجي النبي صلى الله عليه وسلم فالقته
امه في صندوق والقته في النيل فدخل بيت فرعون واستوهبته امراته
اسية وكان له معه ما اشتهر من ذلك وهو المراد بالفتون اي ما وقع له
فيه من الشدايد حتى نباه الله واتخذه كليما وصفيا وسمته اسية حين
اتخذته ولدا موسي ومعناه ما وشجر بالقبطية لانه وجد في صندوق
ملقي في الما وقيل معني الفتون على هذا القاوه في التابوت اي الصندوق
الذي اتخذته له امه من خشب والذي اتخذه لها حزقيل وهو مومن ال فرعون
واليم وهو البحر والمراد به النيل وغير ذلك مما جرى له معه كما تقدم وقيل معناه
اي معني الفتون في هذه الاية اخلصناه اخلاصا اي ابتليناه باموره شاهدها
قدرة الله ولطفه حتى صار صفوة له خالصا من كل امر لا يليق برسله عليهم
الصلاة والسلام فقربه واصطفاه لان الفتنة اصل معناها ان يذاب
الذهب حتى يصفا فتجوز به عما ذكر كما قال ابن جبير ومجاهد في تفسير هذه
الاية وعلى هذا فهو مستعار من قولهم فتنت الفضة في النار اذا
اذبتها وخلصتها من الغش فاستعير لخلاصه من الكدورات البشرية
والاخلاق الردية حتى اجتباه واصل الفتنة اي حقيقتها التي وضعت
لها الاختبار اي امتحان الاشيا وتجربتها مما يعلم به حالها واظهار ما بطن اي
خفي عن العيان في المحسوسات كالذهب والفضة الا انه استعمل في عرف
الشرع وهو ما عرف في تخاطب اهله ومعاملتهم في اختبار يودي اي يوصل
وينجر ويفضي الى ما يكره المختبر بزنة المفعول وان كان عاما في اصله خص
بما ذكر كما فصله الراغب وقد سمعته انفا وعلم مما ذكر ان الفتنة هنا
ليس فيها ما يقتضي ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم المعاصي
لما عرفته من التاويل المذكور وكذلك مثل ما ذكر في تمسك بعضهم بالايسلم
تمسكهم به ما روي في الخبر الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي

الله

الله عنه كما قاله السيوطي رحمه الله من ان ملك الموت الموكل بقبض الارواح
واسمه عزرايل كما ورد في بعض الاحاديث جاءه اي موسي عليه الصلاة والسلام
كما في غيره اذا امر به فلطم عينه اي ضرب وجهه بيده فوقعت ضربته
على عينه ففقاها اي اخرج حدقته التي بها يبصر بلطمته وهو مهموز
وقول العامة مفقوع العين خطا في اللغة الحديث بالنصب اي اقرا
الحديث الخ لانه اقتصر على محل الشاهد منه الدال على انه اي موسي لم يطع
الملك الذي ارسله الله اليه ومثله بحسب الظاهر معصية واجاب
عنه المص بقوله ليس فيه اي في الحديث المذكور كما قالوه ما يحكم على موسي
عليه الصلاة والسلام بالتعدي على الملك ومخالفته فيما امره الله به وفعل
ما لا يجب له بالرفع والجر عطفا على ما او على التعدي وكان الظاهر ما لا يجوز له
وعبر به لنكتة كما مر مثله ثم بين علة ما ذكره بقوله اذ هو ظاهر الامر اي
لا خفا فيه بين الوجه اي توجيهه واضح جايز الفعل اي فعله جايز من مثله لان
موسي عليه الصلاة والسلام دافع اسم فاعل مرفوع او فعل ماض من المدافعة
عن نفسه من اتاه لاتلافها فهو من قبيل دفع الصايل المتعدي عليه ومثله
جايز شرعا وقد تصور الملك وظهر له في صورة ادمي لان الملايكة اجسام لطيفة
مجردة تتصور في اي صورة ارادت لا قدار الله لها على ذلك كما قال تعالى
فتمثل لها بشرا سويا وكما كان جبريل ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه وفي تصور الملايكة والجن في صور
مختلفة كلام لاهل الاصول والحكما وتعرض له الاصوليون المحدثون
فان صورهم الاصلية عظيمة جدا فاذا برزوا بصورة اقل منها فهل
صورهم تضامت وتصاغرت كالقطن المنفوش اذا انضام وتضاغط من
غير ذهاب شي منه وهو الظاهر وللامام الشهرستاني فيه تحقيق في
بعض كتبه اذا افضت اليه النوبة اتينا به مفصلا ولا يمكن انه اي موسي
عليه الصلاة والسلام علم حينئذ اي في وقت ضربه له انه ملك الموت لظنه انه
ادمي نظرا لظاهر حاله وعبر بعدم الامكان مبالغة في نفي العلم بملكيته
ومراده انه لم يعلم بذلك فلا يرد عليه ما قيل انه ممكن له عدم
الامكان غايته انه ظاهر فيه مع احتمال غيره كما كانوا يتصورون
للانبيا عليهم الصلاة والسلام فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى اذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له اي لموسي عليه الصلاة والسلام فيها الملك امتحانا
من الله له مفعول لاجله تعليل لتصوره بغير صورته اي اختبارا لموسي
حتي يصدر عنه ما يقتضي امورا فيها حكم خفية فلما جاءه بعد اي بعد
ما جاءه اولا ولطمه واعلمه الله اي اعلم الله موسي عليه الصلاة والسلام
حين جاءه ثانيا انه اي ملك رسوله اي رسول الله من ملايكته ارسله

التعدي مجاوزة الحد

ابن اقريس

الله اليه لا لامره به استسلم جواب لما اي انقاد له وسلم له فيما اراده
بعد ما كان دفعه عنه اشد دفع وهو استفعال من السلم والقا
نياده لغيره كالاسلام قال تعالى يحكم بها النبيون الذين اسلموا اي
انقادوا للحق وللمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا
الجواب الذي قرره من انه عليه الصلاة والسلام لم يعلم انه ملك الموت
امتحانا من الله له اسدها عندي افعل تفضيل من السداد وهو القوة
فيما اريد به كما قال الشاعر
اعلمه الرماية كل يوم • فلما استدّ ساعده رماني •
على رواية استد بسين مهملة اي قوي ورواية اشتد بالمعجمة
غير مقبولة عندهم كما بيناه في شرح الدرة وهو تاويل شيخنا الامام
ابي عبد الله المازري وهو الامام الرحلة الفقيه المحدث البارع في ساير العلوم
وهو مالكي المذهب واسمه ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي شارح
المحصول وله شرح مسلم الذي بنى عليه المص شرحه المسمى بالاكمال
وله تاليف كثيرة مفيدة جليلة وهو منسوب الى مازر بفتح الزاي المعجمة
وكسرها وهي بلدة بجزيرة صقلية توفي في ثامن ربيع الاول من
سنة ست وثلاثين وخمسماية وعمره ثلاث وثمانون سنة رحمه الله
وقد تاوله اي حمله قديما اي قبل شيخه المذكور ابن عايشة وغيره فهو مما
ارتضاه علما السلف على صكه ولطمه بالحجة وفقي عين حجته اصل الصك
واللطم الضرب بالراحة او بشي عريض وجا بمعنى مطلق الضرب لكنه كما
قال النووي في غاية البعد وان ساعده اللغة وابن عايشة هو عبيد
الله محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبد الله بن معمر القرشي التيمي
البصري المعروف بالعيشي نسبة لعيشة وهي لغة في عايشة او من تغييرات
النسب لانه من ولد عايشة بنت طلحة بن عبيد الله وهو احد العلما
الاشراف المحدثين المحتشمين وهو ثقة روى عنه البغوي وخلق كثير
توفي سنة ماتين وثمان وعشرين فهو متقدم على المازري بزمان كثير
فلذا قال المص قديما وهو كلام مستعمل في هذا الباب المراد به الزام الخصم الحجة
بعد ابطال حجة الخصم وما ارتضاه من الحجج في اللغة اي لغة العرب معروف
في كلامهم مشهور يقولون لطمه وصكه اذا اغلبه في المحاجة وفقا عينه
وعورها اذا افحمه بحجته والزمه الزاما لا يمكنه الجواب عنه بوجه
من الوجوه لكن صريح الحديث يا باه فان فيه ما يقتضي انه على ظاهره
فان البخاري روى عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ارسل الله
ملك الموت الى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاه صكه ففقا عينه فرجع
الى ربه وقال يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه

وقال

وقال له ارجع وقل له يضع يده على متن ثور وله بكل ما غطت يده من الشعر
بكل شعرة سنة فقال له ذلك فقال موسى ثم ماذا قال الموت فقال الان وسال
ربه ان يدنيه من الارض المقدسة مقدار رمية حجر فقال صلى الله عليه وسلم
لو كنت ثمت لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر ونحوه في
مسلم وهو ينافي هذا التاويل وكون الحديث متخيلة لا فقا بها يقتضي ان
ما يراه الانبيا عليهم الصلاة والسلام من صور الملايكة لا حقيقة له وهو
مذهب السالمية كما قاله القرطبي مع انه لا يجدي نفعا وارتضى القرطبي
الجواب بان الله تعالى كان اخبره بانه لا يموت حتى يخيره الله ويخيره بين
الموت والحياة فلما اتاه الملك بغتة ودخل عليه من غير استيذان شق
عليه ذلك وكان صلى الله عليه وسلم سريع الغضب ولذا لما رجع اليه
وخيره بين الحياة والموت انقاد له واستسلم قال وهو اصح الوجوه واما
قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وما حكى فيها اهل التفسير اي مما تمسك به القايلون
بتجويز صدور الذنب من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقوله عز وجل ولقد
فتنا سليمان فليس من الفتنة المنهي عنها انما هي بمعناها اللغوي كما تقدم ومعناه
ابتليناه اي عاملناه معاملة من يختبر حتى يظهر ما خفي امره على الناس وابتلاوه
المراد منه ما حكى عن النبي يعني به سليمان عليه الصلاة والسلام انه اي
سليمان قال لاطوفن الليلة على ماية امراة او تسع وتسعين امراة كن
في نكاحه وكان ذلك جايزا في شريعته وقال التلمساني يقال اطوفن
واطيفن ثلاثيا ورباعيا من الطواف حول شي انتهى وهو كناية عن
مجامعتهن بدليل قوله كلهن ياتين اي تاتي كل واحدة منهن بحمل تحمله
ثم تضعه بفارس اي راكب فرس يجاهد في سبيل الله اي في طريقه التي
يسلكها لقتال اعداء دينه وهو حديث صحيح روي في الصحيحين وغيرهما
من كتب الحديث وقوله الليلة منصوب على الظرفية ووقع اختلاف في عدة
النسا ففي البخاري مثل ما ذكره المص من انهن ماية او تسع وتسعون
على الشك وفي رواية غيره سبعين بالموحدة وفي رواية تسعين فقط
بالمثناة الفوقية وفي رواية للبخاري ستون وفي رواية لوهب ابن
منبه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام الف امراة ثلاث ماية مهورة
وغيرهن سراري وجمع بين الروايات بانه عد في بعضها المهورات
والغى السريات وفي بعضها عد الكل وعلى القول بانه لا مفهوم للعدد لا ينافي
الاقل الاكثر وان ضعف هذا القول فقال له صاحبه اي ملك كان
معه او قرينه او رجل كان يصحبه وقيل هو خاطره وهو بعيد وقيل
هو اصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الرا المهملة وكسر الخا المعجمة
ومثناة تحتية تليها الف قل ان شا الله فلا نجزم بما قلته وفوضه الى

مشيئة الله تبركا وتيمنا حتى يتم **فلم يقل** ذلك لما وقع في رواية انه نسي
اولم يقله بلسانه اكتفا بما في قلبه اوجزم به لانه من قوة رجايه واعتماده
علي كرم ربه فنبه علي انه ينبغي تفويض التمني كغيره الي الله فليس في تركه
المشيئة ذنب يعد عليه كما توهم لاسيما وهو ليس بخبر **فلم تحمل منهن** اي ممن طاف
بهن **الا امراة واحدة** دون باقيهن والتي حملت منهن **جات بشق رجل** اي
بولد غير كامل كما سياتي والشق بمعني النصف او البعض **قال النبي صلي الله**
عليه وسلم عندما ذكر هذا **والذي نفسي** اي روحي وحياتي **بيده** اي بقبضة
قدرته وتصرفه ان شا احياها واوجدها وان شا اماتها واحياها وهو
قسم كان صلي الله عليه وسلم كثيرا ما يقسم به **لو قال** سلمان عليه الصلاة
والسلام **ان شا الله لجاوا** فرسانا **جاهدوا في سبيل الله** كما طلب وفي رواية
فرسان اجمعون وقوله ان شا الله لا يستلزم الوقوع فقد لا يقع ما قرن
به كقول موسي للخضر عليهما الصلاة والسلام ستجدني ان شا الله صابرا
وهو مستحب ويتخلل به مع اليمين وفي الحديث ما يدل علي قوة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وقدرتهم علي الجماع لكمال بنيتهم ورجوليتهم
كما كان لنبينا صلي الله عليه وسلم فكان يطوف علي جميع نسايه في الليلة
الواحدة كما تقدم **قال اصحاب المعاني** المراد بهم الذين يفسرون الاحاديث
ويتفقون علي معانيها **الشق هو الجسد الذي القي علي كرسيه** الذي كان
يجلس عليه لاجرا احكام الملك فيه **حين عرض عليه** اي حين اذ عرضته
قابلته عليه ثم القته علي كرسيه **وهي** اي هذه القصة المذكورة **عقوبة**
ومحنة بنون بعد الحا المهملة المعبر عنها بالفتنة **وقيل بل مات ولده فالقي**
علي كرسيه ميتا وهو الشق المذكور وقيل ولد له ولد تام فاجتمعت الشياطين
عليه وقالوا ان عاش له ولد لم ننفك من البلا والسخرة فقالوا نقتل ولده
او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر الريح ان تحمله علي السحاب خوفا من
الشياطين فعاقبه الله بان القاه علي كرسيه ميتا لخوفه من غير الله
وهو معني قوله تعالى والقينا علي كرسيه جسدا **وقيل ذنبه حرصه علي ذلك وتمنيه**
اي علي ان يرزقه الله ماية ولد يجاهدون في سبيل الله وليس مثله
ذنبا حقيقيا كما توهم **وقيل** عد تمنيه ذنبا **لانه لم يستثن** اي لم يقل
ان شا الله في كلامه ومثله يسمي استثنا في اللغة لان حقيقته كما قال
الراغب ايراد لفظ يقتضي رفع ما يوجبه عموم لفظ متقدم او رفع حكمه
لانه من الثني وهو الرجوع ومما يقتضي رفع ما يوجبه اللفظ
قولك لافعلن كذا ان شا الله انتهي فليس مجازا ولا يختص بما قاله
النحاة فانه اصطلاح حادث خلافا لما يوهمه كلام شراح الكتاب **لما**
استغرقه الحرص هو استفعال من الغرق وهو الرسوب في الما وشاع في

الشمول وعموم الاوقات **وغلب عليه من التمني** للاولاد المجاهدين وهو اشاره
الي الاعتذار عن فعله وبيان لانه ليس ذنبا حقيقيا كما قيل وانما هو ترك
للاولي **وقيل عقوبته ان سلب ملكه** لانه صلي الله عليه وسلم غزا جزيرة
واخذ بنتا لملكها كانت في غاية الجمال فاحبها وراها حزينة فسالها
عن سبب حزنها فاخبرته بانه لمفارقة ابيها فسالته ان يصوره لها
الشياطين فصوروا لها صورته فالبستها لباسه وعممتها فكانت
تذهب له تعبده مع جواريها فاخبره آصف بذلك فكسر صورته وندم
علي ما جوزه لها فافترش رمادا يسجد عليه ويتضرع الي الله وكان لامراة
من نسايه يضع خاتم ملكه عندها اذا دخل الخلا او اراد الغسل من جنابة
حتي يلبسه علي طهارة كاملة وكان ملكه في خاتمه فتمثل لها شيطان
يسمي صخرا بصورته واخذ الخاتم منها وجلس بهيئته علي الكرسي اربعين
يوما عدد ما عبد الصنم في بيته وتغيرت هيئاته حتي انكره الناس ثم وقع
الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فاصطادها سليمان عليه الصلاة والسلام
فوجد الخاتم فيها فتختم به وعاد له ملكه وحبس صخرا والقاه في البحر فهو
محبوس فيه الي الان في صندوق من حديد **وذنبه انه احب ان يكون الحق لاختانه**
علي خصمهم جمع ختن بزنة جبل وهو الصهر او كل من يكون من قبل المراة كالاب
والاخ وذلك كما قيل انه كانت له امراة يقال لها جرادة وكان مغرما بحبها فقالت له
ان فلانا من اهلي له حق عند اخر وانا احب ان تحكم له اذا جاءك فاجابها صلي الله
عليه وسلم لذلك ولكنه لم يفعل فعاقبه الله علي مجرد الميل فكان ما كان من وضع
خاتمه عندها واخذ الشيطان له كما سمعته انفا **وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض**
نسايه هو ما تقدم من تصويرها لصورة ابيها واتخاذها له صنما تعبده في
داره وهو صلي الله عليه وسلم لا يعلم حتي اخبره به اصف كما تقدم فليس ذنبا له
في الحقيقة واصل معني الاخذ حوز الشي كما تقدم فتجوز به عن المجازاة وهو المراد
هنا قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم فيقال اخذه واخذه وواخذه
لغة غير فصيحة ولذا وجد في النسخ اخذ واوخذ ووخذ وقارفه بمعني اكتسبه
وفعله واصل القرف والاقتراف قشر اللحا عن الشجر والجلدة عن الجرح فاستعير
لما ذكر **ولا يبعد** بحسب الرواية **ما قال الاخباريون** اي اصحاب القصص والتواريخ
وتقدم ان النسبة للجمع علي خلاف القياس وهو كالانصاري كما تقدم لاختصاصه
ببعض انواعه **من تشبه الشيطان به** اي تمثله بصورته حين اخذ خاتم
ملكه من امراته وجلس علي كرسي ملكه يحكم وانكروا سليمان لتغير هيئته كما مر
وفي بعض النسخ من خرافاتهم علي انه فعله من تشبه الخ وهو بضم الخا المعجمة وفتح الرا
المخففة وفي كشف الكشاف عن الزمخشري انه سمع فيه خرافات بالتشديد جمع
خراريف ولم يسمعه من غيره فالعهدة عليه **وتسلطه علي ملكه** وسلطنته

بالتصرف في امته بالجور في حكمه وظلمهم قال السيوطي ما قال المص انه من خرافات الاخبار بين اخرجه ابن ابي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا لكنه ماخوذ من الاسرايليات كما بينه في التفسير انتهي وفيه نظر لان اول كلامه ينافي اخره وخرافات جمع خرافة وهي الكذب كما في القاموس واصله اسم رجل من عذرة خطفته الجن فلما تخلص منهم كان يحدث عنهم بعجايب راها منهم ثم قيل لكل مستملح وامر غريب خرافة وضربه ابن الزبعرى مثلا للعبث فقال

حياة ثم موت ثم نشر • حديث خرافة يا ام عمرو •

وقوله لان الشياطين لا يسلطون على هذا اي لا يقدرهم عليه لعصمته تعالى الانبيا منهم كما قال فقد عصم الانبيا صونا لهم عن مثله ولانه مناف لامر الرسالة وان سيل اي سال احد من الناس لاشكاله عليه فقال لم لم يقل سليمان عليه الصلاة والسلام في القصة المذكورة حين تمني الاولاد المجاهدين ان شا الله فعنه للعلما اجوبة جمع جواب كغراب واغربة وفي المصباح يقال في جمع الجواب اجوبة وجوابات الا ان ابن الجوزي نقل في غلط العوام عن العسكري ان العامة تقول في جمع الجواب جوابات واجوبة وهو خطا مثل الذهاب مصدر وقال سيبويه قولهم جوابات واجوبة مولد انتهي فليحرر فان صاحب المصباح ثقة فلعله سمع نادرا ولم يقف عليه سيبويه وفي نسخة جوابان احدهما الخ وهو الصواب لانه لم يذكر غير جوابين كما اشار لذلك بقوله احدهما ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لحكمة ارادها الله وانه نسي لينفذ امر الله تعالى وفي نسخة مراد الله في ارادته لعدم وقوع ما تمناه امتحانا له لينبهه على الاولى به صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني انه لم يسمع صاحبه الذي قال له قل ان شا الله تعالى وشغل عنه بامر شغله او لشدة توجهه الى الله وقوة رجايه فيه الا انه قيل عليه ان ترك المشية ليست معصية حتى يحتاج لمثل هذا فكان المص ذهب الى ان النهي في ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله نهي تحريم انتهي ولم نر من ذهب لهذا حتى يتبعه المص ولا حاجة له فانه خلاف الظاهر لا سيما للانبيا الذين تقتضي مقاماتهم تفويض جميع امورهم لله تعالى ولذا تاخر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يقله وقوله اي سليمان عليه الصلاة والسلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قيل انه جواب سوال تقديره انك قلت ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون من ساير الذنوب ومنهم سليمان عليه الصلاة والسلام فكيف هذا مع ما سال من الله ان يوتيه ملكا لا يكون لغيره وهذا يقتضي حبه للدنيا ولتفرده بملك عظيم لا يتيسر لغيره وفيه حرص وحسد لا يليق بزهد الانبيا في الدنيا وعدم رغبتهم فيها فاجاب عنه بانه لم يفعل سليمان هذا اي طلبه لما ذكر غيرة بفتح الغين المعجمة وتكسر في لغية والغيرة محبته امرا ابي لغيره على الدنيا اي على امور الدنيا كالمال

قف عن جمع جواب علي اجوبة وجوابات

قف علي ضبط غيرة وان الكسر فيهما لغية

عرضي

عرضي

والملك ولا نفاسة بها اي عدها نفيسة عظيمة فضن بها عن الغير هذا مراده وقال الراغب المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال الضرر على غيره قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون انتهي وهو هنا من نفس بكذا اذا رغب فيه وبخل به على غيره لا ما ذكره الراغب ولكن قصده في ذلك اي في سواله لما ذكر على ما ذكره المفسرون في معنى هذه الاية ان لا يسلط عليه بالبنا للمجهول وقوله احد نايب الفاعل اي ان لا يسلطه الله عليه وتسليطه عليه بان يمكنه من غلبته عليه كما سلط عليه الشيطان وهو صخر كما بيناه الذي سلبه اياه اي ملكه وعاد عليه لتقدم ذكره مدة امتحانه اي في مدة ابتلا الله له بتسليط الشيطان لما اخذ خاتمه عليه الصلاة والسلام من زوجته وظهر بصورته وتصرف في ملكه حتى انكر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان وجد خاتمه في بطن سمكة اصطادها كما مر الا ان الله لم يسلطه على زوجاته صلى الله عليه وسلم كما حكوه تطهيرا لحرمه على قول من قال ذلك من اهل القصص والسير وقد علمت انهم اخذوه من الاسرايليات المنقولة عن اهل الكتاب وفي صحتها كلام للمحدثين وقيل في توجيه ما طلبه سليمان بل اراد بقوله هب لي ملكا الخ ان يكون له من الله خاصة يختص بها يفضل بها اهل زمانه من دون ساير رسل الله وانبيايه ويويده ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم من انه جاءه شيطان وهو يصلي اراد ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم ان يمسكه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح ويراه الناس ثم تركه وقال ذكرت قول اخي سليمان هب لي ملكا الخ فهذا يقتضي انه خاصية له خصه الله بها ولذا قال بعض الشراح هنا لا ينبغي للمص ان يمرض هذا او يحكيه بقيل كاختصاص غيره من انبيا الله ورسله بخواص منه اي من الله خصهم بها دون غيرهم وهذا لا ينافي الافضلية لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل وقيل انما طلب هذا ليكون دليلا وحجة على نبوته لا رغبة في الدنيا ومنافسة فيها كالانة الحديد لداود اي جعله لينا كالعجين يصنع منه الزرد يستعين به على الجهاد واحيا الموتى لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة يوم القيامة كما تقدم ونحو هذا من خصايص انبيا الله ورسله التي اكرمهم الله بها وجعلها معجزة دالة على نبوتهم وقد تقرر انه لم يكن لنبي من الانبيا معجزة وخاصة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها واعظم منها كما فصل في الخصايص وقد افردت بالتدوين واجل ما الف فيها خصايص الامام الخيضري وفي شرح المواقف طلب سليمان الملك لا يتيسر لغيره لم يكن حسدا منه وضنة بالملك بل لان كل نبي كان له ما يفتخر به اهل زمانه وكانوا جبابرة يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة

داود عليه الصلاة والسلام

عليه الصلاة والسلام بالشفاعة

الاعوان فاراد صلي الله عليه وسلم ان يكون له من ذلك ما لا يقدر عليه غيره
فملكه الله ملكا عظيما ولم يجعله شاغلا له عن زهده وعبادته ليعلم الناس
ان زخارف الدنيا لا تلهي خواص عباده عن خدمته ولذا قدم الاستغفار
علي طلبه فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا الخ وليكون ادعي للاجابة واما قصة
نوح عليه الصلاة والسلام وما فيها مما يقتضي انه شك في وعد الله له بقوله
انا منجوك الخ علي ما ياتي ومثله بحسب الظاهر معصية ولم يذكر قصص الانبيا
مرتبة بحسب زمان الوقوع لانه راعي فيها ما هو اظهر حجة لمن جوز علي انبيا الله
وقوع الذنوب منهم فلا يرد عليه ما قيل انه كان الاحسن ان يذكرها مرتبة فيبدا
بقصة ادم ثم نوح ثم الي اخر القصص وظاهره اي ظاهر كلامه وما حكاه الله عنه
وذكر الضمير لتاويله بما ذكر العذر اي الاعتذار عن سوال ما ليس له به علم
لا الشك في وعد من لا يخلف الميعاد كما ياتي وانه اخذ اي تمسك فيها اي
قصته بالتاويل اي تاويل ما وعده به بان يريد الله باهله ما يشمل ابنه وظاهر
اللفظ بالجر عطفا علي التاويل اي اخذ بظاهر لفظه بقوله انا منجوك واهلك
متعلق باللفظ الا انه قيل عليه انه سهو لان ما ذكر وقع في قصة لوط في سورة
العنكبوت والذي في قصة نوح قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين
واهلك الاية وكونه حكاية بالمعني يا باه انه متمسك بلفظه وان ساواه في
لفظ الاهل ولذا رايته ضرب عليه في بعض النسخ فطلب مقتضي هذا اللفظ
اي لفظ الاهل من غير نظر لحقيقته فقال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق
واراد بطلبه ذلك علم ما طوي اي اخفي عن علمه فهو استعارة من الشي
المطوي عليه لفافة تخفيه قبل ان يظهر ما في داخلها من ذلك الامر اي امر ابنه
ومخالفته في ركوب السفينة لابيه فيه كما توهم لا انه اي نوح عليه الصلاة والسلام
شك في وعد الله له بنجاة اهله فبين الله تعالي عليه بين لا يتعدي بعلي فكانه
ضمنه معني نبه او بني او هو تحريف من الناسخ انه ليس من اهله الذين
وعده الله بنجاتهم فيه ما تقدم فتذكر لكفره وعمله الذي هو غير صالح
فان مثله قاطع للقرابة القريبة ولذا امتنع الارث بالكفر واختلاف
الملل وقيل سلمان منا اهل البيت وقد اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا
بقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون والظلم المطلق علي الكفر
في القران كما قال تعالي ان الشرك لظلم عظيم ونهاه عن مخاطبته فيهم اي شفاعته
لهم وتكليمه في شانهم بالاية المذكورة وهو اشارة الي ان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لا يسالون من الله شيا بغير اذن لهم في الكلام فاوخذ بهذا التاويل
اي جازاهم الله واخذهم بتاويلهم الاهل الموعود بنجاتهم كما قال تعالي ولو
يواخذ الله الناس بظلمهم وعتب عليه اي عاتبه الله علي مخاطبته له بقوله تعالي
اني اعظك ان تكون من الجاهلين فنسبه للجهل زجرا له ولله ان يخاطب

خلص

خلّص عباده بما اراد لانه حين وعده بنجاة اهله استثني من سبق
عليه القول من الناجين لا سيما وابنه كان بمعزل منه ففي دلالة الحال
ما يغني عن السوال واشفق هو اي خاف نوح عليه الصلاة والسلام من اقدامه
علي ربه بسواله من ربه ما لم يوذن له في السوال فيه حيث لا يتكلم الا من اذن له
ثم بين عذره بقوله وكان نوح عليه الصلاة والسلام فيما حكاه النقاش في تفسيره
وهو محمد بن الحسن الموصلي كما تقدم في ترجمته لا يعلم بكفر ابنه ولو علم ذلك لم يرج
من الله نجاته وقطع رحمه منه وقيل في الاية غير هذا التوجيه مما يقتضي
تبرئة مقام النبوة مما لا يليق بها وقيل انه لم يكن ابنه وانما كان ابن
امراته وقد قري في الشواذ ونادي نوح ابنها والقول بانه ولد علي فراشه
ولم يكن ابنه وكان لغير غيره الله مردود بان فراش الانبيا منزه عن مثله
واما قوله فخانتاهما فالمراد به خيانة الاذية والميل لاعدايه والا فلا
يجوز ان تنسب زوجات الانبيا الشي من ذلك بالاتفاق وكل هذا المذكور في
قصة نوح عليه الصلاة والسلام والاية المتلوة فيها لا يقضي اي لا يحكم ويلزم
الحكم علي نوح عليه الصلاة والسلام بمعصية صدرت منه سوي ما ذكرناه هو
استثنا منقطع اذ ليس فيما بعده معصية ومعرة تلحقه وتشين مقامه
من تاويله لما وعد به واقدامه بالسوال فيما لم يوذن له في السوال فيه ولا نهي عنه
صريحا لانه لم يتحقق دخوله في الذين ظلموا اذ لو كان كذلك كان معصية
وما روي في الصحيح كما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان نبيا قرصته اي عضته
نملة وفي رواية للبخاري لدغته نملة بدال مهملة وغين معجمة والقرص مخصوص
ببعض صغار الحشرات كالنمل والبرغوث ولذا قالوا قولهم اكلوني البراغيث
مجاز ولذا عبر عنه بضمير العقلا وهذا النبي قال الطبراني والحكيم الترمذي
انه موسي عليه الصلاة والسلام وقال المنذري انه عزير وقال البرهان
ان في ابي داود مرفوعا لا ادري اعزير نبي ام لا وصححه الحاكم في مسنده عن ابي
هريرة ولكن ثبت انه نبي فكان الله اطلعه بعد ذلك علي نبوته فحرق قرية النمل
القرية محل يجتمع فيه بيوت الناس ولا يطلق علي مقر غيرهم من الدواب
وغيرهم فقرية الا بجمع النمل لان اصله محل الاجتماع مطلقا من قري الما في
الحوض اذا جمعه فهو حقيقة لغوية او مجاز مشهور وفي كتب اللغة
تفرقة بين المساكن فقالوا يقال لمقر الانسان وطن وبلد ومقر الابل عطن
وللاسد عرين وغابة وللظبا كناس وللذيب والضبع وجار وللطاير
وللزنبور عش ووكر لليربوع والنمل قرية فهو علي هذا حقيقة فاوحي
الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم الامة طايفة وجماعة من جنس واحد من المخلوقات
ففيه اشارة الي ان هذا النبي صدرت منه معصية ففيه دليل لمن جوز
علي الانبيا صدور المعاصي منهم لمعاتبة الله له في ذلك وقوله تسبح بيان

لسبب النهي عما فعله لانه ما من شي الا يسبح بحمده وفي قتله قطع لعبادته
وايضا فانه لا يجوز الاحراق للحيوان لما ورد من انه لا يعذب بالنار
الا خالقها وقيل انما عاتبه الله لانه اهلك من اذاه وغيره لما في بعض
الروايات هلا نملة واحدة وسبب هذه القصة ان موسي عليه الصلاة
والسلام مر علي قرية اهلك الله اهلها بذنب لهم فقال يا رب اهلكتهم
وفيهم صبيان ودواب لم تذنب وفيهم الطايع فاراد الله تعالي ان
ينبهه علي ما خطر بباله فاشتد عليه الحر ونزل تحت شجرة فنام في
ظلها فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل سليمان وغيره
يسمي ذرا ففعل بها ما فعل واوحي الله اليه بما ظاهره العتاب ارشادا
له صلي الله عليه وسلم وقد قالوا انه جايزا في شرعه وقد قالوا ايضا يجوز
قتل كل موذي من ذوي الارواح اما بالنار فلا يجوز الا قصاصا لمن احرق
بها انسانا علي ما فيه فليس فيما فعله معصية ولذا قال المص فليس في هذا
الحديث ما يقتضي ويدل علي انه اتي معصية وفي نسخة علي ان هذا الذي اتي
معصية ومعصية خبران وعايد الذي محذوف اي الذي اتاه معصية
بل فعل ما راه اي علمه واعتقده صوابا بقتل من يوذي جنسه اي بني ادم وقد
قال الفقهاء ان قتل النمل جايز لاذيته وعبر بمن لصدور فعل منه يشبه فعل
العقلا كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ويمنع المنفعة اي الانتفاع بما اباح
الله تعالي كالاستظلال بهذه الشجرة وافساد ما ادخر من الاطعمة واوضح بقوله
الا تري اي تعلم او تتحقق ما هو كالمرئي المشاهد ان هذا النبي المتقدم وصحح
القرطبي انه موسي كما تقدم كان نازلا تحت الشجرة لينتفع بظلها والنوم فيه
فلما اذته النملة بقرصها والتا للوحدة فيشمل المذكر والموئث تحول برحله من تحت
تلك الشجرة عنها اي عن الشجرة ورحل الرجل متاعه الذي ياوي اليه وما يوضع
علي ظهر الدابة ليحمل عليه مخافة تكرار الاذي عليه من جنسها وليس فيما
اوحي الله اليه ما يوجب اي يقتضي ويستلزم عليه معصية صدرت منه بل ندبه الي
احتمال الصبر علي ما يوذي اي حثه وحرضه من قولهم ندبه الي كذا اذا دعاه
اليه وترك التشفي تفعل من الشفا وهو الانتقام بما يشفي غيظه ويبرد
صدره كما قال تعالي في مدح الصبر وانه مما يجب عليه ولين صبرتم لهو
خير للصابرين نزلت في غزوة احد وقتل حمزة رضي الله عنه وقد مثل به وحزن
لذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم كما فصل في السير اذ ظاهر فعله اي هذا
النبي انما كان لاجل انها اي النملة اذته هو في خاصته دون غيره ممن نزل معه فكان
فعل هذا انتقاما لنفسه دون غيره وقطع مضرة يتوقعها في المستقبل من بقية النمل
هناك بيان لوجه احراق جميع النمل غير الموذية له ولم يات اي لم يفعل ذلك
النبي في كل هذا امرا مفعوله وان رفع جاز نهي عنه بل جايزا كما مر وقوله

فيعصي

فيعصي به بالنصب في جواب النفي ولا نص فيما اوحي الله اليه بذلك
اي بانه اتي بمعصية ولا بالتوبة من ذنب اتاه والاستغفار منه اي طلب مغفرته
لذنب اتاه قيل انما قال اذ ظاهر فعله لانه في الحقيقة انما وقع له ذلك
لومًا علي ما قاله في القرية التي اهلكها الله اقول هذا علي تقدير تسليمه
لا ينافي المقصود من انه لا معصية في هذه القصة وما حكاه ايضا لا ذنب فيه
لانه انما سال الله عن ذلك ليبين له حكمة ما فعله فان قيل فما معني قوله صلي
الله عليه وسلم في حديث ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيي بن زكريا الخ وهذا
الحديث رواه الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ ما من
احد الا وقد اخطا او هم بخطية وسنده ضعيف واخرجه البزار عن
ابن عمر مرفوعا كما قال السيوطي في مناهل الصفا اقول ومتابعته
تقويه في الجملة فلا عبرة بمن انكره وروي الثعالبي ايضا عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول كل بني ادم يلقي الله عز
وجل بذنبه فيعذبه به او يرحمه الا يحيي ابن زكريا فانه كان سيدا وحصورا
ونبيا من الصالحين ثم اهوي صلي الله عليه وسلم الي قذاه من الارض اخذها
بيده وقال كان ذكره مثل هذه وقال قتاده وغيره ان الله احيي قلبه
بالطاعة والنبوة حتي لم يعص ولم يهم بمعصية وهو غير مناف لما رواه
الثعالبي وحاصل ما هنا ان هذا الحديث يخالف
ما مر من عصمة الانبيا ويلايم ما استدل به المخالفون في ذلك ومعني
الم انه وقع منه ذلك قليلا وكاد بمعني قرب منه فهو بمعني هم في الرواية
الاخري وقوله اشارة الي انه وقع فيه روايات
مختلفة كما اشرنا اليه او كما قال صلي الله عليه وسلم فالجواب عنه اي عما وقع في هذا الحديث انه كما تقدم من ذنوب الانبيا
التي وقعت من غير قصد منهم وعن سهو وعن غفلة منهم ومثله لا يواخذ به ولا
يلزم منه تفضيله علي من عداه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا مما
وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها فصل معقود لدفع شبه نشات
مما قدمه فاذا انتفت عنهم اي عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
الذنوب والمعاصي عطف تفسير او هو من عطف السبب علي مسببه لان الذنب
الاثم المترتب علي المعصية بمخالفة امر الله بما ذكرناه في الفصل الذي قبل
هذا من اختلاف المفسرين في توجيه ما صدر عنهم وتاويل المحققين لما هو معصية
بحسب الظاهر فما معني قوله تعالي وعصي ادم ربه فغوي وضل بحسب معصيته
وما معني ما تكرر في قصص الانبيا الواردة في القران والحديث من اعتراف
الانبيا بذنوبهم كما تقدم من نحو قولهم ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهم
واستغفارهم كقول موسي رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وبكايهم علي ما سلف منهم
كما روي عن داود عليه الصلاة والسلام انه بكي حتي بلت دموعه الارض

واشفاقهم اي خوفهم من الله وهل يشفق ويخاف ويناب ببنا المجهول ويستغفر من
لا شي اي من غير شي صدر يخشي منه حتي يفعل ما ذكر فاعلم ايها السايل وقفنا
الله واياك جملة دعايية معترضة ان درجة الانبيا عليهم الصلاة والسلام والدرجة
في الاصل ما يصعد به لمكان عال ويراد به المنزلة الرفيعة نفسها وهو المراد به
هنا في الرفعة اي علو مقاماتهم حسا ومعني والعلو عطف تفسير والمعرفة بالله فانهم
اعرف به من غيرهم وسنته في عباده بجرور معطوف علي ما قبله اي معرفتهم بعادة
الله في معاملة عباده في سخطه ورضاه وعظيم سلطانه اي علو شانه وانه
القاهر فوق عباده وقوة بطشه اي اخذه القوي الشديد اذا اخذ كل جبار
عنيد مما يحملهم اي يلجيهم بما يقتضيه اقتضا تاما علي الخوف منه فان من كان
اعرف بالله كان اشد خوفا منه جل جلاله هذا في موقعه مناسب غاية المناسبة
اي عظمت عظمته وهو مبالغة في وصفه بالعظمة في ذاته وصفاته والجليل
من اسمايه تعالي ابلغ من الكبير والعظيم لانه كمال الذات والصفات واسناده
مجازي كجد جده وفيه مبالغة قررت في المعاني والاشفاق اي الخوف من المواخذة
بما لا يواخذ به غيرهم فانهم لعلو مقامهم عند الله ورفعة شانهم لا يباح لهم
بما يسامح به غيرهم لانهم اجل من ان ينتهاونوا في شي من الاشيا ويفرطوا فيه فخوفهم
من الله اقوي من خوف غيرهم لانه خوف اجلال وانهم في تصرفهم بافعالهم الصادرة
منهم باموراهم يواخذوا بها ولا امروا ابها لانها امور مباحة جايزة وعوتبوا بسببها
او حذروا اي خوفوا من المواخذة بها اي ان يجازيهم الله عليها كاخذه
صلي الله عليه وسلم الفدية من اسري بدر واذنه لمن تخلف عن الغزو كما تقدم
وهو امر جايز لكنه ترك فيه الاولي بنظر ما فيه من الفايدة العايدة للمسلمين
والتيسير علي الامة واتوها اي فعلوها علي وجه التاويل لما ورد فيه من نص
قبل حمل علي محمل غير ما اريد به لامر اقتضاه ومثله يعذر فيه ولا يعد ذنبا
او السهو اي او فعلوها علي وجه وقع منهم لسهو منهم ومثله معفو عنه غير
مواخذ به غيرهم كما تقدم بيانه او تزيد اي زيادة من امور الدنيا المباحة لهم ولغيرهم
كطلب سليمان عليه الصلاة والسلام ان تحمل جميع نسايه بفرسان تجاهد
في سبيل الله كما تقدم فهو طلب زيادة مباحة ولا امر فيه خايفون وجلون
هو خبر ان في قوله انهم في تصرفهم وما بينهما اعتراض والوجل الخوف والاحسن
تفسيره هنا بمضطربين ليكون افيد وهي اي الامور المباحة المذكورة
ذنوب بالاضافة الي علي منصبهم اي بالنسبة لهم وان كانت مباحة في اصلها فالمراد
بالمنصب مقامهم العلي وليس المنصب هنا بمعناه المتعارف وقد تقدم
بيانه ومعاص بالنسبة الي كمال طاعتهم لربهم ومراقبتهم له لا انها ذنوب حقيقة
كذنوب غيرهم من امتهم ثم بين مناسبة لاطلاقها بحسب الاشتقاق فقال
فان الذنب في اصله ووضع مادته ماخوذ من الشي الدني اي الخسيس الرذل

اي

اي الردي المحقر والاخذ الاشتقاق البعيد وهو معني قولهم دايرة الاخذ اوسع
من دايرة الاشتقاق ومنه ذنب كل شي اخره الذنب بفتحتين معروف واذناب
الناس رذالهم بضم الرا وهو جمع علي فعال جا في كلمات معدودة اي اراذلهم
ومنه ارذل العمر لاخره فكان هذه ادني افعالهم اي احقرها واخسها وكان
للتشبيه وفي نسخة وكانت هذه اي الامور التي تصرفوا فيها واسوا ما يجري ويقع
من احوالهم لجلالة قدرهم ونزاهة خلقهم وعصمتهم عن سفساف الامور وان
حماهم الله عن كل سوء في ذواتهم وصفاتهم لتطهيرهم وتنزيههم عما لا يليق بهم وعمارة
بواطنهم وظواهرهم في السر والعلانية والكلم الطيب الذي شغل به السنتهم وجميع
اقوالهم من التكلم بالخير والتسبيح والتهليل وحمد الله والذكر الظاهر اي ذكر
الله جهرا والخفي بذكره سرا وجعله دايما مراقبا ملاحظا في قلوبهم والخشية
هي الخوف مع الاجلال والتعظيم لله تعالي واعظامه حق تعظيمه وقدره حق قدره
في السر والعلانية بالتخفيف مصدر كصلاحية وهي مقابل السر بمعني الخفي من
الاعلان فمن كان هذا حاله اذا اشتغل بما لا يعنيه من المباحات كان سيئة
بالنسبة لمقامه وما طبع عليه واما غيرهم من غير الخواص فهو انما يتلوث اي
يتدنس يقال تلوث بالدم اذا تلطخ به ويقال به لوثة من جنون قال
واني علي ما في من عنجهيتي ۰ ولوثة اعرابيتي لاديب ۰
من الكباير اي كباير الذنوب وقد تقدم بيانها والقبايح اي ما يقبح شرعا
من الذنوب كبايرها وصغايرها والفواحش وهو ما ازداد قبحه وقد يراد
بالفاحشة الزنا ونحوه وهو اطناب هنا لانه بمعني الكباير ما يكون بالاضافة
اي بالنسبة والقياس اليه وفي نسخة الي هذه الامور التي صدرت من
الانبيا وما هذه موصولة وقعت بدلا من مجرور من اي غير الانبيا يتلوث
من امور هي بالاضافة لما عد ذنبا منهم كالحسنة لغيرهم كما قال المتنبي
انا الغني زمن ترك القبيح به ۰ من اكثر الناس احسان واجمال ۰
فلا وجه لما قيل ان حقه ان يقول بما يكون بالبا الجارة كما وقع في بعض النسخ
او يقول يلوث باسقاط التا حتي يتعدي بنفسه الهنات جمع هنة وهي
خصلة السو في حقه اي اذا وصف بها غير النبي وقيلت في حقه كالحسنات
بالنسبة لقبايحه وقال كالحسنات لان منها ما هو مباح ومكروه كراهة تنزيه
وجعلها حسنة لا خفا فيه وما قيل انه لم يعهد ان يكون شي واحد
ذنبا في حق شخص وغير ذنب في حق اخر في شرعنا ليس بشي بل مثله كثير
فكم من شي وجب علي الانبيا وعلي الخلفا والحكام وهو لا يجب علي غيرهم
واجاد في التعبير بالهنات لانها بفتح الها والنون والف وتا والهنة
في الاصل مطلق الخصلة ثم خصت بخصلة السو قال في الاساس يقال هناة
وهنوات وهنيات خصال سوء قال لبيد

اكرمت عرضي ان ينال بنحوه ، ان البري من الهناة سعيد ،

وما في بعض النسخ من الهيبات جمع هيئة بيا ساكنة وهمزة تحريف من الناسخ كما قيل حسنات الابرار هم اتقيا الامة سيات المقربين الي الله وهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام وخلص الاوليا وليس هذا بحديث وانما هو من كلام ابي سعيد الخراز من كبار مشايخ الصوفية اي يرونها ويعتقدونها بالاضافة الي علو احوالهم كالسيات وان لم تكن سيئة حقيقة فجعلها سيات وحسنات مبالغة ومجاز وكذلك اي مثل ما ذكر في معني الذنب وكونه يكون بالنسبة لمن اتصف به العصيان الذي اتصف به بعض المقربين كما في قوله وعصي ادم ربه فغوي معناه في اللغة الترك والمخالفة لامر ما سوا كان واجبا ام لا فعلي مقتضي هذه اللفظة بحسب معناها التي وضعت له كيفما كانت اي علي اي حالة وقعت من سهو او تاويل للامر الذي امر به فهي تسمي مخالفة وترك وان لم تكن معصية شرعية مذمومة عقلا وشرعا لانها معفوة مغفورة غير مواخذ بها كل احد فليس كل عاص اثم وترك الطاعة اعم من فعل المعصية وهو سوال تقديره قد قلتم بعصمة الانبيا وقد وصف الله بعضهم بانهم عصاة وجوابه ظاهر قيل هذا مبني علي ان فعل الساهي حرام ومعصية لكنها مغفورة وهو مذهب لبعضهم وقيل فعله لا يوصف بشي من الاحكام كفعل المكره والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وقوله تعالي في حق ادم عليه الصلاة والسلام غوي والغي الضلال والمعصية فاطلاقه يقتضي خلاف ما قررتم من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي جهل ان تلك الشجرة التي اكل منها هي التي نهي عنها والغي معناه في اللغة الجهل فهذا معناه حقيقة ولغة ولو قال لم يعرف كان احسن وابلغ بالادب وقيل معناه اخطا ما طلب من الخلود بدوام البقا كما ذكر في الاية اذا كلها وخابت امنيته بضم الهمزة وتشديد اليا اذ لم يصل الي ما اراده وهي ما يتمناه وجمعها اماني بالتشديد والتخفيف وفسره اهل اللغة بالضلال والجهل والخطا معني اخر وهو تفسير بلازم معناه وقال ابن الاعرابي معني غوي فسد عيشه بتغير حاله وقد قيل عليه ان ترتيبه بالفا بقوله عصي ادم ربه فغوي ينافي تفسيره بالخطا والجهل الا ان يكون كان في شريعته غير معفو عنه ثم نسخ وفيه نظر لانه اذا فسر بمعناه اللغوي كما قرره المص لا يرد عليه ما ذكر علي انه قصد به التهديد والتشديد باعتبار اسبابه الناشي عنها ثم استشهد لما قاله بقصة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال وهذا يوسف جعله كانه مشاهد لاشتهار قصته قد اوخذ اي عوتب وجوزي بقوله لصاحب السجن اي لصاحبه في السجن الذي ظن انه ناج فان صاقته لادني ملابسة وفي نسخة لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك اي صف له قصتي واخبره بحالي فيخلصني من هذه الورطة والمراد بربه الملك والقضية غنية عن البيان فانساه الشيطان ذكر ربه

المصدر

المصدر مضاف لمفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف سيده فلبث في السجن بضع سنين البضع ما فوق الثلاث الي السبع او التسع او العشر وقيل معناه ان الشيطان انسي يوسف عليه الصلاة والسلام ان يذكر الله فابتغي الفرج من غيره تعالي بغفلة منه واشار الي ذلك بقوله قيل انسي يوسف ذكر الله تعالي فالمراد بربه الله والضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام وقيل انسي صاحبه الذي كان معه في السجن وقال له اذكرني عند ربك ان يذكره لسيده وهو الملك اي انسا الشيطان الشرابي ان يذكر يوسف للملك قال النبي صلي الله عليه وسلم في حديث رواه بن جرير والطبراني عن ابن عباس وابن مردوية عن ابي هريرة وابو الشيخ عن ابي الحسن مرسلا وكذا عن عكرمة فهو حديث صحيح لولا كلمة يوسف اي قوله لصاحبه في السجن اذكرني عند ربك وطلبه من غير الله للفرج ما لبث اي مكث وما نافية في السجن ما لبث اي مدة لبثه فما مصدرية زمانية وقال مالك بن دينار ابو يحيي البصري احد الاعلام الزاهد الثقة اخرج له الاربعة والبخاري تعليقا وتوفي سنة ماية واثنين وثلاثين واسمه محمد بن ابراهيم وله ترجمة في الميزان وهذا رواه الامام البغوي عنه في تفسيره واخرجه ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا لما قال لذلك يوسف اي قوله اذكرني عند ربك قيل له اي قال الله تعالي له موبخا له كما يا ابي اتخذت من دوني اي غيري من عبيدي وكيلا اي من تكل اليه امرك وتعتمد عليه في خلاصك لاطيلن حبسك اي مدة مكثك في الحبس فقال يا رب انسي قلبي كثرة البلوي والمصايب من حين القيت في الجب الي ان دخلت السجن فهذا ذنب عد عليه وعوقب به مع انه ليس بمعصية شرعية لكن علي مقامه يقتضي ان لا يذكر في الشدة غير الله ولا يعول علي مخلوق وقد قال الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل حين القي في النار وقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا حسبي من سوالي علمه بحالي وقد رووا ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاه في الحبس وبلغه ذلك في حديث طويل نقلوه وقال بعضهم تواخذ الانبيا لو ما لهم بمثاقيل الذر جمع مثقال وهو وزن كل شي ومقداره والذر جمع ذرة وهي اصغر النمل ويقال للهبا الذي يري في شعاع الشمس ولا زنة له اصلا فهو مبالغة في الخفة والمثقال في العرف الدينار وليس بمراد هنا لمكانتهم اي لقربهم ورفعتهم عند ربهم ومن يحب احدا ويعتني به لا يسامحه في ادني شي يتعلق به ولذا قيل ضرب الحبيب اوجع ويتجاوزعن ساير الخلق اي غيرهم وبا فيهم لتلدنيا لاته بهم قال ابن فارس اشتبه علي اشتقاق لا ابالي حتي رايت قول ليلي الاخيلية ،

تبالي رواياهم هبالة بعدما ، وردن وحول الما بالجم ترتمي ،

وقد قالوا فيه التبالي المبادرة للاستقا عند قلة الما فيستقي احدهم ويبتظر غيره فمعني ذلك لا ابادر له ولا انتظره لعدم اعتدادي به انتهي في اضعاف

اي الساقي

ابن الفارس

ما الثوابه في اتيانهم بما يزيد على ما اتى به المقربون بمثله وامثاله وضعف الشي ما يزيد عليه بمثله او باكثر كما فصله في الكشاف تابعا للازهري في تهذيبه من سو الادب في حق خالقهم المتفضل عليهم بالنعم الجليلة التي حقها ان تقابل بطاعته وشكره فعصوه وارتكبوا ما لا ينبغي من المعاصي وقد قال المحتج اي الذي اقام الحجة والدليل للفرقة الاولى القايلة بان الانبيا معصومون من جميع الذنوب وان السهو والنسيان لا يواخذون به كغيرهم ما شانا في حالهم على سياق ما قلناه اي ما قررناه في بيان امرهم فاشكل عليهم ما قلته انفا من انهم يواخذون بما لا يواخذ به غيرهم لعدم المبالاة بهم اذا كان الانبيا يواخذون بهذا المذكور من مثاقيل الذر بما لا يواخذ به فلا يعاقب به ولا يعاتب غيرهم اي غير الانبيا من اممهم من السهو والنسيان ونحوه من ما ذكرته من الامور المباحة لهم وحالهم اي حال الانبيا المواخذين بما ذكر ارفع عند ربهم وهذه جملة حالية وما في بعض النسخ فحالهم بالفا من تحريف الكتبة فحالهم اي حال الانبيا اذن اي اذ اوخذوا بها اشق من غيرهم عند الله لكثرة ما اخذهم به وتشديده عليهم فيما لم يشدد به على غيرهم مع انهم ليسوا كذلك وهذا من سوء الفهم لتوهم قايله ان الاعظم عند ربه لا يواخذ بترك الاولى وليس كذلك فان ذلك لحكمة والى جواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها اشار بقوله فاعلم ايها السايل اكرمك الله بهدايتك لوجه ما ذكرنا انا انما اثبتنا تلك المواخذة اي مواخذة الانبيا في هذا الذي اخذهم به دون غيرهم مواخذة اي على مقدار غيرهم اي مواخذة غير الانبيا بما ارتكبوه من الذنوب بمعاقبتهم في الدنيا والاخرة بل نقول في الفرق بين مواخذتهم ومواخذة غيرهم وهو اضراب انتقالي من نفي مواخذتهم كغيرهم انهم اي الانبيا والمقربين رتبة يواخذون بذلك المذكور من مثاقيل الذر في الدنيا بما يبتليهم به فيها ليكون ذلك المواخذة زيادة في درجاتهم اي في علو مقاماتهم العلية وجعله عين الزيادة وهو سببها مبالغة ويبتلون بذلك اي بالمواخذة به في الدنيا على قدر مراتبهم عنده كما ورد اشد الناس بلا الامثل فالامثل ليكون استشعارهم الاستشعار طلب الشعور والمراد به مقاساته او من الشعار وهو اللباس الملاصق للبدن سببا لمنماة مصدر ميمي بمعنى النمو وهو الزيادة اي لزيادة رتبهم اي علو مقاماتهم عند الله ثم استدل لما ذكره بقوله تعالى فقال كما قال عز وجل ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه باعلا رتبته عنده من جبى يجبي اذا جمع فانه جمع فيه من الصفات الحميدة ما كان سببا لاصطفايه وقربه فتاب عليه وهدى اي قبل توبته وارشده الى الاعتذار عما صدر منه والاستغفار فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فالاجتبا بزيادة بعد النبوة وعطفه بثم اشارة لمزيد وزيادة في رتبته حتى كانه متراخ عنه وقال الله تعالى لداود عليه الصلاة والسلام فغفرنا له ذلك اي ما صدر منه في خطبة امراة

اوريا

اوريا كما تقدم فاذكر الاية الى اخرها من قوله وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وهي صريحة فيما ذكره وقال عز وجل بعد قول موسى سبحانك تبت اليك من سوال رويتك في الدنيا وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اي اخترتك وقدمتك على اهل زمانك برسالاتي وبكلامي بغير واسطة وكيفية بكلام تسمعه من ساير الجهات وقال الله تعالى بعد ذكر فتنة سليمان في القا الجسد على كرسيه كما تقدم واناب اي رجوعه الى الله وتوبته فسخرنا له الريح تجري بامره رخا الاية الى قوله وحسن ماب فترتيبه على ذلك ما عدده من النعم يقتضي ان الفتنة التي اناب منها ليست معصية لانها لو كانت كذلك لم يترتب عليها ذلك وكونه له زلفى اي قرب من الله وحسن ماب بمرجعه للجنة وهذا كله زيادة في درجاته ونماء لمرتبته عند ربه لا يخفى وقال بعض المتكلمين ما يويد ما قرره وارتضاه زلات الانبيا جمع زلة من زل اذا سقط وتجوز بها عن الذنب اي ما عد زلة وذنبا لهم وان لم يكن كذلك في الظاهر اي في ظاهرها تدل عليه العبارة زلات وهي في الحقيقة اي في نفس الامر وعند التحقيق انما هي كرامات اكرمهم الله بها لانه ابتلاهم بها ليثيبهم عليها وزلفا بضم وفتح جمع زلفة اي قرب من الله تعالى باعلا مقامهم عنده واشارة الى نحو ما قدمناه مما يترتب على ابتلايهم بها من انعام الله عليهم بنعم لا تحصى وهذا الخصوصية لا ياتي كونه مما خصهم الله به لان مثل هذه النعم الجليلة لا تكون لغيرهم فلا يرد عليه ان المومنين مثابون بمصايب الدنيا اذا صبروا عليها ورضوا او نقول انه اشار لعدم اختصاصهم بذلك بقوله وايضا اي مثل ما ذكر من انه في الظاهر زلة وهو في الحقيقة نعمة وكرامة فلينبه غيرهم من البشر اي يوقظه ويعلمه منهم اي الانبيا المذكورين او ممن ليس في درجتهم من الاتقيا الذين ليسوا انبيا بمواخذتهم بذلك البا سببية متعلقة بينبه او هي بمعنى على لان نبه يتعدى بعلى او ضمن معنى يشعر ويعلم وذلك اشارة لما امتحنوا به مما صدر عنهم من خلاف الاولى وليس بذنب فيستشعروا الحذر اي يستشعرون بالحذر وهو الخوف من الشعور او الشعار كما مر انفا وليس من قولهم ليت شعري فانه تكلف لا داعي له ويعتقدوا المحاسبة على ذلك لان مواخذة غير الانبيا تقتضي مواخذتهم بالطريق الاولى وان كان ما ارتكبوه مباحا لكنه خلاف الاولى وليلتزموا الشكر على النعم المترتبة على ما ابتلوا به كما تقدم او على كونهم لم يمتحنوا بذلك مع امتحان من هو اعظم منهم ويعدوا بضم اليا التحتية وكسر العين وتشديد الدال اي يحضروا ويهيوا الصبر ليستعينوا به على المحن جمع محنة وهي البلية التي يمتحن الله بها صبره ورضاه كما قيل لله در النايبات فانها صدا اللئام وصيقل الاحرار ويتذكر ما في الصبر من الثواب لقوله انما يوفى

الصابرون اجرهم بغير حساب والمحنة كالفتنة تصفية المعادن من غشها فنقلت
لما ذكر وصارت فيه حقيقة ويلاحظ ما وقع منا مثل ما وقع وفي نسخة
يلاحظنا يا هل هذا النصاب اي المقام الرفيع من الانبيا والنصاب بمعني الاصل
والحسب يقال فلان كريم المنصب والنصاب كما في الاساس ومنه نصاب السكين
المحفوظ من الذنوب فكيف بمن سواهم اي غير الانبيا فاذا وقع اللوم لهم فيه فغيرهم
بالطريق الاولي لكونه من خلص عباد الله الذين يعتد بهم كما تقدم ولهذا اي لما ذكر
من الحكمة في مواخذة الانبيا عليهم الصلاة والسلام بما لم يواخذ به غيرهم قال صالح
ابن بشير وهو علم منقول من البشير مقابل النذير الواعظ الزاهد توفي سنة
اثنين وسبعين ومايه كما قاله ابن ماكولا المري بضم الميم وتشديد الرا المهملة نسبة
الي مرة قبيلة ذكر داود نبي الله صلي الله عليه وسلم وذكران كان مصدرا فهو مبتدا
فقوله بسطة للتوابين خبره اي توسعة لمن يتوب ويكثر التوبة والاستغفار لينبهوا
علي فضلها وان كان فعلا مبنيا للمعلوم او المجهول اي ذكره الله فقوله بسطة
منصوب مفعول له وقال ابن عطا ابو العباس بن محمد بن سهل بن عطا الاربلي شيخ
الصوفية وله في فهم القران لسان اختص به توفي سنة تسع او احدي عشرة
وثلثمائة لم يكن ما نص الله تعالي عليه في القران من قصة صاحب الحوت يونس ابن
متي نبي الله صلي الله عليه وسلم نقصا له اي تنقيصا له بكونه ولي مغاضبا
ولم يصبر حتي ياذن الله له فيما اراد ولكن ذكره وقصته استزادة من نبينا صلي الله
عليه وسلم اي طلب منه ان يزيد صبره علي قومه وقيل المراد انه زيادة في علمه
بما جري للانبيا طلبها من ربه والصحيح الاول لانه المناسب لقوله ولا
تكن كصاحب الحوت اي في ضجره وفراق قومه حتي كان ما ذكره الله في قصته وايضا
فيقال لهم في الجواب عما ادعوه من تجويز الصغاير علي الانبيا الا الزاما لمن سال عن معني
قوله تعالي وعصي ادم ربه ونحوه كما قيل انكم ومن وافقكم علي هذا القول
تقولون بغفران الصغاير وان لم يتب منها باجتناب الكباير اي بسبب تركها
كما ذهب اليه كثير من اهل السنة تمسكا بظاهر قوله تعالي ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وذهب كثيرون الي انها مقيدة بالمشية
كغيرها لقوله تعالي ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والكلام فيه مشهور في كتب
الاصول والاخلاف بين من يعتد به في عصمة الانبيا عن الكباير فما جوزتم من
وقوع الصغاير عليهم متعلق بجوزتم هي مغفورة علي هذا القول والجملة خبر قوله ما وهو
بمعني الوقوع لانه ينبه به علي مذهب الفرا في الاكتفا بضمير ما يلابس المبتدا
عن ضميره كما قرروه في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا الاية
او يحمل ما بمعني الصغاير فما معني المواخذة للانبيا الله عليهم الصلاة
والسلام بها اي بالصغاير اذن اي مع اجتناب الكباير عندكم ايها القايلون بهذا
الراي وما معني خوف الانبيا وتوبتهم منها اي من الصغاير وهي مغفورة بدون

توبة

توبة منها لو كانت اي وجدت منهم فما اجابوا به عن هذا فهو جوابنا عن المواخذة
بافعال السهو اي بما فعلوه سهوا ونسيانا والتاويل اي ما فعلوه لتاويلهم
الاوامر والنواهي الواردة فيه كما تقدم وهو جواب الزامي والقول بانفصالهم
عن هذا تقدم بعدم القول بذلك في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه
في حق غيرهم وانه عليه ان يصح النقل عنهم بالتزامه في حق الانبيا يأباه انه
يعلم في حقهم بالطريق الاولي لانه جواب جدلي فتامله وقد تقدم ان التوبة
لا يلزم ان تكون عن ذنب فتذكره واشار اليه المص هنا بقوله وقد قيل ان
كثرة استغفار النبي صلي الله عليه وسلم حيث استغفر الله سبعين مرة كما مر وتوبته اي
قوله استغفر الله واتوب اليه وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وان كانوا
معصومين من ساير الذنوب فذلك انما هو علي وجه اي علي طريق ولاجل
ملازمة الخشوع اي التذلل باظهار انه مذنب والعبودية والاعتراف بالتقصير
في ادا حق مولاه شكر الله علي نعمه جمع نعمة ونعم الله لا تحصي كما قال
تعالي وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها كما قال تعالي فمن عرف نعم الله عليه
واظهر العجز عن شكرها فقد شكره تعالي شكرا عظيما فان الشكر كما يكون
باللسان يكون بالاركان كما تقرر عندهم وقد ورد انه صلي الله عليه وسلم
كان يقول في كل مجلس استغفر الله واتوب اليه اكثر من مائة مع ما هو عليه من
العصمة والعبادة فلا معني لما قيل انه لا يصح ايراد ما ذكر هنا علي وجه
الدليل في محل النزاع كما قال صلي الله عليه وسلم في الحديث المشهور المتقدم
الذي فيه انه اكثر من قيام الليل حتي تورمت قدماه فقيل له اتفعل هذا يا رسول
الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
وقد ذكره شاهدا لاظهار العبودية شكرا لله وقد امن بضم الهمزة وكسر
الميم المشددة مبني لما لم يسم فاعله قال البرهان في الصحاح أمنت فلانا فانا
آمن وأمنت غيري من الامن والامان فعلي هذا ينبغي ان يقول أومن انتهي
يعني ان أمن بالتشديد لا يصح ان يكون من الامن والامان وانما هو من
بمعني قال امين وليس كما قال فانه يقال أمّنه بهذا المعني ايضا وهذه
الجملة حالية والمومن له هو الله او الصحابة الذين قالوا له ان الله غفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر من المواخذة بما تقدم وما تاخر مما صدر
منه من ترك خلاف الاولي ونحوه الذي هو كالذنب بالنسبة لمقامه او لو
وقع وان لم يقع فقال صلي الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا اي كثير
الشكر مبالغة فيه لعظم نعمه وكثرتها علي والاستفهام لانكار من ظن ان كثرة
عبادته خوفا من الذنوب وطلبا لمغفرتها فقال وان كان الله عمني برحمته
ومغفرته فان اللايق بي شكر الله علي ما اولاني والحديث مذكور في الصحيحين
عن المغيرة بن شعبة وقال صلي الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري كما تقدم

العصمة

ابن اقبرس

ابن اقبرس

دلجي

دلجي

انی لاخشاکم لله ای اعظمکم له خشیة والخشیة الخوف مع المهابة للعظمة واعلمکم
بما اتقی وروی انی لاتقاکم لله واخشاکم له ومن علم ما یتقی وجزاءه وعظمة من یخشاه
کان ابعد منه واحذر وقال الحارث ابن اسد هو العالم الربانی الذی فاق اهل عصره
فی علم الباطن والظاهر وهو المشهور بالمحاسبی لکثرة ما کان یحاسب نفسه
ولزهده لما مات ابوه وخلف له مالا عظیما لم یاخذ منه شیئا مع احتیاجه لان
اباه کان قدریا وقال لایتوارث اهل ملتین وترجمته مفصلة فی المیزان
توفی سنة ثلاث واربعین ومایتین خوف الملایکة من الله والانبیا علیهم الصلاة
والسلام خوف اعظام ای اجلالا وتعظیما لله وتعبد لله ای یقصد ونا به
العبادة لانهم امنون من الله لاخباره لهم برضاه عنهم وانه یعطیهم فی الدنیا
والاخرة من نعمه ما لا عین رات ولا اذن سمعت وقد فعلوا ذلک ای الاستغفار
والتوبة لیقتدی بهم بالبنا للفاعل علی التنازع فی الفاعل او هو مبنی للمجهول
ویستن بهم اممهم ای تتخذه سنة وعادة وقد تقدم ان النبی صلی الله علیه وسلم
کان شدید الخوف من ربه لانه اعلم به وهو مناسب لما هنا وهو یشهد لما
قاله امام السنة ابو الحسن الاشعری رحمه الله فی کتاب الایجاز من انه صلی
الله علیه وسلم کان یخاف الله بلا خلاف الا انه عند اهل الحق کان قبل ما امنه
الله من عقابه خایفا من عقابه وبعده من عتابه ولومه فی الدنیا کما فی قصة
ابن ام مکتوم وبعد تامینه لایجوز ان یخاف عقابه مع اخباره بتامینه
خلافا للرافضة والقدریة حیث زعموا انه هو وسایر الانبیا ما داموا مکلفین
فی الدنیا لابد ان یخافوا عقابه سوا امنهم ام لا لنا انه لایجوز ان یخاف
من شی الا بعد تجویز وقوعه ومع القطع بعدمه لایجوز ذلک من عاقل
لانه یودی الی الشک فی خبره هل هو صادق ام لا وهو باطل بالاتفاق انتهی
اقول فی فتاوی شیخ مشایخنا ابن حجر الهیتمی ما ینافیه کما مر فانه سیل
عن الانبیا والملایکة والعشرة المبشرة بالجنة هل کانوا یخافون مکر الله وعقابه
بعد اخبار الله لهم بخلافه فاجاب بان نفی خوف العقاب عن هولا مطلقا
باطل مصادم للنصوص لوجوه منها ان حقیقة الخوف کما فی الاحیا الم القلب لتوقع
مکروه وهو اما خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله علی ما ینبغی وهذا محقق فی
جمیع الانبیا علیهم الصلاة والسلام ویلزمه عدم الامن من مکر الله ولا یامن من
هذا احد والمامون منه الانسلاخ من النبوة والملکیة والایمان فی العشرة
وان جوز وقوعه والرجا والخوف متلازمان فان قلت یلزمه الشک فیما ذکر
قلت حقیقة الخوف ما مر والکمل علی یقین من خبره تعالی لکنهم لشعورهم
بقدرة الله واستغنایه عن خلقه وانه لایسال عما یفعل ولا یجب علیه شی وخبره
تعالی یجوز ان یکون مشروطا بما انطوی عنا علمه وهذا انما یوجب الخوف
وقد سال زید بن اسلم الشافعی لم تدخل الملایکة فی انهم لایامنون مکر الله

فقال

مطلب خوف الانبیا العقاب

فقال نعم لما رواه ابن ابی حاتم انه تعالی قال للملایکة ما هذا الخوف الذی بلغ
بکم هذا وقد انزلتکم منزلة لم ینزلها غیرکم قالوا ربنا لایامن مکرک الا القوم
الخاسرون وقد ذکر ذلک فی الملایکة والانبیا وقد روی ان النبی صلی الله علیه وسلم
وجبریل بکیا فقال الله لهما لم تبکیا وقد امنتکما فقالا نخشی ان یکون تامینک
مکرا بنا وهذا هو الذی قطع قلوب العارفین ویدل لهذا قوله ما ادری
ما یفعل بی ولا بکم وقوله صلی الله علیه وسلم فی دعایه اللهم انی اعوذ برضاک من
سخطک وبمعافاتک من عقوبتک وبک منک الی اخره ونحوه کثیرا ولو کان تشریعا قال
قولوا اللهم انی والمراد بتامینه الذی فی الحدیث مر ان فیه افلا اکون
عبدا شکورا خوفه من امور الدنیا واستیصال امته واما من الله فلا انتهی
ملخصا اقول هذا انما یشکل علی ما قاله المص ومشایخ الصوفیة فیما قاله
نقله وعلی الاشعری لکنه موافق لما قاله ایمتنا الحنفیة والشافعیة کما
کما نقل فی کتب الاصول والفروع من ان الامن من مکر الله والیاس من رحمته
کبیرة او کفر علی ما تقرر عندهم فانا لو قلنا بما نقل عن الاشعری من ان
الملایکة والانبیا والعشرة المبشرة امنون من المکر والمراد به العقاب
کان ما قرره الفقها غیر صحیح علی الاطلاق لکن الامن من المکر محقق
بل واجب فی حق هولا ولو ادعی بعض خلص المتقین الزاهدین انه اشبه هولا
فی امنه لم یکن به باس فضلا عن ان یکون کبیرة او کفرا الا انه یقتضی علی کل
حال ان القول بانه کفر غیر صحیح وایضا استدلالهم بقوله عز وجل لایامن
مکر الله الخ ولا ییاس من روح الله الخ غیر صحیح لان معناه انه من صفات
الکفار والخاسرین لا ان من اتصف به کافر او خاسر ومثله یعرفه من یفهم
کلام العرب وفی کلام ابن حجر قصور یدرکه من له ذوق وفکر سلیم وهذا
بحث نفیس لم ار من حرره ومن لم یحم حول الحمی ههنا قال ما قال مما لا محصل
له فعض بالنواجذ علی ما سمعته کما قال صلی الله علیه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحکتم قلیلا ولبکیتم کثیرا فمن علم ان الموت مورده والقیامة موعده والوقوف
بین یدی الله مشهده فحقه ان یطول حزنه ویبکی علی نفسه وهذا من
حدیث اخرجه الشیخان وقد تقدم وفیه من انواع البدیع الطباق والموازنة
وایضا ای مثل ما تقدم فی توجیه استغفار الانبیا علیهم الصلاة والسلام
وتوبتهم مع عصمتهم فان التوبة والاستغفار الصادرین من الانبیا وممن
اقتدی بهم من خلص عباده معنی اخر لطیفا فی غایة الحسن اشار الیه
بعض العلما وهو استدعا ای طلب ان یزید الله رضاه عنهم ومحبته لهم لما ورد فی
الحدیث ان الله یفرح بتوبة عبده المومن والفرح فی حقه بمعنی الرضا عنه
وانعامه علیهم وتوبة الانبیا علیهم الصلاة والسلام مما صدر منهم من ترک الاولی
ولما یخطر بقلوبهم من انهم لم یودوا عبادته تعالی حقها فاذا فعلوا ذلک مع ما هم

عرضی

ابن اقبرس

عليه من المجاهدة زادت نعمه تعالى عليهم فلا يتوهم انه كيف يتوب من لاذنب
له وكيف يثيبهم الله على ما ابدوه من خلاف الواقع وقول بعضهم انه كلام
في محل النزاع من عزو لبل كلام ركيك تركه خير منه قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين اي المكثرين من قول اتوب اليك وان لم يكن له ذنب هضما لنفسه
لتوهمه قصوره ويحب المتطهرين هو اما على ظاهره او المراد به المحترزين من
دنس المعاصي وسائها المص رحمه الله ليكون دليلا على ما قاله قبله واحداث
الرسل والانبيا اي تجديد ايجاد الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة
اي ارجاع امورهم الى الله وهي الفاظ مترادفة ذكرها للتاكيد وللاشارة
الى انها وقعت منهم تثيرا بعبارات مختلفة تفننا في كل حين اي في
غالب اوقاتهم واكثرها كما تقدم استدعا اي طلب واصل معناه طلب الدعوة
او الدعا فاستعمل مجازا مرسلا في مطلق الدعوة ويجوز ان يكون استعارة
لمحبة الله لهم والاستغفار فيه معنى التوبة لانه طلب المغفرة وهي
من الغفر وهو الستر اي ستر ذنوبهم بغفرها وبينهما عموم من وجه فمن اقلع
عن الذنب نادما عازما على عدم العود اليه من غير دعا بالمغفرة وتضرع
تايب غير مستغفر ومن استغفر ربه من ذنبه مع عدم اقلاعه مستغفر
غير تايب ومن جمع بينهما مستغفر تايب وقد قال الله في القران لنبيه صلى
الله عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر كما تقدم تفسيره
وتاويله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية ذكرها فقال ثم
تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم لان التوبة الاولى اذنه لمن تخلف من
المنافقين في غزوة تبوك والثانية عن ان قلوبهم كادت تزيغ لما
قاسوه في غزوة العسرة اوذكرا الاولى تفضلا منه والثانية عن الذنب المذكور
وقال عز وجل ايضا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فامره
باستغفاره وتسبيحه بحمده وقد ذكر انه كان عظيم التوبة عليه والكلام
على هذا وانه نعي له نفسه معلوم في كتب التفسير والحديث وكان صلى الله
عليه وسلم يجتهد في العبادة بعد نزول هذه السورة ويقول كثيرا في ركوعه
وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ويقول بهذا امرت
فصل قد استبان لك اي تبين فيما قبل هذا والسين هنا
للتاكيد وليست للطلب هنا لان ما يطلب من شانه ان يتنافس فيه وقيل
انها للاطالة كما قيل لعار لو تنفست اي اطلت لان من يتنفس يستانف
القول ويسهل عليه الاطالة وفيه ما لا يخفى ايها الناظر ما قررناه ما في
محل نصب مفعول ناظر وفي نسخة بما قررناه بالباء السببية فاذا تاملته بان
لك ما هو الحق وما هذه فاعل استبان يعني تبين لك وظهر الحق والامر المحقق
المقرر مما فصله من عصمته صلى الله عليه وسلم بحفظه وتخلقه بتبرئه من النقايص

لانبيا

لا سيما من الجهل بمعرفة ذات الله وصفاته كساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فان فطرتهم على التوحيد والعلم به وبصفاته والاقرار بذلك او تبين لك عصمته
من كونه اي وجوده وخلقه كساير الانبيا على حالة تنافي العلم بشي من ذلك
اي من ذاته وصفاته كله جملة فهو لا يجهل شيا من ذلك اصلا لا سيما بعد النبوة
ونزول الوحي عليه لقضايه بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالى لا يصطفي
الا هو كذلك اجماعا من كل المسلمين وعقلا لاقتضا العقل السليم له وقبلها
اي النبوة سمعا ونقلا لوروده في الاحاديث الصحيحة ولاتفاق ايمة الدين
على عصمتهم من ذلك قبلها ولو قال من عصمتهم كان احسن لعدم احتياجه للتقدير
والمنصوبات تمييز وسمعا هو كمد بقوله نقلا لحديث البخاري كل مولود يولد على الفطرة
وابواه يهودانه وينصرانه او يمجسانه وهو معنى قوله تعالى فطرة الله التي
الناس عليها كما تقرر في التفاسير وشروح الحديث وفي المواقف عصمة الانبيا
لا سيما نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام بالله وصفاته قبل النبوة وبعدها اجماع
عقلي لانه كفر والكفر لا يجوز على الانبيا قبل البعثة وبعدها عقلا واجماعا وما وقع
لابراهيم عليه الصلاة والسلام لالزام الحجة وليطمين قلبه لا لشك منه كما تقدم
وكذا كل ما يضاهيه من قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا بشي معطوف
على قوله بشي قبله اي ولا كونه على حالة تنافي العلم بشي مما قررناه من امور الشرع
الذي اوحي اليه بتبليغه واداه اي اوصله وبلغه عن ربه الوحي المامور بتبليغه
لامته قطعا اي مقطوع به متيقن بلا خلاف عقلا وشرعا لانه مناف للارسال
به وامره بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شي منه لان الانبيا عليهم الصلاة
والسلام معصومون عن ذلك لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن
الله لانه لو لم يكن كذلك كان افترا على الله وهو باطل عقلا وشرعا وظاهره انه لا يقع منهم
ذلك سهوا ونسيانا ايضا وهو مذهب ابي اسحاق الاسفراني وجوزه القاضي
ابو بكر لعدم منافاته للمعجزة فانهم لا يقرون عليه وكلام المص على خلافه وعصمته
من الكذب معطوف على عصمته في اول الفصل لما علمته من منافاة المعجزة له وخلف
القول اي انه صلى الله عليه وسلم معصوم عما يخالف الواقع من قوله لبلا يتهمهم
في تبليغه منذ نباه الله وارسله فلم يصدر عنه شي منه وهو مستحيل منه
قصدا وغير قصد واستحالة ذلك اي الكذب والخلف عليه شرعا واجماعا من ايمة
الدين ونظرا وبرهانا اي استحالته شرعا واجماعا مما دل عليه النظر والدليل العقلي
فهو متحقق عقلا ونقلا وسقطت الواو العاطفة في بعض النسخ قبل قوله نظرا وهو
احسن من ثبوتها في بعضها وتنزيهه اي تبريته عنه اي عن الكذب قبل النبوة
قطعا لتواتره فكان صلى الله عليه وسلم عندهم يسمى الامين كما مر لانه مامون في
اقواله وافعاله وتنزيهه عن الكباير اجماعا لرفعة قدره عنها ولا ينافيه
تجويز الحشوية له كما قيل لعدم الاعتداد بخلافهم وقوله اجماعا اشارة لرد

قول المعتزلة انه عقلا لابتنايه علي الحسن والقبح العقليين **وعن الصغاير تحقيقا**
اي امرا محققا ولتجويز بعضهم لها لم ينقل اجماعا ويكون ان يريد بقوله تحقيقا
قصدا بقرينة قوله **وعن استدامة السهو والغفلة** عطف تفسير للسهو
لبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع نبه عليه بسرعة كما مر وقد قيل

يا سايلي عن رسول الله كيف سها ✽ والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شي سره فسها ✽ عما سوي الله في التعظيم لله

وتقدم كلامهم فيه وما فيه **وعن استمرار الغلط والنسيان عليه** حفظا له صلي
الله عليه وسلم بايقاظ قلبه وتنبهه **فيما شرعه** بالجر ويجوز رفعه **في كل حال الا من
رضي وغضب وجد** بكسر الجيم ضد الهزل **ومزح** لانه صلي الله عليه وسلم كما ورد كان يمزح
ولا يقول الا حقا كقوله صلي الله عليه وسلم لامراة لا تدخل الجنة عجوز لانهن يعدن
لسن الشبوبية **فيجب عليك** ايها الناظر لانه خطاب له بغرضه **ان تتلقاه** اي تاخذه
وتعلمه **باليمين** اي بالقبول واليمن والبركة لانهم ياخذون بها ما يعتنون به فانها
جهة يسهل العمل بها عادة والعرب تقول لما تتمدح به اخذه بيمينه ولذا قال
الشماخ ✽ اذا ما راية رفعت لمجد ✽ تلقاها عرابة باليمين ✽
وتشد عليه اي علي ما ذكر من تنزيهه صلي الله عليه وسلم عما ذكر **يد الضنين** بضاد معجمة
ونونين كالبخيل وزنا ومعني من الضنة وهي شدة البخل وهو استعارة تمثيلية
بليغة كقول المتنبي ✽
وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه ✽ اي تحرص علي حفظ ما ذكر من تنزيه قدره
عما ذكر كحرص البخيل علي ما في يده لشدة بخله به وخوفه من ذهابه منه وفيه
مع اليمين مراعاة النظير وقد فسر اليمين بالقوة وهو غير مناسب لما هنا لما
عرفته **وتقدر** بسكون القاف وكسر الدال من القدر وهو المنزلة الرفيعة كما في
قوله تعالي وما قدروا الله حق قدره **هذه الفصول** المعقودة لبيان ما يجب
اعتقاده في حقه صلي الله عليه وسلم **حق قدرها** اي تعظمها حق تعظيمها اللايق
بها **وتعلم عظيم فايدتها** لانها مما يجب اعتقاده وينال به عند الله مثوبة عظمي
وخطرها اي شرفها ومزيتها واصله ما يعطي عند الرهان لمن سبق فاستعير لما ذكر
فان من يجهل ما يجب اعتقاده **للنبي صلي الله عليه وسلم او يجوز له**
مما يصح في حقه **او يستحيل عليه** اي يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة **ولا يعرف
صور احكامه** اي الحكم المتصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة **لا يامن ان يعتقد
في بعضها** اي بعض الصور والاحكام **خلاف ما هي عليه** فيعتقد في حقه ما لا
يجوز اعتقاده **ولا ينزهه عما لا يجوز** في حقه وفي بعض النسخ عما لا يجب اي لا يجوز
كذا فسره به بعضهم وفيه نظر **ان يضاف اليه** اي ينسب اليه ويوصف به
فيهلك اي يقع في امر يكون سببا لهلاكه في الدنيا والاخرة **من حيث لا يدري** لعدم علمه
بحقه وما يجب له وما يجوز عليه **ويسقط في هوة** بضم الها وتشديد الواو وهو

العميق

العميق كالبير **الدرك** بفتحتين وقد تسكن الرا وهو ما ينزل به الي **الاسفل**
من دركات المنازل **من النار** التعريف في النار للعهد والمراد نار جهنم التي في
الاخرة وهي هنا مجاز عن محلها وهي تستعمل كثيرا بهذا المعني وهو عبارة عن
عقابه اشد العقاب في الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله **اذ ظن** هو مصدر
مبتدا مضاف لقوله **الباطل به** صلي الله عليه وسلم اي ظن ما ليس صحيحا في حقه
واعتقاده علي طريق الجزم به **ما لا يجوز** شرعا وعقلا **عليه** صلي الله عليه وسلم **يحل**
بضم اليا وكسر الحا المهملة وتشديد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد
اي يحل **صاحبه** اي صاحب ذلك الاعتقاد **دار البوار** اي يجعله حالا في دار
البوار يعني جهنم والبوار بفتح الموحدة هو الهلاك وهو من اسمايها وضبط
البرهان يحل بفتح اوله وضم ثانيه وصاحبه فاعله علي هذا وهو جايز ايضا
ولا يتعين الا بروايته كذلك **ولهذا** المذكور كله من عظيم قدره وخطره
ووجوب اعتقاد تنزيه النبي صلي الله عليه وسلم عما ذكره وان اعتقاد خلافه
يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الاسفل لما يودي اليه من الكفران اراد
تنقيصه بما ذكر **احتاط** عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ ما احتاط
وما زايدة كقوله تعالي فبما نقضهم ميثاقهم والاحتياط افتعال من احاطه
اذا اتخذ عليه حايطا ثم استعمل للمبالغة في الصيانة والحفظ وفي الاساس
احتاط واستحاط في امره بالغ في الاحتياط وتفسيره بالتحري في طلب الخير
خشية علي من ذكر غير لايق هنا **علي الرجلين اللذين راياه ليلا** اي في
ظلمة الليل **وهو معتكف في المسجد** يعني مسجده بالمدينة **مع صفية** ام
المومنين وكانت جالسة تتحدث معه صلي الله عليه وسلم ثم قامت فقام معها
يشيعها لبيتها فمرا به وابصراه فاسرعا وقوله في المسجد قيل انه متعلق
براياه لا بمعتكف ومع صفية حال من فاعل راي اي راياه حال كونه
مع صفية في بعض ازقة المدينة وقد جاءته تزوره لا فاعل معتكف كما قيل
والحديث في الصحيحين عن صفية بنت حيي بن اخطب بن سعيه بسين مهملة
مفتوحة وعين مهملة ساكنة بعدها مثناة تحتية وها او نون وكانت تحت ابن
ابي الحقيق اليهودي فلما قتله صلي الله عليه وسلم واسلمت تزوجها وقصتها
في السيرة **فقال صلي الله عليه وسلم لهما انها** اي التي رايتماها تتحدث
معي **صفية** زوجتي لا اجنبية وفي الحديث انه صلي الله عليه وسلم قال لهما
لما اسرعا علي رسلكما اي تمهلا انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله صلي
الله عليه وسلم ما ذكر لظنه انهما ظنا به ما لا يليق بمقامه وقد قال
الحفاظ انهما لم يعرفا ولم ينسبا في شي من كتب الحديث الا ان ابن العطار
تلميذ النووي قال في شرح العمدة زعم بعضهم انهما اسيد بن حضير وعباد
ابن بشر ووقع في رواية سفيان في البخاري فابصره رجل من الانصار

بالافراد وفي اخرى وهما من الانصار فيحتمل تعدد القصة وقال ابن حجر الاصل
عدم التعدد فهو محمول على ان احدهما كان تابعا للاخر فاختص احدهما
بخطاب المشافهة ثم قال صلى الله عليه وسلم لهما بعد ما قالاه ان الشيطان
يجري من ابن ادم بوسوسته له في باطنه مجرى الدم وهو داخل عروقه وفي رواية
اي خفت ان يظنا بي ظنا اي الشيطان الخ والمراد بابن ادم الجنس
بشمل النسا وجريانه مجرى الدم قيل انه على ظاهره وانه اقدره على
الله على الدخول في عروق الناس ويتصل بقلوبهم وقيل انه تمثيل لشدة اتصاله
به ولزومه له واني خشيت عليكما ان يقذف اي يلقي ويوقع الشيطان في
قلوبكما شيا من الظن السي فتهلكا فتقعا في اثم يهلككما الله بما يحل بكما من
العقوبة على ذلك الذنب فخشي صلى الله عليه وسلم عليهما ان يغويهما الشيطان
فيلقي في قلوبهما سوء ظن به انه يتكلم مع اجنبية فيؤدي بهما ذلك الى تنقيصه
وهو كفر يستحقان به دخول النار فيهلكا فبادر لاعلامهما بما ينقذهما من
الهلاك والحديث في البخاري وغيره كما مر وفيه جواز خروج المعتكف من المسجد
لحاجة والارشاد للاحتراز من محل التهم وانه ينبغي للعالم ان يرشد غيره
لما فيه خير له الى غير ذلك للفوايد التي لا تحصى قال القاضي عياض المولف
رحمه الله هذه اي معرفة ما يجب اعتقاده فيه صلى الله عليه وسلم من
عصمته من ساير الذنوب لئلا يهلك اذا اعتقد خلافه اكرمك الله اي جعلك
الله مكرما بما هداك له مما يجب عليك معرفته احدى فوايد ما تكلمنا عليه
هو جزء هذه المبتدا او ما بينهما من الجملة الدعائية اعتراض في هذه الفصول
بصاد مهملة جمع فصل اي السابقة في بيان عصمة الانبيا عليهم الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وما يجب لهم علينا ولعل جاهلا لا يعلم بجهله
لانه هو الذي يخشى عليه من هذا التوهم ولعل هنا للاشفاق عليه
وخوفه من هلاكه اذا سمع شيا منها اي من الفصول المعقودة لتنزيه الانبيا
عليهم الصلاة والسلام عن النقايص يرى ويعتقد ان الكلام فيها جملة اي
جميعا فهو منصوب على الحال من فضول العلم خبر ان جمع فضل غلب على الامر
الذي يعد عبثا ومنه الفضولي ولذا انسب للجمع فيه وهو بضاد معجمة
بمعنى زيادة ثم ان السكوت عن ذكرها اولى من ذكرها وهو جهل عظيم منه لانها
من اهم الامور وقد بان لك مما قررناه انه امر متعين واجب ذكره واعتقاده
الفايدة التي ذكرناها وهي انه فيها النجاة من الهلاك كما يرشدك اليه الحديث
صفية الذي ذكره وفيه فايدة ثانية غير الذي قدمه يضطر بالبنا للمجهول
اي يحتاج اليها احتياجا شديدا لانها من ضروريات الدين في اصول
الفقه اي في القواعد الفقهية او في علم اصول الفقه ويبنى عليها اي يترتب
ويتفرع مسايل لا تنعد من الفقه اي مسايل الدين الشرعية وفروعه

اي لا تعد

اي لا تعد لكثرتها الا ان الانفعال من العد قليل في الاستعمال الا انه
كما قيل لغة رديه لا تكاد تعد ويتخلص بها اي يخرج من عهدتها ويسلم من
تشغيب تفعيل من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها وهو تهييج الشر
والصياح في الخصومة مختلفي الفقها اي اقوال الفقها المختلفة في عدة منها اي في
عدة مسايل تتعلق بالاعتقاد فيما يجوز على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ويجب لهم وهي اي الفايدة المضطر اليها الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه
وسلم وافعاله التي هي معظم سنته الواردة في حديثه لانها صفاته واقواله
وافعاله وتقريراته في جميع احواله من الغضب والرضى والصحة والمرض وغير
ذلك مما قاله المحشي ولابي شامة رحمه الله كتاب مستقل في افعاله صلى الله
عليه وسلم وما يجب الاقتدا به ويستحب فان منها ما هو تعبد وضرورة
وامور عادية وجبلية اختلفوا في لزوم الاقتدا به فيها واستحبابه فيما
لم يعلم انه قصد بها التشريع فذهب الباقلاني والغزالي الى انه يندب
التاسي به في الامور الجبلية ولابي اسحاق فيها وجهان ففيها اقوال
ثلاثة بالندب والاباحة والامتناع كذهابه للعيد من طريق ورجوعه من
اخرى وهذا كله فيما لم يعلم حكمه بنص منه او من الصحابة رضي الله عنهم ولم يعلم
انه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وهو باب عظيم شانه واصل كبير من
اصول الفقه وقواعده المهمة لابتنا كثير من احكام الشرع عليه ولا بد من بنايه
اي جعله مبنيا على اساس وقاعدة يرجع اليها وهي انه متفرع على صدقه
صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه اي ما يبلغه لامته ومن بعث لهدايته وارشاده
وانه لا يجوز عليه السهو فيه اي فيما يبلغه عن ربه لعصمة الله له عنه لمنافاته
لكونه صلى الله عليه وسلم ارسل مشرعا مبينا لامر ربه وعلى عصمته من المخالفة
في افعاله الصادرة عنه عمدا فلا يتوهم جوازه عليه ولا اعتقاده وبحسب بسكون
السين اختلافهم على مقداره في وقوع الصغاير من الانبيا كلهم عليهم الصلاة والسلام
لا سيما منه صلى الله عليه وسلم وقع خلاف بين الفقها وفي نسخة اختلاف في
امتثال الفعل اي اتباعه بمجرد صدوره منه وعليه اكثر فقها المذاهب وقد بسط اي
فصل وبين وذكر بيانه في كتب ذلك العلم يعني الفقه واصوله فلا نطول به
الكلام في هذا الكتاب لانهم جزاهم الله خيرا كفونا مونته فلا حاجة لاعادته
هنا وفايدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم اي القاضي وغيره والمفتي اي المجيب
السايل عن الامور الشرعية من علما الشرع وحكامه فيمن اضاف بنسبته ووصفه
للنبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور التي تجوز او تجب او تمتنع عليه ووصفه بها
صريحا او ضمنا كلا او بعضا ثم لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه من الاوصاف
ولم يعرف ما وقع الاجماع فيه نفيا واثباتا ولم يعرف ما وقع الخلاف فيه جوازا او
نفيا كيف يصمم اي يجزم او يعزم عليه في الفتيا في ذلك اي امر الانبيا عليهم الصلاة

والسلام منعًا وجوازًا وفي نسخة الفتوي وفي القاموس افتي في الامر ابانه والفتيا
والفتوي وبفتح ما افتي به الفقيه انتهي وفيه تفصيل في المصباح كغيره
ومن ابن يدري ويعلم بالعقل والنقل هل ما قاله في حق الانبيا في فتواه او حكمه
فيه نقص لهم او مدح لهم حتي يتقدم عليه حكما وافتا فاما ان يجتري اما بكسر
الهمزة وهمنا هنا مقرر في كتب العربية والاجترا افتعال من الجراة وهي
الاقدام علي الشي من غير مبالاة بما فيه من الضرر وبينه وبين الشجاعة عموم
وخصوص كما بين في كتب الاخلاق علي سفك دم مسلم حرام بان يحكم او يفتي
بكفره او قتله وهو غير مستحق لذلك والسفح والسفك بمعني الاراقة والصب
تنبيه قال في العقايد العضدية لا يكفر احد من اهل القبلة الا بما فيه
نفي الصانع المختار او بما فيه شرك او انكار النبوة او انكار ما علم من الدين
بالضرورة او انكار مجمع عليه قطعا او استحلال المحرم واما غير ذلك فالقايل
به مبتدع وليس بكافر انتهي وسياتي بيان ذلك واعلم ان شيخ الشهاب
ابن حجر الهيتمي قال في شرح المنهاج نقلا عن الزركشي ان ما وقع في كتب الحنفية
وفتاواهم من التكفير بالفاظ كثيرة كان المتورعون من متاخريهم ينكرون اكثرها
لمخالفتها لاصول ابي حنيفة وعقايدهم وليسوا من اهل الاجتهاد فليحذرها من
يراها منا ومنهم لانه يخاف علي قايلها ان يدخل في قوله صلي الله عليه وسلم من كفر
مسلما بغير حق فقد كفر انتهي وفي الفتاوي البزازية حكي عن بعض السلف
انه قال ما في الفتاوي من التكفير بكذا وكذا فذلك للتخويف والتهويل
وهو كلام باطل وحاشا ان يلعب امنا الله تعالي علي الاحكام من الحلال والحرام
ويكفر اهل الاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام وما ادي اليه
اجتهاد الامام اخذا من نص كلام الملك العلام او حديث سيد الرسل العظام
انتهي وهذا يحتمل ان يكون تاييدا لما قاله ايمتنا بانهم لا يقولون الا
ما نص عليه امام مذهبهم مستندا الي دليل من القران او الحديث الصحيح او هو
اعتراض علي الجواب بان المقصود به التخويف والتهديد بانه لا يصح مثله من
التاويل الا في الحديث والتنزيل اما في كتب الفقه الموضوعة لبيان الحلال والحرام
وتعليم الناس حتي العوام فلا يصح فيها مثله لما فيه من اللبس او يسقط حقا من
حقوق النبي صلي الله عليه وسلم بما يوهم نقصا فيه او يضع حرمة للنبي صلي الله عليه
وسلم اي امر احترام مراعي له صلي الله عليه وسلم كتجويز المعاصي عليه ونحوه مما لا يليق
به فلا يجوز لمسلم ان ينسب لنبينا وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام امرا
ينافي عصمتهم عمدا او سهوا قبل النبوة وبعدها وهو الذي ارتضاه كثير من ايمة
الدين واهل الاصول كما مر ثم ان المص شرع في بيان عصمة الملايكة عليهم الصلاة
والسلام كما وردت به النصوص فقال وسبيل هذا الباب يعني في اي مما جري في
طريق هذا او في نسخة وسبيل هذا ابدون باوهذا اشارة لما ذكر من عصمة الانبيا

ما قد اختلف ارباب اي اصحاب الاصول اي علما اصول الدين في العقايد وايمة
العلما اي كبار علما الشرع المقتدي بهم والمحققين اي اهل التحقيق من اعلامهم
في عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يعصون الله ولا يفعلون الا
ما يومرون فهم مثلهم في جريان الخلاف فيما هو لازم لهم والصحيح والصواب فيه
فصل في تحرير القول في عصمة الملايكة جمع ملك والتا لتانيث الجمع وفي
اشتقاق الملك خلاف لاهل اللغة المشهور انه من الالوكة وهي الرسالة لانهم رسل
الله يرسلهم لما يري واصل مالك ثم قلب بدليل جمعه علي ملايكة واختلفوا في حقيقتهم
والصحيح انهم اجسام لطيفة قادرة علي التشكل وفي تشكلهم كلام ليس هذا محله وليس
الجن منهم علي الصحيح خلافا لمن ذهب الي انهم جنس واحد وقد بيناه في حواشي
التفسير وتقدم الكلام في معني العصمة قال الجلال الدواني العصمة عندنا ان لا يخلق
الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور انتهي اجمع المسلمون وفي نسخة
اتفق المسلمون علي ان الملايكة مومنون بالله ورسله وشرايعه كما وصفهم الله في القران
فضلا اي ذوو اقدار معظم مبجل واتفق ايمة المسلمين من علما الملة الاسلامية علي ان حكم
المرسلين منهم حكم النبيين من البشر فهم سوا اي مساوون لهم في العصمة وتنزيههم
عما ينزهوا عنه لشرف قدرهم مما ذكرنا عصمتهم منه من الصغاير والكباير كما تقدم
تفصيله والجار والمجرور متعلق بالعصمة قال الله تعالي الله يصطفي من الملايكة
رسلا قال الواحدي الملايكة منهم رسل كجبرايل واسرافيل وميكايل وعزرايل ومنهم غير
رسل وقال بعضهم كلهم رسل ارسل بعضهم لبعض منهم وبعضهم الي الناس كجبريل
والحفظة والمص تبع فيما قاله الواحدي وهو المشهور وفي كلامه اشارة الي ان من
انكر الملايكة ليس بمسلم كالفلاسفة فانهم ذهبوا الي انها ارواح الفلكيات
وعقولها لقولهم انها حية فعالة لا عقول روحانية كما فصل في كتب الحكمة
ومطولات العلام والنصوص القرانية شاهدة بخلافه وانهم اي رسل
الملايكة في حقوق الانبيا من حيث الوساطة بين الله وبينهم والتبليغ اليهم
فيما امرهم الله ان يبلغوه اليهم من الوحي نحو الهم تعهم كالانبيا عليهم الصلاة
والسلام مع الامم في تبليغ الاحكام اليهم وبيان المصالح لهم حسبما امرهم الله
بتبليغه والمراد بعصمتهم انهم لا يخالفون امر ربهم فلا ينافي ان الله لم يخلق لهم شهوة
ودواعي كما في الطباع البشرية وهو ظاهر غني عن البيان خلافا لمن تصدي للجواب
عنه واختلفوا في غير المرسلين منهم اي من الملايكة هل هم مساوون لهم في
في العصمة مما تقدم وعدمها فذهب طايفة من ايمة الدين الي عصمة جميعهم من
الرسل وغيرهم من المعاصي جميعها لان الله تعالي لم يخلق فيهم شهوة ولا داعية
لها واحتجوا لعصمتهم من جميعها وفي نسخة احتجت اي الفرقة الاولي اولي
بايات كقوله لا يعصون الله ما امرهم منصوب علي نزع الخافض اي فيما امرهم
او بدل اشتمال من اسم الله اي امره ويفعلون ما يومرون به اي يبادرون لفعله

ابن قبرس

من غير تنقيص ولا تاخير فعلي هذا هو تاسيس وان حمل علي ظاهره فهو تاكيد
والعطف بالواو يبعده قيل ولا دليل في هذه الاية لمدعاه من العموم
لانه عايد علي خزنة النار قبله في قوله عليها ملايكة غلاظ شداد وهم
التسعة عشر وبه فسر في الكشاف فكانه لاحظ عدم الفرق بينهم وبين
غيرهم ولا يخفي ما فيه وبقوله وما منا الا له مقام معلوم لا يتعداه لغيره حيثما
امروا وفيه حذف الموصوف اي ما احد منا او معشر او فريق وانا لنحن الصافون
اي الواقفون صفوفا كصفوف الصلاة في المقام المعين لنا ولما امرنا به
وتفسيره بالصافين اقدامنا في الصلاة لا وجه له هنا كما قيل وانا لنحن
المسبحون اي الملازمون لتقديس الله وتنزيهه عما لا يليق بشانه وقيل
معناه المصلون العابدون كما ورد في الحديث ان لهم صفوفا كصفوفنا وبقوله
ومن عنده اي الملايكة المقربون مكانة لا مكانا لتنزه الله عنه لا يستكبرون
عن عبادته اي يتذللون ويخضعون لعظمة الله ولا يستحسرون اي لا يتعبون
ويملون من العبادة التي امروا بها وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن
عبادته الاية لتلذذهم بعبادته وقوله كرام بررة صفة سفرة جمع سافر وهو
الكاتب وهم الكرام الكاتبون من الملايكة والبررة جمع بار وهو المطيع المتقي
ربه واما البر فجمع ابرار وقوله لا يمسه الا المطهرون هذا علي ان المراد
به لا يمس القران في اللوح المحفوظ او في غيره الا الملايكة المطهرون من الكدورات
الجسمانية والعلايق البشرية وقد فسر بانه لا يجوز ان يمسه من الناس الا
من تطهر من الحدث او لا يمسه الكفرة لنجاسة كفرهم فهو نفي بمعني النهي ولا
شاهد فيه علي هذا كما انه لا شاهد في قوله وما منا الا له مقام معلوم ان
فسر بانه ما من احد من المسلمين الا له مقام في الاخرة او يوم القيامة
وقد قيل ايضا انه لا شاهد فيه علي رسل الملايكة اذ لا تخصص فيه وقد اشار
الي عمومه في الكشاف ونحوه مما هو بمعناه من السمعيات اي النصوص القرانية
الواردة في حق الملايكة كقوله تعالي لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون
او ما هو مسموع من الشارع من كتاب او سنة وذهبت طايفة من العلما الي
ان هذا اي ما ذكر من امر العصمة خصوص اي مخصوص كما وقع في بعض النسخ
للمرسلين والمقربين منهم اي من الملايكة دون غيرهم والمقربون هم الكروبيون
بتشديد الراء وتخفيفها وانشد ابو علي كروبية منهم ركوع وسجد وكانه
مبدلة من القاف واصله من كرب بمعني دنا يقال هو كرب الخلق
اي قريبه سموا به لقوتهم او لصبرهم علي العبادة او هو من الكرب لشدة خوفهم
من الله واحتجوا باشيا ذكرها اهل التفسير نحن نذكرها ان شا الله وفي نسخة بعد بالبنا
علي الضم ونبين الوجه فيها اي القول الموجه المرضي مستعار من الوجه المعروف
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم اي كمال مقامهم الرفيع العالي بمنزلته عند

الله

دلجي

الله عن جميع ما يحط اي ينقص وينزله من حط الحمل اذا انزله من مكان عال الي
اسفل منه من رتبتهم ومنزلتهم هو مقامهم عن جليل مقدارهم اي قدرهم
الجليل فهم معصومون عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها ولا يجوز ذلك
عليهم ولا يقدرون عليه ورايت بعض شيوخنا اشار اي قال والاشارة
تطلق بهذا المعني كثيرا الي ان بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة اي انه
لا حاجة بالفقيه اليا بمعني اللام اي لا حاجة له الي الكلام في عصمتهم قيل اكتفا
بما ورد واشتهر في حقهم ومدحهم من النصوص في القران والحديث وقيل انه
لكونهم غير مرئيين لنا ولم نومر بالاقتدا بهم بخلاف الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فانا متبعون لاقوالهم وافعالهم مقتدون بهم فلا بد من معرفة عصمتهم
واعتقادها للوثوق بهم حتي امتثال اوامرهم ونواهيهم للامم وقيل انما اراد
انه يجب الكف عن الكلام في جميعهم لانه امر مشكل لا يتكلم فيه الا بدليل قطعي
لا انه لا فايدة فيه وانا اقول ان الكلام في ذلك اي في عصمة الملايكة
لازم كالكلام في عصمة الانبيا وفي نسخة ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الانبيا من الفوايد الثلاثة التي ذكرناها فانهم وسايط بين الله ورسله ونسبتهم
للرسل كنسبة الرسل لاممهم فلو لم يكونوا معصومين لم يحصل الوثوق
للرسل بما بلغوه ويسري ذلك لنا فلا فرق اذن سوي فايدة الكلام في
الاقوال والافعال اي الفايدة التي ذكرها في اقوال الرسل وافعالهم فهي
ساقطة هنا اي في حق الملايكة لعدم اطلاعنا علي اقوالهم وافعالهم ولسنا مكلفين
باتباعهم فيها كالانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا داعي لعصمتهم فيها عمدا
ولا سهوا لعدم طروما لا يليق فما احتج به من لم يثبت عصمة جميعهم وقال
بوجوب عصمة الرسل منهم فقط قصة هاروت وماروت هما علمان للملكين
بابل ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا عربيين من الهرت والمرت
صرفا وما ذكر فيها اي القصة اهل الاخبار وعلما التاريخ ونقله جمع
ما فقل مثل كاتب وكتبة مضاف لقوله المفسرين اي من اعتمد علي النقل
من الصحف دون تحقيق وفي نسخة ونقله المفسرون بفعل ماض وفاعل
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلايهما بمحبة المراة وعقابهما علي
ما فعلاه كما ستسمعه قريبا مع ما فيه ردا وقبولا وما وقع من السحر
فتنة للناس وان السحر من اعتقده وعمل به فقد كفر كما ياتي واما من تعلمه
ليتوقاه ويتداوي منه فلا كما قيل
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
وللفقها فيه وفي قتل الساحر كلام طويل الذيل ليس هذا محل تفصيله فاعلم
خطاب عام لكل واقف علي هذا الكلام طالب للعلم به اكرمك الله بهداية للحق
ان هذه الاخبار المذكورة في قصة هاروت وماروت لم يرو منها شي عمن يعتمد

ابن قبرس

به من المحدثين لا سقيم اي ضعيف ولا صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو اي ما تضمنته قصتهما شي يوخذ اي يستنبط بقياس وفي نسخة بالقياس اي ليس مما يجري فيه القياس على غيره مما ورد من الايات والاحاديث الصحيحة فلا ينبغي الخوض فيه نفيا واثباتا وهذا الذي ذكره من انه لم يرد فيه حديث ضعيف ولا صحيح ردوه كما نقله السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا بانه ورد من طرق كثيرة منها ما في مسند احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ورواه ابن حبان والبيهقي وابن جرير وابن حميد في مسنده وابن ابي الدنيا وغيرهم من طرق عديدة وقال ابن حجر في شرح البخاري ان له طرقا تفيد العلم بصحته وكذا في حواشي البرهان الحلبي وذكره مسندا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول لما اهبط الله ادم الى الارض قالت الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها الاية قالوا ربنا نحن اطوع لك من بني ادم فقال الله هلموا ملكين يهبطان الارض قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا فتمثلت لهما الزهرة امراة حسنا من البشر فراوداها عن نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك فابيا فذهبت واتت بابن جارتها تحمله فراوداها فقالت لا حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا ثم راوداها مرة اخرى فاتت بقدح خمر فقالت لا حتى تشرباه فشرباه وسكرا فتكلما بكلمة الكفر وقتلا الصبي فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا فعلقا بين السما والارض والزهرة بضم الزاي وفتح الها وتسكينها لحن ولا مانع منه تخفيفا ويقال لها بالفارسية اناهيد وتخفف فيقال ناهيد وفي رواية ابن عباس ان الله انزلهما حكمان بين الناس وان الزهرة قالت لهما اخبراني بما تصعدان به الى السما قالا باسم الله الاعظم وعلماها اياه فطارت الى السما فمسخت كوكبا وقد جمع الجلال السيوطي طرق هذا الحديث في تاليف مستقل فبلغت نيفا وعشرين طريقا وقوله والذي منه اي من ذكر هذه القصة في القران جواب سوال تقديره انك قلت ان هذه لم تثبت عنه صلى الله عليه وسلم فما تقول في ذكرها في القران في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة الاية فاجاب بقوله اختلف المفسرون في معناه اي معنى ما ذكر في هذه الاية فانكر ما قال بعضهم فيه اي في معناه كثير من السلف كما سنذكره فلا حاجة لذكره هنا وهذه الاخبار التي ذكرها بعض المفسرين منقولة من كتب اليهود في الاسرايليات وافترايهم اي كذبهم على انبيا الله وملايكته عليهم الصلاة والسلام كما قصه الله اي حكاه في اول الايات من افترايهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اي نسبته الى الكفر الذي رده الله تعالى بقوله

اياه م

وما

وما كفر سليمان الخ وقد انطوت اي اشتملت واحتوت هذه القصة على شنع عظيمة بضم الشين المعجمة وفتح النون وعين مهملة جمع شنعة اي قبيحة شايعة من شنع عليه اذا اشاع قبايحه وذلك كما ياتي بيانه انهم كتبوا سحرا ونيرنجيات على لسان اصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام ودفنوها تحت مصلى سليمان فنزع ملكه ثم لما مات استخرجوها وقالوا انما ملككم بهذه فانكرها صلحاوهم واقبل عليها السفلة ورفضوا كتب انبيايهم ونسبوا سليمان عليه الصلاة والسلام للكفر والسحر فبراه الله منه وها انا اخبر اي اخبر تحريرا حسنا من حبر بمهملتين بينهما موحدة اذا حسنه وزينه وفيه تورية لانه يقال حبره اذا كتبه بالحبر ففيه ايهام لمعنى نكتبه لتبينه في ذلك المذكور في قصة هاروت وماروت ما يكشف غطا هذه الاشكالات اي ما يزيل لبسه واشكاله ببيان الحق فيه وفيه استعارة مكنية وتخييلية او مصرحتان باستعارة الكشف للازالة والغطا للبس ان شا الله اي ان اراده بيمنه وبركته فاختلف اولا في هاروت وماروت اي في حقيقتهما وجنسهما لان بيان الحقيقة ينبغي تقديمه على بيان احوالهما وهل هما ملكان بفتح اللام اي في جواب هذا السوال وهو تفسير للاختلاف وجهته او انسيان نسبة الى الانس خلاف الجن اي من بني ادم وهل هما المراد بالملكين في قوله وما انزل على الملكين في الاية بان يكونا بدلا منه ام لا وهل القراة ملكين بفتح اللام وهي قراة السبعة او ملكين بكسرها وهي قراة شاذة منقوله عن الحسن البصري وغيره كما ياتي وهل ما في قوله وما انزل على الملكين وفي قوله ما يعلمان من احد نافية او موجبة اي غير نافية من الايجاب ضد النفي فهي على هذا موصولة او موصوفة وهو ظاهر وكونهما ملكين بفتح اللام مذهب الجمهور وقراته متواترة وعلى قراة الكسر يلزم كونهما انسيين تصورا بصورتهما الاصلية لانه المتبادر وكونهما من الملايكة امرهما الله بالهبوط للارض والحكم بين الناس كما تقدم في الحديث فتصورا بصورة البشر لقدرتهما على التشكل بعيد من دلالة اللفظ والاحتمال البعيد لا يعول عليه فايراده هنا غير متجه والقايل بانهما ملكين بالكسر استدل بظاهر حديث روته عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها انها رات انهما رجلين معلقين برجليهما وفيه الاحتمال السابق ايضا فالاحتجاج به غير تام فان كانت ما في ما انزل نافية كان معطوفا على ما كفر سليمان اي لم يكفر ولم ينزل على الملكين شي من السحر وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وما بينهما اعتراض وهو رد على اليهود لعنهم الله فيما افتروه على الانبيا والملايكة والا فهي موصولة او موصوفة وقوله من احد يا اي كونها غير نافية ولذا قال بعض الشراح انه لم يذكره احد من المفسرين وان المعنى عليه غير ظاهر والكلام في ذلك مفصل في التفاسير فاكثر المفسرين يقول ان الله امتحن الناس بالملكين اي ابتلاهم

عرضي

ويعاملهم معاملة المحنة لامرهم حتي يظهر حالهم والملكين تثنية ملك بفتح اللام فانزلهما لتعليم السحر لهما وتبيينه وان علمه كفر وفي نسخة عمله بتقديم الميم علي اللام وجعله كفرا مبالغة لانه سببه فهو مجاز كرعينا الغيث والمطر فمن يعلمه ويعمل به معتقدا حله كفر لاعتقاده ما هو حرام اجماعا حلالا ومن تركه آمن اي دام وهو مومن علي ايمانه اذ الكافر بمجرد تركه السحر لا يصير مومنا وهذا مذهب مالك وعزاه المص في شرح مسلم الي سيد نا احمد بن حنبل فهو عندهما كافر يقتل ولا يستتاب كالزنديق عنده وهو عند الشافعي كبيرة ان لم يكن فيه ما تقتضي الكفر فلا يقتل وتقبل توبته فان قتل بسحره قتل قصاصا عنده وقيل تلزمه الدية والكفارة وعند غير الشافعية فيه خلاف ودليلهما قال الله عز وجل انما نحن فتنة فلا تكفر فان قولهما علي طريق النصح حتي روي ان تكرره سبع مرات يقتضي انه كفر وما قيل من انه لا دليل فيه لاحتمال ان الله يعاقبه بسلب الايمان منه اي لا تفعله فانه سبب لسوء الخاتمة خلاف الظاهر وتعليمهما الناس تعليم انذار مبتدا وخبر والناس مفعول المصدر الاول وهو جواب عما استدلوا به اي انما علموه لهم ليعرفوه ويحذروا منه فهو انذار وتخويف لهم منه وبالهم وضحه بقوله اي يقولان يعني الملكين لمن جاء يطلب تعلمه منهما لا تفعل اي لا تتعلمه وفي نسخة لا تتعلموا فانه يفرق بين المرء وزوجه اي هو سبب لذلك بما يلقيه في قلوبهما من البغض الموجب لمفارقة احدهما الاخر وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اي بتقديره وارادته والسحر له تاثيرات غير ذلك وانما خصه لكثرته والجمهور علي ان السحر له حقيقة تحدث عند نطقه ببعض الكلمات او فعل بعض الاشيا بخاصية اوجدها الله عنده وقيل انه تخييل باطل وانه لا اثر له غير تفريق الزوجين والاول هو الصحيح كما قاله المازري ولا تتحيلوا ابدا تفتعل من الحيلة بالحاء المهملة اي لا تباشروا حيل السحر التي يفعلونها من التمويه والنفث في العقد ونحوه وروي لا تتخيلوا بخاء معجمة وهو ظن الشي علي خلاف ما هو عليه واكثرهم علي الاول ويؤيده تعديه بالبا او هي سببية فانه سحر اي امر غير محمود ولا جائز فلا تكفروا بفعل هذا لانه كفر او مود اليه كما بيناه فعلي هذا اي السحر بعد نهيهما عنه وبيان ضرره وكفر فاعله طاعة فيما فيه من النهي عن المنكر وتصرفهما فيما امرا به اي امرهما الله باظهاره وبيان حاله ليس بمعصية يستدل بها علي عدم عصمة بعض الملائكة وهو جواب عن سوال تقديره انما فعلا ما هو غير جائز في نفسه بانه في حقهما جائز كالمفتي والواعظ الذي يتكلم بكلمات الكفر ليتجنب وهو ماموريذلك فهو في حقه غير ممنوع وهي لغيرهما فتنة بلية تهلكه بعقاب الله له وروى ابن وهب هو الامام عبد الله بن وهب المصري وقد تقدمت ترجمته عن خالد بن ابي عمران التجيبي التونسي قاضي افريقيه ومحدثها توفي

عرض

سنة مائة وتسعة وثلاثين واخرج له اصحاب السنن وثقوه وكان مستجاب الدعوة وله تفسير انه ذكر عنده هاروت وماروت وذكر انهما يعلمان السحر من طلب تعلمه منهما فقال نحن ننزههما عن هذا اي تعليم السحر فقرا بعضهم ردا لما قاله بانه مخالف لظاهر قول الله وما انزل علي الملكين الاية احتج بها بناء علي الظاهر من ان ما موصولة وعلي قراءة الجمهور بفتح اللام فقال خالد مجيبا له لم ينزل عليهما بالبناء للفاعل او المفعول وهو انكار لما قاله وانه ليس ما فهمه مراد الله وان لها معني غير ما يظهر منها لتاويلها وسياتي ان شا الله تعالي فهذا خالد علي جلالته اي عظم قدره وجعله لشهرته كانه حاضر مشاهد عنده وعلمه بالتفسير والحديث نزههما اي الملكين عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه لان الله امرهما بتعليمه انذارا للناس وليس معصية في حقهما كما سمعته انفا بشريطة بمعني شرط كما وقع في بعض النسخ ايضا ان يبينا انه كفر فيعلماه بما فيه من المحذور وانه امتحان من الله وابتلاء عطف تفسير فغير خالد جعل ما موصولة ايجابية مثبتة لانزال السحر عليهما وهي عنده نافية كما ياتي ولكنه امر بتعليمه لانذارهم وتحذيرهم من مضاره وبيان انه ابتلاء من الله فكيف لا ننزههما هو مضارع مسند الي خالد او له مثناة تحتية وقيل انه مبدو بالنون مسند للمتكلم وغيره اي كيف لا ننزه نحن الملكين عن الكباير والصغاير كشرب الخمر وقتل النفس والزنا والكذب بالتكلم بكلمة الكفر ونحوه المذكورة في تلك الاخبار التي رووها كما سمعته وفصلناه قريبا فتنزيههما عن هذا يعلم من تنزيه خالد لهما عن السحر وتعليمه بشرطه المذكور بالطريق الاولي وقول خالد الذي نقله المص عنه لم ينزل عليهما بالتشديد والتخفيف مبنيا للمجهول الذي دل عليه قوله وما انزل علي الملكين انه يريد بقوله ذلك ان ما في هذه الاية نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وبه اقتدي خالد وهو يقول كما في بعض الشروح ان المراد بالملكين جبريل وميكاييل وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل البعض وغيره لم يذهب لهذا كما تقدم وهذا القول لم يقل به جمهور المفسرين والمحدثين عند ابن عباس كما عرفته قال مكي في تفسيره وقد تقدمت ترجمته وتقدير الكلام وخالد اذا كانت ما نافية وانه معطوف علي قوله وما كفر سليمان نبي الله صلي الله عليه وسلم يريد بالسحر الذي افتعلته الشياطين عليه اي افترته وكذبت في نسبته اليه قال في الاساس مفتعل مختلق مصنوع يعني لا اصل له قال ذو الرمة

غرايب قد عرفن بكل افق … من الافاق تفتعل افتعالا

كانتهم فيه ذلك اليهود كما قيل ان الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسيه فلما مات وذهب علما ملته قالوا ان تحت كرسيه كذا فحفروا اماكنه فوجدوا الكتب فقالوا ان سليمان كان ساحرا فلما نزل القران بذكره قال اليهود انه ساحر فنزلت الاية بتكذيبهم اي تكذيبا لهم كما رواه الطبراني عن ابن جبير

دلجي

بسند صحيح لكن فيه ان الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها فلما
مات استخرجتها وقالوا هذا هو العلم الذي كتمه عن الناس وزاد ابن اسحاق
انهم نقشوا خاتما كخاتم سليمان وختموا به الكتاب وعنوانه هذا ما كتبه
اصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخاير كنوز العلم الذي
انزله الله على سليمان فاخفاه عنا ثم قرأوا كتب السحر والكفر على الناس وقوله
وما انزل على الملكين اي شي من السحر وهذا ابيان لانها نافية وهو قول ضعيف
قال مكي فما اي الملكان جبريل وميكايل كما تقدم ادعى اليهود عليهما المجي به اي انهما
نزلا بالسحر وتعليمه افترا عليهما كما ادعوا على سليمان عليه الصلاة والسلام
انه ساحر اعتقد السحر وعمل به افترا عليه فاكذبهم الله اي بين كذبهم
في ذلك كله مما نسبوه لجبريل وميكايل وسليمان بقوله ولكن اضراب ابطالي
الشياطين كفروا بكذبهم على الله وملايكته ورسله وعلمهم السحر وتدوينه وهم
الذين يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وبابل
علم ارض ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث سميت بها لتبلبل الالسنة واللغات
بها بعد الطوفان وهي بالعراق وما قيل انها بالمغرب قول ضعيف جدا
وقيل هما اي هاروت وماروت رجلان لا ملكان تعلماه اي تعلما السحر وهو
قول لرد ود وبابل يضاف لهما على هذا وقال الحسن هو الحسن البصري وقد تقدم
بيانه هاروت وماروت علجان تثنية علج وهو الغليظ من كفار العجم اي ما عدا
العرب ويطلق على كل شديد بدين من الكفار مطلقا من قولهم هو مستعلج الوجه
اي غليظه واعتلجوا اضطربوا وقرا الحسن وما انزل على الملكين بكسر اللام
كما تقدم بيانه وتكون ما ايجابا اي موصولة لا نافية على هذا القول والقراه
والمعنى الذي انزل على هذين الرجلين وكذلك اي كما قرا الحسن قرا عبد الرحمن ابن
ابزى بكسر اللام وبه قرا ابن عباس في الشواذ والضحاك وعبد الرحمن هذا
صحابي كما جزم به النووي والذهبي واختلف في ابيه فقيل انه صحابي
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصلى خلفه وقيل انه تابعي لم يدركه
وابزى بفتح الهمزة وسكون الموحدة وزاي معجمة والف مقصورة يقال
ابزى اذا اوسع خطوه وقد اخرج له السنة وغيرهم كاحمد في مسنده وهو
خزاعي ولكن قال الملكان هنا اي في هذه الاية المراد بهما داود وسليمان صلى الله
عليهما وسلم ويكون نبيا على ما تقدم ولا شك انهما معصومان فلا يكون ما موصولة
وقيل كانا ملكين على انه بكسر اللام في هذه القراة من بني اسرايل هو لقب يعقوب
ومعناه صفوة الله واليه ينسب بنوا ابراهيم فمسخهما الله بما وقع منهما حكاه
السمرقندي قيل انه بسكون الرا والنون وتقدم بيانه والقراة بكسر اللام
كاهرو والشاذ ما فوق العشرة على الصحيح وقيل ما فوق السبعة والكلام عليه
في الاصول وعلم القراات مشهور تحمل بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اي

ما تحمل عليه وتفسير به الاية يعني قوله وما انزل على الملكين الخ على تقدير مكي
بجعل ما نافية معطوف على ما كفر سليمان حسن على القول بانهما لم يومرا بتعليمه
ابتلاء وامتحانا كما تقدم وحسنه لانه ينزه الملايكة عن المعاصي ويذهب الرجس اي
الاثم وجزاءه عنهم ويطهرهم تطهيرا اي يبريهم عن المعاصي واوساخها
وهو اقتباس استعير فيه الرجس للمعاصي والتطهير للعصمة منها وتحقيقه
في الكشاف وشروحه وقد وصفهم الله اي وصف الملايكة في القران بانهم مطهرون
من دناس العيوب كالمعاصي وهذا ابنا على احد التفاسير فيها كما تقدم ولا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وقد تقدم بيانه واعلم ان ما ذكره
المص في قصة هاروت وماروت من انها لا اصل لها بحسب الرواية ولا من
جهة الدراية على ما هو الاصح من ملكيتهم لانهم معصومون والملك المعصوم
لا يليق ان ينسب اليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما امر مردود اما الاول فلما
عرفته فيما مر من انه ورد في حديث من طرق كثيرة باسانيد صحيحة كما قال الحافظ
ابن حجر والسيوطي قال وجمعت طرقه في جزء مستقل الى اخر ما مر فالتردد فيه
لا ينبغي واما ما انكره من انه نسب للملايكة ما لا يليق بهم ولا يصح نسبته
لهم فتحقيق الوجه فيه ان الله تعالى لما جعل ادم عليه الصلاة والسلام خليفة
والخلافة في اولاده وقالت الملايكة سوال استفسار اتجعلهم خلفا يفسدون
في الارض فقال لو جعلت فيكم ما فيهم من الشهوة كنتم مثلهم فتعجبوا من ذلك
فامرهم باختيار من يحكمه في الارض فاختاروا هذين الملكين فاودع فيهما جبلة
شهوة البشرية وتمثلا بصورتهم فلما اهبطهما وراءا الزهرة فتنا بها وكان
ما كان مما قصصناه عليك فاذا عرفت هذا اسقط هذا الاعتراض لانهما
لما خرجا عن الملكية واودع فيهما شهوة البشر لا ينكر مثله منهما لان المعصوم
الملك ما دام على اصل ملكيته فاذا اخرج عنها التحق بالبشر فلا ينكر ان يصدر
منهما ما يصدر منهم وهذا هو الحق الحقيق وما يذكرونه في الاستدلال
على ما ادعوه من ان الملايكة غير معصومين والمعصوم منهم الرسل فقط قصة
ابليس لا عصى الله وابى السجود لادم عليه الصلاة والسلام على القول بانه كان
من الملايكة وفيه خلاف مشهور كما اشار اليه بقوله وانه كان من الملايكة رييسا
لهم وكان خازن الجنان من احواله وخزان بضم ففتح وتشديد جمع خازن كخزنة من
الخزن وهو حفظ الخزاين والمراد به حفظها وحراستها وانه استثناه الله من
الملايكة بقوله فسجدوا الا ابليس والاصل في الاستثنا الاتصال المقتضي لانه منهم ولو لم
يكن منهم لما دخل في امرهم بالسجود لم يكن مستحقا للطرد وغيره وهذا ابليس لم يتفق
عليه مبني للمجهول اي لم يتفق عليه العلما حتى يتم الاستدلال به مع معارضته
للقول بانه الذي كان من الجن وان اوله الذاهبون الى الاول وهو منقول
عن ابن عباس والكلام فيه مشهور غني عن البيان بل الاكثر منهم ينفون ذلك ويقولون

ابليس

انه ابو الجن وهو المسمي بالجان ايضا ومنهم من قال انه ابو الشياطين وان
الجن جنس غيرهم الجان ابوهم وان الشياطين لا يسلمون ولا يموتون الا معه
والجن منهم مسلم وكافر ويموتون كالبشر ويحشرون ويدخلون النار والجنة
كما ان ادم ابو الانس وهو اي هذا القول قول الحسن وقتادة وابن زيد
وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتقدمت تراجم هولا كلهم وقال شهر بن حوشب
شهر بمعجمة بزنة ضرب وحوشب بفتح الحا وسكون الواو وفتح الشين المعجمة
وموحدة وهو ممن رووا عنه ووثقوه وضعفه بعضهم وتوفي سنة احدي عشرة
ومائة وقيل في تاريخ موته غير ذلك وله ترجمة في الميزان كان من الجن الذين طردتهم
الملايكة في الارض حين افسدوا فيها والاستثنا من غير الجنس وهو الاستثنا
المنقطع شايع من شاع الخبر اذا اشتهر بين الناس في كلام العرب سايغ بسين
مهملة وغين معجمة اخره ومعناه جايز من ساغ الشراب اذا سهل شربه وطاب
استعير لما ذكر يعني انه مسموع من اهل اللسان غير ممتنع بحسب العقل والفهم
ثم استدل بقوله تعالى ما لهم به اي الذين اختلفوا في قتل عيسى من علم الا اتباع
الظن والظن ليس من العلم وكذا اتباعه وقد اخرج منه وليس من جنسه اي
لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه وتاويله بما يسكن اليه النفس يصححه ولا يجعله
متصلا كما قيل واما كون ابليس ملكا او جنيا او ان الجن والملك نوع واحد
من عنصر واحد والجن من نار مخالط الدخانه والملك من صافي نوره كما قرره
البيضاوي والكلام على هذه الاقوال الثلاثة وعلى حقيقة الجن والملك لا يسعه
هذا المقام ومما رووه من الاخبار كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم
عن يحيي بن كثير ان خلقا اي طايفة من الملايكة عصوا الله فيما امرهم به وهذا ابنا
علي عدم عصمة جميعهم فحرفوا ضبطه بعضهم بالفا من التحريف اي طردوا وصرفوا
عن مقامهم وفي بعض الشروح انه بالقاف من تحريق النار والرا المهملة مشددة
فيهما مع بنا المجهول لكن قوله وامروا ان يسجدوا لادم فابوا السجود له يابا ه ... تقدم
بعد تحريفهم وفنايهم كيف يومروا بالسجود له الا ان يتقدر واخرون امروا
بالسجود فحرفوا هو كالذي قبله ولو ضبط الاول بالفا والثاني بالقاف جاز على
انه قصد التجنيس فليحرر واخرون كذلك اي امروا بالسجود لادم فابوا فحرفوا
حتي سجد له من ذكر الله في قوله تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس في اخبار
اي ما ذكره الله في القران مع اخبار اخر في معني الاية لا اصل لها اي لا يعتمد
عليها يقال لكل ما لا يصح هذا لا اصل له فيكني بنفي الاصل عن نفيها برد ها
صحيح الاخبار المنافية لها الدالة على عصمة الملايكة كما في الايات المتقدمة فلا
يشتغل بها الباب الثاني فيما يخصهم من الامور الدينيوية
التي تختص بالانبيا
من الصفات والسمات التي تكون لهم في الدنيا سوا كانت واجبة او مندوبة او مباحة
اولا وفيما يطرا اي يحدث ويوجد وهو مهموز الاخر وقد تبدل همزته بحرف علة

يقال

يقال طرا عليه كذا اذا عرض له فلذا فسره وبينه بقوله من العوارض جمع عارض
واصل معناه ما يبدو وعرضه ثم استعمل فيما يعرض ويحدث من سقم وغيره
وقوله البشرية تخصيص له لان العوارض تعرض للبشر من بني ادم وغيرهم
لما ذكر في الفصول التي قبل هذا مما يتعلق بالانبيا من عصمتهم من الكباير
والصغاير والحقه ببيان عصمة الملايكة وهو مما يتعلق بالامور الاخروية
شرع فيما يتعلق بهم من الامور الدنيوية لما بينهما من التقابل فقال
قد قدمنا في هذا الكتاب انه اي نبينا صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا والرسل
اي بقيتهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من البشر اي افراد كاملة من
هذا النوع فيجري عليهم ما يجري على غيرهم من لوازم البشرية وان جسمه وظاهره
الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق ببنيته متمحض للبشرية لا يخالف
غيرهم في شي منها فلذا قال يجوز عليه اي يجوز ان يطرا عليه من الافات جمع افة كعاهة
وزنا ومعني وهو ما يفسد ما اصابه ويضره قال السرقسطي في افعاله افي
القوم اوفا اذا دخلت عليهم مشقة وقد مر والتغيرات اي الانتقال من
حال الي حال كالمرض والصحة والالام بالمد جمع الم وهو كما قال الراغب الوجع
الشديد ومنه عذاب اليم اي مولم والاسقام جمع سقم بفتحتين وسقم بضم
فسكون وهو المرض المختص بالبدن لان منها ما هو نفساني ومشترك وتجرع
كاس الحمام التجرع الشرب تدريجا جرعة بعد جرعة وكاس بهمزة تبدل
الفا قدح الشراب ما دام فيه والا فهو زجاجة وقدح والحمام بكسر الحا المهملة
الموت من حم الامر اذا قضي وقدر لانه بقضايه وقدره وفيه استعارة
مكنية مرشحة شبهه بالمسكر كما في الحديث ان للموت لسكرات لازالته العقل
فاثبت له الكاس تخييلا واثبت التجرع ترشيحا وكون اضافة الكاس كاضافة
لجين الماء كيك وتاخيره عن الاسقام والالام واقع موقعه ما يجوز على غيره
من البشر لان المساواة في الجسمية تقتضي المساواة في قبول العوارض
كما تقرر في الحكمة وعلم الكلام وما موصولة فاعل ليجوز الاول وهذا كله
اي ما جوز عليه وعلى ساير الانبيا من جواز ان يطرا عليهم كغيرهم العوارض
البشرية من الالام وغيرها ليس بنقيصة فيه لانه امور طبيعية
غير كسبيه لا يعد مثله نقصا الا عند بعض العقول القاصرة
كما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لان الشي انما يسمي
ناقصا بالاضافة اي بالنسبة الي ما هو اتم منه واكمل من نوعه كما يتفاوت بعض
افراد الناس ويفوق بعضهم بعضا بالفضايل والاخلاق الحميدة وقد
كتب الله اي قضي وقدر في الازل قضا مبرما على اهل هذه الدار يعني
دار الدنيا انهم فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون الي البرزخ ثم الي منازلهم
في الاخرة وهذا واقع في القران خطابا لادم وحوي والمراد عمومه لهم

ولغيرهم ومنه اقتبس الملم وخلق جميع البشر بمدرجة الغبير مدرجة
بفتح الميم اسم مكان بمعنى الطريق قال الراغب يقال لقارعة الطريق مدرجة
وفلان يتدرج اي يتصعد درجة درجة ودرج مشى فهي محال المشي
والغبير بكسر الغين المعجمة وفتح المثناة التحتية وراء مهملة يقال غبر الدهر
حوادثه المتغيرة من حال الى حال وهو مفرد بزنة عنب او جمع غيرة وهي
الامر المتغير والبا بمعنى في او للملابسة وهذه فقرة بليغة لانه جعل
دارهم الدنيا على طريق يمر عليها حوادث الدهر والمراد انهم مستعدون لها
لامحالة وفيه اشارة الى ان الدنيا دار ممر لا مقر وفيه استعارة مكنية
شبه حوادث الدهر بقوم سالكين في طريق هولا ساكنون فهو في غاية الحسن
فقد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يحتمل انه اشارة
الى ما كان يطرء عليه من الامراض مطلقا كما رواه البخاري انه صلى الله
عليه وسلم كان يتوعك وعكا شديدا وذلك ليزداد اجره ويحتمل انه اشارة
الى ما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض موته والكلام عليه مفصل في كتب
الحديث والسير فلا حاجة للتطويل بذكره كما فعله بعضهم هنا وقوله
واشتكى بمعنى مرض ايضا قيل وانما ذكره اشارة الى انه ورد في الحديث
تارة التعبير عنه بانه مرض وتارة بانه اشتكى وليس المراد به معناه
المشهور لما يوثر من صبره والرضى بما يفعله الله به وروي ان جبريل كان
يرقيه صلى الله عليه وسلم في مرضه فيقول بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك
من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك واصابه الحر والقر والحر
بفتح الحا المهملة وتشديد الرا المهملة وهو شدة سخونة الهوا في الصيف
وضده القر بضم القاف وتشديد الرا وهو شدة البرد ويجوز فتح
قافه للازدواج وادركه الجوع والعطش وهو من الله ليزداد اجره بصبره ومجاهدة
تعليما لامته ولو اراد خلافه لملا الله له الدنيا رزقا ونعما وفي ذلك
ايضا رياضة يتصفى بها الذهن ويخف الروح لكنه يظهره في صورة العجز
تادبا مع الله تعالى ومخالفة لاهل الملل في ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال
لا رهبانية في الدين وهذا في بعض الاحيان وان كان يواصل الصوم ويقول
اني لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فان لكل مقام حالا
يخصه وقد حققه المحدثون وابن سينا في مقامات العارفين في اخر الاشارات
ولحقه فعل ماض بلام وحا مهملة وقاف الغضب وهو ثوران النفس لارادة الانتقام
وكان غضبه صلى الله عليه وسلم اذا وقع من غيره ما لا يرضاه والضجر بضاد معجمة
وجيم ورا مهملة بمعنى القلق وقيل انه الملل والسامة من الحاح بعض الناس
من الاعراب والمولفة قلوبهم وهذا كله ورد في الاحاديث الصحيحة وناله اي
حصل له صلى الله عليه وسلم الاعيا والتعب هو عطف تفسير للاعيا فانهما بمعنى

واحد

واحد فكان يعرض له هذا كله كما يعرض لغيره من البشر ومسه الضعف في بدنه
اخر عمره والكبر المراد به هرم الشيخوخة وهذه كلها امور جبلية تحدث
لنوع الانسان لا يسلم منها احد لا نبي ولا غيره ولا يعد ذلك نقصا فكان
صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا في تهجده كما رواه مسلم ولو قصد السجود
فحملها فتراث ترابية تدم الضعف والكبر وسقط اي وقع صلى الله
عليه وسلم من فوق فرسه فجحش بضم الجيم وكسر الحا المهملة وشين معجمة
مبني لما لم يسم فاعله اي خدش والخدش جراح في الجلد وقال الخليل هو
كالخدش او اكثر شقه بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف اي جانبه الايمن
وهو في حديث من احاديث الصحيحين وكان ذلك في ذي الحجة سنة خمس
وفي البخاري عن انس انه صلى الله عليه وسلم سقط عن فرسه فجحشت
ساقه او كتفه وشجه الكفار في وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب
الراس فيشق ثم استعمل في غيره من الاعضا والذي شجه ابن قمية فاسند
ما وقع من البعض للكل كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما تقدم وكسروا رباعيته
بتخفيف اليا بزنة ثمانية وهي السن التي بين الثنية والناب وتجمع على
رباعيات وفي التعبير بالكسر اشارة الى انها ذهبت منها فلقة ولم تسقط
من اصلها وكان هذا في وقعة احد فشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته
السفلى وجحشت ركبته وسال الدم على وجهه وهشمت الخوذة التي على
راسه الشريف كما فصل في السير وهو لا ينافي كون الله عصمه من الناس
ان قلنا ان اية العصمة نزلت قبل والا فالعصمة انما هي عن القتل كما مر
وقد فصله الامام الخيضري في خصايصه وسقي بالبنا للمجهول السم بسين
مثلثة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر اهدت له زينب
بنت الحارث اليهودية شاة مشوية وكانت سالت اي اعضا الشاة
احب اليه فقالوا الذراع فاكثرت من السم فيه وقدمته اليه فلما مضغه
صلى الله عليه وسلم لم يسغه واكل منه بشر ابن البرا فمات بعد ذلك وقال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه امسكوا فانها مسمومة وقال ما حملك على هذا
قالت ان كنت نبيا سلمت منه فاعلم بك والا اراح الله الناس منك فاحتجم صلى
الله عليه وسلم على كاهله كما ياتي وروي انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها وفي
رواية انه قتلها قال الواقدي رحمه الله وهو الثبت واجمع بينهما بانه
تركها اولا ثم لما مات بشر بن البرا قتلها وقيل انها اخت مرحب اليهودي ولذا
ترك قتلها اول الامر وتفصيله في السير وسحر بالبنا للمجهول والساحر له
لبيد بن الاعصم كما مر ترك ذكره لشهرته ولخسته او لعدم تعلق الغرض
به وهو يهودي من بني زريق وقيل انه منافق اسلم ظاهرا وارتضاه
ابن الجوزي وكان ذلك في مرجعه من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة

سبع وقيل انه كان حليفا في بني زريق بجنس السحر فجعل له اليهود جعلا
على ان يسحره صلى الله عليه وسلم فاثر فيه سحره اربعين ليلة وقيل ستة اشهر
وقيل انه مكث سنة ويأتي في رواية يحيى بن يعمر ما يؤيد هذا الاخير وان
السهيلي قال انه المعتمد **وتداوى** صلى الله عليه وسلم كما يتداوى غيره فهو من
جملة ما يلحقه من العوارض البشرية فتداوى من لدغة عقرب بماء وملح لما
لدغته في اصبعه وهو يصلي كما في مسند ابن ابي شيبة عن ابن مسعود فاتى
بماء وملح جعل فيه اصبعه الشريف **واحتجم** على كتفه لما مضغ من الشاة
المسمومة كما تقدم وبالحجامة يخرج السم مع الدم او يضعف الدم فلا
يوصل السم على القلب الا انه لم يزل به صلى الله عليه وسلم اثره حتى مات
لاجل ان يرزقه الله الشهادة وفضلها كما روي في كتب الحديث **وانتشر** انفعال
من النشر بنون وشين معجمة وراء مهملة وفي نسخة تنشر والنشرة بمعنى
الرقية والتعوذ والتحقيق ان النشرة بالضم والفتح ما يقرأ عليه ادعية
ونحوها ويدثم يغسل بها من به مرض ونحوه سميت نشرة لنشر الماء فيها **وتعوذ**
بذال معجمة من العوذة وهي الرقية باعوذ بالله ونحوه ثم عمت ورقيته صلى الله
عليه وسلم لنفسه ورقية جبريل له مروية من طرق كقوله اعوذ بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وغيره **ثم** بعد هذا كله
قضى نحبه كغيره وقضا النحب كناية عن الموت واصل معنى النحب النذر الواجب
فيقال ذلك كانه لتحتمه كان نذرا في ذمته يقضيه بموته كما يقال قضى اجله
واستوفاه وقيل النحب الموت من النحيب وهو البكاء والتحقيق ما قدمناه **فتوفي**
صلى الله عليه وسلم اي توفاه الله **ولحق بالرفيق الاعلى** وهم الانبياء والملائكة
عليهم الصلاة والسلام والرفيق بمعنى المرافق يقع على الواحد وغيره قال تعالى
وحسن اولئك رفيقا وقيل الرفيق المراد به الله لرفقه بعباده او لانه معهم اينما
كانوا وعن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال عند موته
بل الرفيق الاعلى وذلك انه خير بين بقايه في الدنيا وبين ما عند الله فاختار
ما عنده **وتخلص** بوفاته **من الدنيا** التي هي **دار المحن** وفي نسخة الامتحان
والبلوى لما كان يقاسيه من اعداء الدين وتبليغ امانة الله **وهذه** الامور المذكورة
التي كانت تصيبه صلى الله عليه وسلم **من سمات البشر** اي من صفاتهم وعلاماتهم
المختصة بهم من السمة وهي الوسم والعلامة **التي لا محيص عنها** اي لا يتخلص
منها احد من الخلق نبيا كان او غيره قال الراغب يقال ما عنه محيص وما للناس محيص
من حيص بيص او من حاص بمعنى حاد عما فيه شدة فهو مكروه **واصاب غيره**
من الانبيا ما هو اعظم منها اي من الامور التي اصابت النبي صلى الله عليه وسلم **فقتلوا**
قتلا بغير حق كما وقع ليحيى بن زكريا فالقتل وقع لبعض الانبيا كما قال تعالى
يقتلون النبيين بغير حق ولبعض رسل الله الا ان الله عصمهم من القتل حين

الدعوي

الدعوي وفي مقاتلة الكفار المامورين بها كما ذكره علما التفسير والاخبار
وكقتل يحيى وانتقام الله ممن قتله بان سلط عليهم بخت نصر فقتل منهم
سبعين الفا كما فصله المورخون وفي نسخة قتلوا تقتيلا والمصدر تحقق لتاكيد
القتل **ورموا في النار** كابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم رماه فيها بمنجنيق من بناء
عال نمرود فصارت النار عليه بردا وسلاما وكذا جرجيس كما في قصص
الانبيا للثعالبي **ونشروا بالمناشير** جمع منشار ويقال ميشار بيا بدل
النون وبهمز وهي الة من حديد معروفة يشق به الخشب وهو مشتق
من النشر لتفريقه المنشور قطعا وفي المنشار لغات يقال نشره ووشره
وفي جمعه مياشير ومواشير فيصح ضبط ما هنا بالبا وقول ابن قتيبة
ان مناشير عامية كما نقل عنه لا ادري وجهه والذي نشر زكريا صلى الله
عليه وسلم لما قتل الملك يحيى توقع به ما وقع من قتل نبيه اذ سلط الله عليه
عدوا فهرب زكريا من الملك فارسل خلفه من يطلبه واد ركه الطلب فانشقت
له شجرة فدخل فيها فامسك الشيطان هدب ازاره خارجا من الشجرة
فدلهم الشيطان عليه فنشروا الشجرة وزكريا وقيل سبب هربه انهم
اتهموه بمريم **ومنهم** اي الانبيا **من وقاه الله** اي صانه **ذلك** اي القتل والحرق
والنشر ووقي بمعنى حفظ وستر يتعدى لمفعولين وفي الحديث يتقي
بالصدقة وجهه النار **في بعض الاوقات** كما وقع في يوسف عليه الصلاة والسلام
لما نجاه الله من السجن وابراهيم عليه الصلاة والسلام من احراق النار **ومنهم من عصمه**
وحفظه من القتل وان وقع له بعض ما يوذيه **كما عصم بعد** مبني على الضم اي بعد
ما تسلط عليه الاعدا **نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس** كما قال
تعالى والله يعصمك من الناس كما تقدم **فلئن لم يكف** من كفه يكفه بالتشديد ويجوز
تخفيفه بجزمه بحذف اخره كيرمي وهو الظاهر على النسخة الاولى **نبينا** صلى الله
عليه وسلم وهو مفعول مقدم **وربه** فاعل موخر وفي نسخة عن نبينا **يد ابن**
قمية مفعول ثان وقمية بالهمز بزنة فعيلة كقمئ بمعنى صغر وذل وهو
عبد الله بن قمية الذي جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم اقماك الله
اي اذلك الله فرماه الله من شاهق جبل لما انصرف فتقطع قطعا وقصته
في السير **يوم احد** اليوم بمعناه الحقيقي والمراد به غزوتها كقولهم ايام العرب
لوقايعهم وهو بهذا المعنى مشهور ومنه وذكرهم بايام الله **ولا حجبه عن**
عيون عداه بكسر العين مقصور جمع عدو وفيه كلام في كتب اللغة والنحو **عند**
دعوته للاسلام **اهل الطايف** هي بلاد ثقيف بقرب مكة سميت بها لانها
طافت على الماء في الطوفان او لان جبريل عليه الصلاة والسلام اقتطعها
من الشام وطاف بها البيت وقيل لانه بني عليها طوف اي حايط وهذا
كان سنة عشر من النبوة بعد موت ابي طالب وقد نالت منه صلى الله عليه وسلم

قريش منالها فخرج الي الطايف وحده او ومعه زيد بن حارثه يلتمس نصرة
ثقيف له فقام علي ناس من اشرافهم ودعاهم للاسلام فابوا واغروا به
سفهاهم فاطالوا عليه وحصبوه حتي ادموا ساقيه وهو ذاهب ثم كفهم
الله عنه وحجبهم عنه فجلس عند حايط كرم وكان ما فصل في السير من
عرضه نفسه علي قبايل العرب فلقد اخذ الله عز وجل اي غطي وحجب علي عيون
قريش يقال اخذ علي عينه وعلي يده اذا كفه ومنعه فالعيون جمع عين بمعني
الباصرة او بمعني الربيئة والجاسوس وكان ذلك عند خروجه من مكة الي غار
بجبل ثور هذا هو الصحيح وفي نسخة ابي ثور وهي غلط لانه انما يعرف بثور
وهو جبل معروف علي يمين مكة لما تشاوروا في امره صلي الله عليه وسلم
بدار الندوة ثم اجمعوا علي قتله فامر عليا كرم الله وجهه بالنوم علي
فراشه فخرج صلي الله عليه وسلم عليهم وهم عند داره وقد اخذ الله علي
عيونهم ونثر علي رؤوسهم ترابا وسمي ثورا لنزول ثور بن عبد مناف عنده
وثور اسم جبل ايضا بالمدينة كما في القاموس وغيره واهل المدينة تعرفه فلا عبرة بمن
انكره كابن عبد السلام وامسك الله عنه صلي الله عليه وسلم سيف غورث بن الحرث
الاعرابي كما في البخاري وغورث بغين معجمة علي الصحيح وقيل مهملة وواو وراء مهملة
وثاء مثلثة وروي مصغرا وهو بزنة جعفر وهو عند الخطيب بكاف بدل
المثلثة وقيل اسمه دعثور بن الحارث والظاهر انه غيره في قصة اخري جا
وكان في بعض غزواته ادركتهم القايلة فنزلوا بواد كثير العضاه فنزل صلي الله
عليه وسلم بظل شجرة علق بها سيفه وتفرقوا عنه وناموا فبعد حين دعاهم
رسول الله صلي الله عليه وسلم فاتوه فاذا اعرابي جالس عنده فقال ان هذا
اتاني وانا نايم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من
يمنعك مني قلت الله وها هو جالس ولم يعاقبه وهو من المشركين والغزوة
ذات الرقاع وهو من غطفان ومحارب وكان قال لقومه انا اقتل لكم محمدا
وروي ان جبريل دفع في صدره فسقط السيف من يده واسلم وذهب لقومه
فدعاهم للاسلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالي يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم الخ كما تقدم ذلك كله وامسك الله عنه صلي الله عليه
وسلم حجر ابي جهل بن هشام لعنه الله اذ اراد ان يرميه صلي الله عليه وسلم به
وكان قال لقريش لارضخنه غدا بحجر احمله لا اكاد اطيق حمله فامنعوني من
بني عبد مناف فارتقبه غداة يومه حتي اتي المسجد يصلي فاخذ الحجر ومضي
له فلما اراد رميه صلي الله عليه وسلم يبست عليه يده ثم عاد متغير اللون
فسالوه فقال عرض دونه فحل لم ار مثله عظما هم ان ياكلني فقال رسول الله صلي
الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دني لاخذه وامسك الله عنه صلي الله عليه وسلم
فرس سراقة هو سراقة بن مالك بن جعشم الكناني كان جعل له قريش دية من

أُخذ

أُخذ من ابي بكر ورسول الله صلي الله عليه وسلم لما خرج مستخفيا الليهم
وهو من مدلج القافة وقصته في ذهابه خلفهما فلما ادركهما ساخت قوايم
فرسه في الارض وكادت تبتلعه فطلب الامان فامنه ونجا وعاد الي اخر القصة
المشهورة وهو شجاع شاعر مجيد اسلم وحسن اسلامه ومات سنة اربع وعشرين
في خلافة عثمان قلت ولما كف بده عنهما شرفه الله بالاسلام والباسه
سواري كسري كما مر بيانه ولين لم يقه من سحر ابن الاعصم لبيد اليهودي
كما تقدم فلقد وقاه ما هو اعظم خطرا من سحره من سم اليهودية من قصتها
التي تقدمت قريبا وسياتي الكلام علي سحره وهذا جواب عن سوال تقديره
انك قررت ان الله ميزه عن ساير الانبيا بوقايته وجعله في حصن صيانته
فلم لم يعصمه من ابن الاعصم فاجاب بانه ابتلاه به تكثيرا لثوابه ونعمه
ما صرف عنه من مصابه وا قد وقاه مما هو اعظم منه وهو السم القاتل فلا وجه
لما قيل من انه لا فايدة فيه وسياتي بيان فايدته مع انه توطية لقوله وهكذا
ساير انبيايه اي عادة الله مع ساير انبيايه اي بقية انبيا الله منهم
مبتلي بالمصايب تكثيرا لاجورهم ومنهم معافي تكريما لهم وحفظا وذلك اي
ابتلاوهم او كون احوالهم مختلفة من تمام حكمته الجارية في مخلوقاته ليظهر بابتلايهم
مع صبرهم ورضاهم في السرا والضرا شرفهم في هذه المقامات اي احوالهم
المتفاوتة ويتبين امرهم بصبرهم علي ما لا يطيقه غيرهم ويتم كلمته فيهم يعني
امره لهم بالصبر علي الاذي حتي يكون لهم العاقبة الحسني وليتحقق بامتحانهم بابتلاهم
به بشريتهم اي انهم من جنس البشر الذين في دار المصايب ويرتفع وفي نسخة
يرفع اي يزيل الالتباس في امور الدنيا عن اهل الضعف اي من ضعف عقله من
العوام فيهم اي في انبيا الله بتوهمهم لضعف عقولهم انهم ليسوا كغيرهم ممن
يغشاه البلا ويعرض له الموت والفنا ولذا ارتد بعض جهلة الاعراب لما توفي
رسول الله صلي الله عليه وسلم فابتلاهم ليعرف الناس انهم كغيرهم في العوارض البشرية
ليلا يضلوا بفساد اعتقادهم فيهم بما يظهر من العجايب اي خوارق العادات وبدايع
المعجزات التي تظهر علي ايديهم وتصدر منهم بامر الله تاييدا كانشقاق القمر واحيا
الموتي ونحوه فيقولون من يقدر علي هذا كيف يمرض ويسحر ويعرض له ما يعرض
لضعفا الخلق ضلالا اي ضلالا كضلال النصاري بعيسي بن مريم عليه الصلاة
والسلام لما راوا معجزاته جعلوه الها وقالوا ما قالوا لجهلهم وعدم دقة نظرهم
والنصاري علي فرق بطول الكلام في بيان اعتقاداتهم الباطلة وتزييف ما قالوه
وقد الف في ذلك عدة كتب اجلها كتاب ابن تيمية والقرطبي ومقامنا يضيق عن
الكلام عليها اذ المراد شرح ما قاله المص حتي يسهل فهمه علي المبتدين وليكون
في محنتهم ما ابتلاهم به الله تعالي تسلية لاممهم فيقتدوا بهم اذا نزلت بهم
المصايب ويصبروا كما صبروا ووفور اجورهم الوفور الكثرة والزيادة عند

ربهم اذا رجعوا اليه وجازاهم بما صبروا عليه وليعرفوا نعمة السلامة والعافية
تماما اي يتم ذلك بانعامه على الذي احسن اليهم اولا بنعمة الوجود والصحة
وغيرهما من النعم الدنيوية فيزيدها باعظم منها من النعم الاخروية التي لا يعادلها
شي مجازاة لصبرهم وشكرهم وقال بعض المحققين هذه الطواري جمع طاري
بالهمز وتبدل ياوهي ما يطرا اي يحدث ويتجدد والتغيرات اي تغير احوالهم من صحة
لسقم وسعة لضيق ونحو المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية دون
ارواحهم ونفوسهم القدسية المقصود بها والفايدة في ايجادها لهم في
اجسادهم مقاومة البشر اي ان يكونوا بطباعهم مساوين لاممهم فيها
حتى يقدروا على القيام باموره ومعاناة بني ادم بمباشرتهم ومخالطتهم
لشاكلة الجنس اي مشابهتهم لهم في الخلق والخلق ولذا كانت الرسل من البشر دون
الملايكة ولو جعل خلقهم ملكيا لم يطيقوا اشيا مما ذكر كما ترى بعض الناس
لا يقدر على عشرة العوام وينفر منهم لمنافرة الطباع واما بواطنهم اي امورهم
التي تختص من عقولهم وقواهم الروحانية وقلوبهم وحواسهم الباطنة وهو
جمع باطن خلاف الظاهر فمنزهة اي سالمة مبراة عن ذلك غالبا وقد يعرض
لها شي منه معفو عنه لكنها في غالب احوالها معصومة منه مطهرة عما
يشينها كتغير العقل وقد يعرض له احيانا ما لا يغيره كالاغما الذي وقع له
صلى الله عليه وسلم في مرض موته فبواطنهم متعلقة بالملا الاعلى وفي نسخة
بالرفيق الاعلى وقد تقدم ان الرفيق فعيل بمعنى فاعل يستوي فيه الواحد
وغيره وهم ارواح الانبيا الساكنين في عليين والملايكة فهو عطف تفسير
على هذا لاخذها اي لاخذ البواطن وتلقيها وارجاع ضمير اخذها للاخبار
السما وغيرها بعيد عنهم اي الملايكة وتلقيها الوحي النازل عليهم لتبليغه
ما ارسل به منهم اي من الملايكة وما قيل عليه من ان حذف قوله غالبا احسن بل
واجب لا وجه له لما بيناه من بيان مراده به قال القايل بعض المحققين
المحكي عنه ما ذكر الى هنا وهو دليل لما قاله وقد قال صلى الله عليه وسلم
في حديث قد تقدم بسنده ان عيني بتشديد اليا مثنى عين مضافا ليا المتكلم
تنامان اي يعرض لهما النوم حتى لا يحسان احساسا ظاهرا متعارفا ولا ينام
قلبي اي لا ينقطع شعوره وادراكه بالكلية وهذا باعتبار الغالب من احواله
صلى الله عليه وسلم اذ قد ينام نوما ينقطع به شعور عينيه وقلبه كما تقدم
في حديث الوادي الذي نام فيه حتى فاتته الصلاة وبهذا علمت ان قوله
غالبا في محله كما مر وفيه دليل على ان ظاهره كغيره وقال صلى الله عليه وسلم
اني لست كهيئتكم اي ليس حالي كحالكم وتقدم المراد بالهيئة هنا اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني بضم اوله يطعمني وفتح يا يسقيني ويجوز ضمها يقال سقاه واسقاه
بمعنى وهو في صومه صوم الوصال على حقيقته او ماول بما تقوي به روحه

من

من المعارف الالهية التي تقوم مقام الطعام والشراب في تقويتها الروح
التي تسري للبدن وفيه كلام مشهور تقدم طرف منه وقال صلى الله
عليه وسلم في حديث اخر اني لست انسى ولكن انسى ليستن بي تقدم
فيه ما يغني عن الاعادة فاخبر صلى الله عليه وسلم في هذه الاحاديث
ان سره اي ما خفي من امره وباطنه عطف تفسير لسره وروحه التي بها الحياة
وقيام البدن وهذا حقيقتها ولها معان اخر بخلاف جسمه وظاهره
اي مخالفة لهما فيما يعتريهما من التغيرات والالام كغيره من ساير البشر
كما قرر في اول هذا الفصل وان الافات جمع افة وتقدم بيانها التي تحل
ظاهره اي ما يشاهد من جسده الشريف فقط وبينه بقوله من ضعف
بانحطاط القوى لمرض وكبر وجوع لفقد الغذا وما به قوام البدن من
بدل ما يتحلل منه وسهر بفقد النوم الذي به راحة البدن واستراحة
الحواس ونوم يستريح به بدنه وقواه وقال المعري وفضيلة النوم
الخروج باهله عن عالم هو بالاذى مجبول لا تحل بضم الحا المهملة من الحلول
منها اي من هذه المذكورات كلها من التغيرات باطنه اي حواسه
الباطنة بخلاف غيره من البشر فانه يعرض له تغيرات في الظاهر
والباطن مما يعد بعضه نقصا فيه في حكم الباطن اشارة الى محل المخالفة
لتساويهما في الظاهر كما تقدم ثم وضحه بقوله لان غيره من البشر بل ساير
الانبيا ولم يصرح به لعلمه مما قدمه اذا نام استغرق النوم بالرفع فاعل استغرق
جسمه وقلبه مفعوله اي شغلهما واثر فيهما تاثيرا تاما يعطل حواسه
الظاهرة والباطنة بخلاف الانبيا فانه يشغل ظاهرهم دون باطنهم فاول
كالميت كما قال ابن عربي رحمه الله تعالى
شعر فيا نايم الليل هنيته فقبل الممات سكنت القبورا
ولذا قيل النوم اخو الموت وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب
لعدم استغراقه في نومه وحضور القلب مجاز عن ادراكه وشعوره
وغيره كان قلبه فارقه او يريد به لازمه فهو استعارة او مجاز مرسل
ومثله كثير في استعمالهم كحاله صلى الله عليه وسلم في نومه كما هو في يقظته
بفتح القاف وقد تسكن في الشعر كما مر وهي ضد النوم اي حاضر الحواس
والمشاعر فيهما كما ذكرناه سابقا وتقدم انه باعتبار غالب احواله حتى قد جا
اي روي في بعض الاثار اي الاحاديث والاثر ورد بهذا المعنى وقد
يخص بغيره من الاخبار انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا اي مصونا محفوظا
واصل الحرس ملازمة من يحفظه من الناس فحرز به عما ذكر من الحدث هو ما ينقض
الوضوء وطهارته كما هو معروف في الاستعمال في حالة نومه لانه
انما يحدث لعدم الشعور به كما قال صلى الله عليه وسلم العينان وكا السه

لكون قلبه يقظان كما ذكرناه والحدث انما يعرض لعدم شعور
به كما قال صلي الله عليه وسلم القلب والحواس الباطنة وقد ذهب الفقها
الي ان نومه كان لا ينقض وضوءه وعدوه من خصايصه صلي الله عليه
وسلم واما نوم غيره فينقض وضوءه ما لم يكن جالسا متمكنا بشرطه علي
الصحيح ومن قال بخلافه فليس معتمدا عليه كما بينه الفقها في كتبهم
وقد روي المحدثون باسانيد صحيحة كما تقدم انه صلي الله عليه وسلم
كان ينام حتي يسمع غطيطه ثم يقوم فيصلي من غير تجديد لوضوئه
وما قيل من ان فيه بحثا لانه اذا كان حاضر القلب فهو يقظان
وهو حينيذ ليس مظنة الحدث ونقض الوضوء حتي يجعل غاية لكونه
محروسا ويستشهد له بالاشارة ليس بشي لانه اذا نامت حواسه الظاهرة
يقتضي ذلك لان الاحكام منوطة بالظاهر دون الباطن وكذلك اي كما ان
نوم غيره ليس كنومه لكونه غير محروس من الحدث غيره اي غير النبي صلي
الله عليه وسلم اذا جاع بترك غذايه اكثر من معتاده ضعف لذلك اي لجوعه
تضعف بنيته واجسمه وخارت قوته بخا معجمة وراء مهملة اي ارتخت
وضعفت من الخور وهو اللين والضعف وقيل معني خارت ذهبت
وانكسرت فتعطلت بالكلية جملته اي جميعه ظاهره وباطنه مخالفا للانبيا
عليهم الصلاة والسلام الذين تتعطل ظواهرهم دون بواطنهم وهو صلي
الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه اي يعرض له ذلك اي تعطل
جملته لقوله صلي الله عليه وسلم ولا ينام قلبي وانه اي حاله بخلافهم اي
يخالف حال غيره من البشر لقوله صلي الله عليه وسلم في حديث رواه
البخاري في وصال الصوم ونهي غيره عنه وقولهم له انك تواصل
صومك فقال لهم اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني
تقدم بيانه قال المص وكذلك اي كما قال بعض المحققين ان التغيرات
الطارية علي البشر تختص بظواهر الانبيا دون بواطنهم اقول انه
صلي الله عليه وسلم في هذه الاحوال البشرية كلها من وصب بيان للاحوال
والوصب الالم الدايم وقد جا بمعني التعب وهو اولي هنا لي لا ينكرر مع
قوله ومرض وان صح جعله عطف تفسير او موكدا وضجر هو قلق واضطراب
من بعض الامور وغضب تقدم بيانه وانه صلي الله عليه وسلم لا يغضب
لنفسه بل لله اذا خولف امره لم يجر بالجيم مضارع بمعني وقع وحدث
علي باطنه ما يخل اي يوقع خللا وتشويشا به اي صلي الله عليه وسلم والضمير
لباطنه اي لم يسر له من ظاهره ما يخل به ولا فاض منه بفا وضاد
معجمة اي ظهر من فاض الانا بالما اذا امتلا منه حتي تدفق من جوانبه
علي لسانه وجوارحه اي اعضايه الظاهرة جمع جارحة بمعني عضو

كما يقع

ابن فارس

كما يقع لبعض الناس في المه وغضبه انه يتكلم ويتحرك بحركات مختلفة لانه لا يملك
نفسه في بعض احواله ما لا يليق به اي لا يناسب علو مقامه كهذيان بعض
المرضي وخرافاتهم وشتم من غضب منه كما يعترض اي يعرض لغيره من البشر اذا
ابتلي بشي من ذلك كما ناخذ اي نشرع بعد بالبنا علي الضم في بيانه اي ما نحن فيه
فصل فان قلت فقد جات الاخبار الصحيحة كما في حديث
رواه البخاري انه صلي الله عليه وسلم سحر كما تقدم وهذا مما طعن به بعض
الملحدين في عصمته صلي الله عليه وسلم من الناس كما حدثنا به الشيخ ابو محمد الغساني
بقراتي عليه نسبة لغسان قبيلة باليمن وهو في الاصل اسم ما نزلوا عليه فسموا به
قال حدثنا حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن
علي بن خلف هو علي بن محمد بن خلف المعافري القروي وهو الحافظ القابسي كما تقدم
قال حدثنا محمد بن احمد هو ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن يوسف
هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور وهو
غني عن البيان قال حدثنا عبد الله بن اسماعيل الهباري توفي سنة ماتين ثم
وخمسين قال حدثنا ابو اسامة حماد بن اسامة الكوفي توفي سنة احدي وماتين
وعمره ثمانون واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن هشام بن عروة عن ابيه
تقدم الكلام عليهما عن عايشة ام المومنين رضي الله عنها قالت سحر رسول الله
صلي الله عليه وسلم بنا المجهول وتقدم ان الذي سحره لبيد بن الاعصم وهو يهودي
او منافق كان حليفا لليهود وجمع بينهما بانه كان يخفي اليهودية ويظهر
النفاق وكان في سنة سبع واختلف في مدة سحره فقيل اربعين يوما
وقيل ستة اشهر وقيل سنة كما تقدم واعتمده السهيلي وجمع بينهما بان
ذلك باعتبار ظهوره وشدة تاثيره حتي انه صلي الله عليه وسلم ليخيل
اليه اي يقع في خياله توهم ما لا اصل له وليس بمعني يظن لانه لا يتعدي
بالي انه فعل الشي وما فعله لما وقع به من الم السحر وفي رواية اخري لهذا
الحديث حتي كان يخيل له انه ياتي النسا وما ياتيهن اي يتوهم انه جامعهن
وهو لم يجامعهن وهو المراد بالشي في تلك الرواية لكنه لم يصرح به
تادبا بالاسما ورواية عايشة فاستحييت من ذكره الحديث اي اقرا
الحديث واذكره بتمامه كما هو في الصحيحين عن عايشة كان صلي الله عليه
وسلم ذات يوم او ذات ليلة وهو عندي دعا ثم قال اشعرت ان الله
افتاني فيما استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر
عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجعه قال مطبوب اي مسحور قال
من طبه قال لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في
بير ذروان فاتاها رسول الله صلي الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فدفنها
ولم يستخرجها والكلام عليه مشهور تقدم بعضه واذا كان هذا الامر المذكور

من التباس الامر علي المسحور بتخيل فعل ما لم يفعله فكيف حال النبي صلي الله عليه وسلم
في ذلك الالتباس وعلي اي حال وقع له وكيف جاز عليه ذلك الامر الذي
جاز علي غيره من تاثير السحر فيه وهو معصوم جملة حالية هي محل انكار السايل
الذي توهم ان مثله ينافي عصمته عليه الصلاة والسلام فالاستفهام
هنا انكاري لاعتقاده عدم طرو التغيرات الباطنة عليه وهذا اسناف
له فاجاب عنه بقوله فاعلم ايها السايل عن سحره وفقنا الله واياك للوقوف
علي الحق وتحقيقه وهي جملة اعتراضية دعايية اشارة الي ان قصده في
كتابه هذا ارشاد طالبي الحق له ان هذا الحديث صحيح متفق عليه اي مما اتفق
علي صحته اهل الحديث او اتفق علي روايته الشيخان وقد طعنت فيه الملحدة
الطعن الضرب برمح ونحوه استعير لاسناد ما لا يليق من النقايص والملحدة
الطايفة من اصحاب العقايد الفاسدة من الحد بمعني حاد عن الطريق
وفي للسببيه اي طعنوا بسببه في مقام النبوة وتذرعت بذال
معجمة وراء مشددة وعين مهملتين من الذريعة كالوسيلة وزنا ومعني
واصلها شرك الصايد استعير لما ذكر ووجه ظاهر والباء سببية وقال
البرهان في المقتفي انه بدال مهملة اي لبست درعا اي تقوت به وظننته
دليلا ينفعهم لسخف عقولها بضم السين المهملة بمعني رقتها وضعفها
وتلبيسها علي امثالها من ضعف عقله فرجع عليهم الي التشكيك في الشرع اي يوقع
بعضهم بعضا في شك في احكام الشريعة بتوهم انه يخيل عليه فيها والي
متعلقة بتذرع وهو يعني انه بذال المعجمة وقد نزه الله الشرع طهره عما
يشينه والنبي صلي الله عليه وسلم عما يدخل بضم اوله في امره اي دينه وما يتعلق به
لبسا اي شيا يصير امره ملتبسا بغيره مما لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض
جعله مرضا مبالغة لانه سبب لتغير المزاج وانفعاله فينشا عنه امور
غير طبيعية كالنسيان وهو معدود من الامراض والامور الروحانية
يسري للبدن نفعا وضرا والاطبا يعترفون بذلك وعارض من العلل جمع علة
والعارض هنا بمعني العرض وهو عند الاطبا ما يزول بسرعة من الامراض
وهو عند المتكلمين والحكما ما لا يقوم بنفسه يجوز عليه تخصيص له لاخراج
ما لا يجوز عليه صلي الله عليه وسلم منها كالجنون وكانواع الامراض التي جوزوها
عليه مما لا ينكر عروضه له صلي الله عليه وسلم وعلي ساير الانبيا ولا يقدح اي لا يعد
نقصا وعيبا قادحا في نبوته صلي الله عليه وسلم من الامراض كالجذام والبرص
وغيره مما صان الله انبياه لخلقه لهم علي اكمل خلق واتمه ومزاجه صلي الله عليه وسلم
اعدل الامزجة وهذا مبني علي ان السحر له حقيقة مونرة ينشو عنه تغيرات
وامراض وهو مذهب الجمهور ويشهد له القران والسنة خلافا لمن قال
انه تخيل لا حقيقة له واليه ذهب ابن حزم وغيره والسحر عند الجمهور علي انواع

منه

منه ما لا حقيقة له وهو شعبذة ومنه ما له حقيقة بمعاونة الشياطين
وخواص بعض الامور كما تقدم ويا تي ايضا عن الراغب واما ما ورد في الحديث
السابق انه صلي الله عليه وسلم كان يخيل اليه انه فعل الشي وهو لا يفعله
كما تقدم بيانه فليس في هذا ما اي امر يدخل بضم اوله مضارع ادخل
عليه صلي الله عليه وسلم داخلة اي نقصا وعيبا وفسادا كما يقال امر مدخول
اي معيب في شي من تبليغه او شريعته قال الراغب الدخول نقيض الخروج
والدخل كناية عن الفساد والعداوة كالدغل ودعوة النسب بفتح الحا قال تعالي
ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم او يقدح اي يعيب في صدقه فيما يبلغه وشرعه كما
توهم الطاعنون به لانه يسري الي ان يقال ان جبريل والملايكة التي كان صلي
الله عليه وسلم يراها امور متخيلة وحاشاه من ذلك لقيام الدليل المويد بمعجزاته
والاجماع من المسلمين وايمة الدين علي عصمته صلي الله عليه وسلم من هذا اي
مما يدخل عليه داخلة في شرعه وتبليغه عن ربه وهذا بر منته من كلام المازري
في المعلم قال انكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعم انه يحط من منصب النبوة
وقالوا كلما ادي الي ذلك فهو باطل وتجويزه بعد الثقة بما شرعوه من
الشرايع اذ يحتمل علي هذا انه صلي الله عليه وسلم يري جبريل وليس هو
وانه يوحي اليه ولم يوح اليه وهو مردود لان الدليل قام علي صدقه صلي الله
عليه وسلم فيما يبلغه عن الله وعلي عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدة
بصدقه فتجويز ما قام الدليل علي خلافه باطل انتهي وانما هذا اي انه
يخيل اليه فعل شي لم يفعله ليس عاما بل في امور مخصوصة هي فيما يجوز طروه
بالهمز وتركه اي عروضه في امور دنياه التي لم يبعث من التوحيد والاحكام
المشروعة وفي نسخة امر مفردا وفي اخري من امور اي ما لا يتعلق بشريعته
وتبليغه ولا فضل بتشديد المعجمة وبنا المجهول من اجلها اي من اجل اموره
الدينية وانما هو برفعته وزيادة اجره وهو صلي الله عليه وسلم فيها اي
في امور الدنيا عرضة بضم فسكون اي بعرض يحدث له فيه مستعد للافات
اي التغيرات التي تلحقه كساير البشر يعرض له ما يعرض لهم لحكمة تقدمت
فغير بعيد اي اذا كان عرضة لها فلا يبعد ان يخيل اليه صلي الله عليه وسلم من
امورها اي من امور الدنيا التي لا تتعلق بالتشريع فالفا فصيحة في
جواب شرط مقدر ما لا حقيقة له مما يتوهم انه فعله ولم يفعله ثم تنجلي عنه اي
يزول وينكشف فشبهه بغمام او صدا فقيه مكنية وتخيلية او هو حقيقة
عرفية فيه كما كان متعلق بينجلي اي حاله لما كان عليه قبلما عرض له او
المراد كما كان حاله وهو مسحور وايضا اي كما دفع ما توهموه بما ذكر نبين بوجه
اخر فقد فسر هذا الفصل يعني يخيل اليه الشي الحديث الاخر هو فاعل فسر
اي بين المراد به بروايته الثانية من قوله بيان لفسر وهو حتي يخيل اليه

الداخلة النقيصة

باتي اهله يعني زوجاته والاهل ورد بمعني الزوجة كثيرا والحال انه لا ياتيهن
يعني يتوهم انه جامعهن وهو لم يجامعهن كقوله فاتوا حرثكم اني شئتم
فهو تصريح بانه من اموره الدنيوية لا الشرعية فلا ضير فيه وقد قال سفيان
اي ابن عيينة كما صرح به في سنده في البخاري وهذا التخييل اشد ما يكون من السحر
اي غايته ما يوثر تخييلا انه فعل ما لم يفعله ولذا قالت عايشة رضي الله
عنها حتي كان يخيل الخ فان حتي للغاية فلا يبلغ اكثر من ذلك كقلب الاعيان
ونحوه من تغيير الماهيات وهذا مبني علي ان السحر تخييلات لا حقيقة لها
كالشعبذة والمحققون علي خلافه كما مر وقد قال الراغب انه علي انواع منها هذا
وهو المشار اليه بقوله تعالي يخيل اليه من سحرهم انها تسعي وقوله فسحروا اعين
الناس والثاني استجلاب امور بمعاونة الشياطين واليه يشير قوله ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والثالث فعل بقوته تغيير الصور
والطبايع فيجعل الانسان حمارا ولا حقيقة له عند المحصلين انتهي وقد
تقدم ان الاول من جنس الامراض ولذا قال صلي الله عليه وسلم شفاني الله
منه فانه المتبادر من الشفا ولبعضهم هنا كلام لا طايل فيه ولم يات عن احد
من المحدثين في خبر منها اي من الاخبار المروية عنه صلي الله عليه وسلم انه صلي
الله عليه وسلم نقل عنه في ذلك اي في قصة سحره قول بخلاف ما كان اخبر
به من انه قال انه فعل ولم يفعله اي لم ينقل عنه في حال سحره قول صدر عنه غير
هذا الذي فسر في الحديث وانما كانت الامور المنقولة عنه خواطر وتخيلات
من قبيل الوسوسة التي تعرض للعقلا كثيرا من غير تاثير في عقولهم وعلمهم
بمهمات امورهم فلا اعتراض في شي كما توهم وقد قيل في الجواب عما استشكلوه
ان المراد بالحديث المذكور في سحره انه كان يتخيل له ويقع في خاطره النبي انه فعل وما فعله بمجرد
خطوره بباله لكن تخييل لا يعتقد صحته ليقظة قلبه وسلامة ذهنه النبي
لا يوثر فيها مثل هذه التخيلات وهي سحابة صيف عن قريب تقشع فتكون
اعتقاداته صلي الله عليه وسلم كلها علي السداد بفتح السين بمعني الاستقامة
واموره كلها مستقيمة كاملة وادراكه كذلك لمعرفته صلي الله عليه وسلم بان
ما عرض له تخيل لا يعتد به واما بكسر السين فهو ما يسد به اسم الة كزمام
وركاب وفيه بيان في شرحنا لدرة الغواص واقواله كلها جارية علي الصحة
فهي كلها صحيحة صادقة اذ لم يقع الخلف في شي من اقواله وقول عايشة السابق
يخيل له فعل ما لم يفعله لا ينافي ما قرره لان التخيل بمعني التوهم وكون
الخيال قوة باطنية مدركة مما اصطلح عليه الحكما فهو مما ينبني عليه لا وجه
لايراده هنا كما توهم هذا المذكور في جواب ما وقع في هذا الحديث ما وقفت
عليه لايمتنا المحدثين او الاشعرية او الفقها المالكية في هذا الحديث الذي
روته عايشة رضي الله عنها عنه صلي الله عليه وسلم وفي نسخة عن هذا وفي

اخري علي هذا او هو ظاهر مع ما وضحناه من معني كلامهم في تفسيره وزدناه
بيانا زاد هنا يتعدي لمفعولين من تلويحاتهم اي من اشاراتهم له من غير تصريح
به ويحل وجه منها اي من الوجوه التي ذكرها الايمة مقنع اسم فاعل بوزن مكرم
اي كاف ومغن عن غيره لمن كان له قناعة تغنيه عن الوجوه الضعيفة والاقوال
الواهية والتكلفات الباردة ويجوز فتح ميمه ونونه مصدر ميمي يقال هو
مقنع في الامر بزنة جعفر والاول هو الصواب من غير تكلف لكنه الضمير
للشان والامر قد ظهر لي في هذا الحديث المتقدم في السحر تاويل وتفسير له اجلي
اي اظهر من غيره من التاويلات التي ذكروها وتقدم بعض منها وابعد من مطاعن
ذوي الاضاليل اي اكثر تبعيدا لمن له عقل سليم عما طعن به اهل الضلال مما
تقدم بيانه فاضاليل جمع لا واحد له كالمذاكير او جمع لفرد مقدر او موجود
فقيل جمع ضليل بكسرتين مشدد اللام صيغة مبالغة كشريب ولذا
قيل لامري القيس الملك الضليل وقيل جمع اضلولة بالضم وهو ما يضل به
من نكبة ولو قيل انه جمع اضلال علي خلاف القياس لم يبعد يستفاد ويوخذ
ذلك التاويل الاجلي من نفس الحديث اي حديث السحر وهو ان عبد الرزاق بن همام
الصنعاني قد روي هذا الحديث اي رواه في مصنفه عن الزهري عن ابن المسيب
واسمه سعيد كما تقدم وعن عروة ابن الزبير تقدم ايضا وقال فيه اي في الحديث
الذي رواه عنهما اي عن سعيد وعروة سحر يهود بني زريق بالاضافة
وبنو زريق بتقديم الزاي المعجمة والتصغير طايفة منهم رسول الله صلي الله
عليه وسلم مفعول سحر وفاعله يهود وهو بلا ال علم لهم وقد يذكر وتدخله اللام
فجعلوه اي السحر في بير اي بير ذروان كما تقدم حتي كاد رسول الله صلي الله
عليه وسلم اي قرب من ان ينكر بصره اي ما ابصر او ينكر نفس رويته لتاثير السحر
فيه ثم دله الله علي ما صنعوا باخبار الملك به وبالمحل الذي وضع فيه فاستخرجه
من البير علي رواية وقيل انه صلي الله عليه وسلم امر بدفنه ولم يخرجه
من البير وكانوا امروا غلاما من اليهود كان يدخل بيته صلي الله عليه وسلم فاخذ
شعرات من شعر راسه الشريف وشيا من اسنان مشطه فعقد وافيه
عقدا ودفنوه في تلك البير فلما انزل الله عليه المعوذتين واستخرج السحر
وحلت عقده شفاه الله والكلام عليه طويل مفصل في شروح الصحيحين
فلا نطيل به وذكر عن عطا الخراساني عن يحيي بن يعمر كما رواه عبد الرزاق
ايضا ويعمر بفتح اليا التحتية وبالميم المفتوحة ونصم وهو ممنوع من الصرف
للعلمية ووزن الفعل ويحيي هو قاضي مرو وهو اول من نقط المصحف
وتوفي سنة تسعين قال فيه اي في مصنف عبد الرزاق حبس رسول الله صلي
الله عليه وسلم بالبنا للمجهول اي منع عن عايشة اي عن جماعها رضي الله عنها سنة
هي مدة السحر كما تقدم عن السهيلي فبينا هو نايم حقيقة او مضطجع بين

النوم واليقظة كما في رواية وبينا للمفاجاة كبينما وتضاف وتحتاج لجواب
كما بينه النحاة اتاه ملكان هما جبريل وميكايل فقعد احدهما عند راسه والاخر
عند رجليه الحديث اي اذكروا اقراه الي اخر ما تقدم وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلي الله
عليه وسلم اي منع من الجماع عن عايشة خاصة سنة علي احد الاقوال السابقة
وخص منعه عنها دون غيرها لانها كانت احب ازواجه اليه صلي الله عليه وسلم
حتي انكر بصره يعني تغيرت قوته الباصرة عما كانت عليه قبل ان يسحر لا انه
فقده بالكلية لما في بعض روايات الحديث السابقة حتي كاد ينكر بصره اي
قارب فقده ولم يفقده من قولهم نكرته فتنكر اذا غيرته فتغير كما في الاساس
ولم يبعده مجازا وروي البيهقي صاحب السنن بسند ضعيف عن محمد بن سعد
هو كاتب الواقدي وصاحب الطبقات كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما
مرض رسول الله صلي الله عليه وسلم وحبس اي منع عن النسا ان اريد به الجنس لم يخالف الرواية التي
قبله والا خالفها والطعام والشراب فكان لا يشتهي ولا يتناول شيا منهما
لتغير مزاجه كساير المرضي فهبط اي نزل من السما عليه ملكان هما ميكايل وجبريل
وذكر القصة بتمامها وتقدم ان القصة انه صلي الله عليه وسلم قال لعايشة رضي
الله عنها ان الله اخبرني بدايي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر
رضي الله عنهم فنزحوا ما البير فاذا هو مثل نقاعة الحنا ثم رفعوا الراعوفة
وهي صخرة في قعر البير فاخرجوا جفا ومشاطة وهو شعر راسه الشريف
واسنان مشط ووترا معقودا فيه احدي عشر عقدة وتمثال صورته من
شمع غرز فيه ابر فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالمعوذتين فكان
كلما قرا اية منهما انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم تعقبه راحة
فاعترف لبيد بانه وضعه فعفي عنه فقد استبان لك اي تبين وظهر
من مضمون هذه الروايات اي ما تضمنته واشتملت عليه ان السحر الذي سحر به رسول
الله صلي الله عليه وسلم انما تسلط من السلاطة وهي التمكن ممن يريد قهره والمراد
تاثيره علي ظاهره اي ظاهر بدنه الشريف وجوارحه واعضايه دون باطنه لا علي قلبه
واعتقاده وعقله اذ لم ير فيه نقص اصلا وانه اي السحر انما اثر في بصره بتغيره عما
حتي كاد ينكره كما تقدم وحبسه عن وطي نسايه وعن طعامه فاضعف جسمه فامرضه
فهو كساير الامراض لا ينكر عروضه للانبيا عليهم الصلاة والسلام ويكون معني
قوله يخيل اليه انه ياتي اهله هذا جواب سوال تقديره اذا قلت ان السحر لم يوثر الا
في ظاهر بدنه يرد عليك انه تخيل ما لم يقع واقعا يقتضي خللا في الذهن
والادراك فهو مناف لما قلته وقوله معني اسم كان وخبره مقدر يدل عليه
ما بعده اذ لا يصح اقتران الخبر باي المفسرة ومثله كثير في كلام المصنفين
وفي الاساس رجل نشط طيب النفس للعمل ومتقدم عادته اي ما اعتاده صلي
الله عليه وسلم قبل السحر القدرة علي النسا فاعل يظهر اي قدرته وقوته علي جماعهن

اي ابكار النسا

فاذا

فاذا دني منهن اي قرب منهن ليجامعهن اصابته أُخذة السحر بضم الهمزة وسكون
الخاء وذال المعجمة وهي امر تتخذه السحرة بحبس المرء عن انتشار آلة الجماع تسميه
العامة رباطا وهي نوع من السحر ويقال به اخذة من الجن ايضا كانها اخذت
قوته فلم يقدر علي اتيانهن كما يعتري اي يعرض ويغشي من اخذ قيل هو بضم الهمزة
وتشديد الخا المعجمة وذال المعجمة من التاخيذ وفي نسخة وخذ بالواو اي منع
من الجماع كما قيل والظاهر عليهما ان يفسر بمن صنع له اخذة السحر السابقة
واعترض بنا المجهول اي عرض له عارض من مرض ونحوه والظاهر انه من العارض
المعروف بين السحرة الذين يدعون الجن وهو المناسب للاخذة ولعله الضمير
للشان وفي نسخة حذفه لمثل هذا اشار سفيان بن عيينة فيما نقله عنه
سابقا بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر اي اعظم انواعه ان يخيل له فعل
ما لم يفعله وتقدم ما فيه ويكون قول عايشة في الرواية الاخري من احد الروايتين
في الحديث اعني قولها انه يخيل اليه انه فعل الشي هو ما فعله والشي مبهم في روايتها
دون الاخري فيحتمل انه من باب ما اختل من بصره اي قوة نظره
لا نفس عينه وهو ما انكره كما ذكر في الحديث من انه كان يخيل اليه الي اخره
وبينه بقوله فيظن انه راي شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره
انه فعله وصدر منه علي وجه مخصوص ولم يكن صدر منه علي ما يخيل اليه وذلك
لما اصابه في بصره وضعف نظره من الم السحر لا لشي طرا عليه في ميزه بفتح الميم وسكون اليا
المثناة التحتية بمعني تمييزه ميزا كسار يسير سيرا بمعني ميز وبين واذا كان هذا
اي ما ذكر من حاله صلي الله عليه وسلم علي ما قرره لم يكن فيما ذكر من اصابة
السحر له في هذه الرتبة من غير زيادة فيه وتاثيره فيه بمجرد ضعف بصر
غير قادح ما يدخل لبسا عليه بان يوثر في عقله وتمييزه اي يسري لباطنه ولا يجد
به الملحد الزايغ عن الحق بطعنه في الانبيا عليهم الصلاة والسلام المعترض به
علي انه يلزم من تاثير السحر فيه تخيل ما لا حقيقة له يورث شكا فيما يراه من
الملايكة كما تقدم انسا اي امرا يستانس به اوهامه الفاسدة او وجدت
عنده عللا ينقص به مقام النبوة من قولهم انست منه كذا اذا علمته
او ابصرته **فصل** هذه الامور المذكورة في الفصل المتقدم
حاله صلي الله عليه وسلم في جسمه الشريف ظاهرا وباطنا واما احواله في امور الدنيا
اي في الامور المتعلقة بها فنحن نسبرها بفتح النون وضمها وسكون السين المهملة
وضم البا الموحدة وكسرها وراء مهملة والضمير راجع لامور الدنيا يقال سبره
واسبره اذا اختبره كما في الصحاح واصل معناه ان يدس في الجرح مرودا
ليعلم عمقه ثم شاع فيما ذكر وهو عند اهل الاصول استقصا افراد امر كلي
واقسامه والمراد هنا تبيينها علي اسلوبها اي نوردها علي طريقها المتقدم في
هذا الكتاب والاسلوب بضم الهمزة الفن والطريقة يقال اساليب الكلام

لفنونه بالعقد اي الاعتقاد متعلق بنسير والقول والفعل اي نسنو في
اقسامها النظرية واللفظية والعملية اما العقد منها اي ما يتعلق من احواله
صلي الله عليه وسلم في امور الدنيا بالعلم بها والاعتقاد فقد يعتقد صلى الله عليه
وسلم الشي من امور الدنيا علي وجه اي وقوعه علي وجه من الوجوه في بادئ الراي
ويظهر خلافه اي يظهر له انه علي خلافه في الواقع ونفس الامر او يكون منه اي من
الشي الذي هو من امور الدنيا علي شك فيه او يكون منه علي ظن بان يترجح عنده
احد طرفي الوقوع وعدمه بخلاف امور الشرع فانه صلى الله عليه وسلم
لا يتردد فيها لانه معصوم عن الخطا وان قلنا بجواز اجتهاده فيها لانه مستند
للوحي ايضا ثم اورد شاهدا لانه قد يعتقد شيا من امور الدنيا علي خلاف
ما هو عليه وهو حديث رواه مسلم تقدمت الاشارة اليه مرارا فقال كما حدثنا
ابو بحر سفيان بن العاصي تقدم بيانه وغير واحد قراءة وسماعا اشارة الي انه رواه
من طرق قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال
حدثنا ابو الكلام فيه كالكلام في سيبويه في بنايه علي الكسر واعرابه اعراب ما لا
ينصرف وان المحدثين يضمون ما قبل الباو ويفتحونها كما اشتهر عنهم قال
حدثنا ابو سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه قال حدثنا مسلم
ابن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبد الله بن الرومي بن محمد
او ابن عمر نزيل بغداد ثقة حافظ توفي سنة مائتين وست وثلاثين ولم يخرج
له من اصحاب الكتب الستة غير مسلم وعباس العنبري بن عبد الله بن اسماعيل
ابن توبة ابو الفضل العنبري البصري الحافظ توفي سنة مائتين وستة
واربعين واحمد المعقري هو احمد بن جعفر والمعقري بفتح الميم وسكون
العين وفتح القاف وقيل بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة
لمعقر ناحية من اليمن قالوا حدثنا النضر بن محمد الجرشي اليمني وله ترجمة في
الميزان قال حدثني عكرمة بن عمار وقد تقدم قال حدثنا ابو النجاشي عطا ابن
صهيب الثقة قال حدثنا رافع بن خديج بفتح الخا المعجمة وكسر الدال المهملة
ومثناة تحتية ساكنة وجيم توفي سنة اربع وسبعين من الهجرة واخرج له
الستة وهو انصاري صحابي شهد احدا قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
لما هاجر من مكة وهم يابرون النخل بضم البا الموحدة بعد الهمزة الساكنة والجملة
حالية وتابيرها ان ياخذ من طلع النخلة الذكر ما يوضع في طلع غيرها
حين ينشق فيلقح يقال ابرها وابرتها بالتشديد وروي هنا يوبرون
مشددا والقاحها ان تخرج ثمرتها صالحة لا شيصا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد راهم علي رؤس الشجر وهم يابرون كما في مسلم
ما تصنعون استفهام تقريري قالوا شي كنا نصنعه وهو التابير ليتم ثمرا
حسنا فقال لهم لو لم تفعلوا كان خيرا اي لو تركتم التابير للنخل كان خيرا

من تابيرها وروي ما اظن ذلك يغني شيا فاخبروا بذلك فتركوه
اي التابير فنقصت بنون وقاف وصحف بعضهم بنون وفا قاله
ابن قرقول اي ثمرتها او تغيرت فصارت شيصا غير مستوية فذكروا
ذلك اي نقصها له صلى الله عليه وسلم فقال انما انا بشر اصيب واخطي
في امور الدنيا التي لم يوح الي فيها بشي ولكن اذا امرتكم بشي من دينكم فخذوا به
اي تمسكوا به ولا تخالفوني فيه واذا امرتكم بشي من راي اي يكون رايا في
امور الدنيا الصرفة فانما انا بشر مثلكم قد ارى رايا والامر بخلافه في
امور الدنيا فلا يجب اتباعه وفي رواية لمسلم عن انس رضي الله عنه انتم اعلم
بامر دنياكم اي بجميع احوالها واضاف الدنيا لهم لانه صلى الله عليه وسلم
لا يريد شيا منها ولا يلتفت اليه وفي حديث اخر رواه مسلم عن طلحة رضي
الله عنه في هذه القصة انما ظننت بما قلته لكم ظنا مني انه لا يلزم ما فعلتموه
فلا تواخذوني بالظن اي لا تجدوا علي في نفسكم كدرا فيما ظننته خيرا فتبين خلافه
قال ابن رشد في كتاب البيان والتحصيل هذا الحديث روي بالفاظ
مختلفة متقاربة معنى كقوله صلى الله عليه وسلم ما انا بزارع ولا صاحب
نخل ولا منافاة اذ كل حكي ما سمع وانما نفي الظن بانه لا يلزم لاختصاصه
بالحيوان ولم يكن ذلك عن وحي كما قاله الطحاوي وقال ابو الوليد انه صلى
الله عليه وسلم تبين له انه لا تاثير في الصلاح والافساد لغير الله الا
ان الله قد يجري العادة باسباب لذلك تعلم بالتجربة كالتابير وهو صلى
الله عليه وسلم لم يسبق له تجربة فيه وقيل عليه ان عدم علمه به بعيد
فالاولى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم نبههم علي توكل الخواص بترك
الاسباب الذي هو من مقامات الانبيا دون غيرهم وقوله لا تواخذوني
الي اخره المراد انه ظنهم من اهل هذا المقام فلما اخبروه بحالهم ردهم لها
وقال لهم انتم اعلم بحالكم واستدل بهذا علي ان الاجماع في امور الدنيا
لا يعتد به لرجوعه صلى الله عليه وسلم لقولهم كما رجع لهم في منزل بدر
كما في التلويح اي وياتي في كلامه قريبا وقال ابن ابي شريف انه ممنوع وقوله
الرسول صلى الله عليه وسلم حجة في الامور الدنيوية وغيرها لانه اما بوحي
او باجتهاد لا يقر علي الخطا فيه ومراجعته كانت قبل استقرار اجتهاده
والتلقيح من ربط المسبب بالسبب ولو شا الله صلحت الثمرة بدونه وهو
اعتقادنا وقوله انتم اعلم لا ينافيه وفيه بحث فتدبر وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنهما الذي رواه البزار بسند حسن في قصة الخرص بفتح الخاء
المعجمة وسكون الرا وهو الحزر والتخمين لما علي النخل والكرم من الرطب
والعنب اذا وجبت الزكاة ببعث السلطان من يحبسها فخمنها وقال
يخرج منها كذا وكذا فيبين قدره ومقدار عشره فيثبته عليهم فاذا

قوله اي بجميع احوالها اخره اي العموم من اضافة المفرد اي لفظ دنيا تقتضي ذلك اذ الاضافة فيه للعموم

جاوقت الجذاذ اخذه وفايدته التوسعة علي ارباب الثمار فيتناولوا
منه ما ارادوا وهذا كان علي عهده صلي الله عليه وسلم وعلي عهد الخلفا
ولذا اجوزه بعضهم ومنعه بعضهم لانه تخمين وفيه غرر واما
الخرص بكسر الخا فاسم للمخروص وقال صلي الله عليه وسلم انما انا بشر
اي انا مقصور علي صفة البشرية التي يجوز عليها الاصابة وعدمها وقيل
هو قصر قلب خلافا لمن يعتقد او يظن ان الخطا في الامور الدنيوية لا يجوز
عليه فعكس اعتقادهم فيما لا تعلق له بالشرع والوحي فما حدثتكم عن الله فهو حق
لا يجوز الخلف فيه وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل نفسي براي لا مر
خطر علي نفسي فانما انا بشر اخطي تارة واصيب اخري قيل هذا مما يستدل
به علي جواز خطايه في اجتهاده وقيل لا دليل فيه لانه لم يقله باجتهاد
وانما هو ظن سنح له وقد تقدم ما فيه قريبا وهذا علي ما قررناه من انه صلي
الله عليه وسلم قد يري شيا من امور الدنيا علي وجه يظهر خلافه كما اشار
اليه بقوله فيما انا له من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها الا ما قاله من قبل نفسه
واجتهاده في شرع شرعه بالتخفيف والتشديد اي اظهره وبينه وسنة سنها وهذا
كله مبني علي انه صلي الله عليه وسلم كان يجتهد في بعض الاحيان وهو الصحيح
كما تقرر في الاصول واذا اجتهد لا يخطي ولا يقر علي الخطا وقد وقع له
ذلك ولا حجة لمن منعه في قوله وما ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحي
ونحوه لانه اذا اذن له فيه كان وحيا مع انه الهام والهام الانبيا قسم من
الوحي والمراد بالسنة الطريقة المحمدية من اقواله وافعاله وسنها بمعني
جعلها امرا متبعا وطريقا مهيعا الا ما يقابل الفرض فهي بالمعني اللغوي
وقوله فيما قاله من قبل نفسه تخصيص مفروغ منه يقرر في بحث الاجتهاد
من كتب اصول الفقه فمن قال انه تخصيص من غير مخصص مع ما اطال فيه
من الزوايد وضرب في حديد بارد غني عن الرد وكما حكي محمد بن اسحاق
رحمه الله في كتاب المغازي مما يشابه ما قبله من امور الدنيا انه صلي الله عليه
وسلم لما نزل في غزوة بدر وبدر اسم ذلك المكان وبير فيه تسمية باسم صاحبها
كما مر بادني مياه بدر اي ابعدها واقلها ما وليس محل نزول ونزلت قريش
بالعدوة القصوي من الوادي والمسلمون بكثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
وسبقهم المشركون الي الما واحرزوه وحفروا لهم قليبا واصبح المسلمون وبعضهم
علي غير طهارة يحتاج للما واصابهم الظما ولم يصلوا الي الما ووسوس الشيطان لبعضهم
في ذلك والفرار عنه فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشربوا واستقوا
وتطهروا وثبتت الاقدام وزالت وساوس الشيطان كما قال تعالي وينزل عليكم من
السما ما ليطهركم به الاية وكان صلي الله عليه وسلم لما نزل بادني مياهها قال له
الحباب بضم الحا المهملة وموحدتين علم منقول من اسم الثعبان ابن المنذر رضي الله عنه

ابن جموح

ابن جموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الخزرجي الانصاري
الصحابي البدري يقال له ذو الراي توفي كهلا في خلافة عمر رضي الله عنه اهذا
المحل الذي انزلتنا فيه يا رسول الله منزل انزلكه الله عز وجل اي امرك
بالنزول فيه ليس لنا ان نتقدمه ونتنزل فيما هو اولي منه لانا لا نخالف
امر الله بوحيه ام هو الراي اي راي منك بلا امر من الله يجب اتباعه
وليس تعريفه للاستغراق العرفي اي انه هو الراي الكامل كما قيل
لانه لا يناسب هنا والحرب اي ام هو محل مناسب لمحاربة الاعدا او النصر
فهو مجاز بذكر المسبب وارادة السبب والمكيدة اي الكيد والمكر لان
الحرب خدعة والمكيدة مصدر ميمي بمعني الكيد وهو الحيلة لايقاع ما يريده
من السوء ويسمي الحرب كيدا كقوله في الحديث لم يلق كيدا اي حربا فقال صلي
الله عليه وسلم مجيبا له رضي الله عنه لا اي لم يامرني الله بنزوله بل هو الراي
والحرب والمكيدة اي نزلته براي فيه لما ذكر فقال له الحباب ليس هذا المحل بمنزل
مناسب لما ذكر لبعده عن الما وكثرة رمله انهض اي قم من هنا وانتقل حتي تاتي
ادني اي اقرب ما من القوم وهم قريش فننزله اي ننزل فيه ثم نغور ما وراه اي نشده
ونطمه حتي يذهب ماوه الذي ينتفع به الاعدا وقوله ما وراه موصولة بالظرف
مقصورة وروي ما ثابالمد ما بعده صفته من القلب بضم القاف واللام وقد تسكن
وهو جمع قليب وهو البير الذي لم تطو اي لم تبن اطرافها بالحجارة ونغور بضم
النون وتشديد الواو وبينهما غين معجمة او مهملة كما قال في المقتفي وقال
السهيلي انه بضم العين المهملة وسكون الواو وفي حواشي السيرة لابي ذر الخشني
من رواه بغين معجمة معناه نذهبه وندفنه ومن رواه بمهملة معناه
نفسده انتهي وفي اهماله مناسبة للعين لا تخفي فنشرب اي المسلمون منه ولا
يشربون اي الكفار فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم للحباب اشرت بالراي
اي بالراي الصواب الحسن وفعل صلي الله عليه وسلم ما قاله الحباب بن المنذر
له فنزل علي الما وبني حوضا يشربون منه الي اخر ما ذكره ابن اسحاق في سيرته
وروي ابن سعد ان جبريل نزل عليه صلي الله عليه وسلم وقال له الراي ما اشار
به الحباب ثم ذكر ما دعاه للمشاورة فقال وقد قال الله له صلي الله عليه وسلم وشاورهم
في الامر الامر للندب لا للوجوب وانما امره بذلك تطييبا لخاطرهم وقلوبهم ورفعا
لمقدارهم لان كبرا العرب كانوا اذا لم يشاوروا شق ذلك علي نفوسهم فامره
بذلك رعاية لهم وتشريفا لمن بعدهم وان كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
اكمل عقلا واسدهم رايا واختلف في ذلك فقيل كان فيما لم ينزل فيه
وحي ليجتهد فيه ويجتهدوا معه فان الاجتهاد بحضرته جايز ايضا كما تقرر
في الاصول وقيل انه مخصوص بامور الدنيا ومصالح الحرب فانهم جربوها وقاسوا
شدايدها وكلام المصنف يومي لهذا ولذا قال واراد اي النبي صلي الله عليه وسلم

مصالحه بعض عدوه علي ثلث ثمر المدينة الحاصل من نخلها وكان ذلك في
غزوة الخندق لما بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم الي عيينة بن حصن والي الحارث
ابن عوف المري وهما قايدا غطفان بان يعطيهما ما ذكر فاستشار الانصار رضي الله
عنهم اي شاورهم ليري رايهم والمستشار منهم سعد بن معاذ وسعد بن عباده
رضي الله عنهما فلما اخبروه برايهم في ذلك وهو ما قال له سعد بن معاذ يا رسول
الله قد كنا نحن وهولا القوم علي الشرك وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه
وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها ثمرة الا قري او بيعا فحين اكرمنا الله بالاسلام
وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم
الا السيف حتي يحكم الله بيننا وبينهم رجع عنه اي عن رايه في اعطايهم وقال لسعد
انت وذاك كما ذكره ابن اسحاق في مغازيه وساق القصة بتمامها وذلك لما اشتد
الامر علي المسلمين وظهر من المنافقين ما ظهر بعث صلي الله عليه وسلم اليهما بذلك
واراد ان يكتب به صحيفة فلما استشار فيه السعدين قال له ابن معاذ امرك
الله بهذا قال لا ولكن اردت دفعهم فقال له صلي الله عليه وسلم ما ذكرناه
انفا وتناول الصحيفة ومحاها وجري ما جري حتي هزم الله الاحزاب وحده
واعز بهم جنده فمثل هذا المذكور من قصة الحباب والانصار وغيرهم
واشباههم مما يضاهيه من امور الدنيا التي لا اعتناء له صلي الله عليه وسلم بها
ولا مدخل فيها لعلم ديانة اي امور متعلقة بالشرع والدين واحكامه ولا
اعتقادها ولا بالجر عطف علي قوله علم ديانة اي ليس مما امر صلي الله عليه وسلم
باعتقاده وتبليغه لامته وتعليمه لهم يجوز عليه فيه ما ذكرناه من ان يعتقده
علي وجه فيظهر له خلافه لانه ليس من مهمات الدين والجملة خبر قوله
هذا اذ ليس في هذا كله نقيصة له صلي الله عليه وسلم لانه ليس مما عنده ولا محطة
ولا حطا مهملتين من الحط وهو التنزيل للاسفل اي لا يحط علي مقامه ولا يعيبه
وانما هي امور اعتيادية اي جارية علي عادة الناس فيها لا من العلم والاحكام يعرفها
من جربها واعتني بها وهو صلي الله عليه وسلم لا يعتني بها وهو صلي الله عليه وسلم
ولا يخالطها فضلا عن تجربتها وجعلها همه اي امرا يهتم به ويتعبد به وهو صلي الله
عليه وسلم لا يلتفت لها وشغل نفسه بها اي بامور الدنيا وعناها وزاولها والنبي صلي
الله عليه وسلم مشحون القلب اي قلبه مملوء بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها من اجلال وتكريم
وتنزيه وتعظيم لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتي يخطر بباله كما قيل
تملك بعض حبك كل قلبي ۞ فان ترد الزيادة هات قلبا
وقد تقدم ومشحون علمت انه بمعني مملوء غير خال منها يقال شحن السفينة اذا ملأها
ملآن الجوانح جمع جانحة وهي الضلوع التي تلي الصدر وجعل معرفة الله وصفاته ملي قلبه
اشارة الي انها اول ما علمه وانها اعتقادات وهي اول ما يجب كما قيل
اتاني هواها قبل ان اعرف الهوي ۞ فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وجعل

وجعل ما علمه بعده فيما يتعلق بعلوم الشريعة ملأ صدره لوروده عليه بعدها
وهو في غاية الحسن والاتقان وقيل كني بالجوانح عن نفسه مجازا مرسلا من اطلاق
الجزء علي الكل ولا يخفي ما فيه مقيد البال بمصالح الامة الدنيوية والاخروية والبال
هنا بمعني الخاطر الذي يخطر علي النفس لا بمعني القلب وان ورد بهذا المعني
لانه اراد ان افكاره صلي الله عليه وسلم وخواطره بعد معرفة الله تعالي وتلقي
ما اوحي اليه لا تشتغل الا بمصالح الامة المذكورة والمراد امورهم التي بها صلاح
دينهم بتعليمهم ما يجب لهم وعليهم من الطاعات والاعتقاد والمراد بالدنيوية ما يتعلق
بدنياهم في معاملاتهم ونحوها من الامور الشرعية ولله دره فيما اتي به مرتبا
مع التفنن في العبارة حتي ذكر ما يتعلق به صلي الله عليه وسلم اولا من معرفة ربه
ملأ قلبه ثم ما يتعلق به من تلقي الوحي ملأ صدره ثم جعل ما يتعلق بامته وتبليغهم
وتعليمهم لخواطره وافكاره فاعرفه ولكن هذا اي ما يعتقده ويظهر خلافه انما يكون
اي يقع له صلي الله عليه وسلم ويتفق في بعض الامور الدنيوية العادية التي
تعرف بالتجربة وكثرة المزاولة ومع انه ايضا انما يجوز صدوره منه بخلاف ما هو
عليه في النادر ايضا والافلانه عقله صلي الله عليه وسلم وشدة حذقه تقتضي
انه اعلم الناس بامور دنياهم ايضا لانه اوفر الناس عقلا وقد اطلعه الله علي
اسرار الوجود من مذموم ومحمود وقوله صلي الله عليه وسلم انتم اعلم بامر دنياكم
انما اراد به تطييب قلوبهم كما مر وانه لا يزكي نفسه تواضعا منه وما ندر منه
وقوعه كان فيما سبيله اي طريق العلم به التدقيق اي تدقيق النظر فيه بتكريره وصرفه
في حراسة الدنيا اي حفظ امور الدنيا وصونها واستثمارها اي طلب زيادتها ونموها وثمرتها
وهو امر ناشي عن محبتها والحرص علي تحصيلها وهو صلي الله عليه وسلم لا يريد حرث
الدنيا ولا يشغل بها خاطره ومع ذلك ما وقع منه عدم العلم بها الا نادرا لا في الكثير
من امورها المؤذن الذي يعلم كثرته من اطلع عليه انه صدر بسبب البله والغفلة
البله والبلاهة نقص في العقل وهو صلي الله عليه وسلم اكمل الناس وارجحهم
عقلا والغفلة دون البله وهي كونه لعدم حذقه يغفل عن بعض الامور وما
ورد في الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم كما في النهاية الغافلون
عن الشر لانهم مطبوعون علي الخير وحسن الظن بالناس لا من نقص العقل لا يمدح
به ولبعضهم في بعض الحمقي وقد بني له دارا حسنة مزخرفة
دارك يا هذا غدت جنة ۞ وانا اهل الجنة البله
وقد تواتر بالنقل تواترا معنويا كتواتر كرم حاتم وشجاعة علي كرم الله وجهه عمن لا يمكن
تواطيهم علي الكذب في الجميع لا في مادة بخصوصها عنه صلي الله عليه وسلم متعلق
بتواتر من المعرفة بامور الدنيا واحوالها تفصيلا من غير الامور المشروعة ومعرفة
دقايق اي الامور الدقيقة التي تخفي علي كثير منهم مصالحها اي حاجاتهم التي بها
صلاح العالم في المعاش وسياسة فرق اهلها عربا وعجما علي اختلاف عقولهم وطبايعهم

وعاداتهم والسنتهم والسياسة حكم الناس وضبط امورهم الجارية بينهم حتى
لا يتعدي بعضهم على بعض يقال ساسه يسوسه اذا حكم عليه بما يجعله منقادا
ماهو ما موصولة او موصوفة فاعل تواتر معجز في البشر اي امور يعجز البشر
عن مثلها والبشر بنو ادم سموا به لظهور بشرتهم اي ظاهر جلدهم من غير استتار
بشعر ووبر كالحيوانات كما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب
كما تقدم تفصيله فلا حاجة لاعادته هنا لانه صلى الله عليه وسلم لما فوض له الامامة
العظمي على جميع الخلق والحكم بينهم ودعوتهم لطاعته لزمه ان يعلم جميع احوال الناس
دنيوية ودينية ليتم امره ويتاتي له ما امر به فلا يخفي عليه الا امور قليلة لا يضره
عدم العلم بها ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحكم بالسلطنة والقضا والفتوي كما
فصلوه وسبق الفرق بين احكامه فيها **فصل** قال المص واما ما يعتقده
صلى الله عليه وسلم في امور احكام البشر اي ما يحكم به عليهم في امورهم التي ترفع
اليه من الامور الجارية على يديه اي الواقعة عنده فاستعار الجري على يديه لهذا
وقضاياهم اي امورهم التي ترفع اليه صلى الله عليه وسلم ليقضي فيها بما اراه الله ومعرفة المحق
من المبطل ضمن المعرفة معني التمييز فعداه بمن والمحق والمبطل اسما فاعل بمعني من
هو على الحق او الباطل وكونه اسم مفعول كما قيل ركيك من غير داع له وعلم المصلح
من المفسد اي اهل الصلاح والفساد فبهذه السبيل الباطرقية اي جا في هذه الطريقة
السابقة في امور الدنيا التي قد يظهر له منها ما الامر بخلافه احيانا ولا يضره لما سيا
وهو وان كان لا يخفي الله عنه علمه اصلا كما قاله بعض العارفين يطلعهم الله منه
لبلا يفتتن به بعض امته لتوهمه انه يعلم الغيب فيقعون فيما وقع فيه النصاري
فلذا كان يستره كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

لم يمتحنا بما تعيي العقول به ۞ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان مسندا وابو داود وعنه
رواه المص لعلو سنده فيه كما مر وتقدمت الاشارة اليه مرارا انما انا بشر لا اعلم
الغيب وانكم تختصمون الي في امور عندي وتردون نحكمها الي ولعل بعضكم ان يكون الحن
بحجته من بعض اي اعرف باقامة الحجة وافصح في بيانها ممن يخاصمه واصل معني
اللحن الميل عن الاستقامة ومنه اللحن في الاعراب لميله عن الصواب
واللحن الطرب ومنه الحان القراة وفي الاساس لحن بحجته فطن لها فيصرفها
لما يشا وفلان الحن بحجته من صاحبه انتهي اي افصح منه واقدر على اقامة الحجة
فاقضي له واحكم على نحو بالتنوين اي على نوع وضرب مما اسمع من كلامه بحسب
الظاهر منه فمن قضيت له من حق اخيه بشي ولو قليلا اي حكمت له بشي ليس له حق
حق فيه وانما هو حق لخصمه ويعبر بالاخ عن الخصم كقوله تعالي ان هذا اخي له
تسع وتسعون نعجة للاستعطاف والحث على عدم الحيف فلا ياخذ منه شيئا ليس
حقه فانما اقطع له بما اعطيه من حق غيره قطعة من النار فجعل ما ياخذه بغير

حق قطعة من نار جهنم مبالغة في حرمته عليه واستحقاقه للعذاب تنزيله منزلة
عذابه حقيقة كما في قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامي ظلما انما ياكلون
في بطونهم نارا وحاصله ان حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ولكنه ان خالف
الواقع لا يحل حراما ولا يحرم حلالا لانا نحكم بالظاهر وعند الله علم السرائر وهذا
في الاموال والدما وغيرها فالحكم ينفذ بحسب الظاهر ويبقي الباطن في الاخرة
وقد وقع الخلاف بين الفقها في بعض احكام الفروج كما لو شهد شاهدا زور
على رجل انه طلق امراته وحكم الحاكم بالفرقة بينهما وهو لم يقع منه طلاق في
نفس الامر فهل يجوز له ان ينكحها بعد الحكم المذكور ام لا فيه قولان كما في كتب
الفروع حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله تقدم بيانه قال حدثنا الحسين بن محمد
هو الحافظ ابو علي الغساني وقد تقدم قال اخبرنا ابو عمر عبد الله بن محمد
ابن عبد المومن القرطبي كان ممن لقي ابن داسة واخذ عنه وترجمه الذهبي
قال حدثنا ابو بكر هو ابن داسة راوي سنن ابي داود كما تقدم قال حدثنا ابو
داود الامام المشهور صاحب السنن وقد تقدم قال حدثنا محمد بن كثير
بكاف مفتوحة ومثلثة مكسورة وتحتية ساكنة وهو ابن كثير العبدي
البصري الامام المشهور اخرج له الستة توفي سنة مايتين وثلاث وعشرين
وعمره تسعون سنة وترجمته في الميزان قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا سفيان
اي الثوري لا ابن عيينة لانه الذي يروي عنه ابن كثير وبه صرح عبد الغني
فيحمل المطلق عليه عن هشام بن عروة عن ابيه عروة وقد تقدم الكلام عليهما
عن زينب بنت ام سلمة ام المومنين رضي الله عنهما وزينب هذه بنت
ابي سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صحابية تزوجها عبد
الله بن زمعة توفيت سنة ثلاث وسبعين عن ام سلمة ام المومنين المذكورة
واسمها هند وقيل رملة كما تقدم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
المذكور يعني انما انا بشر الخ وقدم المتن على السند هنا وهو جايز لانه مبين
لما عقد له الفصل كالترجمة له وعدل فيه عن رواية الصحيحين لعلو سنده
في سنن ابي داود ولانه ضمه لما هو مشهور معلوم تقويته له وفي رواية
الزهري بن شهاب الامام المشهور عن عروة تقدمت ترجمته فلعل بعضكم وقع في
هذه الرواية بالفا ... وفيه ابلغ من بعض مكان الحن فهو من البلاغة الموافق
معني الرواية الاخري وما قيل انه من البلوغ وهو الوصول اي اسرع وصولا
للحجة مع انه غير مناسب مخالف للظاهر فلا حاجة لتكلفه وقيل انه من
المبالغة والزيادة في اجتهاده بترويج حجته فاحسب انه صادق فيما ادعاه
بحسب الظاهر وان وما بعده ساد مسد مفعولي احسب فاقضي له اي احكم
له بما اظنه حقه وهو صلى الله عليه وسلم تجري بمثناة فوقية واحكامه مرفوع نايب
مناب فاعله او بتحتية مضمومة واحكامه منصوبة على الظاهر من الامر وما تقتضيه

و يجري على موجب بضم الميم وفتح الجيم اي ما تقتضيه غلبات الظن اي ما يغلب
تحققه في ظنه بحسب ظاهر الحال وجمع غلبات باعتبار تعدد الخصومات
ثم بين سبب غلبة ظنه بما قضى به بقوله بشهادة الشاهد اي بسبب ذلك ويمين
الحالف اذا حلف فانه يغلب على الظن صدقه والمراد اليمين الذي يقتضيه
الشرع في محله ولذا قال الحالف من غير تعيين فلا وجه لصرفه للعان من غير
ما يشعر به في العبارة وظن بعضهم ان يمين الحالف المراد بها اليمين مع شاهد
واحد الذي حكم به بعض الايمة ولا حاجة تدعو له ومراعات الاشبه اي ما هو
اكثر شبها بالحق بما فيه من القراين وظن بعضهم ان الاشبه المراد به شبه الولد
في الملاعنة وما حكم فيه بالظاهر اللقطة وما فيها من معرفة العفاص وهو بكسر
العين المهملة وفا مفتوحة مخففة قبل الالف وصاد مهملة وهو وعاء من جلد
ونحوه يوجد فيه اللقطة والوكا بكسر الواو وما يربطه فاذا عرفها وجا
طالبها يسال عن اماراتها فاذا بينها اندفع له لغلبة الظن بانه صاحبها
وهو اشارة لما ورد في الحديث الصحيح وعرفها سنة ثم احفظ عفاصها
ووكاها فان جاك احد يخبرك بها والا فانتفع بها مع مقتضى حكمة تعالى في ذلك
اي اقتضت حكمة الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ان يحكم بالظاهر
ليقتدي به من بعده من حكام امته ولو اراد ان يطلعه الله تعالى في كل
قضية على حقيقتها فعل ولكنه لا يتيسر لمن بعده اتباعه في احكامه وهذه
الاحكام وان خالفت الواقع لا خطا فيها لانه مامور بالحكم به وليس من
قبيل اجتهاده حتى يقال انه لا يخطي فيه ولا يقر على الخطا فيما تقدم وهو
ظاهر جدا فانه صلى الله عليه وسلم لو شا لاطلعه الله على اسرار عبادة
اي ما خفي منها فاراد الله ان لا يطلعه وانه اذا اطلعه لا يظهر لهذه الحكمة
ومخبات ضماير امته اي ما اضمروه واخفوه في انفسهم مما لا يطلع عليه
الا الله عالم الغيب وهي جمع مخبأة اسم مفعول مشدد الباء اي مكتومة
غير ظاهرة وخبايا الارض في الحديث الزرع لاستتاره اذا بذر وفي الحديث
ابتغوا الرزق في خبايا الارض وقال الشاعر
تتبع خبايا الارض وادع مليكها ٭ لعلك يوما ان تجاب وترزقا
فتولى الحكم بمجرد يقينه وعلمه يعني لو اطلعه الله على السرائر ليحكم بها كان يحكم
بعلمه فيها دون حاجة له في حكمه الى اعتراف اي اقرار من الخصم او بينة تشهد عليه
او يمين تتوجه على المنكر او شبهة اي مشابهة في الامر للحق كما تقدم والامر بخلافه
ولكن لما امر الله امته في اتباعه في احكامه التي شرعها لهم والاقتدا به في افعاله المشروعة
واحواله وقضاياه اي احكامه صلى الله عليه وسلم في غزواته وغيرها وكان هذا الامر
الذي امر باتباعه فيه لو كان مما يختص صلى الله عليه وسلم بعلمه الذي اعلمه الله
به مما خفي على غيره ويوثره الله تعالى به اي يخصه صلى الله عليه وسلم به دون امته

لانه

لانه وحي منه او الهام له لم يكن للامة سبيل اي طريق لهم للاقتدا به في شي من ذلك
لعدم علمهم به لانه مما اثره الله به ولا قامت حجة بعده صلى الله عليه وسلم بقضية من
قضاياه في امر من الامور الدينية لاحد من حكام امته وخلفايه في شريعته واحكامه
لانا لا نعلم ما اطلع عليه باطلاع الله له على ما خفي منه هو في تلك القضية حكمه هو اذا
في ذلك بالمكنون اي الخفي من اعلام الله له بما اطلعه من سرايرهم التي اخفاها عن غيره
من الامة وهذا مما لا تعلمه الامة لانه تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فاجرى الله احكامه الشرعية على ظواهرهم التي يستوي فيها هو صلى الله عليه وسلم
وغيره من البشر من امته في زمنه وبعده وهذا باعتبار اكثر احواله والا فمن
خصايصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له ان يحكم بعلمه وقد اطلعه الله على كثير من
السراير والمضمرات لكنه لم يومر بالحكم بالامور الباطنة كالخضر على القول بنبوته
وهو الاصح كما مر لكنه لم يكن له امة تقتدي به ولذا انكر موسى عليه الصلاة والسلام
قبل اطلاعه على انه اذن له فيه فلما علمه سلمه له وللسيوطي في ان نبينا صلى الله عليه
وسلم كان له الحكم بالباطن ايضا اذا لم يخش من التهم وساق وقايع قضايا لا نطيل
بها هنا وحكمه على الظاهر كان تارة بالقضا وتارة بالسياسة والسلطنة اي
الامامة العظمى وتارة بالفتوى كما فصله ابن السبكي في قواعده مع
الفرق بينها فارجع اليه ان اردته ليتم اقتدا امته في تعيين قضاياه التي
وقعت في احكامه بين الناس ويتم بضم التحتية وفاعله ضمير يعود الى الله عز
وجل واقتدا امته بالنصب مفعوله ويجوز فتحها ورفع اقتدا على الفاعلية
وتنزيل احكامه على قواعد شرعه واجرايها في جزيياتها ويا توا ما اتوا بقصر الهمزة
اي يفعلوا ما فعلوا من ذلك اي من قضاياه وتنزيل احكامه على علم ويقين من اي
طريقته في شريعته التي بينها لامته اذ البيان بالفعل الذي فعله في احكامه اوقع في
النفوس واثبت طمانينة منه اي من البيان بالقول وارفع لاحتمال اللفظ
للتاويل والتجوز وتاويل المتاول بخلاف الفعل فانه لا يجري فيه مثله مع موافقته
للظاهر فلا خفا فيه فكان حكمه اي الفعل لا النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل على
الظاهر اجلى بالجيم افعل تفضيل اي اظهر واوضح عطف تفسير في البيان لكل احد يشاهده
في وجوه الاحكام جمع وجه وهو ما يتوجه منه ويحمل عليه كما يقال في هذا وجهان
اي توجيهان وجعله من قبيل لجين الما او الاستعارة المكنية والتخييلية كما قيل
صرف له عن الظاهر من غير داع له واكثر فايدة لموجبات بفتح الجيم اي
ما يقتضيه التشاجر هو بضم الجيم مصدر بمعنى الخصام الواقع في المنازعات
والدعاوي من تشاجر بينهم كذا اذا وقع وجرى وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي
اي وقع بينهم من امور اقتضاها الاجتهاد وانما كان الفعل اظهر لانه مشاهد
محسوس وفي الحديث ليس الخبر كالمعاينة فان الله تعالى اخبر موسى عليه الصلاة
والسلام بما فعل قومه بعده فلم يلق الالواح فلما عاين ذلك القاها رواه

الطبراني وغيره وهذا حديث صحيح وزعم بعضهم ان القول اقوي لان الفعل قد يطول فيتاخر البيان ورد بان القول قد يطول ولتقتدي بذلك الفعل الصادر عنه حكام امته بعده ويستوثق اي يتمسك بما يوثر عنه اي بما روي او ينتظم وينضبط علي القواعد الشرعية وفيه روايتان احداهما انه مبني للمعلوم بسينين مهملتين بمعني انتظم وهو استفعال من الاتساق قال تعالي والقمر اذا اتسق والثانية انه روي بمثلثة بعد الواو ومبني للمجهول اي يتمسك بما يوثر عنه اي ينقل نقلا صحيحا شايعا وفي بعض الحواشي انه تصحيف وليس كما قال لان المستعمل من الاول الاتساق دون الاستفعال فكلاهما صحيح خلافا لمن رد الثاني وينضبط قانون شريعته وهي القضايا الكلية المنطبقة علي جزيياتها فيتعرف منها احكامها حلا وحرمة وغيرهما ثم اجاب عن سوال مقدر فقال وطوي ذلك عنه اي اخفاه مستعار من طوي المتاع في صوان له وفيه اشارة لجلالته ونفاسته وانما اخفاه لانه من علم الغيب المغيب عن غيره الذي استاثر اي انفرد واختص به عالم الغيب عز وجل فلا يظهر علي غيبه احدا من خلقه الا من ارتضي لعلمه من رسول بيان للمرتضي فيعلمه منه اي يطلعه علي بعضه بما شا بوحي والهام او فراسة ليكون معجزة له او كرامة اكرمه الله بها ويستاثر اي يختص بما شا مما طوي علمه عن غيره فانه لا يعلم جميع المغيبات الا الله والرسول في الاية من البشر او رسل الملايكة وفيه كلام ذكرناه في حواشي القاضي وقد اطلع الله رسوله صلي الله عليه وسلم علي كثير من المغيبات وحديث حذيفة بن اليمان في الفتن التي تحدث الي اخر الزمان حديث طويل مشهور وخطبته صلي الله عليه وسلم التي ذكر فيها ما سيقع لامته مذكورة في بعض كتب الحديث وقد فصله ابن كثير في كتاب الفتن ولا يقدح هذا اي عدم اطلاعه علي بعض المغيبات في نبوته صلي الله عليه وسلم وكونه مرتضي للرسالة ولا يفصم بالفا والصاد المهملة قالوا هو الكسر من غير ابانة وفسر بالكسر والحل والثاني انسب بقوله عروة من عصمته والعروة ما يدخل فيه الزر وما يعقد به شبه عصمته وحفظه بلباس ساتر له له عري وازرار تمسكه بطريق الاستعارة المكنية المخيلة لان للعصمة جهات يتمسك بها وهو دفع لشبهة وردت وهي انه صلي الله عليه وسلم اذا حكم بظاهر يخالف الواقع توهم انه يخالف لعصمته وليس كذلك لانه مامور به لحكمة تقدمت

فصل واما اقواله صلي الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة بامور الدنيا التي لا تعلق لها بالشرع من اخباره عن احواله التي لها تعلق به صلي الله عليه وسلم في نفسه وسائر اموره واخباره عن احوال غيره الدنيوية وما يفعل هو في المستقبل او فعله فيما مضي مما صدر منه صلي الله عليه وسلم فقد منا ان الخلف هو بضم الخا وسكون اللام اعم من الكذب لانه يكون في الامور التي يعبر عنها بجملة انشايية فيها ممتنع عليه صلي الله عليه وسلم فلا يصدر عنه امر يخالف نفس الامر لانه معصوم في اقواله وافعاله في كل حال من احواله البشرية

وعلي

وعلي اي وجه من وجوه احواله التي يقع عليها وبينه بقوله من عمد او سهو وصحة او مرض ورضي وغضب فانه صلي الله عليه وسلم منزه اي محفوظ من الله عن ان يصدر عنه خلف في شي من اخباره هذا الامر الذي عصم فيه من اقواله فيما طريقه الخبر المحض اي طريقه التي ورد فيها قوله وجزم اذا ان الخبر المحض اي الصريح الذي ليس من قبيل المعاريض التي يراد بها التورية مما يدخله الصدق والكذب يعني الخبر فانه ما يحتمل الصدق والكذب في حد ذاته بقطع النظر عن عوارضه فاما المعاريض جمع معراض من التعريض خلاف الصريح وهو النص الذي لا يحتمل التاويل من القول يقال عرفته في معراض كلامه ومعرضه بغير الف وفي الحديث ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب الموهم ظاهرها وهو صريح لفظها الموضوع له خلاف باطنها اي ما خفي منها مما يؤول به لقصد التورية فجايز ورودها بالتلفظ بها ويقصد غير ظاهرها منه صلي الله عليه وسلم في الامور الدنيوية دون الامور الشرعية لا سيما تقدم الكلام عليها وانها استثنا عند النحاة بكون ما بعدها اولي بالحكم مما قبلها لقصد المصلحة اي اذا كان في اخفا المعاريض مصلحة ومنفعة كتوريته صلي الله عليه وسلم عن وجه مغازيه اي جهته صلي الله عليه وسلم التي يتوجه اليها في غزواته فان فيها مصلحة والتورية عندهم ان يكون اللفظ له معنيان قريب وبعيد فيقصد البعيد وهي تفعلة من الوري كانه وراه لستر المراد منه بايهام غيره لئلا يأخذ اي يتاهب العدو الذي قصد غزوه حذره بكسر الحا المهملة وسكون الذال المعجمة قبل را مهملة اي يتيقظ لما يحذره ويخافه فلا يفرط وفي البخاري لم يكن رسول الله صلي الله عليه وسلم يريد غزوة الا وري بغيرها وفي قوله ياخذ حذره دون يحذر كلام في الكشاف وشروحه وكما اي مثل توريته ومعاريضه في غزواته ما روي عنه صلي الله عليه وسلم من ممازحة المزاح معروف ويسمي احماضا ودعابته بضم الدال وبالعين المهملتين وموحدة وهي بمعني الممازحة وذكرها لورودها في حديث كان فيه صلي الله عليه وسلم دعابة وقيل في علي كرم الله وجهه ايضا لولا دعابة فيه وانما كان يفعله احيانا لبسط امته اي ليسرهم ويشرح صدورهم وقد ورد البسط بهذا المعني في اللغة علي طريق التجوز لان المنقبض يعقد اسارير جبهته وعند الفرح يبسطها فيتسع وفي امثال العامة البسط صداق وهو البشاشة وطلاقة الوجه وتطييب قلوب المومنين من اصحابه رضي الله عنهم وفي نسخة من صحابته ومن بيانية او تبعيضية اي جعلها طيبة مسرورة وتاكيدا في محبتهم وفي نسخة تحبيبهم لان المرء انما يمازح من يحبه ويطرح التكلف بينه وبينه ومسرة نفوسهم كقوله صلي الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي عن انس رضي الله عنه وصححاه لاحملنك علي ابن الناقة وروي عن ابي هريرة ايضا وهو انه صلي الله عليه وسلم قال له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فباسطه صلي الله عليه وسلم بما عساه ان يكون ثم قال له انا احملك علي ابن الناقة

فسبق لخاطره من لفظ البنوة استصغاره فقال يا رسول الله ما يغني عني ابن الناقة
فقال له صلى الله عليه وسلم وبنيك وهل يلد الجمل الا الناقة وانما كان صلى الله عليه وسلم
يفعل ذلك معهم اذهابا للوحشة ولما يعلمه صلى الله عليه وسلم من مهابته في نفوسهم
فيؤانسهم بذلك وليعلم الناس حسن الخلق في المعاشرة وما ورد من النهي عن المزح
انما هو على كثرته المفرطة واستعماله مع كل احد في غير محله فكان صلى الله عليه وسلم
يلاعب الاطفال ويمج الماء في وجوههم وافواههم والاخبار في هذا الباب مبسوطة
في كتب الحديث وامورة صلى الله عليه وسلم مع البدوي الذي كان يسمى زاهرا
مشهورة **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ابي حاتم وغيره **للمراة التي سالته**
عن زوجها كما اخرجه ابن ابي الدنيا عن زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له زوجي يدعوك فقال لها من هو **اهو الذي بعينيه**
بياض فقالت لا والله ما بعينيه بياض فقال لها صلى الله عليه وسلم ما من احد الا
بعينيه بياض يعني به البياض المحيط بالحدقة وهي توهمته غشاوة على حدقته
مضرة بالبصر واللفظ يحتملها والاستفهام تقريري ثم اشار الى بيان ذلك بقوله
وهذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم مداعبة **كله صدق لان كل جمل ابن ناقة** لصدق
الابن على الصغير والكبير وان تبادر منه صغره عرفا **وكل انسان بعينه بياض** محيط
بحدقته **وقد قال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي والطبراني
عن ابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهم بسند حسن **اني لامزح ولا اقول الا حقا** ولفظ
الحديث انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني اذا داعبتكم لا اقول الا
حقا فالنهي عنه في قوله لا تمار اخاك ولا تمازحه وفي قول عمر رضي الله عنه من مزح استخف
به وقول ابن العاص يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيتجرى عليك
محمول على الكثرة منه في غير محله وعلى غير سنته صلى الله عليه وسلم فمثله مذموم منهي
عنه **هذا كله** اي ما صدر من مزاحه على وجه الحقيقة وغيره **فيما بابه** اي نوعه الوارد
فيه **الخبر** اي الاخبار بما له نسبة خارجية كالامر **فاما ما بابه غير الخبر** من الانشاء **مما**
صورته صورة الامر والنهي المعروفين عند اهل العربية **في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا** او
القول بصدوره منه لعصمته **ولا يجوز عليه** صلى الله عليه وسلم **ان يامر احدا بشي او ينهى احدا**
عن شي وهو صلى الله عليه وسلم **يبطن خلافه** جملة حالية لبراءته من الامر والنهي بخلاف ما عنده
وقد قال صلى الله عليه وسلم **ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خائنة**
قلب ان يكون فاعل فعل اي ينبغي ان يكون الى اخره هذا هو الظاهر وكونه
مبتدا تكلف لا داعي له وخائنة مصدر بمعنى خيانة كالعافية وخائنة الاعين
ان يضمر في نفسه خلاف ما يظهر فاذا اراد اظهاره اوما بعينه ولظهوره من
العين نسب لها قال تعالى يعلم خائنة الاعين اي ما تخون فيه بمسارقة النظر والغمز
وخائنة القلب خيانته واذا لم يجز له ان يشير بطرفه لخلاف ما في قلبه فكيف
بهذا القول وهذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام انه لا يجوز لهم

هذا

هذا ما فيه من ارتكاب ما لا يليق بهم **وهذا** من حديث رواه الحاكم والنسائي
وابو داود وهو انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة امرهم ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم
الا نفرا سماهم وامرهم بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح العامري وكان ممن اسلم وهاجر وصار كاتب الوحي ثم ارتد
وذهب لقريش وقال ما بلغه صلى الله عليه وسلم من انه كان يكتب في الوحي بعض
كلام له كما مر وكان اخا لعثمان من الرضاع فغيبه ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ما اطمان الناس فاستامنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت
طويلا ثم قال نعم فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم ما سكت الا ليقوم احدكم ليضرب
عنقه فقال رجل من الانصار هلا اومات الينا يا رسول الله فقال ما كان لنبي
الى اخره ثم حسن اسلامه وهو احد النجباء الكرماء العقلاء **فان قلت فما معنى قوله**
تعالى في قصة زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي كانت خديجة رضي الله عنها اشترته
ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بمكة وهو اسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعشر او عشرين سنة فتبناه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى كان يقال له ابن محمد حتى نزل عليه قوله تعالى ادعوهم لابائهم
وكان قدم ابوه وعمه لفدائه فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عبد
المطلب انتم اهل حرم الله وجيرانه وقد جئناك في ابن لنا عندك فقال من هو
قالوا زيد قال فهلا غير ذلك قالوا ما هو قال اخيره فان اختاركم فهو لكم وان
اختارني فهو لي فدعاه وخيره فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
انت مكان الاب والعم فقالا ويحك تختار العبودية على الفدية والحرية قال
نعم قد رايت منه ما لا اختار عليه احدا غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن حضره اشهدوا انه ابني يرثني وارثه الى اخر ما ذكر في السير **واذ تقول للذي انعم**
الله وانعمت عليه الاية وهذا السؤال وارد على قول انه صلى الله عليه وسلم
لا يامر بخلاف ما في نفسه ولم يصدر منه خائنة قلب لان قوله امسك عليك زوجك
واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
مناف له بحسب الظاهر وانعام الله عليه بهدايته للاسلام وما وسع عليه في
الدارين وانعام الرسول عليه باعتاقه وتقريبه ومحبته له وكانت زوجته
زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام اميمة بنت عبد المطلب وكانت من اجمل
النساء واشرفهن فاتى صلى الله عليه وسلم زيدا لحاجة فلم يجده فوقع نظره
عليها فاعجبه حسنها ووقعت في قلبه العظيم موقعا فقال سبحان الله مقلب
القلوب وانصرف فلما جاءها زيد اخبرته بذلك ففطن زيد لوقوعها في قلبه
والقى الله في نفسه كراهيتها فقال يا رسول الله اني اريد مفارقة زوجتي
فقال الك ما رابك منها قال ما رايت منها شيئا وما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي
وتؤذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله

في امرها فابي وطلقها فاجاب عنه المص بقوله فاعلم ايها السايل عن هذه القضية اكرمك الله عز وجل كما اكرمت مقام النبوة ونزهته عما لا يليق به ولا تسترب اي لا تقع في ريبة وشك في شي من اموره صلى الله عليه وسلم واصل الريب قلق النفس واضطرابها ثم نقل للشك وفي الحديث الشك ريبة والصدق طمانينة اي لا تشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر من انه صلى الله عليه وسلم اخفى في نفسه امر الخشية طعن الناس فيه بحبها وارادة طلاقها وامره بامساكها وهو يريد خلاف الظاهر كما قال وان يامر زيد ابامساكها في عقد نكاحه ولا يفارقها وهو صلى الله عليه وسلم يحب تطليقه اياها ليتزوجها كما ذكره جماعة من المفسرين بانه اظهر خلاف ما في نفسه وامره بما لم يرده وانه خشي قالة الناس فيه كما نقل بعضهم عن قتادة وابن عباس رضي الله عنهم وهو غير لايق بمقامه صلى الله عليه وسلم واصح ما قيل في هذا الامر المذكور في هذه الاية ما حكاه بعض اهل التفسير وفي نسخة رواه اهل التفسير عن زين العابدين علي بن حسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه احد السبعة الكهان قبل وقوع هذه القصة اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم ان زينب بنت جحش ستكون من ازواجه امهات المومنين بعد ما تزوجها زيد وهي تحت نكاحه فلما شكاها اليه زيد بانها تتعظم عليه لشرفها وهو من الموالي قال له امسك عليك زوجك لانه فهم من شكايته انه يستاذنه في طلاقها واتق الله فلا توذها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا سبب واخفى منه اي من زيد في نفسه لم يصرح له به حيا منه ان يطلع الناس على انه سيتزوجها وان لم يكن فيه امر مستقبح وانما كتم سره وما اعلمه الله به من انه سيتزوجها وفي نسخة سيتزوجها الله له مما الله تعالى مبديه ومظهره بابرازه في الخارج بتمام التزويج وطلاق زيد لها كما قال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم الاية قال ابن العربي فان قلت لم قال له امسك عليك بعد ما اخبره الله بانه سيتزوجها له قلت ليعلمه ما لم يعلمه من كراهة زيد لها ورغبته في طلاقها حتى لا يبقى في نفسه شي منها وعلى هذا التفسير لم يبق في القصة اشكال ابدا وروي نحوه عن عمرو بن فايد بفا والف وهمزة ودال مهملة وفي الاكمال انه بالفا والقاف وذكره الذهبي فقال عمرو بن قايد الاسواري وقال الدارقطني وغيره انه ضعيف متروك الحديث معتزلي قدري لا يغنيهم الحديث وهو بصري يكنى ابا علي قال البرهان وهو في النسخ التي وقفت عليها بالقاف وفيه نظر عن الزهري بن شهاب كما تقدم قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه مضارع من الاعلام ان الله يزوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها وقيدها ببنت جحش ليخرج غيرها فان من امهات المومنين زينب اخرى هي بنت خزيمة ام المساكين فذلك هو الامر الذي اخفى في نفسه لاستحيايه من اظهاره ويصحح هذا الذي رواه الزهري قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا في اخر الاية وكان

امر

امر الله مفعولا لا فادته انه امر اراده قبل ذلك ونفي عنه الحرج في تزويج منكوحة من تبناه لانه ليس كالولد الحقيقي اي لا بد لك ان تتزوجها لانه قدره ازلا وانما تزوجها لحكمة رتب عليها احكاما شرعية ويوضح هذا الامر الذي قرره المفسرون ان الله لم يبد اي لم يظهر من امره اي من شانه صلى الله عليه وسلم في هذه القصة معها اي مع زينب رضي الله عنها غير زواجه لها اي تزويجه اياها فدل ما ابداه الله من امره على انه اي تزوجها له بامر الله هو الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم في نفسه لا انه اخفى في نفسه غير ما امره الله به وانما الذي اخفاه شي مما اعلمه الله تعالى به لا عبرة بما توهموه فانه تعالى لم يبد شيا غير زواجه لها فدل على انه هو الذي اخفاه كما تقرر ولو كان امرا اخر ابداه وما في الكشاف من قوله فان قلت فماذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له زيد اريد ان افارقها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت الذي اراده الله تعالى منه ان يصمت او يقول له انت اعلم بشانك انتهى اعتراض الاية في تخلف الارادة فاحذرها وقوله تعالى في القصة اي قصة زينب المذكورة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله والحرج في الاصل الضيق واريد به الاثم اي لا اثم عليك فيما قدره لك ووسع عليك في امر النكاح وسنة الله منصوب على الاغرا وهو مصدر لفعل علم من السياق اي سن ذلك سنة وطريقة شرعية كانت لمن قبلك من الانبيا في تزوج من يريد او في تعدد المنكوحات وكثرتها كما وقع لداود وسليمان وغيرهما من الرسل عليهم الصلاة والسلام وفرض بمعنى قضى وقدر لا من الفرض مقابل السنة ففي ذكره مع السنة تورية وطباق بليغ فيه من اللطف ما لا يخفى حسنه فدل ما ذكره في قوله ما كان على النبي من حرج على انه لم يكن عليه صلى الله عليه وسلم حرج اي تضييق ولا اثم يقتضي العتاب عليه في الامر الذي فعله وقد قدره الله واعلمه به وقال الطبري محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته ما كان الله اي ما فعل وقدر ان يوثم نبيه عليه الصلاة والسلام اي يوقعه في اثم وذنب فيما احل مثال فعله اي احل مثله لمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام يعني ان الاية دالة على ان ما فعله لا اثم فيه لانه قال تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي مضوا وتقدموا اي من قبلك من النبيين فيما احل لهم فلما قال انما فعلته من سنن الانبيا الذين من قبلك دل على انه مشروع لا اثم فيه فدلت الاية على بطلان غير ما قيل لدلالة الاية عليه تصريحا ظاهرا ولو كان الامر على خلاف ما ذكر وتفسير ما اخفاه بما ذهب اليه غيره على ما روي في حديث عبد ابن حميد عن قتادة وقوله فيما نقل عنه من وقوعها اي زينب رضي الله عنها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي انه لما راها وقعت في قلبه موقعا عظيما لشغفه بها عند ما اعجبته بحسنها الذي راعه ومن محبته طلاق زيد لها ليتزوجها لتعلق قلبه بمحبتها لكان فيه اعظم الحرج اي الاثم غير اللايق به والتضييق

علي زيد بارادة مفارقة منكوحته وحاشاه صلي الله عليه وسلم من مثله ولكان
ايضا فيه ما لا يليق به اي لا يحسن صدوره منه ولا ينبغي له من مد عينيه الي ما نهي
عنه اي عن طلبه وتمنيه ومد العين اطالة النظر حتي لا يرده لاستحسانه له فهو
بتقدير مضاف او تجوز في العين وهو كناية عن تطلب الامر وارادته ارادة قوية
وبين المنهي عنه بقوله من زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وزخرفها وبهجتها
وهذا اشارة الي ان ما وقع في القران العظيم تمثيل به لانه نزل لما وردت سبع
قوافل من بصري فيها طيب وامتعة نفيسة فقال المسلمون لو كان لنا هذا
تقوينا به وانفقناه في سبيل الله فانزل الله عليه ولقد آتيناك سبعا من المثاني
الاية اي هذه خير لكم من القوافل السبع فلا تمدوا اعينكم نحوها وكل هذا
لا يليق بمقامه صلي الله عليه وسلم وزهده في الدنيا لما قيل من ان مجرد وقوعها
في قلبه صلي الله عليه وسلم من غير ان يبدو منه شي لا اثم فيه وكذا محبته وميله
لطلاقها من غير تكلم به لا اثم فيه فكيف يكون اعظم الحرج فيه نظر ولكان هذا
اي لو كان ما اخفاه صلي الله عليه وسلم في نفسه بعد ما اعجبته زينب وارادة
ان يطلقها اي صح هذا كان من الحسد المذموم لان الزوجة الحسنا نعمة من الله
بها فهو بذلك يريد زوالها عنه وقيد بالمذموم لان الغبطة حسد غير مذموم
لان معناها ان يتمني ان يكون له نعمة كنعمة غيره من غير تمني زوالها وهذا
في امور الدنيا لا في الدين واقبح الحسد تمني زوال نعمة لغيره لا تحصل له الذي
لا يرضاه صفة للحسد ولا يتسم به اي لا يتصف به من الوسم وهو العلامة واصلها
ان يكون بكي ونحوه كمام الانبيا تنازعه يرضي ويتسم فكيف بسيد الانبيا الذي هو
اعظمهم واشرفهم نفسا صلي الله عليه وسلم والاستفهام تعجبي انكاري والمراد
به استبعاد صدور الحسد منه ومنهم صلي الله عليه وسلم قال القشيري عبد الكريم
ابن هوازن صاحب الرسالة الامام المفسر الزاهد شيخ الصوفية وراس الشافعية
المشهور وهذا المنقول عن قتادة من انه صلي الله عليه وسلم راها فاعجبته واراد
طلاقها اقدام من قايله اولا دون حاكيه عنه اي جراة علي مقام النبوة
وقلة معرفة بل عدم معرفة بحق النبي صلي الله عليه وسلم الذي يجب ان يعتقد فيه
وبفضله اي زيادته علي غيره في الشرف وعلو المرتبة عن امور الدنيا وكيف يقال
انه صلي الله عليه وسلم راها فاعجبته مما يقتضي انه لم يرها قبل ولا يعرفها
وهي بنت عمته عليه الصلاة والسلام لانها بنت اميمة بنت عبد المطلب كما مر
ولم يزل يراها منذ ولدت الي ان بلغت فهو صلي الله عليه وسلم يعرفها ويعرف جمالها
كيف لا يعرفها ولا كان النسا ولو اجنبيات يحتجبن منه صلي الله عليه وسلم لعلمهن
بعفته وعصمته وهو الذي زوجها لزيد مولاه رضي الله عنه وانما جعل الله طلاق زيد لها
اي لزينب بعدما زوجها له وتزويج النبي صلي الله عليه وسلم اياها بما قدره وامره
به كما تقدم لحكمة ولهذا لم يتزوجها قبل زيد ليعلمهم حكما شرعيا وهو ما اشار

اليه

اليه بقوله لازالة حرمة التبني اي اتخاذ ابن غيره ابنا له لئلا يظن الناس انه يحرم تزوج
حليلة من تبناه كما يحرم بين الاب وابنه الحقيقي حليلة كل علي الاخر وابطال سنة
اي الطريقة الجارية بين الناس في جعل المتبني ابنا حقيقة يحرم منه ما يحرم
منه كما كان في الجاهلية وما قيل من ان القول الذي رده المص ثابت بالنقول
الصحيحة ثم فسره بما ارتضاه المص تخليط لا حاجة للاطالة به الا ان ائمة الشافعية
قالوا انه من خصايصه صلي الله عليه وسلم انه يجوز له النكاح بغير الرضي
وانه اذا رغب في نكاح امراة لزم اجابته وحرم علي غيره خطبتها فان كانت تحت
زوج وجب عليه طلاقها لانه يجب علي كل احد ان يكون صلي الله عليه وسلم احب
اليه من نفسه واهله وولده كما قاله القرافي وقال ابن حجر في شرح البخاري الذي
صح بالادلة القوية ان من خصايصه صلي الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية
والنظر اليها كما كان يدخل علي ام حرام وينام عندها وتفلي راسه وهي اجنبية منه
وكان صلي الله عليه وسلم زوج زيدا زينب كما مر وساق مهرها من عنده وكانت
هي واخوها ابيا ان ذلك لشرف النسب وقرابة الرسول صلي الله عليه وسلم
وكان لها رضي الله عنها حدة وشهامة كما قال تعالي في بيان هذه القضية وما فيها من
الحكم ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي ليس ابا حقيقيا لاحد منهم فانه صلي
الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر وابنه ابراهيم مات صغيرا لم يبلغ سن الرجولية
ومن جوز ان يقال له اب المومنين كما يقال لنسايه امهات المومنين فانما هي
ابوة شفقة وتعظيم وكان زيد رضي الله عنه يقال له ابن محمد فلما نزلت
الاية لم يقل له ذلك فعوضه الله عنه بذكر اسمه في القران المتلو في المحاريب
ولم يقع هذا لغيره من الامة واما الحسن والحسين رضي الله عنهما فليست
بنوتهما حقيقة كما لا يخفي فلا يثبت لاحد حكم البنوة الحقيقية منه صلي
الله عليه وسلم ولذا قال الله عز وجل في هذه الاية لكيلا يكون علي المومنين حرج
اي تضييق في امر النكاح وهو تعليل لقوله زوجناكها اي شرعنا لك ذلك
توسيعا علي الامة لا خاصية لنفسك في ازواج ادعيايهم جمع دعي بمعني
مدعو وهو من يلصق نسبه بنسب غيره وليس بينهما بنوة حقيقية وقوله
اذا قضوا منهن وطرا بالتزوج والنكاح ونحوه مثل ما ذكر وبمعناه معروف
لابن فورك تقدمت ترجمته وقال ابو الليث السمرقندي تقدم بيانه ايضا فان
قيل اذا كان الله قدر له صلي الله عليه وسلم تزوجها ورضيه له فما فايدة
امر النبي صلي الله عليه وسلم زيدا بامساكها بقوله امسك عليك زوجك
فهو ان الله تعالي اعلم نبيه صلي الله عليه وسلم انها زوجته صلي الله عليه وسلم
فنهاه اي نهي النبي صلي الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها واخراجها من زوجيته
اذ لم يكن بينهما اي بين زينب وزيد وهو تعليل لنهيه الفة اي محبة لانها لم ترض
به لشرفها وكانت تطيل لسانها عليه فالقي الله في قلبه كراهتها حتي احب

فراقها ليقضي الله امرا كان مفعولا واخفي في نفسه ما اعلمه الله به من انه قد يحصل
لها نكاحا له وامره به فلما طلقها زيد خشي صلى الله عليه وسلم قول الناس
باعتبار ما اعتادوه في الجاهلية انه يتزوج امراة ابنه لتوهمهم ان
التبني كالبنوة الحقيقية وانما خشيه وهو لا اثم فيه كراهة القيل
لمن لا يعرف حقيقة الحال كما هو حقيقة الاشراف فامره بزواجها ازالة لما
يخشاه ليباح ذلك لامته اقتداء به صلى الله عليه وسلم توسعة عليهم كما قال
لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم نفي عنهم الحرج لينتفيه عنه بالطريق الاولى
تطييبا لنفسه صلى الله عليه وسلم وازالة لطعن الجهلة وحاصل تاويل
ما وقع في هذه القصة مما يخالف ظاهره ما يقتضيه مقامه لا امره بما
يريد خلافه ومحبته لها وهي تحت نكاح غيره فاشار الى الجواب عما ذكر وقد قيل
كان امره صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها قمعا للشهوة اي منعا لها وزجرا
لها يقال قمعه فانقمع اذا كفه وذلله والشهوة ميل النفس لما تستلذه
وردا للنفس عن هواها اي عما تهواه من الصور الجميلة وحكاه بقيل اشارة
الى انه غير مرضي عنده فلا وجه لاستحسانه لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن
في نفسه هوى وحاشاه من مثله وهذا اذا جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم
انه راها فاعجبته واستحسنها لا سيما وقد مر انه صلى الله عليه وسلم كان راها قبل
وكان يعرفها ويعرف جمالها الا انه ليس بمنكر ولذا قال ومثل هذا القيل على ما فيه
لا نكرة فيه اي لا تنكر صحته في الجملة والنكرة ضد المعرفة في اصطلاح النحاة واصلها
كل ما لا يعرف فنقل وخص لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه الحسن من الصور وغيرها
مما يشاهد غيره ونظرة الفجاة اي النظر الذي وقع بغتة من غير قصد والفجاة
بضم الفا والمد ويجوز قصره بضم فسكون والفجاة بالفتح المرة منه معفو عنها اي
لا حرج فيها ولا اثم لانه لم تقصد وهو جواب عن سوال تقديره كيف نظر صلى الله
عليه وسلم لغير محرم مشتهي ثم قمع نفسه عنها بصيغة الماضي ويجوز ان يكون مصدرا
وكذا في قوله وامر زيدا بامساكها في نكاحه وتقوى الله فيها بعد ذكر ما يعينها
وانما ينكر تلك الزيادات التي في القصة ذكرها بعض المفسرين من انه تعلق قلبه
صلى الله عليه وسلم بها واراد ان يطلقها واخفى ذلك في نفسه ونحوه مما يليق
بتنزاهته والتعويل اي المعول عليه المعتمد في هذه القصة على ما ذكرناه وهو
القول الذي ارتضاه والقول بانه لا باس فيما قالوه لا وجه له وهو الاولى
وان جاز غيره لكنه لا يناسب مقامه وان كان جايزا فتنبه ما ذكرناه عن علي
ابن الحسين وهو الامام زين العابدين كما تقدم وحكاه السمرقندي في تفسيره كما تقدم
وقول ابن عطا رحمه الله وتقدمت ترجمته وصححه اي جزم بانه القول الصحيح
واستحسنه القاضي القشيري لما فيه من صيانة مقام النبوة عما لا يليق واعتمده وعليه
عول ابو بكر بن فورك تقدم ضبطه في ترجمته مع ما فيه وقال انه اي هذا القول الذي

اعتمده

اعتمده معنى ذلك المذكور في هذه الاية والقصة عند المحققين من اهل التفسير قال اي
ابن فورك رحمه الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك
اي عن ان يظهر امرا في نفسه خلافه وان كان امرا جايزا له والنفاق في الاصل
معناه الاخفا ماخوذ من نافقا اليربوع وهو مخرجه الذي يخفيه ثم نقل
في الشرع لاخفا الكفر واظهار الاسلام واستعمل بعد ذلك استعمالا شايعا
لاخفا كل امر لا يرتضي ومنه الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وعد منها
الكذب وغيره كما مر جوابه فلذا قال واظهار خلاف ما في نفسه فهو عطف
تفسير موضح لما اراده فلا وجه لما قيل انها عبارة مستبشعة الى اخر ما اطال
به من غير طايل نعم لو تركها كان احسن لكنه حكاها عن غيره فلا عهدة
عليه فيها ومراد ابن فورك التغليظ على قايل هذه المقالة وتغليظه بان من جوزه
عليه صلى الله عليه وسلم مثل هذا امثل من جوز عليه الكفر والنفاق والمعترض لم يقف
على مراده وقد نزهه الله عز وجل عن ذلك الذي قاله بعض المفسرين بقوله تعالى ما كان
على النبي من حرج فيما فرض الله اي قضى وقدر من تزوجه صلى الله عليه وسلم زينب فهذا
صريح في رد ما قاله بعض المفسرين وصريح فيما ارتضاه قال ابن فورك ومن ظن
ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم انه وقع في قلبه محبتها واراد ان زيدا يفارقها
واخفى ذلك في نفسه فقد اخطا خطا فاحشا وكذا جعل نسبته له كنسبة النفاق
له صلى الله عليه وسلم فالتعبير به للتشنيع على قايله وبعد تنزيهه عنه
كيف يعترض عليه قيل وما وافقه الاخبار الا ان واتها قال ابن فورك
وليس معنى الخشية هنا الخوف بل معناه يعني في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
المقصود هنا وفي نسخة معناها اي الخشية وعلى الاول الضمير للفظ المذكور
الاستحيا اي يستحيي منهم اي من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه اي من تبناه وهو زيد
وهذا اعني قوله وعليه عول ابن فورك الى هنا سقط من بعض النسخ واستحياؤه
لشرفه المقتضي انه لا يسمع مقالة من احد وان لم تضره شرعا وتدنس عرضه
وان خشيته اي استحياءه صلى الله عليه وسلم انما كان من ارجاف المنافقين واليهود
اي اشاعتهما هو مكروه بزعمهم واصل الرجف الاضطراب وايقاعه اما
بالفعل واما بالقول وقد يقال الاراجيف ملاقيح الفتن كما قلت

السن الناس اذا ما انطلقت … فهو بذر للبلايا والمحن

فاحذر الالسن مهما انطلقت … فالاراجيف ملاقيح الفتن

وتشغيبهم من الشغب بغين معجمة ساكنة ومفتوحة وهو يودي الى الشر من
الاكاذيب على المسلمين بذكر ما ينقص نبيهم صلى الله عليه وسلم فان ما يسوءه يسوءهم
بقولهم تزوج زوجة ابنه لزعمهم انه غير جايز كالابن الصلبي جهلا منهم
وتعصبا بعد نهيه اي تحريمه عن نكاح حلايل الابنا جمع حليلة وهي الزوجة المنكوحة
تلبيسا منهم بجعل المتبني كالابن الحقيقي وقد قال تعالى وحلايل ابنايكم الذين من

اصلا بكم كما كان اي وقع من اراجيفهم وتشغيبهم فعتبه الله علي هذا عتب محبة
وتسلية لعدم قبحه ونزهه عن الالتفات اليهم والاعتداد بمقالتهم فيما احل له
وقدره من هذا النكاح من غير حرج فيه وهذا العتاب كما عتب علي مراعاة رضي ازواجه
النازل في ذلك العتب في سورة التحريم بقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه ويجوزه لك بلا حرج اي انه مثله
في انه عتب ملاطفة وتسلية علي ما استحي منه لشرف مقامه صلى الله عليه وسلم
عن ان يصل اليه غبار الاوهام وقد يروي عن الحسن البصري رضي الله
عنه اي رواه الترمذي وصححه وقدمه علي قوله وعايشة رضي الله تعالى عنها لانه
هو الذي رواه عنها فقدمه علي عادة الاسانيد فلا يقال كان ينبغي تقديمها عليه
لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا مما اوحي اليه بمعاتبته لكتم هذه
الاية اي اية التحريم لا اية زيد وزينب رضي الله عنها كما قيل لما فيها علة
لكتم من عتبه صريحا وابداء ما اخفاه مما جرى بينه وبين ازواجه فيها وهذا
الحديث فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يحب العسل والحلوى فدخل علي حفصة
رضي الله عنها ومكث عندها اكثر من عادته فسالت عنه فقيل اهدي لها
عكة عسل فسقته منه فاتفقن علي ان يقلن له نجد منك رايحة المغافير
وهو شي كريه الرايحة اذا رعته النحل اثر في عسلها فقال لا اعود له بعد
هذا والقصة مفصلة في كتب التفسير والحديث فصل فيما وقع له
صلى الله عليه وسلم في مرض موته مخالفا لما قدمه فان قلت سابلا عما يخالف
ما قررته قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله في جميع احواله
واوقاته وانه لا يقع منه فيها اي في اقواله خلف اي يخالف للواقع ولا
اضطراب اي اختلاف وتناف فهي كلها متساوية لا تختلف في عمد وقصد ولا سهو
ونسيان ولا صحة في بدنه ولا مرض بتغير مزاجه الشريف ولا جد هو ضد الهزل
ولا مزح كما تقدم ولا رضي علي غيره ولا غضب لوقوع ما لا يرضاه الله فما معنى الحديث
الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين في وصيته لاصحابه رضي الله
تعالى عنهم في مرض موته الذي حدثنا به الشهيد ابو علي بن سكرة كما تقدم قال ثنا
القاضي ابو الوليد الباجي وتقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو ذر الهروي
وقد تقدمت ايضا قال حدثنا ابو محمد بن حمويه السرخسي وابو الهيثم الكشميهني
كما تقدم ايضا وابو اسحاق المستملي وقد تقدم قالوا حدثنا محمد بن يوسف
هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري قال
حدثنا علي بن عبد الله ابو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن المديني الحافظ
الامام العظيم روي عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي سنة اربع وثلاثين ومايتين
وعمره ثلاث وسبعون والمديني باليا نسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال

ابن

ابن الاثير وهو في الاكثر مدني والنسبة لما ابن اخر نحو سبعة وفي الصحاح المدني
نسبة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والمديني نسبة للمدينة التي بناها
المنصور وقال ابن الصلاح في المسلسل المديني نسبة الي مدينة اصبهان
المسماة - انتهى وقد تقدم الكلام فيه ايضا والمديني هذا له ترجمة في
الميزان كما قاله البرهان قال حدثنا عبد الرزاق بن همام الحافظ وقد تقدم
انا معمر بن راشد بفتح الميمين كما تقدم وهذا هو الصواب وما في بعض النسخ
من قوله عبد الرزاق عن همام خطا لان عبد الرزاق لا يروي عن همام واسم
ابيه همام ويروي عن معمر عن الزهري محمد بن شهاب كما تقدم عن عبيد بن
عبد الله بحر العلم بن عتبة الاعمى احد الفقها السبعة مشهور توفي سنة ثمان
ومايه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتضر بالبنا للمفعول بمعنى حضرة الموت وظهور علاماته وهو محتضر اسم مفعول
بمعنى دنى موته وهو المراد ويقال لمن به مس من الجن وكان هذا يوم الخميس قبل
وفاته صلى الله عليه وسلم بايام والحديث صحيح رواه البخاري وغيره واحتضر
يكون متعديا ولازما فيقال احضره بمعنى حضره وفي نسخة حضر والصحيح الاول
وفي البيت يعني بيته صلى الله عليه وسلم رجال من كبار الصحابة وقرابته رضي الله
تعالى عنهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اي اقبلوا علي واصل معناه تعالوا وهذا
علي لغة من يلحق به الضماير من تميم واهل الحجاز يستعملونه مفردا مبنيا علي الفتح
للواحد المذكر وغيره قال تعالى والقايلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا لبيان
ما يهمكم في دينكم ودنياكم حتى لا يقع بينهم اختلاف بعده والمراد امر بكتابته
وجوز بعضهم حمله علي ظاهره وانه صلى الله عليه وسلم يكتب بيده وذلك معجزة له
وتقدم ما فيه مرارا لئلا تضلوا اي لا يقع منكم امر تضلون به بعده اي بعد كتابته
والعلم بما فيه والعمل به فقال بعضهم هو عمر رضي الله تعالى عنه كما سياتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد غلبه اي اشتد وقوي عليه الوجع اي المرض وهذا هو محل
الشبهة والسؤال لانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم في حال مرضه ومحنته
وساير احواله الحديث وفي رواية اخرى لهذا الحديث ايتوني اي احضروا ما يكتب
فيه اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا وهذه اكد من الاولى لقوله فيها لن وابدا
فتنازعوا اي وقع بينهم نزاع واختلاف في مجلسه صلى الله عليه وسلم هل يكتبون
ام لا فقالوا كما في البخاري ما له اهجر من الهجر بالضم وسياتي بيانه فقيل انه ظهر
لعمر رضي الله تعالى عنه ان ما اراد كتابته ما فيه ارشادهم للاصلح وما لم يجب لانه
صلى الله عليه وسلم يترك مما يجب تبليغه شيا وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب
من شي وقيل انه اراد كتابة امور شرعية علي وجه يرفع الخلاف بينهم وقال
سفيان اراد ان يبين امر الخلافة بعده حتى لا يختلفوا فيها ويايتي في كلام المص
حكاية غير منسوب ويؤيده ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال في اول

مرضه لعايشة ادعي لي اباك واخاك اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمني متمن
ويقول قايل ويابي الله عز وجل والمومنون الا ابا بكر وابدا الاول بقول عمر حسبنا
كتاب الله وهو شاهد لهذا ايضا وقال الخطابي انما ذهب عمر الي انه لو نص
علي شي او اشيا بطلت اقوال العلما والاجتهاد ورده ابن الجوزي بانه لا يلزم
ما ذكر لان الحوادث لا تنحصر وقال انما اراد عمر رضي الله عنه ان ما يكتبه في
المرض ربما يجد له المنافقون سبيلا للكلام فيه وما قيل من انه صلي الله عليه
وسلم اوتي جوامع الكلم فيجوز ان يكتب ما يشمل جميع الاحكام ويستخرج منه
بسهولة حتي لا يحتاج لاجتهاد مجتهد وتخريج عالم وهو صلي الله عليه وسلم
معصوم من ان يقول في مرضه ما يطعن فيه طاعن لاستقامة ذهنه في ساير
احواله ولفظ الحديث كما في البخاري لما احتضر رسول الله صلي الله عليه وسلم وفي
البيت رجال فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد غلبه المرض وعندنا القران
حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب
لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال قوموا
وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلي
الله عليه وسلم وبين ان يكتب لاختلافهم ولغطهم وقال الشهرستاني انه اول اختلاف
وقع في الاسلام استفهموه اي قولهم اهجر بهمزة الاستفهام الانكاري للهجر بضم
الها استفهموا من توقف في امتثال امره بالكتابة اي ايصدر عنه هجر وهو الهذيان
وما يقبح من القول وهو صلي الله عليه وسلم معصوم منزه عن مثله في ساير احواله وقال
الراغب يقال هجر واهجر اذا تكلم من غير قصد وقيل المراد استخبروه عما اراد اتركه اولي ام لا
فقال صلي الله عليه وسلم دعوني اي اتركوا النزاع عندي واللغط فانه لا ينبغي ان يقع
مثله عند نبي من امته فان الذي انا فيه من مراقبة الله والتاهب للقايه وانتظار
رسله الداعين لي للرفيق الاعلي خير من الاشتغال باموركم واستماع كلامكم ولغطكم
وفي بعض طرقه اي طرق هذا الحديث المروية عنه فقال عمر ان النبي صلي الله عليه وسلم
يهجر بفتح اوله وضم ثالثه اي ياتي بهجر من القول وهو علي تقدير الاستفهام الانكاري
وليس من الهجر بمعني ترك الكتابة والاعراض عنها كما قيل وهذه رواية الاسماعيلي
من طريق ابن خلاد عن سفيان وفي رواية كما في البخاري هجر ماض بدون استفهام ويروي
اهجر بالاستفهام والمصدر المرفوع ويروي اهجرا بالاستفهام ونصب المصدر اي
ايهجر هجرا بضم الها والروايات كلها تدل علي انه استفهام ملفوظا ومقدرا لكنهم
اختلفوا في ها به اهي مضمومة او مفتوحة والاول هو المشهور ولابن قرقول
فيه كلام وقد افرد بعضهم هذا بتاليف مستقل وفي بعض الحواشي ما يدل علي انه
يجوز في ها الهجر الضم والفتح وليس ببعيد ان ساعدته الرواية وفي كلام
المص ما يوافقه وفيه اي في هذا الحديث فقال عمر رضي الله تعالي عنه ان النبي

صلي الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
بالبنا علي الضم اي كافينا عن غيره مصدر بمعني اسم الفاعل اي محسب وكافينا
وفي نسخة حسبنا اي هو كافينا وكثر اللغط وهو ارتفاع الاصوات واختلاطها
حتي لا تكاد تفهم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لهم قوموا وابعدوا عني
اراد ذهابهم من مجلسه حتي لا يشتغل بهم عما هو فيه وفي رواية في الصحيح ايضا واختلف
اهل البيت اي من كان في بيته صلي الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله تعالي عنهم
اذ ذاك او اقرباوه منهم كابن عباس رضي الله تعالي عنهما واختصموا اي
تنازع بعضهم بعضا فمنهم من يقول قربوا الكاتب او الكتاب يكتب لكم بالرفع
والجزم رسول الله صلي الله عليه وسلم كتابا تتمسكوا به فتهتدوا اي يامر بالكتابة
ومنهم من يقول ما قال عمر رضي الله تعالي عنه من قوله حسبنا كتاب الله شفقة
وحكمة علمها ولذا لم ينكر عليه قوله كما سياتي قال ايمتنا المالكية او الاشعرية
او ايمة الحديث بقرينة المقام في هذا الحديث المروي عن ابن عباس ان النبي صلي
الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض التي تطرق عليه في ظاهر جسمه دون
باطنه اذ لم تكن منفرة وما يكون من عوارضها اي ما يعرض منها من الالام والتغيرات
من شدة وجع يولمه وغشي اي اغما خفيف ونحوه مما يعرض علي جسمه وهو
معصوم عن ان يكون اي يوجد منه من القول اثناء ذلك اي في خلاله ويتخلل منه وهو جمع
ثني كما تقدم ما يطعن في معجزته اي يقدح فيها من مخالفتها للواقع ويودي الي فساد
شريعته لتطرقه للشك في اخباره واحكامه من هذيان اي كلام غير مفيد اي
اختلال في كلام كتناقضه ومخالفته الواقع والعقل لنزاهته صلي الله عليه وسلم
وعصمته وكماله في جميع حالاته كما شوهد منه في مرضه الي ان سلم روحه
الشريفة الي مالكها وعلي هذا الامر الذي قرره من عصمته في اقواله ونزاهته
لا يصح رواية من روي يهجر بدون استفهام من الهجر بالضم والفتح اي معناه هذي
اي تكلم بكلام كثير لا فايدة فيه ولا انتظام لقايله ممن لا يعرف قدره عليه
الصلاة والسلام لخلل في دينه او عقله او لقرب عهده بالاسلام فتوهم
انه يعرض له صلي الله عليه وسلم من المرض ما يعرض لغيره من تخليط في كلامه
لخلل في عقله وحاشاه من مثله ويقال هجر يهجر كنصر ينصر هجرا بفتح اوله
وسكون ثانيه كما في بعض الشروح وسياتي ما فيه اذا هذي بالذال المعجمة
من الهذيان واهجر مزيد كاكرم هجرا بضم اوله بوزن قفل وهو اسم مصدر
ومصدره الاهجار اذا افحش اي تكلم بكلام قبيح عن قصد والاول بغير قصد
واهجر بفتح الهمزة هجر كاكرم وما في بعض الشروح انه بضم اوله وسكون ثانيه
سهو من الناسخ وصوابه بفتح اوله تعديه هجر اي ثلاثيه معدي بالهمزة
وقد قيل عليه ان هجر واهجر لازمان وصوابه هجر واهجر بمعني سوا الا ان يريد
بتعديه تعديه عن الحد به وتجاوزه وهو بعيد انتهي وما ذكره هو الذي

يقتضيه كلام اهل اللغة وانما الاصح اشارة الى رد ما قبله وقد قيل عليه انه غير
مسلم لانه ان اراد رده بحسب الرواية فهو غير صحيح لانه ثابت في صحيح البخاري
وان اراد بحسب المعنى فكذلك لانه يقدر فيه همزة الاستفهام وحذفها
كثير في كلامهم كقوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي اي اوتلك الى اخره وقول الشاعر

فوالله لا ادري وان كنت داريا . بسبع رمين الجمر ام بثمان .

ولك ان تجيب عنه بان مراده انه غير صحيح ان لم تقدر الهمزة وقوله والاولى اي ان
قدرت لان الاصل خلافه ولولا هذا لم يصادف قوله الاصح والاولى محزه اهجر
يعني بهمزة الاستفهام الانكاري حيث لا ينسب له ما لا يليق بمقامه وقايله
قاله على طريق الانكار على من قال لا تكتب ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكتابته لانه لا تجوز مخالفته كما تقدم في كلام ابن عباس رد اعلى من اباه وعلله
بشدة وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في مرضه وصحته والقايل لا تكتب عمر
رضي الله تعالى عنه والراد عليه بقوله اهجر بعض الصحابة ووجه ما قاله عمر
ما تقدم وستاتي تتمته وهكذا رويناه في صحيح البخاري اي ثبت عنده روايته
بهمزة الاستفهام ملفوظة من مشايخه ثابتة من جميع الرواة في حديث الزهري
المتقدم ذكره قبل وفي حديث محمد بن سلام هو الامام الحافظ الذي روى
عنه البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين وسلام بتخفيف
اللام عند الاكثر كما قاله الذهبي والمزي وغيرهما وجوز بعضهم تشديدها
ايضا وعند بعضهم انهما اثنان فالكبير منهما بالتخفيف والصغير بالتشديد
وهو محمد بن سلام بن السكن البيكندي وعلى كل حال فالاصح في هذا عندهم
التخفيف عن ابن عيينة يعني به سفيان لان اولاد عيينة عشرة منهم خمسة
اشتهروا بالعلم والحديث وخمسة لم يشتهروا بذلك ولذا قال ابن الصلاح انهم
خمسة واكبرهم واشهرهم سفيان وكذا ضبطه الاصيلي بهمزة وفتحات بخطه في
كتابه يعني به صحيح البخاري الذي رواه وضبطه بقلمه كما ذكر والاصيلي تقدم
بيانه واصيل بلد بالاندلس وكذا ضبطه بخطه غيره اي غير الاصيلي ممن روى
عن البخاري وكتبه ممن يعتمد عليه من هذه الطرق اي طريق الزهري وغيره وكذا رويناه عن
مسلم كما رواه البخاري في حديث سفيان بن عيينة يعني في روايته ورويناه
ايضا عن غيره اي في غير مسلم فصح عنده من طرق ثبوت الهمزة فيه رد او انكار على
من ابى الكتابة اي اتجعله كغيره ممن يصدر عنه وهو صلى الله عليه وسلم
معصوم منزه عنه وقول عمر رضي الله عنه انما هو رد على من نازعه لا رد ا
على النبي صلى الله عليه وسلم كما يعلم مما ياتي وقد يحمل عليه اي على هذه بجعله بمعناه
رواية من رواه هجر بدون همزة فيحمل على حذف الف الاستفهام يعني الهمزة لانه
يطلق عليها الف كما في المغني وغيره والتقدير على هذا اهجر وحذفها وتقديرها
جايز كما تقدم والقرينة على حذفها عقلية للعلم بعدم اتصافه صلى الله عليه وسلم

بمعناه

علي ان اولاد عيينة عشرة اشهرهم سفيان

بمعناه او ان يحمل ويوجه قول القايل هجر بغير استفهام او اهجر بالهمزة
والاستفهام عما لا يتوهم فيه اذا ثبتت هذه الرواية فانما صدرت دهشة
اي حيرة تذهل من امر عظيم بغتة من قايل ذلك اي قوله هجر ونحوه حيرة
تشغله عما يقوله لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم مما يشق عليه
فيذهله عما يقول وشدة وجعه والمه المؤثر في قلوب محبيه وهول المقام الذي
اختلف فيه عليه اي شق عليه اي مخالفتهم له فيما امر به وهول الامر الذي هم صلى
الله عليه وسلم بالكتابة فيه اي هم بان يكتب في شانه فانه انما يهم في حال المنة
بكتابة امر الا وهو امر عظيم لم يظهر الى الآن فربما شق عليهم او خشي منه ومن
عواقبه كامر الخلافة مثلا حتى ان القايل لشدة دهشته لم يضبط لفظه بالتحري
ومراعاة حسن تعبيره وفي نسخة لم يضبط هذا القايل لفظه واجرى الى اخره
بدل قوله او يحمل قوله على انه اجرى الهجر بضم الهاء مجرى بضم الميم ويجوز فتحها
ولا يتعين الاول كما توهم شدة الوجع اي استعمله مجازا في لازم معناه ولم يرد
حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث كان يوعك كما يوعك الرجلان .
وزيادة المه للطف بنيته وكثرة ثوابه لانه اي القايل اعتقد انه يجوز عليه الهجر
بالضم اي الهذيان كما حملهم اي دعاهم وحركهم الاشفاق اي الخوف عليه صلى الله عليه وسلم
لشفقتهم عليه ومحبتهم له على حراسته حذرا عليه من ان يصيبه مكروه او عدو
والله يعصمك من الناس جملة حالية ثم هذا الاحتجاج لحراستهم له لكن لفرط
محبتهم دعتهم لذلك كما قيل . ان المحب بسوء ظن مولع .
ونحو هذا مما فعلوه احتراسا من غير حاجة له واما على رواية اهجر بهمزة الاستفهام وضم الهاء
منصوبا منونا ويجوز فتحها وقيل انه الصواب وفيه نظر وهي رواية ابي اسحاق
المستملي في الصحيح اي صحيح البخاري لانه احد رواته وفي نسخة السلمي ولم يبينوه
والمعروف انما هو الاول والظاهر انه تحريف من النساخ في حديث ابن جبير عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما من رواية قتيبة فقد يكون هذا اي الوصف بالهجر
راجعا الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم فيكون بعض الصحابة
قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله عليه وسلم من يكتب فهو على
هذا مفعول فعل مقدر تقديره اي جئتم باختلافكم اي بسبب الاختلاف واللفظ
على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق باختلاف وبين يديه اي في حضوره هجرا بضم
فسكون ومنكرا من القول عطف تفسير وضحه بقوله والهجر بالضم الفحش في النطق اي النطق
بما يقبح ولا يليق بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلماء في هذا الحديث
اي في معناه المراد به وكيف اختلفوا بعد امره صلى الله عليه وسلم لهم ان ياتوا بالكتاب
ليكتب فيه ما لا يضلون بعده فقال بعضهم اي بعض المختلفين في بيانه وتاويله
اوامر النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه جمع امر وامور فهو جمع الجمع وما فيه
يفهم ايجابها اي ما اريد بها الايجاب منها من ندبها اي مندوبها من اباحتها اي مباحها

والعاطف فيه محذوف بقرائن قوية اي بالقراين اللايحة من سياقه وان كان
اصله الايجاب وليس هذا مبنيا علي ان الامر مشترك بين هذه المعاني الثلاثة ولا
يتعين لاحدها بدون قرينة كما هو قول لبعض اهل الاصول مع ما فيه وما عليه
فلا نطول به فلعله قد ظهر من قراين قوله صلي الله عليه وسلم لبعضهم حين سمعه منه
ما فهموا من ظاهره وهو فاعل ظهر انه اي امره صلي الله عليه وسلم بقوله هلموا
لم يكن ذلك الامر منه عزمة اي امرا عزم عليه عزما مصمما فيجب امتثاله بل هو
امر رده الي اختيارهم فهو مشاورة مخيرا فيه ولذا اختلفوا فيه ولا راجعوه وبعضهم
اي بعض الصحابة لم يفهم ذلك فظنه واجبا لا يجوز مخالفته فانكر علي من خالف فيه
فقال استفهموه اي استخبروه صلي الله عليه وسلم عما اراد بامره فلما اختلفوا فيما
بينهم كف عنه صلي الله عليه وسلم فقال قوموا عني وكف القايل عن طلب الاستفهام
اذ لم يكن بالياء والتاء اي توجد او هي ناقصة عزمة واجبة الامتثال بالرفع
والنصب ولما راي صلي الله عليه وسلم او الكاف ولما بكسر اللام وتخفيف الميم
ولا يجوز الفتح والتشديد وفي نسخة ولما راوه من صواب راي عمر رضي الله تعالي
عنه ثم هو لا الف يلوث بهذا الوجه قال الواو علي هذا ايكون امتناع عمر رضي الله تعالي عنه
من كتابة ذلك الكتاب اشفاقا وحذرا علي النبي صلي الله عليه وسلم من تكليفه في
تلك الحال اي حال وجعه والمه املا الكتاب او اشفاقه من ان يدخل عليه مشقة
من ذلك الاملا كما يشهد له انه قال ان النبي صلي الله عليه وسلم اشتد به الوجع فهذا
صريح في شفقته عليه من التعب وتالمه مع علمه بانه صلي الله عليه وسلم لم يدع شيا
الا اعلمهم به بكتاب الله وسنته ولم يكن صلي الله عليه وسلم ليؤخر بيان امر من
مهمات الدين وقد قال تعالي اليوم اكملت لكم دينكم وقيل خشي عمر رضي الله تعالي
عنه وخاف ان يكتب امورا يعجزون عنها ولا يوفونها حقها فيحصلون اي يقعون في الحرج
اي ما يضيق عليهم من الاثام بالمخالفة لما امرهم به وراي عمر رضي الله تعالي عنه برايه
هذا ايضا ان الاوفق بالامة الي الاسهل والاكثر رفقا بهم في تلك الامور التي اراد
كتابتها لهم سعة الاجتهاد اي ما يتوسعون فيه باجتهادهم واستنباطهم من النصوص
المتالفة وحكم النظر اي نظر من يجتهد في الادلة المقدمات التي يريد الاستنباط
منها نظرا صحيحا مقرونا بشرايطه وطلب الصواب بالنظر في الادلة والنصوص
ومقتضياتها وموانعها فيكون المجتهد المصيب والمجتهد المخطي في الحكم الشرعي
ماجورا مثابا اما الاول فله اجران اجر اجتهاده فقط لبذله جهده في طلب الصواب
والحق وهذا بنا علي ان المصيب واحد منهما والقول بان كل مجتهد مصيب
ليس مرضيا كما بين في كتب الاصول واجر المخطي انما هو علي سعيه وطلبه
للحق لا علي خطايه لكنه لا اثم عليه في اجتهاده اذا كان من اهله علي الصحيح
وتفصيله في كتب الاصول وقد علم عمر رضي الله تعالي عنه تقرر الشريعة اي انه
صلي الله عليه وسلم قررها وبينها لهم قبل مرضه ولم يترك شيا مما يحتاجون

اليه

اليه وتاسيس الملة اي احكام قواعدها وما ينبني عليه احكامها المحكمة
التي لم يهمل منها شي وعلم ان الله تعالي قال في اخر ما انزله اليوم المراد به الوقت
الحاضر في اخر عمره صلي الله عليه وسلم اكملت لكم دينكم فلم يترك شيا مما يحتاجون
اليه لم يبينه لهم صريحا او ضمنا ولم يرشدهم لطرق استنباطه فلذا ترك
ما يريد كتابته لحكمة هداه الله لها وهذه الاية نزلت يوم جمعة او
ليلتها بعرفة في الحج الاكبر ولما قراها صلي الله عليه وسلم بكي عمر رضي الله تعالي
عنه لان التمام يدل علي انقضا امر الوحي وعلم عمر ايضا قوله صلي الله عليه وسلم
اوصيكم بالتمسك بكتاب الله بامتثال اوامره ونواهيه والتادب بادابه وما فيه
من مكارم الاخلاق وعترتي بكسر العين ومثناتين فوقيتين اولاهما ساكنة
بينهما راء مهملة مفتوحة وهم اهل بيته صلي الله عليه وسلم الذين تحرم عليهم
الزكاة من بني هاشم وبني المطلب وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة
خطبها صلي الله عليه وسلم وتتمتها فيه ثقلين كما ياتي تعظيما لشانهما
فقال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتي اخص اقاربه وعترته صلي
الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل اهل بيته الاقربون وهم اولاد علي
رضي الله تعالي عنه وقيل عترته الاقربون والابعدون من قريش والمشهور
انهم اهل بيته الذين تحرم عليهم الزكاة انتهي وما قيل من ان هذا يقتضي
انما امر به النبي صلي الله عليه وسلم لا فايدة فيه وهو بعيد وغير لايق
ليس بشي لما علمتم فتنبه وقول عمر رضي الله تعالي عنه حسبنا كتاب الله تعالي
لكفايته عما عداه في امر الكتاب لا رد من عمر رضي الله تعالي عنه علي امر رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان يانوا بمن يكتب لهم كتابا وقد استبعد هذا من السياق
جدا فالحق ما سياتي وليس فيه شين لعمر وشبهة تحتاج للدفع بهذا او قد
قيل في الجواب عن قول عمر لرسول الله صلي الله عليه وسلم علي تقدير تسليمه
انه انما خشي عمر رضي الله تعالي عنه تطرق المنافقين اي وصولهم من طريق نفاقهم
ومن وصول من في قلبه مرض لحقده علي الاسلام واهله كاليهود لما كتب في ذلك
اي بسبب الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك الاقاويل اي ان يكذبوا
باسنادهم ما ليس فيه له واصل معني التقول تكلف القول وفسر بما ذكر قوله
تعالي ولو تقول علينا بعض الاقاويل وجمع الاقاويل تحقير لما يقولونه اوانه
خشي ان يتاولوا ما يكتب فيه بتاويلات باطلة كما وقع من بعض الزنادقة كادعا
الرافضة اي ان النبي صلي الله عليه وسلم اوصي لعلي كرم الله وجهه وتسميتهم
له الوصي لذلك وان بعض الصحابة كتب ذلك وغير ذلك مما افتراه الرافضة
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم كتابته كان فيه الوصية بخلافة علي فلذا
منع منه عمر وهو كذب منهم عليه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لرفضهم
زيد بن علي لامور فضلوها وقيل غير ذلك وهم فرق يطول ذكرهم وقيل في توجيهه

انه اي امره كان من النبي صلى الله عليه وسلم امر على طريق المشورة والتخيير تطييبا لقلوبهم لا امر ايجاب لا تجوز مخالفته والمشورة بفتح الميم وضم الشين وسكون الواو بزنة مثوبة في الافصح ويجوز سكون الشين وفتح الواو وقول الحريري في الدرة انه خطا منه كما فصلناه في شرحها وهي اي المشورة من شرت العسل اذا اجتنيته والاختيار اي التخيير لا الايجاب ولينظر هل يختلفون على ذلك الامر الذي اراد ان يكتب ام يتفقون عليه فلما اختلفوا فيه وتنازعوا تركه وكف عنهم لانهم عصوا وفرطوا في امر لا بد منه وقالت طايفة اخرى في معنى الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا لما طلب منه اي كانوا سالوه ان يعهد اليهم بما يكتبونه عنه فاجابهم بقوله هلموا الي اخره لانه ابتدا بالامر به حتى يقال لا ينبغي مخالفته فيه بل اقتضاه اي طلبه منه بعض اصحابه ممن كان عنده فاجاب رغبتهم اي ما رغبوه منه وكره ذلك غيرهم اي غير من طلبه كعمر رضي الله تعالى عنه لثقله عليه صلى الله عليه وسلم في مرضه شفقة منه للعلل التي ذكرناها سابقا واستدل بالبنا للمجهول اي على صحة هذا التاويل في مثل هذه القصة اي قصة الكتاب المذكور بقول العباس رضي الله تعالى عنه في حديث رواه البخاري لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نساله عن الخلافة بعده فان كان الامر اي امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا اهل البيت علمناه فلا ينازع فيه احد وان كان لغيرنا لم نطلبه ولم نرجه وكراهة علي رضي الله تعالى عنه هذا اي ما قاله العباس رضي الله تعالى عنه له وقوله لعمه العباس والله لا افعل اي لا انطلق ولا اسال الحديث رواه البخاري مسندا وفيه ان عليا خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه فقال له العباس كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده وقال له بعد ثلاث عبد العصا واني والله اراه متوفيا في مرضه هذا واني لاعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا اليه نساله فيمن هذا الامر بعده فان كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا اوصاه بنا فقال انا والله لا اساله ولو كان فينا اعطيناه للناس بعده واستدل ايضا لما ذكر من انه كان مجيبا لا آمرا فخالفوا امره بقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث دعوني فان الذي انا فيه خير من ان يكتب الكتاب فانه لو كان امرا فيه بواجب لم يقل ان تركه خير منه اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر اي اهماله وتركه وخير من ترككم اي تركي لكم او تركم كتاب الوصية ومن بيان لما هو فيه وكتاب الله بالنصب مفعول معه اي مصاحبين بكتاب الله والتمسك به فانه حسبكم فاياكم ان تختلفوا فيه فتهلكوا كمن قبلكم من الامم وتفشلوا ان تنازعتم فيه وقد قيل انه كان مراده صلى الله عليه وسلم كتابة هذا شفقة عليهم وان تدعوني ان شرطية والجملة معطوفة على جملة دعوني مما طلبتم اي من كتابة الكتاب الذي طلبتموه فاجنبكم والجواب مقدر اي فهو خير لكم ويجوز فتحها وذكر بنا

المجهول

المجهول ان الذي طلب كتابته لهم امر الخلافة بعده وتعيين ذلك اي تعيين من يكون خليفة بعده واعلم ان هذا هو الصواب كما قاله ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض وانه ورد مفسرا انه في الحديث المروي في الصحيحين كما مر في قوله صلى الله عليه وسلم لعايشة ادعي لي اباك واخاك ولا يجوز غيره لانه لا يخلو من ان يكون امرا واجبا اوحي اليه به قبل مرضه او اوحي اليه به في مرضه والاول لا يصح لان فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة وهو غير جائز والثاني لو كان بلغه من غير طلب كتاب ونحوه وحينيذ فانما قال عمر رضي الله تعالى عنه ما قاله لانه علمه وعلم غيره كعايشة رضي الله تعالى عنها وغيرها من كبار الصحابة ولو ذكره لذكر بعده عمر فربما اشمازت منه بعض النفوس القاصرة وقد علم ان الله منجزه وان اخفاءه في حياته اولى وما سواه هذا القول لا وجه له فلذا ختم به هذا الفصل وكرر ذكره فيه والقول بانه بعيد لا وجه له

فصل

في ذكر شبهة اخرى فيما قرره من عصمته صلى الله عليه وسلم في رضاه وغضبه فان قيل فما وجه حديثه الذي رواه مسلم اي توجيهه بما يوافق ما قرره ورواه المص من طريقه مسندا ايضا اي المماثل للحديث الذي قدمه الذي حدثناه الفقيه ابو محمد الخشني بقراتي عليه قال حدثنا ابو علي الطبري قال حدثنا عبد الغافر الفارسي قال حدثنا ابو احمد الجلودي قال حدثنا ابراهيم بن سفيان تقدم بيانه رجال هذا السند كلهم قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم قال حدثنا ليث عن سعيد هو المقبري وقد تقدم ابن ابي سعيد اسمه كيسان كما تقدم عن سالم مولى النصريين بنون وصاد مهملة وهو ابن عبد الله النصري روى له اصحاب الكتب الاربعة نسبة لجماعة نسبوا لنصر كما بين في اسماء الرجال قال سمعت ابا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول تقدم الكلام على ابي هريرة وعلى هذا التركيب من جهة العربية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر الحصر فيه اضافي ادعائي ليست احوالي الا من جنس احوال البشر الذي يطرأ عليه ما يطرأ عليهم من العوارض البشرية وليس تبريا منها فهو يغضب احيانا لله لا لنفسه كما يغضب البشر وعدل عن التكلم الى الغيبة بذكر اسمه تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وفيه التفات على راي واني اتخذت افتعال من الاخذ فتاؤه مبدلة لا اصلية كما تبين في العربية عندك عهدا يعني انه صلى الله عليه وسلم عاهد الله عهدا فيما بينه وبينه لن تخلفنيه يعني وانك وعدتني بانجاز عهدي وانك لا تخلف الميعاد وفي قوله اتخذت التفات من الغيبة للتكلم لبيان انه متلذذ بمناجاته مترقبا ثم فسر العهد الذي عهده بقوله فايما مومن اذيته اي فعلت معه شيئا يوذيه وهو مستحق له كحد وتعزير اقتصاه فانه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم لا يوذي احدا لا يستحق الاذية كما لا يخفى او سببته او جلدته هذا من جملة الاذية فينبغي

تخصيصها بغير ما ذكر لان الخاص لا يعطف على العام باو فاجعلها اتثه باعتبار
المذكورات والفا في جواب اما لتضمنها معنى الشرط كفارة له اي مكفرة لذنوبه
وفيه اشارة الى ان ما فعله في مقابلة ذنب صدر منه لا لحظ نفسه وهو
صيغة مبالغة ملحقة باسما الاجناس وقربة اي فعلة مقربة له تقربه بها
اليك اي تثيبه بها ثوابا ترفعه بها منزلة عندك لانه تعالى منزه عن الجهة
والقرب المكاني لانه من صفة الاجسام يوم القيامة اي حين تعرض الاعمال ويحاسب
العباد وفي رواية اخرى لهذا الحديث فايما احد بالجر وما مزيدة ويجوز رفعه
دعوت عليه دعوة في حال الغضب عليه قال في المقتفي وفيه نظر لان هذا ليس من
حديث ابي هريرة وانما هو حديث اخر عن انس رضي الله عنه فمقتضى الظاهر ان يقول
وفي رواية انس ونحوه يعني ان سياقه يقتضي انه من رواية ابي هريرة التي مرت
وليس كذلك قلت الامر فيه سهل وذكر الرواية وتنكيرها يقتضي مخالفتها لما
قبلها سندا او متنا وهو ظاهر فلا وجه لما قاله وفي رواية اخرى ليس اي المدعو عليه او المذكور
لها باهل اي مستحق لها اي لهذه الفعلة وهذا هو المشكل لانه صلى الله عليه وسلم
لا يفعل فعلا باحد الا ويستحقه وسياتي توجيهه وفي رواية اخرى ايما رجل من المسلمين سببته
وشتمته او لعنته اي دعوت عليه دعوة باللعنة واصل معناها الطرد والابعاد مطلقا
او جلدته فاجعلها اي المذكورات له زكاة اي طهارة من ذنوبه او زيادة في حسناته لان الزكاة
تكون بمعنى الطهارة والنما فاستعيرت لما ذكر وصلاة ورحمة عطف تفسير او تفسر
الصلاة بالعطف والرافة فيتغايرا وهو مفصل في تفسير قوله تعالى اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة ثم بين وجه الشبهة والسوال بقوله وكيف يصح ويجوز
والاستفهام انكاري ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن فعلى اي
حال يصح صدور مثله عنه ويسب من لا يستحق السب لقوله في رواية ليس لها باهل
ويجلد من لا يستحق الجلد وقوله او بسكون الواو وفتحها وهمزة الاستفهام يفعل مثل ذلك
الامر المذكور عند الغضب اي في حال غضبه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في جميع احواله
فاعلم شرح الله صدرك اي فسح فيه ووسعه لقبول الحق فيما نحن فيه ونوره بمعرفته
والجملة دعائية معترضة لتعرف الحق في هذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في بعض
الروايات اولا فيما تقدم ليس لها باهل اي ليس مستحقا لما فعله به اي عندك
يارب اي في علمك فما هو باطن امره اي حقيقته التي تخفى على غيره وعند الله في القران
تكون تارة بمعنى علمه وتارة بمعنى حكمه والمراد هنا الاول كما بيناه في حواشي القاضي
البيضاوي فان حكمه صلى الله عليه وسلم بين امته كما تقدم على الظاهر من الحال غالبا كما
قال صلى الله عليه وسلم من انه انما يحكم بالظاهر كما تقدم وللحكمة التي ذكرناها من انه
لتقتدي به امته ولو اوحي اليه ما في نفس الامر وحكم به لم يكن لامته الاقتدا به
في احكامه بعده كما مر فحكم صلى الله عليه وسلم بمقتضى الظاهر عليه او ادبه او سبه
او لعنه اي دعا عليه باللعنة اي طرده بما اقتضاه عنده اي في حضوره او في علمه

حال

حال ظاهره الذي ظهر له ولغيره والدعا باللعن شرعا انما يجوز على من كان غير
معين كافرا كان او غير كافر كلعنة الله على الظالم او على معين مات على كفره
واما على معين كافرا كان او لا فلا يجوز لجواز ان يسلم فلا يكون ملعونا اي مطرودا
عن رحمة الله الا انه قيل انه كان جايزا للنبي صلى الله عليه وسلم ولو كان على غير
الكافرين فهو اما من خصايصه او منسوخ ثم دعا صلى الله عليه وسلم لمن دعا عليه
بقوله اللهم اجعله كفارة له لشفقته على امته ورافته ورحمته للمومنين التي
وصفه الله بها بقوله بالمومنين روف رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ونحوه
وحذره بالجر عطف على شفقته اي خوفه ان يتقبل الله تعالى فيمن دعا عليه دعوته بقوله
اللهم اجعله الخ ان يجعل الله هو مفعول دعا دعاه عليه ولعنته له رحمة لمن
دعا به عليه فهو معنى قوله ليس لها اي المدعو عليه ليس في علم الله اهلا
اي مستحقا لما دعي به عليه لانه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب بمقتضى
البشرية اي يدعوه ويبعثه ويستفزه الضجر اي القلق وضيق الصدر من عصاه
وخالفه اي تحرك بسرعة لان يفعل مثل هذا الدعا من السب واخوته بمن لا يستحقه
في الباطن وان استحقه بحسب الظاهر من مسلم صدر منه ذلك وهذا معنى فسر
به الحديث وهو صحيح مستقيم مقبول لا يمنعه شي ولا يفهم من قوله صلى الله
عليه وسلم في هذا الحديث اغضب كما يغضب البشر حمله وبعثه على ما لا يجب فعله اذ هو
صلى الله عليه وسلم منزه عن مثله بل يجوز ان يكون المراد بقوله هذا ان الغضب لله هو
الذي حمله على معاقبته بلعنه او سبه كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم
ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله او يجاب بجواب
اخر هو انه اي الذنب الذي عاقبه عليه وفي نسخ وانه بالواو كان مما يحتمل ويجوز
عطف تفسير ليحتمل عفوه صلى الله عليه وسلم عنه وترك المعاقبة عليه بالسب ونحوه
او كان ذلك الذنب مما خير بالبنا للمجهول اي خيره الله تعالى بين المعاقبة والعفو عنه
وفي نسخة او العفو والصواب عطفه بالواو لاقتضا التخيير لشيين ولا حاجة
لجعل او بمعنى الواو وهذا الجواب قريب مما قبله وقد يحمل الدعا الوارد في هذا
الحديث على انه خرج مخرج الاشفاق والخوف منه صلى الله عليه وسلم على امته وتعليم
امته الخوف من الله تعالى ومعاصيه من الصغاير والحذر من تعدي وتجاوز حدود
الله اي ما احده الله تعالى مما لا يجوز الخروج عنه وقد يحمل ما ورد من دعايه هنا
وما ورد من دعواته على غير واحد اي على كثير من الناس في غير موطن اي في مواطن
ومحال كثيرة صدر فيها الدعا عليهم على ما صدر من غير العقد اي العزم وتصميم القلب
والقصد منه للدعا عليهم بل دعوات صدرت منه بما جرت به عادة العرب في محاوراتهم
يدعون على مخاطبيهم بنحو قاتله الله وويل امه ولا اب له لمن قصد مدحه وتحسين
فعله وهو مشهور في غير لسان العرب ايضا وليس المراد بها اي بهذه الدعوات
الاجابة اي دعا عليه يطلبون استجابته فيهم بوقوع ما دعوا به كقوله صلى الله عليه وسلم

في حديث رواه الشيخان تربت يمينك قال في النهاية ترب الرجل اذا افتقر كانه التصق
بالتراب واترب اذا استغنى اما على همزة السلب او على معنى صار ماله كالتراب
كثرة وقد ورد كل منهما بمعنى الاخر وروي يداك ويدك ونسب لليد لان بها الكسب
وليس المراد به الدعا عليه وقد صدر هذا منه صلى الله عليه وسلم مرارا فمنه لام
المومنين ام سلمة رضي الله تعالى عنها كما رواه البخاري انها قالت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي من الحق هل على المراة من غسل اذا هي احتلمت فقال
نعم اذا رات الما فغطت وجهها وقالت او تحتلم المراة قال نعم تربت يمينك فبم يشبهها
ولدها ووقع في احاديث اخر ايضا كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا اشبع الله بطنك قاله صلى الله عليه وسلم لمعاوية
رضي الله تعالى عنه ولكن الذي رواه مسلم لا اشبع الله بطنه قال البيهقي فما
شبع بعدها ابدا وكان رضي الله عنه مشهورا بالبطنة حتى قالوا الاكول
كان في امعائه معاوية والحديث قد علمت انه عن ابن عباس ولفظه قال كنت
مع الصبيان فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب فقال
اذهب فادع لي معاوية قال فجئته وقلت هو ياكل فقال ثانيا اذهب فادعه
فجئته وقلت هو ياكل فامرني فجئته وقلت هو ياكل فقال صلى الله عليه وسلم
لا اشبع الله بطنه فحينئذ في ما قاله المحشي لان الله تعالى استجاب
دعاه فيه فليس من هذا الباب الذي جرت به العادة من غير قصد وقوله
صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم عن عايشة رضي الله تعالى عنها
عقرى حلقى وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي ام المومنين رضي الله
تعالى عنها في حجة الوداع وهو في البخاري بسنده عن عايشة قالت خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى
الله عليه وسلم ما اراها الا حابستكم الى اخره وهذا ايضا للتعجب بدون قصد
الدعا واصله صفة للمراة المؤذية المشؤومة واختلف في لفظه ومعناه
فقيل يعني حلقى اصابها وجع في حلقها وقيل معناه تحلقهم اي بشؤمها
كما يستاصل الحالق الشعر وعقرى من العقر وهو عرقبة الدواب او من العقر وهو
رفع الصوت ويجوز تنوينهما وعدمه على ان الفه للتانيث كسكرى وعلى جعلها
ليست للتانيث فكل منهما صواب ومحلهما رفع خبرا او نصب على المصدرية والمحدثون
يروونه غير منون والمعروف عند اللغويين تنوينه وغيرها اي غير الدعوات المذكورة
من المروي دعواته صلى الله عليه وسلم التي لم يرد بها الدعا على من خاطبه وانما يراد المدح
او التعجب على عادة العرب في مخاطباتهم ووجهه كما قالوه في نحو قاتله الله انه يقصد
به دفع العين عنه بجعله كالمذموم المدعو عليه فهو من قبيل الذم الذي يراد به
المدح وقد ورد في صفته صلى الله عليه وسلم في غير حديث اي في احاديث كثيرة تقدم بعضها
ما رواه وهو في صحيح البخاري وغيره انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا صيغة



مبالغة